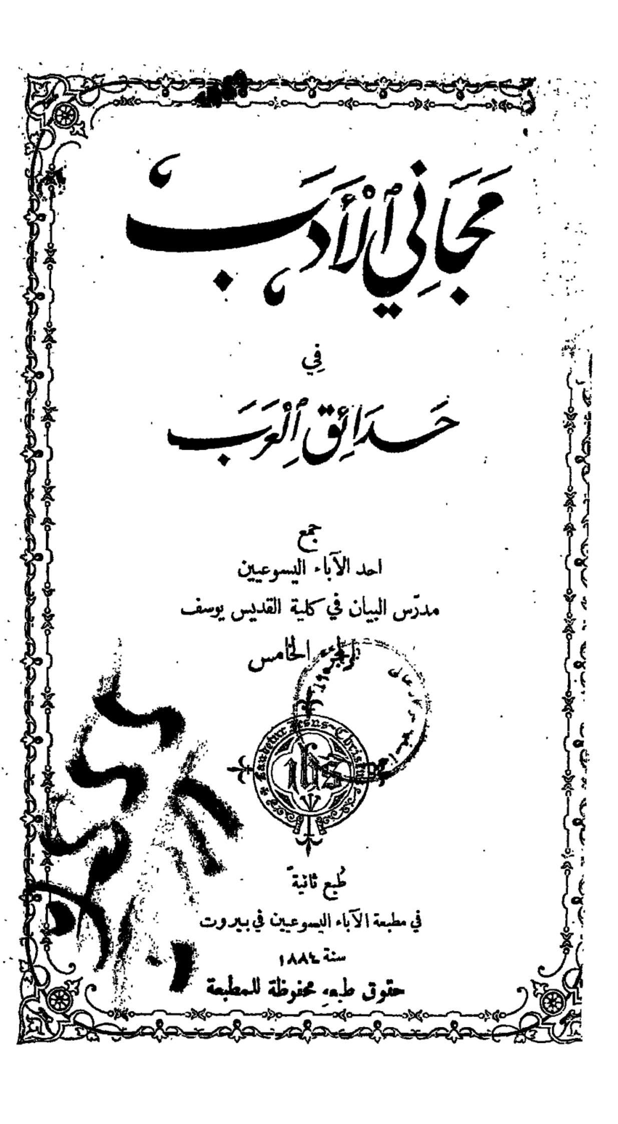




مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

احد الآباء اليسوعيين

مدرّس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الخامس

طُبع ثانيةً

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٤

اَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلتَّدَيُّنِ

عظمة الخالق وجبروته والاخلاص اليه

١ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْعَظِيمِ شَأْنُهُ ٱلْقَوِيِّ سُلْطَانُهُ . ٱلظَّاهِرِ إِحْسَانُهُ . ٱلْبَاهِرِ حُجَّتُهُ وَبُرْهَانُهُ . ٱلْمُحْتَجِبِ بِٱلْجَلَالِ . وَٱلْمُنْفَرِدِ بِٱلْكَمَالِ . وَٱلْمُتَرَدِّي بِٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْآبَادِ وَٱلْآزَالِ . لَا يُصَوِّرُهُ وَهْمٌ وَخَيَالٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ حَدٌّ وَمِثَالٌ . ذِي ٱلْعِزِّ ٱلدَّائِمِ ٱلسَّرْمَدِيِّ . وَٱلْمُلْكِ ٱلْقَائِمِ ٱلدَّيْمُومِيِّ . وَٱلْقُدْرَةِ ٱلْمُمْتَنِعِ إِدْرَاكُ كُنْهِهَا . وَٱلسَّطْوَةِ ٱلْمُسْتَوْعِرِ طَرِيقُ ٱسْتِيفَاءِ وَصْفِهَا . نَطَقَتِ ٱلْكَائِنَاتُ بِأَنَّهُ ٱلصَّانِعُ ٱلْمُبْدِعُ . وَلَاحَ مِنْ صَفَحَاتِ ذَرَّاتِ ٱلْوُجُودِ بِأَنَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْمُخْتَرِعُ . وَسَمَ عَقْلَ ٱلْإِنْسَانِ بِٱلْعَجْزِ وَٱلنُّقْصَانِ . وَأَلْزَمَ فَصِيحَاتِ ٱلْأَلْسُنِ وَصْفَ ٱلْحَصَرِ فِي حَلْبَةِ ٱلْبَيَانِ . وَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ أَجْنِحَةَ طَائِرِ ٱلْفَهْمِ . وَسَدَّتْ تَعَزُّزًا وَإِجْلَالًا مَسَالِكَ ٱلْوَهْمِ . وَأَطْرَقَ طَامِحُ ٱلْبَصِيرَةِ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا . وَلَمْ يَجِدْ مِنْ فَرْطِ ٱلْهَيْبَةِ فِي فَضْلِ ٱلْجَبَرُوتِ مَجَالًا . فَعَادَ ٱلْبَصَرُ كَلِيلًا . وَٱلْعَقْلُ عَلِيلًا . وَلَمْ يَنْتَهِجْ إِلَى كُنْهِ ٱلْكِبْرِيَاءِ سَبِيلًا . فَسُبْحَانَ مَنْ عَزَّ مَعْرِفَتُهُ لَوْلَا تَعْرِيفُهُ . وَتَعَذَّرَ عَلَى ٱلْعُقُولِ تَحْدِيدُهُ وَتَكْيِيفُهُ . ثُمَّ أَلْبَسَ قُلُوبَ ٱلصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ مَلَابِسَ ٱلْعِرْفَانِ . وَخَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ بِخَصَائِصِ ٱلْإِحْسَانِ . فَصَارَتْ ضَمَائِرُهُمْ مِنْ

مَوَاهِبِ ٱلْأُنْسِ مَمْلُوءَةً • فَتَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ ٱلْأَمْدَادِ ٱلْقُدُسِيَّةِ • وَٱسْتَعَدَّتْ
لِوُرُودِ ٱلْأَنْوَارِ ٱلْعَلَوِيَّةِ • وَٱتَّخَذَتْ مِنَ ٱلْأَنْفَاسِ ٱلْعَطِرَةِ بِٱلْأَذْكَارِ
جُلَّاسًا • وَأَقَامَتْ عَلَى ٱلظَّاهِرِ وَٱلْبَاطِنِ مِنَ ٱلتَّقْوَى حُرَّاسًا • وَأَشْعَلَتْ
فِي ظُلَمِ ٱلْبَشَرِيَّةِ مِنَ ٱلْيَقِينِ نِبْرَاسًا • وَٱسْتَحْقَرَتْ فَوَائِدَ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا •
وَأَنْكَرَتْ مَصَايِدَ ٱلْهَوَى وَتَبِعَاتِهَا • وَٱمْتَطَتْ غَوَارِبَ ٱلرَّغَبُوتِ
وَٱلرَّهَبُوتِ • وَٱسْتَفْرَشَتْ بِعُلُوِّ هِمَّتِهَا بِسَاطَ ٱلْمَلَكُوتِ • وَٱمْتَدَّتْ إِلَى
ٱلْمَآلِ أَعْنَاقُهَا • وَطَمَحَتْ إِلَى ٱللَّامِعِ ٱلْعَلَوِيِّ أَحْدَاقُهَا • وَٱتَّخَذَتْ مِنَ
ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى مُسَامِرًا وَمُحَاوِرًا • وَمِنَ ٱلنُّورِ ٱلْأَعَزِّ ٱلْأَقْصَى مُزَاوِرًا مُجَاوِرًا •
أَجْسَادًا أَرْضِيَّةً بِقُلُوبٍ سَمَاوِيَّةٍ وَأَشْبَاحًا فَرْشِيَّةً • بِأَرْوَاحٍ عَرْشِيَّةٍ •
نُفُوسُهُمْ فِي مَنَازِلِ ٱلْخِدْمَةِ سَيَّارَةٌ • وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فَضَاءِ ٱلْقُرْبِ
طَيَّارَةٌ • مَذَاهِبُهُمْ فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ مَشْهُورَةٌ • وَأَعْلَامُهُمْ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ
مَنْشُورَةٌ • يَقُولُ ٱلْجَاهِلُ بِهِمْ فُقِدُوا وَمَا فُقِدُوا • وَلَكِنْ سَمَتْ أَحْوَالُهُمْ
فَلَمْ يُدْرَكُوا • وَعَلَا مَقَامُهُمْ فَلَمْ يُمْلَكُوا • كَائِنِينَ بِٱلْجُثْمَانِ • بَائِنِينَ بِقُلُوبِهِمْ
عَنْ أَوْطَانِ ٱلْحِدْثَانِ • لِأَرْوَاحِهِمْ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ تَطْوَافٌ • وَلِقُلُوبِهِمْ مِنْ
خَزَائِنِ ٱلْبِرِّ إِسْعَافٌ • يَتَنَعَّمُونَ بِٱلْخِدْمَةِ فِي ٱلدَّيَاجِرِ • وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْ
وَهَجِ ٱلظَّمَإِ بِظَمَإِ ٱلْهَوَاجِرِ • سَلَوْا بِٱلصَّلَوَاتِ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ • وَتَعَوَّضُوا
بِحَلَاوَةِ ٱلتِّلَاوَةِ عَنِ ٱللَّذَّاتِ • يَلُوحُ مِنْ صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ بِشْرُ ٱلْوِجْدَانِ
وَيَنِمُّ عَلَى مَكْنُونِ سَرَائِرِهِمْ نَضَارَةُ ٱلْعِرْفَانِ • لَا يَزَالُ فِي كُلِّ عَصْرٍ
مِنْهُمْ عَلَّامُونَ بِٱلْحَقِّ • دَاعُونَ لِلْخَلْقِ • مُنِحُوا بِحُسْنِ ٱلْمُتَابَعَةِ رُتْبَةَ ٱلدَّعْوَةِ

وَجعلُوا لِلمتَّقِينَ قُدوَةً فَلاَ يَزَالُ تظْهرُ فِي الْخَلْقِ آثارُهُم . وتزْهرُ فِي الآفَاقِ أَنوارُهم . مَنِ اقْتَدَى بِهِم اهْتَدَى . وَمَنْ أَنكَرهُمْ ضَلَّ وَاعْتَدَى . فَلِلهِ الْحَمْدُ عَلَى مَاهيَّأَ لِلعِبادِ مِنْ بَرَكَةِ خَوَاصِّ حَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْوِدَادِ (للشهرزوري)

٢ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ :

إِلَهُ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ ... وَرَبُّ الرَّاسِيَاتِ مِنَ الْجِبَالِ
بَنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعاً شِدَاداً ... بِلاَ عَمَدٍ يُرَيْنَ وَلاَ رِجَالِ
وَسَوَّاهَا وَزَيَّنَهَا بِنُورٍ ... مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ وَالْهِلاَلِ
وَمِنْ شُهُبٍ تَلأْلأُ فِي دُجَاهَا ... مَرَامِيهَا أَشَدُّ مِنَ النِّصَالِ
وَشَقَّ الأَرْضَ فَانْبَجَسَتْ عُيُوناً ... وَأَنْهَاراً مِنَ الْعَذْبِ الزُّلاَلِ
وَبَارَكَ فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى ... بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالِ
فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لاَبُدَّ يَوْماً ... وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ
وَيَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى ... سِوَى الْبَاقِي الْمُقَدَّسِ ذِي الْجَلاَلِ
وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ ... إِلَى ذَاتِ الْمَقَامِعِ وَالنَّكَالِ
فَنَادَوْا وَيْلَنَا وَيْلاً طَوِيلاً ... وَعَجُّوا فِي سَلاَسِلِهَا الطِّوَالِ
فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا ... وَكُلُّهُمُ بِحَرِّ النَّارِ صَالِي
وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ ... وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظِّلاَلِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا ... مِنَ الأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

صفاتهُ تعالى

٣ هُوَ ٱللهُ ٱلظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ . أَلْبَاطِنُ بِذَاتِهِ . أَلْقَرِيبُ بِرَحْمَتِهِ . أَلْبَعِيدُ بِعِزَّتِهِ . أَلْكَرِيمُ بِآلَائِهِ . أَلْعَظِيمُ بِكِبْرِيَائِهِ . أَلْقَادِرُ فَلَا يُمَانَعُ . وَٱلْقَاهِرُ فَلَا يُنَازَعُ . وَٱلْعَزِيزُ فَلَا يُضَامُ . وَٱلْمَنِيعُ فَلَا يُرَامُ . وَٱلْمَلِيكُ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْأَقْضِيَةُ وَٱلْأَحْكَامُ . ٱلَّذِي تَفَرَّدَ بِٱلْبَقَاءِ . وَتَوَحَّدَ بِٱلْعِزَّةِ وَٱلسَّنَاءِ . وَٱسْتَأْثَرَ بِمَحَاسِنِ ٱلْأَسْمَاءِ . وَدَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ بِخَلْقِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ . كَانَ وَلَا مَكَانٌ وَلَا زَمَانٌ وَلَا بُنْيَانٌ . وَلَا مَلَكٌ وَلَا إِنْسَانٌ . فَأَنْشَأَ ٱلْمَعْدُومَ إِبْدَاعًا . وَأَحْدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ إِنْشَاءً وَٱخْتِرَاعًا . جَلَّ وَتَعَالَى فِيمَا خَلَقَ عَنِ ٱحْتِذَاءِ صُورَةٍ وَٱسْتِدْعَاءِ مَشُورَةٍ . وَٱقْتِفَاءِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَٱفْتِقَارٍ إِلَى نَظَرِ قِيَاسٍ وَٱسْتِدْلَالٍ . فَفِي كُلِّ مَا أَبْدَعَ وَصَنَعَ وَفَطَرَ وَقَدَّرَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ ٱلْوَاحِدُ بِلَا ظَهِيرٍ وَٱلْقَادِرُ بِلَا نَصِيرٍ . وَٱلْعَالِمُ بِلَا تَبْصِيرٍ وَتَذْكِيرٍ . وَٱلْحَكِيمُ بِلَا رُؤْيَةٍ وَتَفْكِيرٍ . ٱلْحَيُّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . رَفَعَ ٱلسَّمَاءَ عِبْرَةً لِلنُّظَّارِ . وَعِلَّةً لِلظُّلَمِ وَٱلْأَنْوَارِ . وَسَبَبًا لِلْغُيُوثِ وَٱلْأَمْطَارِ . وَحَيَاةً لِلْحُلُولِ وَٱلْقِفَارِ . وَمَعَاشًا لِلْوُحُوشِ وَٱلْأَطْيَارِ . وَوَضَعَ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا لِلْأَبْدَانِ . وَقَرَارًا لِلْحَيَوَانِ . وَفِرَاشًا لِلْجُنُوبِ وَٱلْمَضَاجِعِ . وَبِسَاطًا لِلْمَكَاسِبِ وَٱلْمَنَافِعِ . وَذَلُولًا لِطُلَّابِ ٱلرِّزْقِ وَأَرْبَابِ ٱلْبَضَائِعِ . وَأَشْخَصَ ٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا رَاسِيَةً وَأَعْلَامًا بَادِيَةً . وَعُيُونًا جَارِيَةً . وَأَرْحَامًا لِأَجِنَّةِ ٱلْأَعْلَاقِ حَاوِيَةً . وَجَعَلَ ٱلْبِحَارَ مَفَايِضَ لِفُضُولِ ٱلْأَنْهَارِ . وَمَغَايِرَ لِسُيُولِ

ٱلْأَمْطَارِ. وَمَرَاكِبَ لِرِفَاقِ ٱلتُّجَّارِ. وَمَضَارِبَ لِمَصَالِحِ ٱلْأَمْصَارِ. وَمَنَاجِحَ ٱلْأَوْطَارِ تَحْوِي مِنَ ٱلدُّرِّ وَٱلْمَرْجَانِ بَتَاتًا. وَتُنْبِعُ مِنْ بَيْنِ ٱلْمِلْحِ ٱلْأُجَاجِ عَذْبًا فُرَاتًا. وَتَقْذِفُ لِلْآكِلِينَ لَحْمًا طَرِيًّا. وَتَحْمِلُ لِلَّابِسِينَ جَوَاهِرَ وَحُلِيًّا. وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى عِمَارَةِ عَالَمِهِ مَنِ ٱنْتَخَبَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ وَآثَرَهُمْ بِإِلْهَامِهِ. وَدَبَّرَهُمْ بِأَوَامِرِهِ وَأَحْكَامِهِ (لابي نصر العتبي)

٤ قصيدة ابي محمد بن السيد البطليوسي في التوحيد

إِلَاهِيَ إِنِّي شَاكِرٌ لَكَ حَامِدُ ... وَإِنِّي لَسَاعٍ فِي رِضَاكَ وَجَاهِدُ
وَإِنَّكَ مَهْمَا زَلَّتِ ٱلنَّعْلُ بِٱلْفَتَى ... عَلَى ٱلْعَائِدِ ٱلتَّوَّابِ بِٱلْعَفْوِ عَائِدُ
تَبَاعَدتَّ مَجْدًا وَٱدَّنَيْتَ تَعَطُّفًا ... وَحِلْمًا فَأَنْتَ ٱلْمُدَّنِي ٱلْمُتَبَاعِدُ
وَمَالِي عَلَى شَيْءٍ سِوَاكَ مُعَوَّلٌ ... إِذَا دَهَمَتْنِي ٱلْمُعْضِلَاتُ ٱلشَّدَائِدُ
أَغَيْرَكَ أَدْعُو لِي إِلَاهًا وَخَالِقًا ... وَقَدْ أَوْضَحَ ٱلْبُرْهَانُ أَنَّكَ وَاحِدُ
وَقِدْمًا دَعَا قَوْمٌ سِوَاكَ فَلَمْ يَقُمْ ... عَلَى ذَاكَ بُرْهَانٌ وَلَا لَاحَ شَاهِدُ
وَبِٱلْفَلَكِ ٱلدَّوَّارِ قَدْ ضَلَّ مَعْشَرٌ ... وَلِلنَّيِّرَاتِ ٱلسَّبْعِ دَاعٍ وَسَاجِدُ
وَلِلْعَقْلِ عُبَّادٌ وَلِلنَّفْسِ شِيعَةٌ ... وَكُلُّهُمُ عَنْ مَنْهَجِ ٱلْحَقِّ حَائِدُ
وَكَيْفَ يَضِلُّ ٱلْقَصْدَ ذُو ٱلْعِلْمِ وَٱلنُّهَى ... وَنَهْجُ ٱلْهُدَى مَنْ كَانَ نَحْوَكَ قَاصِدُ
وَهَلْ فِي ٱلَّذِي طَاعُوا لَهُ وَتَعَبَّدُوا ... لِأَمْرِكَ عَاصٍ أَوْ لِحَقِّكَ جَاحِدُ
وَهَلْ يُوجَدُ ٱلْمَعْلُولُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... إِذَا صَحَّ فِكْرٌ أَوْ رَأَى ٱلرُّشْدَ رَاشِدُ
وَهَلْ غِبْتَ عَنْ شَيْءٍ فَيُنْكِرَ مُنْكِرٌ ... وُجُودَكَ أَمْ لَمْ تَبْدُ مِنْكَ ٱلشَّوَاهِدُ
وَفِي كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ دَلَائِلٌ ... مِنَ ٱلصُّنْعِ تُبْدِي أَنَّهُ لَكَ عَابِدُ

وَكُلُّ وُجُودٍ عَنْ وُجُودِكَ كَائِنٌ فَوَاحِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاحِدُ
سَرَتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةٌ لَوْ مَنَعْتَهَا لَأَصْبَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَهْيَ بَوَائِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلٍ يَرَاهَا الْفَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كَفَى مُكَذِّبًا لِلْجَاحِدِينَ نُفُوسُهُمْ تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتُعَانِدُ

لأُمية بن أَبي الصلت النصراني في الكمالات الالهية

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلَهُ وَأَنْهَارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ
فَلَا بَصَرٌ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ
مَلَائِكَةٌ أَقْدَامُهُمْ تَحْتَ عَرْشِهِ بِكَفَّيْهِ لَوْلَا اللّٰهُ كَلُّوا وَأَبْلَدُوا
قِيَامٌ عَلَى الْأَقْدَامِ عَانِينَ تَحْتَهُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ تُرْعَدُ
وَسِبْطٌ صُفُوفٌ يَنْظُرُونَ قَضَاءَهُ يُصِيخُونَ بِالْأَسْمَاعِ لِلْوَحْيِ رُكَّدُ
أَمِينٌ لِوَحْيِ الْقُدْسِ جِبْرِيلُ فِيهِمِ وَمِيكَالُ ذُو الرُّوحِ الْقَوِيُّ الْمُسَدَّدُ
وَحُرَّاسُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ دُونَهُمْ قِيَامٌ عَلَيْهَا بِالْمَقَالِيدِ رُصَّدُ
فَنِعْمَ الْعِبَادُ الْمُصْطَفَوْنَ لِأَمْرِهِ وَمِنْ دُونِهِمْ جُنْدٌ كَثِيفٌ مُجَنَّدُ
مَلَائِكَةٌ لَا يَفْتُرُونَ عِبَادَةً كَرُوبِيَّةٌ مِنْهُمْ رُكُوعٌ وَسُجَّدُ
فَسَاجِدُهُمْ لَا يَرْفَعُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يُعَظِّمُ رَبًّا فَوْقَهُ وَيُمَجِّدُ
وَرَاكِعُهُمْ يَحْنُو لَهُ الدَّهْرَ خَاشِعًا يُرَدِّدُ آلَاءَ الْإِلٰهِ وَيَحْمَدُ
وَمِنْهُمْ مُلِفٌّ فِي الْجَنَاحَيْنِ رَأْسَهُ يَكَادُ لِذِكْرَى رَبِّهِ يَتَفَصَّدُ

مِنَ ٱلْخَوْفِ لَا ذُو سَآمَةٍ بِعِبَادَةٍ ... وَلَا هُوَ مِنْ طُولِ ٱلتَّعَبُّدِ يَجْهَدُ

وَدُونَ كَثِيفِ ٱلْمَاءِ فِي غَامِضِ ٱلْهَوَا ... مَلَائِكَةٌ تَنْحَطُّ فِيهِ وَتَصْعَدُ

وَبَيْنَ طِبَاقِ ٱلْأَرْضِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مَلَائِكَةٌ بِٱلْأَمْرِ فِيهَا تَرَدَّدُ

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ ٱلْخَلْقُ قَدْرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ ٱلْخَلَائِقُ مُلْكَهُ ... وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ ٱلْعِبَادُ فَمُفْرَدُ

مَلِيكُ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلشِّدَادِ وَأَرْضِهَا ... وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ

هُوَ ٱللّٰهُ بَارِي ٱلْخَلْقِ وَٱلْخَلْقُ كُلُّهُمْ ... إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ

وَأَنَّى يَكُونُ ٱلْخَلْقُ كَٱلْخَالِقِ ٱلَّذِي ... يَدُومُ وَيَبْقَى وَٱلْخَلِيقَةُ تَنْفَدُ

وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ جِدَّةٌ ... وَمَنْ ذَا عَلَى مَرِّ ٱلْحَوَادِثِ يَخْلُدُ

وَتَفْنَى وَلَا يَبْقَى سِوَى ٱلْوَاحِدِ ٱلَّذِي ... يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمَدُ

تُسَبِّحُهُ ٱلطَّيْرُ ٱلْجَوَانِحُ فِي ٱلْخَفَى ... وَإِذْ هِيَ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ تُصَعِّدُ

وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ ٱلرَّعْدُ فَوْقَنَا ... وَسَبَّحَهُ ٱلْأَشْجَارُ وَٱلْوَحْشُ أُبَّدُ

وَسَبَّحَهُ ٱلنِّينَانُ وَٱلْبَحْرُ زَاخِرًا ... وَمَا طَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُتْلِدُ

أَلَا أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ ٱلْمُقِيمُ عَلَى ٱلْهَوَى ... إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هٰذَا ٱلتَّصَدُّدُ

عَنِ ٱلْخَلْقِ كَٱلْأَعْمَى ٱلْمُمِيطِ عَنِ ٱلْهَوَى ... وَلَيْسَ يَرُدُّ ٱلْحَقَّ إِلَّا مُفَنَّدُ

وَحَالَاتِ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا ... وَبَيْنَا ٱلْفَتَى فِيهَا مَهِيبٌ مُسَوَّدُ

إِذِ ٱنْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا ... وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ ٱلْقُبُورِ يُوَسَّدُ

وَفَارَقَ رُوحًا كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ ... وَجَاوَرَ مَوْتَى مَا لَهُمْ مُتَرَدَّدُ

فَأَيَّ فَتًى قَبْلِي رَأَيْتَ مُخَلَّدًا ... لَهُ فِي قَدِيمِ ٱلدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ

وَمَن يَبْتَلِيهِ ٱلدَّهْرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ سَيَكْبُو لَهَا وَٱلنَّائِبَاتُ تَرَدَّدُ
فَلَمْ تَسْلَمِ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا بِصِحَّتِهَا وَٱلدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ
أَلَسْتَ تَرَى فِيمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَى يُلَدَّدُ
فَكُنْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ وَٱلْبَعْثِ بَعْدَهُ وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ ٱلْيَوْمُ أَوْ غَدُ
فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غَرُورٍ لِأَهْلِهَا وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ ٱلصَّدْرِ يُوقِدُ

٦ وسيلة الى الله تعالى لعبد الرحيم البرعي

لِي فِي نَوَالِكَ يَا مَوْلَايَ آمَالُ مِنْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ ٱلْأَهْلُونَ وَٱلْمَالُ
أُوصِي إِلَيْكَ لِعِلْمِي أَنَّ لُطْفَكَ بِي دُونَ ٱلْوَرَى لَمْ يَحُلْ عَنِّي إِذَا حَالُوا
فَأَرْضِ عَنِّي خُصُومِي وَٱقْضِ يَا أَمَلِي دَيْنِي فَإِنَّ حُقُوقَ ٱلْخَلْقِ أَثْقَالُ
وَلَمْ يَضِقْ بِي مِنْكَ ٱلْعَفْوُ إِنْ خُتِمَتْ لِي بِٱلشَّهَادَةِ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالُ
كُنْ لِي إِذَا أَغْمَضُوا عَيْنِي وَٱنْصَرَفُوا بَاكِينَ أَسْمَعُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا قَالُوا
وَٱمْنُنْ بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ عَلَيَّ إِذَا ضَاقَ ٱلْخِنَاقُ فَهَوْلُ ٱلْمَوْتِ أَهْوَالُ
وَجَاءَنِي مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُوَكَّلُ بِي وَبِٱلنُّفُوسِ فَلِلْأَعْمَالِ آجَالُ
وَٱسْتَخْرَجَ ٱلنَّفْسَ أَمْلَاكٌ مُطَهَّرَةٌ لَهَا إِلَى لُطْفِكَ ٱلْمَأْمُولِ تَرْحَالُ
جَاؤُا إِلَيْكَ بِهَا يَا رَبِّ يَقْدُمُهَا لِحَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ جِبْرِيلٌ وَمِيكَالُ
ثُمَّ ٱنْثَنَتْ عَنْ قَرِيبٍ نَحْوَ مُغْتَسَلٍ فِي حَيْثُ يُزْجُوكَ مَغْسُولٌ وَغَسَّالُ
وَلَيْسَ لِي وَلِمِثْلِي غَيْرُ جُودِكَ يَا مَنْ لَا يُدَانِيهِ أَشْبَاهٌ وَأَمْثَالُ
أَصْبَحْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ ٱلْيَوْمَ مُطَّرَحًا وَلِي بِنَفْسِي عَنِ ٱلْأَغْيَارِ أَشْغَالُ
فَأَوْلِنِي يَا غَفُورُ ٱلْعَفْوَ مِنْكَ فَلَا يَبْقَى عَلَيَّ مِنَ ٱلْأَوْزَارِ مِثْقَالُ

وَإِنْ نَزَلْتُ إِلَى بَيْتِ ٱلْخَرَابِ وَلَا ... أَبٌ هُنَاكَ وَلَا عَمٌّ وَلَا خَالُ
أَلْهِمْنِي يَا خَالِقِي ذِكْرَ ٱلْجَوَابِ فَفِي ... ذَاكَ ٱلْمَقَامِ جَوَابَاتٌ وَتَسْآلُ
هُنَاكَ لَا أَمَلٌ يُرْجَى وَلَا عَمَلٌ ... يَجْزِي وَلَا حِيلَةٌ عِنْدِي فَأَحْتَالُ
فَٱفْتَحْ لِرُوحِي إِلَى ٱلْفِرْدَوْسِ بَابَ رِضًا ... يُهْدِي رِيَاحَ رِيَاضٍ ظِلُّهَا ضَالُ
وَٱلْطُفْ وَرَاءِي بِأَطْفَالٍ وَأُمِّهِمِ ... إِنْ كَانَ خَلْفِي أُوَيْلَادٌ وَأَطْفَالُ
حَتَّى إِذَا نُشِرَ ٱلْأَمْوَاتُ وَٱزْدَحَمَتْ ... فَرَائِصُ ٱلْخَلْقِ مِنْ بَعْضِ ٱلَّذِي نَالُوا
وَعَادَتِ ٱلرُّوحُ فِي ٱلْجِسْمِ ٱلضَّعِيفِ وَقَدْ ... تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْضَاءٌ وَأَوْصَالُ
يَا وَاسِعَ ٱللُّطْفِ قَدْ قَدَّمْتُ مَعْذِرَتِي ... إِنْ كَانَ يُغْنِي عَنِ ٱلتَّفْصِيلِ إِجْمَالُ
فَجُدْ عَلَيَّ وَلَاطِفْنِي بِعَفْوِكَ عَنْ ... ذَنْبِي فَشَأْنُكَ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالُ
وَقُلْ كَفَيْتُكَ يَا عَبْدَ ٱلرَّحِيمِ أَذَى ٱلدَّا ... رَيْنِ فَٱنْزِلْ حِمًى مَا فِيهِ إِهْمَالُ
جَنِّبْنِي ٱلْعُجْبَ وَٱلشُّحَّ ٱلْمُطَاعَ وَمُرْ ... نَفْسِي تُخَالِفْ هَوَاهَا فَهْوَ قَتَّالُ
وَعُدْ عَلَيَّ بِنُورٍ مِنْكَ مُبْتَهِجٍ ... يَزْكُو بِهِ بَصَرِي وَٱلسَّمْعُ وَٱلْبَالُ
وَٱرْحَمْ بَنِيَّ وَآبَاءِي وَحَاشِيَتِي ... يَعُمُّهُمْ يَا إِلٰهِي مِنْكَ إِقْبَالُ
مَاذَا أَقُولُ وَمِنِّي كُلُّ مَعْصِيَةٍ ... وَمِنْكَ يَا سَيِّدِي حِلْمٌ وَإِمْهَالُ
وَمَا أَكُونُ وَمَا قَدْرِي وَمَا عَمَلِي ... فِي يَوْمِ تُوضَعُ فِي ٱلْمِيزَانِ أَعْمَالُ
أَمْ كَيْفَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱلْإِلٰهِ فَتًى ... عَبْدٌ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ سِرْبَالُ
رَبَّاهُ رَبَّاهُ أَنْتَ ٱللهُ مُعْتَمَدِي ... فِي كُلِّ حَالٍ إِذَا حَالَتْ بِيَ ٱلْحَالُ

٧ وَلَهُ فِي التوحيد

تَجَلَّتْ لِوَحْدَانِيَّةِ ٱلْحَقِّ أَنْوَارُ ... فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ ٱلْجُحُودَ هُوَ ٱلْعَارُ

وَأَغْرَتْ لِدَاعِي ٱلْحَقِّ كُلَّ مُوَحِّدٍ بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا ٱلْجَارُ وَٱلدَّارُ
وَأَبْدَتْ مَعَانِي ذَاتِهِ بِصِفَاتِهِ فَلَمْ يَحْتَمِلْ عَقْلَ ٱلْمُحِبِّينَ إِنْكَارُ
تَرَاءَى لَهُمْ فِي ٱلْغَيْبِ جَلَّ جَلَالُهُ عِيَانًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ سَمْعٌ وَأَبْصَارُ
مَعَانٍ عَقَلْنَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْعَقْلُ ذَاهِلٌ وَإِقْبَالُهُ فِي بَرْزَخِ ٱلْبَحْثِ إِدْبَارُ
إِذَا هَمَّ وَهْمُ ٱلْفِكْرِ إِدْرَاكَ ذَاتِهِ تَعَارَضَ أَوْهَامٌ عَلَيْهِ وَأَفْكَارُ
وَكَيْفَ يُحِيطُ ٱلْكَيْفُ إِدْرَاكَ حَدِّهِ وَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلْكَيْفِ حَدٌّ وَمِقْدَارُ
وَأَيْنَ يَحُلُّ ٱلْأَيْنُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ ٱللهِ غَيْرُ ٱللهِ عَيْنٌ وَآثَارُ
وَلَا شَيْءٌ مَعْلُومٌ وَلَا ٱلْكَوْنُ كَائِنٌ وَلَا ٱلرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَلَا ٱلْخَلْقُ إِفْطَارُ
وَلَا ٱلشَّمْسُ بِٱلنُّورِ ٱلْمُنِيرِ مُضِيئَةٌ وَلَا ٱلْقَمَرُ ٱلسَّارِي وَلَا ٱلنَّجْمُ سَفَّارُ
فَأَنْشَأَ فِي سُلْطَانِهِ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَا لِيَخْلُقَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
وَزَيَّنَ بِٱلْكُرْسِيِّ وَٱلْعَرْشِ مُلْكَهُ فَمِنْ نُورِهِ حُجُبٌ عَلَيْهِ وَأَسْتَارُ
فَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ وَيَلْقَاهُ رَهْنَ ٱلذُّلِّ مَنْ هُوَ جَبَّارُ
عَظِيمٌ يَهُونُ ٱلْأَعْظَمُونَ لِعِزِّهِ شَدِيدُ ٱلْقُوَى كَافٍ لِذِي ٱلْقَهْرِ قَهَّارُ
لَطِيفٌ بِلُطْفِ ٱلصُّنْعِ فَضَّلَنَا عَلَى خَلَائِقَ لَا تُحْصَى وَذٰلِكَ إِيثَارُ
يَرَى حَرَكَاتِ ٱلنَّمْلِ فِي ظُلَمِ ٱلدُّجَى وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
وَيُحْصِي عَدِيدَ ٱلنَّمْلِ وَٱلْقَطْرِ وَٱلْحَصَى وَمَا ٱشْتَمَلَتْ بَحْرٌ عَلَيْهِ وَأَغْوَارُ
أَضَاءَتْ قُلُوبُ ٱلْعَارِفِينَ بِنُورِهِ فَبَاحَتْ بِأَحْوَالِ ٱلْمُحِبِّينَ أَسْرَارُ
وَشَقَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ مِنْ عَلَى ٱسْمِهِ عَلَى ٱلْأَصْلِ فَهُوَ ٱلْبَرُّ وَٱلْقَوْمُ أَبْرَارُ
فَذَاكَ ٱلَّذِي يُلْجَا إِلَيْهِ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ وَيُعْصَى وَهُوَ بِٱلْحِلْمِ سَتَّارُ

فَأَذْنِي ٱلرَّجَا لِلْخَلْقِ مِنْ بَابِ فَضْلِهِ ... لِتُمْحَى إِسَاآتٌ وَتُغْفَرَ أَوْزَارُ
تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ ٱلْوُجُودِ بِحَمْدِهِ ... وَيَسْجُدُ بِٱلتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وَأَشْجَارُ
وَيَبْكِي غَمَامُ ٱلْغَيْثِ طَوْعًا لِأَمْرِهِ ... فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ ٱلْغَيْثُ أَزْهَارُ
فَيَا نَفْسُ لِلْإِحْسَانِ عُودِي فَرُبَّمَا ... أُقِلْتِ عِثَارًا فَٱبْنُ آدَمَ مِعْثَارُ
إِلٰهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَٱهْدِنِي ... إِلَيْكَ بِمَا يُرْضِيكَ فَٱلدَّهْرُ غَرَّارُ

٨ قصيدة علي بن ابي طالب في الابتهال الى الله

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَاذَا ٱلْجُودِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا ... تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلٰهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي ... إِلَيْكَ لَدَى ٱلْإِعْسَارِ وَٱلْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي ... فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشَفَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيَّتِي ... فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ نَفْسِيَ سُؤْلَهَا ... فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ ٱلنَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلٰهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي ... وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي ٱلْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلٰهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَاءِي وَلَا تُزِغْ ... فُؤَادِي فَلِي فِي بَابِ جُودِكَ مَطْمَعُ
إِلٰهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي ... أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِلٰهِي فَآنِسْنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي ... إِذَا كَانَ لِي فِي ٱلْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ ... فَحَبْلُ رَجَاءِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
إِلٰهِي إِذَا لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعًا ... وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ
إِلٰهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ ... فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِٱلْهَوَى يَتَمَتَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ ٱلتُّقَى ... فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إلهي أقلني عثرتي وامحُ حوبتي ... فإني مقرٌّ خائفٌ أتضرعُ
إلهي لئن خيبتني أو طردتني ... فما حيلتي يا ربُّ أم كيفَ أصنعُ
إلهي حليفُ الحبِّ بالليلِ ساهرٌ ... يناجي ويبكي والمغفَّلُ هُجَّعُ
وكلُّهمُ يرجو نوالكَ راجيًا ... لرحمتكَ العظمى وفي الخلدِ يطمعُ
إلهي يمنيني رجائي سلامةً ... وقبحُ خطيئاتي عليَّ يشنِّعُ

٩ قصيدة للبرعي في الرجاء

إليهِ بهِ سبحانهُ أتوسَّلُ ... وأرجو الذي يرجى لديهِ وأسألُ
وأحسنُ قصدي عن خضوعي وذلتي ... لهُ وعليهِ وحدهُ أتوكَّلُ
وأصحبُ آمالي إلى فضلِ جودهِ ... وأنزلُ حاجاتي بمن ليسَ يبخلُ
فسبحانهُ من أولٍ هوَ آخرٌ ... وسبحانهُ من آخرٍ هوَ أولُ
وسبحانَ من تعنو الوجوهُ لوجههِ ... ومن كلُّ ذي عزٍّ لهُ يتذلَّلُ
ومن هوَ فردٌ لا نظيرٌ لهُ ولا ... شبيهٌ ولا مثلٌ بهِ يتمثَّلُ
ومن كلَّتِ الأفهامُ عن وصفِ ذاتهِ ... فليسَ لها في الكيفِ والأينِ مدخلُ
تكفَّلَ فضلًا لا وجوبًا برزقهِ ... على الخلقِ فهوَ الرازقُ المتكفِّلُ
ولم يأخذِ العبدَ المسيءَ بذنبهِ ... ولكنهُ يرجى لأمرٍ ويمهلُ
حليمٌ عظيمٌ راحمٌ متكرمٌ ... رؤوفٌ رحيمٌ واهبٌ متطوِّلُ
جوادٌ مجيدٌ مشفقٌ متعطفٌ ... جليلٌ جميلٌ منعمٌ متفضِّلُ
لهُ الراسياتُ الشمُّ تهبطُ خشيةً ... وتنشقُّ عن ماءٍ يسيحُ ويحصلُ
وأنشأ من لا شيءَ سحبًا هواطلًا ... يسبحُ فيها رعدُها ويهللُ

وَأَحْيَا نَوَاحِيَ ٱلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ... بِمُنْسَجِمٍ غَيْثٍ مِنَ ٱلسُّحْبِ يَهْمِلُ

يُحِيطُ بِمَا تُخْفِي ٱلضَّمَائِرُ عِلْمُهُ ... وَيَدْرِي دَبِيبَ ٱلنَّمْلِ وَٱللَّيْلُ أَلْيَلُ

وَيَا غَافِرَ ٱلزَّلَّاتِ وَهْيَ عَظِيمَةٌ ... وَيَا نَافِذَ ٱلتَّدْبِيرِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ

أَجِبْ دَعْوَتِي يَا سَيِّدِي وَٱقْضِ حَاجَتِي ... سَرِيعاً فَشَأْنُ ٱلْعَبْدِ يَدْعُو وَيَعْجَلُ

وَلَا يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ رَحْمَةٌ ... وَلَا يَبْتَغِي فَضْلاً لِمَنْ يَتَفَضَّلُ

فَحَقِّقْ رَجَائِي فِيكَ يَا غَايَةَ ٱلْمُنَى ... فَأَنْتَ لِمَنْ يَرْجُوكَ حِصْنٌ مُؤَمَّلُ

وَإِنْ فُتِحَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ لِدَاخِلٍ ... فَقُلْ يَا عِبَادِي هٰذِهِ ٱلْجَنَّةُ ٱدْخُلُوا

فَجُودُكَ يَا ذَا ٱلْكِبْرِيَاءِ مُؤَمَّلٌ ... وَحَبْلُكَ لِلرَّاجِينَ بِٱلْخَيْرِ يُوصَلُ

١٠ وله ايضاً في الرجاء

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ ٱللهُ عَاجِلاً ... يُسَرُّ بِهِ ٱلْمَلْهُوفُ إِنْ عَمَّهُ ٱللَّهْفُ

فَمِنْ مِحَنِ ٱلْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ ... أَلَمَّ بِرُوحِي قَبْلَ حَتْفِ ٱلْفَنَا حَتْفُ

فَكَمْ هَمَّ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ ... عَلَيَّ فَجَاءَ ٱلْغَوْثُ وَٱنْصَرَفَ ٱلصَّرْفُ

وَلَمْ أَعْتَصِمْ بِٱللهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي ... مِنَ ٱلْبِرِّ ظِلًّا فِي رَخَاءٍ لَهُ وَكْفُ

وَإِنِّي لَمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي ... إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوٍ وَإِنْ كَانَ لِي ضَعْفُ

فَكَمْ رَاحَ رُوحُ ٱللهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ ... غَدَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنَّاظِرِ ٱلطَّرْفُ

بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ ٱلْهَوَا وَبَنَى ٱلسَّمَا ... طَرَائِقَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ فَهْيَ لَهَا سَقْفُ

وَأَلْقَى ٱلْجِبَالَ ٱلشُّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا ... فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفُ

وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُنْدُسِ ٱلنَّبْتِ بَهْجَةً ... مِنَ ٱلنَّبْتِ مَا صِنْفٌ يُشَابِهُهُ صِنْفُ

وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ ٱلسَّحَابِ لَوَاقِحًا ... إِذَا ٱنْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَحَائِبُهَا ٱلْوُطْفُ

وَكَمْ فِي غَرِيبِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ مِنْ ... عَجَائِبَ لَا يُحْصَى لِأَيْسَرِهَا وَصْفُ
وَلَمْ تَحْطِ ٱلسِّتُّ ٱلْجِهَاتُ بِذَاتِهِ ... فَأَيْنَ يَكُونُ ٱلْأَيْنُ وَٱلْقَبْلُ وَٱلْخَلْفُ
إِلٰهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَتَوَلَّنِي ... بِعَفْوٍ فَإِنَّ ٱلنَّائِبَاتِ لَهَا عَنْفُ
خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَامِدًا ... بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ يَعْفُو
وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَكَهْفٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ ٱلْوَرَى كَهْفُ

١١ قصيدة لهُ في الدعاء

لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْمَلُ ٱلسِّرَّ وَٱلْجَهْرَا
إِلٰهِي تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي ... وَسِعْتَ وَأَوْسَعْتَ ٱلْبَرَايَا بِهَا بِرَّا
وَقَوِّ بِرَوْحٍ مِنْكَ ضُعْفِي وَهِمَّتِي ... عَلَى ٱلْفَقْرِ وَٱغْفِرْ ذَاتِي وَٱقْبَلِ ٱلْعُذْرَا
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي فَٱلسُّؤَالُ مَذَلَّةٌ ... وَعَنْ جَوْرِ دَهْرٍ لَمْ يَزَلْ حُلْوُهُ مُرَّا
وَلَاطِفْ أُطَيْفَالِي وَإِخْوَتَهُمْ فَقَدْ ... رَمَتْهُمْ خُطُوبٌ مَا أَطَاقُوا لَهَا صَبْرَا
وَهُمْ يَأْلَفُونَ ٱلْخَيْرَ وَٱلْخَيْرُ وَاسِعٌ ... لَدَيْكَ وَلَا وَٱللهِ مَا عَرَفُوا شَرَّا
رَبُوا فِي رُبَى رَوْضِ ٱلنَّعِيمِ وَظِلِّهِ ... فَجَدِّدْ لَهُمْ مِنْ جُودِكَ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْخَضْرَا
وَبَعْدَ حَيَاتِي فِي رِضَاكَ تَوَفَّنِي ... عَلَى ٱلْمِلَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلسُّنَّةِ ٱلزَّهْرَا
وَفِي ٱلْقَبْرِ آنِسْ وَحْشَتِي عِنْدَ وَحْدَتِي ... فَإِنَّ نَزِيلَ ٱلْقَبْرِ يَسْتَوْحِشُ ٱلْقَبْرَا
وَإِنْ ضَاقَ أَهْلُ ٱلْحَشْرِ ذَرْعًا لِمَوْقِفٍ ... بِهِ ٱلْكُتُبُ تُعْطَى بِٱلْيَمِينِ وَبِٱلْيُسْرَى
فَقُلْ فُزْتَ يَا عَبْدَ ٱلرَّحِيمِ بِرَحْمَتِي ... وَمَغْفِرَتِي لَا تَخْشَ بُؤْسًا وَلَا ضُرَّا

١٢ ولهُ في الدعاء ايضاً

مُقِيلَ ٱلْعَاثِرِينَ أَقِلْ عِثَارِي ... وَخُذْ لِي مِنْ بَنِي زَمَنِي بِثَارِي

وَجَمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْعِلَلِ ٱلطَّوَارِي
وَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱنْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ نَظَرَ ٱخْتِيَارِ
فَقَدْ هَتَكُوا حِمَايَ وَعَانَدُونِي عَلَى نِعَمٍ تَدِرُّ عَلَى دِيَارِي
وَإِنَّ تَضَرُّرِي وَعَنَايَ مِنْهُمْ نَظِيرُ تَذَلُّلِي لَكَ وَٱفْتِقَارِي
فَإِنْ يَخْسَرْ بِسُوقِهِمِ ٱلتِّجَارِي فَفَضْلُكَ سُوقُ أَرْبَاحِ ٱلتِّجَارِ
وَإِنْ يَكُ عَقَّنِي صَحْبِي وَجَارِي فَجُودُكَ بِٱلَّذِي أَرْجُوهُ جَارِي
فَأَنْتَ بَنَيْتَهَا سَبْعاً شِدَادَا تُزَيِّنُ جَوَّهَا شُهُبٌ سَوَارِي
وَمَهَّدْتَ ٱلْأَرَاضِيَ مِنْ نُجُودٍ وَغَوْرٍ أَوْ عِمَادٍ أَوْ قِفَارِ
وَسَخَّرْتَ ٱلْبِحَارَ ٱلسَّبْعَ تَجْرِي بِهَا ٱلْأَفْلَاكُ مِنْ غَادٍ وَسَارِ
سَخَّرْتَ ٱلشَّمْسَ خَلْفَ ٱلْبَدْرِ تَسْعَى كَسَعْيِ ٱللَّيْلِ فِي طَرَفِ ٱلنَّهَارِ
وَتُمْسِكُ فِي ٱلْهَوَاءِ ٱلطَّيْرَ بَسْطاً وَقَبْضاً فِي رَوَاحٍ وَٱبْتِكَارِ
وَتَكْفُلُ كُلَّ وَحْشٍ فِي ٱلْبَرَارِي وَتَرْزُقُ كُلَّ حُوتٍ فِي ٱلْبِحَارِ
إِلٰهِي عَافِنِي وَأَصِحَّ جِسْمِي وَصِلْ وَٱقْبَلْ بِرَحْمَتِكَ ٱعْتِذَارِي
وَطَهِّرْ قَالَبِي وَتَعِشُّ قَلْبِي بِأَنْوَارِ ٱلسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ
وَإِنْ كَرَّرْتُ مَسْأَلَتِي فَكِلْنِي إِلَى كَرَمٍ يَفِيضُ بِلَا ٱنْحِصَارِ
أُجَاهِدُ فِيكَ مُحْتَسِباً عَلَيْهِمْ وَأَبْذُلُ فِيكَ جُهْدِي وَٱقْتِدَارِي
وَتَيْسِيرُ ٱلْأُمُورِ عَلَيْكَ دُونِي فَفَرِّجْ هَمَّ عُسْرِي بِٱلْيَسَارِ

اَلْبَابُ اَلثَّانِي
فِي اَلْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ

نخبة من كتاب اطباق الذهب لعبد المؤمن المغربي الاصبهاني

المقالة الاولى

١٣ يَا أَرْبَابَ اَلْقُوَّةِ وَالطَّاقَةِ . اُنْظُرُوا بِعَيْنِ اَلْإِفَاقَةِ . إِلَى أَهْلِ اَلْفَاقَةِ . وَيَا رُكْبَانَ اَلنَّاقَةِ . رِفْقًا بِضُعَفَاءِ اَلسَّاقَةِ . وَيَا حَمَلَةَ اَلْأَوْزَارِ وَخَزَنَةَ اَلْمَالِ اَلْمُسْتَعَارِ . لَا تَجُرُّوا ذَيْلَ اَلِافْتِخَارِ عَلَى أَرْبَابِ اَلِافْتِقَارِ . فَقُلُوبُهُمْ خَيْرٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ . وَمَطْلُوبُهُمْ أَعَزُّ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ شَغَلَكُمُ اَلتَّجَوُّلُ بِالْأَسْوَاقِ . عَنْ تَنَسُّمِ قَبُولِ اَلْأَشْوَاقِ . وَأَلْهَاكُمْ حُبُّ اَلرِّزْقِ عَنِ اَلرَّزَّاقِ . وَيَا عُمَّارَ اَلْخَرَابِ وَشُرَّابَ اَلشَّرَابِ لَا تَعْمُرُوا هٰذِهِ اَلْقَرْيَةَ اَلْجَلْحَاءَ . وَلَا تَسْكُنُوا هٰذِهِ اَلْمُهْلِكَةَ اَلْفَيْحَاءَ . لَا تَتَّخِذُوا اَلدُّنْيَا اَلْفَانِيَةَ سُوقًا . إِنَّ اَلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

المقالة الثانية

١٤ اِبْنُ آدَمَ عُجِنَ مِنَ اَلصَّلْصَالِ . ثُمَّ تَاهَ بِشَرَائِفِ اَلْخِصَالِ . وَمَا دَرَى أَنَّ اَلْخِصَالَ اَلْحَمِيدَةَ مِنْ مَوَاهِبِ اَلرَّحْمٰنِ . لَا مِنْ مَكَاسِبِ اَلْإِنْسَانِ . مَا اَلْعَقْلُ إِلَّا عَطِيَّةٌ مِنْ عَطَايَاهُ . وَمَا اَلنَّفْسُ إِلَّا مَطِيَّةٌ مِنْ مَطَايَاهُ . فَإِنْ شَاءَ زَمَّهَا بِزِمَامِ اَلْهُدَى . وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا سُدًى . فَمَنْ يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ خَفْضًا أَوْ رَفْعًا . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

المقالة الحادية عشرة

١٥ أَلْعَاقِلُ قَصِيُّ مَرَامِي ٱلنَّظَرِ . فَسِيحُ مَوَامِي ٱلْعِبَرِ . عَلَى مَرَامِ ٱلْخَطَرِ . يَقْرَأُ مَكْتُوبَ أَسْرَارِ ٱلْغَدِ مِنْ عُنْوَانِ ٱلْيَوْمِ . وَيَقْطِفُ ثِمَارَ ٱلْغَيْبِ مِنْ صِنْوَانِ ٱلنَّوْمِ . يَرَى مَوْعُودَ ٱللهِ نَاجِزًا . وَمَكْنُونَهُ بَارِزًا . فَكُنْ يَقِظًا حَاذِرًا . وَمَثِّلِ ٱلْغَيْبَ حَاضِرًا . وَإِذَا مَلَكْتَ فَاذْكُرِ ٱلْقَادِرَ وَقُدْرَتَهُ . وَإِذَا بَغَمْتَ فَاذْكُرِ ٱلصَّائِدَ وَفَتْرَتَهُ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَسَرَّاتِ ٱلْأَيَّامِ مَقْرُونَةٌ بِٱلْغَمِّ . وَحَلَاوَةَ ٱلدُّنْيَا مَعْجُونَــةٌ بِٱلسَّمِّ . وَٱلْحِ ٱلدَّهْرَ بَيْنَ ٱلذَّكَاءِ . وَإِذَا ضَحِكْتَ فَأَجْهِشْ لِلْبُكَاءِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْنَعَ مِنَ ٱلْعُلُومِ بِٱلْقُشُورِ . وَمِنَ ٱلرَّقِّ ٱلْمَنْشُورِ بِٱلدَّوَائِرِ وَٱلْعُشُورِ . أُولَئِكَ قَوْمٌ نَزَلُوا هٰذِهِ ٱلثَّنِيَّةَ . وَغَفَلُوا عَنِ ٱلْمَرْحَلَةِ ٱلثَّانِيَــةِ . وَشُغِلُوا بِٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ عَنِ ٱلْقُطُوفِ ٱلدَّانِيَةِ . فَهُمْ فِي مَهَابَةِ ٱلْغَيِّ سَافِلُونَ . وَفِي مَبَاذِلِ ٱلْعَيْشِ رَافِلُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ ٱلْحَيَــاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ غَافِلُونَ

المقالة الخامسة عشرة

١٦ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَسْتَطِيبُ رُكُوبَ ٱلْأَخْطَارِ وَوُرُودَ ٱلتَّيَّارِ . وَلُحُوقَ ٱلْعَارِ وَٱلشَّنَارِ لِأَجْلِ ٱلدِّينَارِ . وَيَسْتَلِذُّ سَفَّ ٱلرَّمَادِ وَنَقْلَ ٱلسَّمَادِ . لِأَجْلِ ٱلْأَوْلَادِ . وَيَصْبِرُ عَلَى نَسْفِ ٱلْجِبَالِ . وَتَجَشُّمِ ٱلْأَهْوَالِ لِشَهْوَةِ ٱلْمَنَالِ . يَبْذُلُ ٱلْإِيمَانَ بِٱلْكُفْرِ . وَيَحْفِرُ ٱلْجِبَــالَ بِٱلظُّفْرِ لِلدَّنَانِيرِ ٱلصُّفْرِ . وَيَلِجُ عَرِينَ ٱلْأَسْوَدِ . لِلدَّرَاهِمِ ٱلسُّودِ . لَا يَكْرَهُ صُدَاعًا . إِذَا نَالَ كُرَاعًا . وَيَلْقَى ٱلنَّــوَائِبَ بِقَلْبٍ صَابِرٍ فِي طَاعَةِ ٱلشَّيْخِ أَبِي جَابِرٍ . يَأْبَى ٱلْعِزَّ

طَبِيعَةً . وَيَرَى الذُّلَّ شَرِيعَةً . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخْتَارُ الْعَفَافَ . وَيَعَافُ الْإِسْعَافَ . يَدَعُ الطَّعَامَ طَاوِيًا وَيَذَرُ الشَّرَابَ صَادِيًا . وَيَرَى الْمَالَ رَائِحًا وَغَادِيًا . يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِطُلَّابِهَا . وَيَطْرَحُ الْجِيفَةَ لِكِلَابِهَا . لَا يَسْتَرْزِقُ لِئَامَ النَّاسِ . وَيَقْنَعُ بِالْخُبْزِ النَّاسِ . يَكْرَهُ الْمَنَّ وَالْأَذَى . وَيَعَافُ الْمَاءَ عَلَى الْقَذَى . إِنْ أَثْرَى جَعَلَ مَوْجُودَهُ مَعْدُومًا . وَإِنْ أَقْوَى حَسِبَ قَفَارَهُ مَأْدُومًا . جَوْفٌ خَالٍ . وَثَوْبٌ بَالٍ . وَمَجْدٌ عَالٍ . وَثَوْبٌ أَسْمَالٌ . وَوَرَاءَهُ عِزٌّ وَجَمَالٌ . وَعَقِبٌ مَرْزُوقٌ . وَذَيْلٌ مَفْتُوقٌ . يَجُرُّهُ فَتًى مَغْبُوقٌ

لِلَّهِ تَحْتَ قِبَابِ الْعِزِّ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمُ فِي رِدَاءِ الْفَقْرِ إِجْلَالَا
هُمُ السَّلَاطِينُ فِي أَثْوَابِ مَسْكَنَةٍ إِسْتَعْبَدُوا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَقْيَالَا
غُبْرٌ مَلَابِسُهُمْ شُمٌّ مَعَاطِسُهُمْ جَرُّوا عَلَى قُلَلِ الْخَضْرَاءِ أَذْيَالَا
هٰذِي السَّعَادَةُ لَا ثَوْبَانِ مِنْ عَدَنٍ خِيطَا قَمِيصًا فَصَارَا بَعْدُ أَسْمَالَا
تِلْكَ الْمَنَاقِبُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

هُمُ الَّذِينَ جُبِلُوا أَبْرَاءَ مِنَ التَّكَلُّفِ . يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

المقالة الحادية والعشرون

١٧ يَا مَنْ يَسْعَى لِقَاعِدٍ وَيَسْهَرُ لِرَاقِدٍ . وَيَا مَنْ يَحْرُسُ لِرَاصِدٍ وَيَزْرَعُ لِحَاصِدٍ . وَيَبْخَلُ لِبَاذِلٍ . وَيَجْمَعُ لِآكِلٍ . تَبْنِي الْإِيوَانَ وَعَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدِمُ دُكْنَاكَ . وَلَا تَبْسُطُ الرِّوَاقَ وَفِي الْجَدَثِ سُكْنَاكَ . قَلْبٌ كَقُلُوبِ الْكُفَّارِ وَحِرْصٌ كَحِرْصِ الْفَارِ . يَنْقُبُ بِالْأَظْفَارِ وَلَا يُبْقِي عَلَى الْمَأْدُومِ وَالْقَفَارِ . قُلْ لِي إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَقُرِعَتِ الْقَارِعَةُ . وَأَزِفَ لَكَ

ٱلرَّحِيلُ. وَٱجْتَمَعَ ٱلطَّبِيبُ وَٱلْعَلِيلُ. وَٱخْتَلَفَ ٱلْغَسَّالُ وَٱلْغَسِيلُ. وَٱلْعَائِدُ يَغْمِزُ عَيْنَيْهِ وَٱلطَّبِيبُ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ. حَتَّى إِذَا ٱنْقَطَعَ نَفَسُكَ. وَخَفِيَ جَرْسُكَ. أَيَنْفَعُكَ حِينَئِذٍ حَلَالٌ أَصَبْتَهُ. أَمْ حَرَامٌ غَصَبْتَهُ. أَمْ نَشَبٌ حَرَشْتَهُ. أَوْ وَلَدٌ حَضَنْتَهُ أَوْ رَبْعٌ أَسَّسْتَهُ أَوْ نَبْعٌ غَرَسْتَهُ. أَوْ حُطَامٌ حَرَسْتَهُ أَوْ قَفْرٌ حَرَثْتَهُ. أَوْ وَفْرٌ أَوْرَثْتَهُ. كَلَّا لَا يَنْفَعُكَ فَيْءٌ قَدْ غَنِمْتَهُ. وَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ عَدِمْتَهُ. وَلَا يُنْجِيكَ إِلَّا خَيْرٌ أَمْضَيْتَهُ أَوْ خَصْمٌ أَرْضَيْتَهُ. فَٱنْتَبِهْ يَا نَائِمُ. وَٱسْتَقِمْ يَا هَائِمُ. لَقَدْ تِهْتَ فِي بَادِيَةٍ لَا يَبْلُغُكَ نِدَائِي. وَتَرَدَّيْتَ فِي هَاوِيَةٍ لَا يَبْلُغُهَا رِدَائِي. تَتَّبِعُ هَوَاكَ وَسَيَضْحِي. حِينَ لَا يَنْفَعُكَ نُصْحِي. وَلَا تَعْصِ ٱللهَ فِي أَوْلَادِ سَوْءٍ إِذَا حَضَرَكَ ٱلْمَوْتُ غَابُوا. وَمَا حَزِنُوا لِمَا أُصِيبُوا بَلْ فَرِحُوا بِمَا أَصَابُوا. وَإِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكَ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا

(من ديوان خطب الامام ابرهيم ابن البدوي النخّاس)

الخطبة الاولى لشهر محرّم

١٨ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ قَسَمَ ٱلزَّمَانَ أَعْوَامًا. وَقَسَمَ ٱلْأَعْوَامَ شُهُورًا وَأَيَّامًا. عَلَى مَا ٱقْتَضَتْهُ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلتَّدْبِيرُ. وَٱفْتَتَحَ كُلَّ عَامٍ بِشَهْرِهِ ٱلْمُحَرَّمِ. وَجَمَّلَهُ بِيَوْمِ عَاشُورَاءَ ٱلْمُجَمَّلِ ٱلْمُعَظَّمِ. ٱلَّذِي فَضْلُهُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ شَهِيرٌ. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِيذُ بِهِ وَأَسْتَجِيرُ. أَمَّا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ ٱللهِ هٰذَا عَامٌ جَدِيدٌ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ فَأَكْرِمُوا نُزُلَهُ. وَحَلَّ فِيكُمْ بِحُلَلِ ٱلْإِيقَاظِ فَٱلْبَسُوا حُلَلَهُ. فَإِنَّهُ لَكُمْ

مُوقِظٌ وَنَذِيرٌ . مَا مِنْ يَوْمٍ يَمُرُّ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِيكُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ . هَا أَنَا مُؤْذِنٌ كُلَّ رَاحِلٍ بِقُرْبِ ارْتِحَالِهِ . فَلْيَتَأَهَّبْ لِلْمَسِيرِ . إِلَى دَارِ الْمَصِيرِ . يَا أَيُّهَا الْمَسْرُورُ بِتَجْدِيدِ الْأَعْوَامِ . الْمَغْرُورُ بِقُدُومِ الْأَهِلَّةِ وَتَتَابُعِ الْأَيَّامِ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا تُقَصِّرُ عُمْرَكَ الْقَصِيرَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ تَتَابُعَ الْمَلَوَيْنِ . وَتَعَاقُبَ النَّيِّرَيْنِ . لَمْ يُبْقِيَا مِنْ عُمْرِكَ إِلَّا الْيَسِيرَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي تَصَرُّمِ الْأَيَّامِ بِالْغَفْلَةِ وَالْمَنَامِ أَشَدَّ حِرْمَانٍ وَتَحْسِيرٍ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي انْقِرَاضِ الْأَعْمَارِ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالْأَعْصَارِ أَعْظَمَ عِبْرَةٍ وَتَذْكِيرٍ . أَتَظُنُّ أَنَّ غَيْرَكَ الرَّاحِلُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْمُقِيمُ . أَوْ أَنَّ مَنْ أَخَذَ غَيْرَكَ يَتْرُكُكَ فِي كُلِّ وَادٍ تَهِيمُ . لَا وَاللهِ بَلْ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُسْلَكَ فِي سِلْكِهِمْ وَيَلْحَقَ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ . فَانْتَبِهْ يَا مِسْكِينُ فَالدُّنْيَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ . وَدَارُ الْفَنَاءِ لَا تَصْلُحُ لِلْمُقَامِ . وَكَأَنَّكَ بِهَا وَقَدْ كُسِفَ بَدْرُهَا الْمُنِيرُ وَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ فَالْعَاقِلُ مَنْ بِغَيْرِهِ اعْتَبَرَ . وَتَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى لِطُولِ السَّفَرِ . فَإِنَّهُ وَاللهِ سَفَرٌ خَطِيرٌ وَذَرِ الْمَحَارِمَ وَقُمْ عَلَى أَقْوَمِ سَنَنٍ . وَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ . وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالتَّقْصِيرَ وَقَدِّمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَاجْعَلِ الْمَوْتَ دَائِمًا نُصْبَ عَيْنَيْكَ . وَلَا تَنْسَهُ فَنِسْيَانُهُ ضَلَالٌ كَبِيرٌ . وَاعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ أَوْ يَرَاكَ . وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَأَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ . فَيَشْتَدَّ عَلَيْكَ النَّكِيرُ . وَهُوَ وَإِنِ اسْتَتَرْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ . وَأَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا . وَمَا يَنْزِلُ

مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

خطبة لشهر صفر

١٩ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي عَمَّ ٱلْوُجُودَ بِرَحْمَتِهِ . وَأَفَاضَ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ سِجَالَ نِعْمَتِهِ . وَغَمَرَ ٱلْأَنَامَ . بِبَحْرِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ ٱلْمُتَلَاطِمِ . سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ . إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ . لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ أَحْكَمُ حَاكِمٍ وَأَرْحَمُ رَاحِمٍ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَآثِمِ . أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا أَجْهَلَكَ بِنِعَمِ مَوْلَاكَ وَأَنْسَاكَ . مَعَ أَنَّكَ غَرِيقٌ فِي لُجَجِ بَحْرِهَا مُذْ أَوْجَدَكَ وَأَنْشَاكَ . وَلَوْ تَدَبَّرْتَ ٱلْوُجُودَ لَرَأَيْتَهُ سَاعِيًا فِي مَصَالِحِكَ كَٱلْخَادِمِ أَخْرَجَكَ مِنْ خِسَّةِ ٱلْعَدَمِ إِلَى شَرَفِ ٱلْوُجُودِ . وَغَمَرَكَ فِي تَيَّارِ بِحَارِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْجُودِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ وَٱلْيَقِينِ ٱلْجَازِمِ ثُمَّ مَا زَالَ يُرَبِّيكَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ بِرِزْقِهِ ٱلْمُتَزَايِدِ . وَأَنْتَ تَشْكُوهُ لِخَلْقِهِ شِكَايَةَ ٱلْمُضْطَرِّ ٱلْفَاقِدِ . كَأَنَّكَ مِنْ وِرْدِ مَنْهَلِهَا غَيْرُ شَرِيبٍ أَوْ أَنْتَ لَهَا عَادِمٌ . وَٱلْعَجَبُ أَنَّكَ تَعُدُّ ٱلنِّقَمَ وَٱلْمِحَنَ . وَتَنْسَى مَا لِلَّهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلنِّعَمِ وَٱلْمِنَنِ . وَرُبَّمَا كَانَتِ ٱلْمِحْنَةُ مِنْهُ عِنْدَ ٱلْفَهِيمِ ٱلْعَالِمِ كَمْ فِي ٱلْفَقْرِ مِنْ أَجْرٍ وَكَمْ فِي ٱلضُّرِّ مِنْ تَكْفِيرِ وِزْرٍ . فَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بَلْ عَدْلٌ فِي كُلِّ مَا هُوَ بِهِ حَاكِمٌ . فَأَدِيمُوا رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ شُكْرَ ٱلْمُنْعِمِ بِخَالِصِ ٱلتَّقْوَى وَصَالِحِ ٱلْعِبَادَةِ . وَأَحْسِنُوا فَإِنَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَى وَزِيَادَةً .

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

(من ديوان خطب ابي زكريا الانصاري)

خطبة لربيع الآخر

٢٠ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ فَلَا يُدْرَكُ بِالْمَعْقُولِ خَافِيهَا . وَجَلَّتْ صِفَتُهُ فَلَا يَتَكَدَّرُ بِالْمَنْقُولِ صَافِيهَا . وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُ قَاضِيهَا . وَدَامَتْ أَزَلِيَّتُهُ فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهَا . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يَكُنْ تَنَاهِيهَا . أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَدْرِكُوا مَا فَاتَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِالتَّوْبَةِ فَالدُّنْيَا كَمِثْلِ الْمَنَامِ . وَحَصِّلُوا التَّوْبَةَ فَقَدْ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَالِانْصِرَامُ . فَمَا أَسْعَدَ مَنْ بَادَرَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ بِالِاغْتِنَامِ . وَمَا أَحْسَنَ مَنْ دَعَاهُ مَوْلَاهُ فَأَجَابَهُ بِالذُّلِّ وَالِاحْتِشَامِ . وَمَا أَبْرَكَ مَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلَعَ الْقَبُولِ وَالْإِنْعَامِ . وَمَا أَشْقَى مَنْ ذَهَبَتْ فِي الْبَطَالَةِ شُهُورُهُ وَالْأَيَّامُ . وَكَتَبَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ الْقَبَائِحَ وَالْآثَامَ . وَمَا أَقْسَى قَلْبَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ الْعَلَّامَ . يَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ فَكَأَنَّهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ . وَتَمْضِي عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ . وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْآثَامِ . وَيَطْمَعُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِسُورٍ لَهُ بَابٌ . وَيَتَصَنَّعُ بِعِمَارَةِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ خَرَابٌ . وَيَتَعَفَّفُ عَنِ الْقَلِيلِ وَهُوَ لِلْكَثِيرِ نَهَّابٌ . فَمَا عُذْرُ هَذَا إِذَا اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ . وَتَحَقَّقَتِ الْحَقَائِقُ . وَوُزِنَتِ الْأَعْمَالُ بِالدَّقَائِقِ . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا شَهِيدٌ وَسَائِقٌ . وَوُضِعَ الْكِتَابُ . وَنُوقِشَ الْحِسَابُ . وَلَمْ يَدْرِ

مَا ٱلْجَوَابُ • وَأَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ • يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَمَلَهَا • وَتُسَأَلُ عَنْ قَوْلِهَا وَفِعْلِهَا • يَوْمَ يُسْأَلُ ٱلْعَالِمُونَ عَنْ عِلْمِهِمْ • وَٱلْحَاكِمُونَ عَنْ حُكْمِهِمْ • يَوْمَ تَظْهَرُ ٱلْأَسْرَارُ • وَتَنْكَشِفُ ٱلْأَسْتَارُ • وَيَتَجَلَّى ٱلْمَلِكُ ٱلْجَبَّارُ • فَكَيْفَ تَعْصُونَ ٱللهَ وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ • وَكَيْفَ تَسْخَطُونَهُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَمَالَ عَظَمَتِهِ • فَيَا عِبَادَ ٱللهِ أَطِيعُوا ٱللهَ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْطِفْ عَلَيْكُمُ ٱلْقُلُوبَ • وَٱجْتَنِبُوا مَعَاصِيَ ٱللهِ فَٱلْوَعِيدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

خطبة له لجمادى الاولى

٢١ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مُظْهِرِ ٱلْحَمْدِ وَمُبْدِيهِ • وَمُنْجِزِ ٱلْوَعْدِ وَمُوفِيهِ • وَمُسْعِدِ ٱلْعَبْدِ وَمُشْقِيهِ • وَمُرْسِلِ ٱلسَّحَابِ وَمُنْشِيهِ • ٱلَّذِي يُجِيبُ دَعْوَةَ دَاعِيهِ • وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ ٱلْعَاصِي وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيهِ • أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا يُوَافِي إِنْعَامَهُ وَيُكَافِيهِ • أَيُّهَا ٱلنَّاسُ دَارِكُوا مَا فَرَطَ مِنْ أَيَّامِ ٱلْبِطَالَةِ • فَسَيَلْقَى كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَعْمَالَهُ • يَوْمَ يَسْتَقِيلُ فَلَا يُجَابُ إِلَى ٱلْإِقَالَةِ • يَعَضُّ أَنَامِلَهُ عَلَى ٱلضَّلَالَةِ • يَوْمَ تُحْشَرُ فِيهِ لِلْعَرْضِ • عَلَى دَيَّانِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ • يَوْمَ تَزْدَحِمُ فِيهِ ٱلْخَلَائِقُ قَوِيًّا وَضَعِيفًا • وَدَنِيًّا وَشَرِيفًا • وَيَصْبِرُ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ أَلْفُ قَدَمٍ • فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَلَا تَخْفِيفًا • وَتُنْشَرُ ٱلدَّوَاوِينْ • وَتَطَايَرُ ٱلصُّحُفُ وَتُنْصَبُ ٱلْمَوَازِينْ • وَٱلْمَلَائِكَةُ قَدْ حَفُّوا بِٱلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ • وَقَدْ خَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ • وَقَدْ تَجَلَّى ٱلْمَلِكُ ٱلدَّيَّانُ • هُنَالِكَ تَشِيبُ ٱلْأَطْفَالُ • وَتُوضَعُ فِي ٱلْأَعْنَاقِ ٱلْأَغْلَالُ • وَيُقَادُ ٱلْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَأَهْلُ ٱلضَّلَالِ • فَهٰذَا مَأْخُوذٌ

بناصيته . وهذا مسحوب على جبهته ووجهه . فلم ساعه ربه ونجاه . وهذا يقول وافضيحتاه واسوء تاه . وهذا ألقى عشر في الحساب . وهذا يدعو فلا يجاب وهذا رحمه الملك التواب . وهذا قربه رب الأرباب . وهذا أبعده وانقطعت عنه الأسباب . فكيف حال العاصي قليل الأعمال . كثير الجهل والضلال . في هذا اليوم الشديد النكال . الكثير الأهوال . فيا عباد الله توبوا إلى الله وقدموا الأعمال الصالحة وأقلعوا عن الذنوب والسيئات لتلبسوا بين يدي الله تكريما وتشريفا . ولا تتبعوا كيد الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا

نخبة من ديوان خطب ابن نباتة

خطبة لشهر صفر

٢٢ ألحمد لله الرقيب على عباده . القريب من أهل صحبته ووداده . القاهر من حاربه من عباده . القامع من نازعه ودافعه عن مراده . أحمده سبحانه وتعالى على ما أولانا من منته وإمداده . ابن آدم كم لله عليك من نعمة أنت لها كاتم . وكم له لديك من نقمة أنت مع موجدتها كاظم . لو تفكرت في أحوالها لرأيتها مشحونة بالعظائم . ولو تدبرت في الوجود لرأيته ساعيا في مصالحك كالخادم . فواعجبا تعد النقم . وتنسى النعم . وربما كانت النقمة نعمة عند فهم الذكي العاقل العالم . كم في الفقر من أجر وكم في الضر من تكفير سيئة ودفع مأثم . فما ربك بظلام للعبيد بل هو عادل في كل ما هو به حاكم . فيا مشغولا

بِالْإِعْرَاضِ عَنْ مَوْلَاكَ أَفِقْ فَإِنَّكَ فِي الْحِسَابِ غَالِطٌ وَفِي هَوَاكَ
ظَالِمٌ • إِنْ أَحْرَمَكَ مَرَّةً فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَعْطَاكَ • وَإِنْ أَسْقَمَكَ يَوْمًا فَكَمْ
مِنْ أَيَّامٍ عَافَاكَ • فَوَاللهِ لَوْلَا رَحْمَتُهُ مَا دَفَعَ عَنْكَ الْمَآلِمَ • وَلَا أَوْصَلَ إِلَيْكَ
الْمَكَارِمَ • كَمْ عَامَلَكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ • مَعَ مُقَابَلَتِكَ بِالْعِصْيَانِ • وَهُوَ
مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ وَعَالِمٌ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدْتَهُ بِالْأَرْكَانِ • وَمَجَّدْتَهُ بِاللِّسَانِ
وَوَحَّدْتَهُ بِالْجَنَانِ • وَكُنْتَ فِي مَحَبَّتِهِ كَالْهَائِمِ فَوَاللهِ مَا عَزَّ شَيْءٌ إِلَّا وَهَانَ •
وَلَا تَمَّ أَمْرٌ إِلَّا وَأَخَذَ فِي النُّقْصَانِ • وَمَا أَطَاعَهُ عَبْدٌ مَعَ الْإِخْلَاصِ إِلَّا
وَغَمَرَهُ بِبَحْرِ جُودِهِ الْمُتَلَاطِمِ

وله من خطبة في الصلاة

٢٣ تَارِكُ الصَّلَاةِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَأُهِيلَ عَلَيْهِ التُّرَابُ بِالْمِسْحَاةِ
يُخَاطِبُهُ الْقَبْرُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ وَأَلْفَاظٍ مُعْرَبَاتٍ • لَا أَهْلًا بِكَ وَلَا سَهْلًا
يَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الدُّنْيَا حُقُوقَ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ • يَا طُولَ مَا مَشَيْتَ عَلَى
ظَهْرِي وَتَرَكْتَ الصَّلَوَاتِ • وَسَهَوْتَ عَنْهَا بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ • الْيَوْمَ تَنْظُرُ
مِنِّي عَذَابًا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ • فَيَضُمُّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً وَاحِدَةً •
فَتَصِيرُ أَضْلَاعُهُ مُخْتَلِفَاتٍ • وَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ

وله من غيرها

٢٤ أَيُّهَا النَّاسُ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَأَنْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ غَافِلُونَ • وَانْقَضَتِ
الْآجَالُ وَأَنْتُمْ عَلَى الْمَعَاصِي عَاكِفُونَ • وَتَرَادَفَتِ الْأَهْوَالُ وَأَنْتُمْ فِي
طُغْيَانِكُمْ تَعْمَهُونَ • فَهَلْ أَنْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْقَرَارِ • أَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

اللهِ عهدٌ على البقاءِ في هذهِ الدارِ. كلا واللهِ إنكم منها راحلونَ ولنعيمها مُفارِقونَ أما تعتبرونَ بمن مضى منَ الأمواتِ. أما تخافونَ منَ العرضِ على ربِّ السماواتِ. أما ترونَ أهوالَ القيامةِ وقد توارَدت. أما ترونَ القلوبَ منَ الحسدِ عن بعضِها تنافرت. أما ترونَ الفواحشَ وقد أصبحت ظاهرةً. أما ترونَ الهممَ عن الخيراتِ قاصرةً. أما ترونَ أنَّ البدعَ قد كثُرت وعمَّت. أما ترونَ الفتنَ غلبت وطمَّت. أما ترونَ الأمانةَ قد ذهبت وضاعت. أما ترونَ الخيانةَ قد كثُرت وشاعت. فكأني بكم وقد طرقكم طارقُ المنونِ. وأخذكم بغتةً وأنتم لا تشعرُونَ. فتنبَّهوا رحمكمُ اللهُ قبلَ هجومِ الموتِ. وتزوَّدوا لآخرتكم قبلَ الفوتِ. قبلَ العرضِ على الملكِ الجبارِ. قبلَ كشفِ الأسرارِ. قبلَ يومِ القصاصِ. قبلَ تعذُّرِ الخلاصِ. قبلَ دُنوِّ الشمسِ منَ الرؤُسِ. قبلَ هلاكِ الأرواحِ والنفوسِ

خطبة لابن زندقة الطرطوشي

٢٥ (يا أيها الرجلُ وكلنا ذلكَ الرجلُ) ألقِ إليَّ سمعكَ وأعرني لُبَّكَ

فإن كنتَ لا تدري متى الموتُ فاعلمن ... بأنكَ لا تبقى إلى آخرِ الدهرِ

أينَ آدمُ أبو الأولينَ والآخرينَ. أينَ إبرهيمُ خليلُ ربِّ العالمينَ. أينَ الأممُ الماضيةُ. أينَ الملوكُ السالفةُ أينَ القرونُ الخاليةُ. أينَ الذينَ نُصبت على مفارِقهمُ التيجانُ. أينَ الذينَ اعتزُّوا بالأجنادِ والسلطانِ. أينَ أصحابُ السطوةِ والولاياتِ. أينَ الذينَ خفقت على رؤُسِهمِ الألويةُ

وَالرَّايَاتُ. أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الْجُيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ. أَيْنَ الَّذِينَ عَمَرُوا الْقُصُورَ وَالدَّسَاكِرَ. أَيْنَ الَّذِينَ أُعْطُوا النَّصْرَ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْمَوَاقِفِ. أَيْنَ الَّذِينَ اقْتَحَمُوا الْمَخَاطِرَ وَالْمَخَاوِفَ. أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ. أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَّاتِ وَالْمَآرِبِ. أَيْنَ الَّذِينَ تَاهُوا عَلَى الْخَلَائِقِ كِبْرًا وَعُتِيًّا. أَيْنَ الَّذِينَ رَاحُوا فِي الْحُلَلِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَلَانُوا الْمَلَابِسَ أَثَاثًا وَرِئْيًا. وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا. أَيْنَ الَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ عِزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ فَرَشُوا الْقُصُورَ خَزًّا وَقَزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا الْعِبَادَ قَهْرًا وَلَزًّا. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. أَفْنَاهُمْ وَاللهِ مُفْنِي الْأُمَمِ. وَأَبَادَهُمْ مُبِيدُ الرِّمَمِ. وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ. وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَنْكِ الْقُبُورِ. تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ. فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ فَعَاثَ الدُّودُ فِي أَجْسَامِهِمْ. وَاتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَبْدَانِهِمْ. فَسَالَتِ الْعُيُونُ عَلَى الْخُدُودِ. وَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْأَفْوَاهُ بِالدُّودِ. وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ وَتَمَزَّقَتِ الْجُلُودُ. فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا جَمَعُوا وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا. أَسْلَمَكَ الْأَحِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ. وَهَجَرَكَ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْفِيَاءُ. وَنَسِيَكَ الْقُرَبَاءُ وَالْبُعَدَاءُ. فَأُنْسِيتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لَأَنْشَدْتَ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى. وَرَهَائِنِ التُّرْبِ وَالْبِلَى:

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِينُ رَمْسٍ وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادِ
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمُ حَبِيبًا وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ

فَعُوجُوا بِالسَّلَامِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ ... فَأَوْمُوا بِالسَّلَامِ عَلَى بِعَادِ

فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَصَفَا خَلِيلٌ ... سِوَانَا فَاذْكُرُوا صَفْوَ الْوِدَادِ

وَذَاكَ أَقَلُّ مَالَكَ مِنْ حَبِيبٍ ... وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ

فَلَوْ أَنَّا بِمَوْقِفِكُمْ وَقَفْنَا ... سَقَيْنَا التُّرْبَ مِنْ مُهَجِ الْفُؤَادِ

ولهُ ايضاً

٢٦ (يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ) اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ . وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ . وَكَيْفَ بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَأُنْسِئَتْ لَهُمُ الْآجَالُ . وَأُفْسِحَ لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآمَالِ . وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ . كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْمَنُونُ . وَاخْتَدَعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ . وَأُسْكِنُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ . بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ . وَعَادَ الْعَيْنُ أَثَرًا . وَالْمُلْكُ خَبَرًا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ وَبَقِيَ كَدَرُهُ . فَالْمَوْتُ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مَرْءٍ كَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ خَامِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا . وَكَأَنَّ الْغَيَّ أَصْبَحَ ضَاحِكًا وَأَدْبَرَ الرُّشْدُ بَاكِيًا . وَكَأَنَّ الْعَدْلَ أَصْبَحَ غَائِرًا وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ عَالِيًا . وَكَأَنَّ الْعِلْمَ أَصْبَحَ مَدْفُونًا وَالْجَهْلَ مَنْشُورًا . وَكَأَنَّ اللُّؤْمَ أَصْبَحَ بَاسِقًا وَالْكَرَمُ ذَاوِيًا . وَكَأَنَّ الْوِدَّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا وَالْبُغْضَ مَوْصُولًا . وَكَأَنَّ الْكَرَامَةَ قَدْ سُلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَتُوخِيَ بِهَا الْأَشْرَارُ . وَكَأَنَّ الْخُبْثَ أَصْبَحَ مُسْتَيْقِظًا وَالْوَفَاءَ نَائِمًا . وَكَأَنَّ الْكَذِبَ أَصْبَحَ مُثْمِرًا وَالصِّدْقَ قَاحِلًا . وَكَأَنَّ الْأَشْرَارَ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرِدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ . أَمَا تَرَى

ٱلدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ ٱلطَّالِبِ. وَتُدْبِرُ إِدْبَارَ ٱلْهَارِبِ. وَتَصِلُ وِصَالَ ٱلْمَلُولِ. وَتُفَارِقُ فِرَاقَ ٱلْعَجُولِ. فَخَيْرُهَا يَسِيرٌ. وَعَيْشُهَا قَصِيرٌ. وَإِقْبَالُهَا خَدِيعَةٌ. وَإِدْبَارُهَا فَجِيعَةٌ. وَلَذَّاتُهَا فَانِيَةٌ. وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةٌ. فَٱغْتَنِمْ غَفْوَةَ ٱلزَّمَانِ. وَٱنْتَهِزْ فُرْصَةَ ٱلْإِمْكَانِ. وَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ. وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ. وَلَا تُنَافِسْ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا فِي خَفْضِ عَيْشِهِمْ وَلِينِ رِيَاشِهِمْ. وَلٰكِنِ ٱنْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ ظَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ

من خطبةٍ للسان الدين لخطيب في ذمّ الكسل

٢٧ أَلْكَسَلُ مَزْلَقَةُ ٱلرِّبْحِ وَمَسْخَرَةُ ٱلصُّبْحِ. إِذَا رَقَدَتِ ٱلنَّفْسُ فِي فِرَاشِ ٱلْكَسَلِ ٱسْتَغْرَقَهَا نَوْمُ ٱلْغَفْلَةِ. لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ. أَلنَّدَامَةُ فِي ٱلْكَسَلِ. كَٱلسُّمِّ فِي ٱلْعَسَلِ. أَلْكَسَلُ آفَةُ ٱلصَّنَائِعِ. وَأَرَضَةٌ فِي ٱلْبَضَائِعِ. أَلْعَجْزُ وَٱلْكَسَلُ. يَفْتَحَانِ ٱلْخُمُولَ وَلَا تَسَلْ. أَلْفَلَاحُ إِذَا مَلَّ ٱلْحَرَكَةَ. عَدِمَ ٱلْبَرَكَةَ

ظَهْرَانِ لَا يُبْلِغَانِ ٱلْمَرْءَ إِنْ رَكِبَا   بَابَ ٱلسَّعَادَةِ ظَهْرُ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ

وَفِي ٱغْتِنَامِ ٱلْأَنَامِ مَنْ أَضَاعَ ٱلْفُرْصَةَ. تَجَرَّعَ ٱلْغُصَّةَ. إِنْ كَانَ لَكَ مِنَ ٱلزَّمَانِ شَيْءٌ فَٱلْحَالُ. وَمَا سِوَاهُ فَمُحَالٌ. تَارِكُ أَمْرِهِ إِلَى غَدٍ. لَا يُفْلِحُ لِلْأَبَدِ. أَلْإِنْسَانُ ٱبْنُ سَاعَتِهِ. فَلْيَحْطْهَا مِنْ إِضَاعَتِهِ. أَلتَّسْوِيفُ سُمُّ ٱلْأَعْمَالِ. وَعَدُوُّ ٱلْكَمَالِ. لَمْ يُحْرَمِ ٱلْمُبَادِرُ. إِلَّا فِي ٱلنَّادِرِ. مَا دَرَجَتْ أَفْرَاخُ ذُلٍّ إِلَّا مِنْ وَكْرِ طَمَاعَةٍ. وَلَا بَسَقَتْ فُرُوعُ نَدَمٍ إِلَّا مِنْ جُرْثُومَةِ إِضَاعَةٍ. أَلْعَزْمُ سُوقٌ. وَٱلتَّاجِرُ ٱلْجَسُورُ مَرْزُوقٌ. مَنْ وَثِقَ بِعَهْدِ ٱلزَّمَانِ.

عَلِقَتْ يَدَاهُ بِحَبْلِ ٱلْحِرْمَانِ. أَلرِّبْحُ فِي ضِمْنِ ٱلْجَسَارَةِ. وَٱلْمُضَيِّعُ أَوْلَى بِٱلْخَسَارَةِ (نفح الطيب للمقري)

خطب للخلفاء

خطبة ابي بكر عند ما بويع بالخلافة

٢٨ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. وَٱلضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ. وَٱلْقَوِيُّ مِنْكُمُ ٱلضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ. لَا يَدَعُ أَحَدٌ مِنْكُمُ ٱلْجِهَادَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ. فَإِنَّهُ لَا يَدَعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُ ٱللهُ بِٱلذُّلِّ. وَلَا تَشِيعُ ٱلْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ ٱللهُ بِٱلْبَلَاءِ. وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ. فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي. وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي. وَإِنَّكُمْ تَرِدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ. فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَمْضِيَ هٰذَا ٱلْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ. وَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. فَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ وَإِنَّمَا أَخْلَصْتُمْ لِلّٰهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ. فَطَاعَةً أَتَيْتُمُوهَا وَخَطَأً ظَفِرْتُمْ بِهِ وَضَرَائِبَ أَدَّيْتُمُوهَا وَسَلَفًا قَدَّمْتُمُوهُ. مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ. إِعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَيْنَ كَانُوا أَمْسِ وَأَيْنَ هُمُ ٱلْيَوْمَ. أَيْنَ ٱلْجَبَّارُونَ. أَيْنَ ٱلَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ ٱلْقِتَالِ وَٱلْغَلَبَةِ فِي مَوَاطِنِ ٱلْحُرُوبِ. قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمِ ٱلدَّهْرُ وَصَارُوا رَمِيمًا. قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمِ ٱلْقَالَاتُ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ. فَأَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ أَثَارُوا

ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا قَدْ بَعُدُوا وَأُنْسِيَ ذِكْرُهُمْ وَصَارُوا كَلَا شَيْءٍ . أَلَا وَقَدْ أَبْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْهِمِ ٱلتَّبِعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمُ ٱلشَّهَوَاتِ . وَمَضَوْا وَٱلْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ وَٱلدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ . وَبَقِينَا خَلَفًا بَعْدَهُمْ . فَإِنْ نَحْنُ ٱعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجَوْنَا وَإِنِ ٱغْتَرَرْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ . أَيْنَ ٱلْوِضَاءُ ٱلْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمْ ٱلْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ . صَارُوا تُرَابًا وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ بَنَوُا ٱلْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِٱلْحَوَائِطِ وَجَعَلُوا فِيهَا ٱلْأَعَاجِيبَ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلْفَهُمْ . فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْقُبُورِ . هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا . أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ قَدِ ٱنْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ . فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا فَحَلُّوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشِّقْوَةِ وَٱلسَّعَادَةِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . أَلَا إِنَّ ٱللّٰهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا وَلَا يَصْرِفُ بِهِ عَنْهُ سُوءًا إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَٱتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . أَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ ٱلنَّارُ وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ

خطبة لعليّ بن ابي طالب

٢٩ (حَمِدَ ٱللّٰهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ) : أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى ٱللّٰهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ ٱلْعَمَلِ وَتَرْكِ ٱلْأَمَلِ . فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ . لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ . أَيْنَ ٱلتَّعِبُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . ٱلْمُقْتَحِمُ لِلُجَجِ ٱلْبِحَارِ . وَمَفَاوِزِ ٱلْقِفَارِ . يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجِبَالِ . وَعَالِجِ ٱلرِّمَالِ .

يَصِلُ ٱلْغُدُوَّ بِٱلرَّوَاحِ وَٱلْمَسَاءَ بِٱلصَّبَاحِ . فِي طَلَبِ مُحَقَّرَاتِ ٱلْأَرْبَاحِ . هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُــهُ . فَعَظُمَتْ بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ . فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا . وَمَا ٱكْتَسَبَ غُرُورًا . وَوَافَى ٱلْقِيَامَةَ مَحْسُورًا . أَيُّهَــا ٱللَّاهِي ٱلْغَارُّ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا . وَلَا يَهَابُ لَكَ حِجَابًا . وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا . وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا . وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا . وَلَا يُوَقِّرُ فِيكَ كَبِيرًا . حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرٍ مُظْلِمَةٍ . أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَةٌ . كَفِعْلِهِ بِٱلْأُمَمِ ٱلْخَالِيَــةِ . وَٱلْقُرُونِ ٱلْمَاضِيَةِ . أَيْنَ مَنْ سَعَى وَٱجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ . وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ . وَبِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ . وَبِٱلْكَثِيرِ لَمْ يُمَتَّعْ . أَيْنَ مَنْ قَادَ ٱلْجُنُودَ . وَنَشَرَ ٱلْبُنُودَ . أَضْحَوْا رُفَاتًا . تَحْتَ ٱلثَّرَى أَمْوَاتًا . وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ . وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ . عِبَادَ ٱللهِ فَٱتَّقُوا ٱللهَ وَرَاقِبُوهُ وَٱعْمَلُوا لِلْيَوْمِ ٱلَّذِي تَسِيرُ فِيهِ ٱلْجِبَالُ . وَتَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ . وَتَطَايَرُ ٱلْكُتُبُ عَنِ ٱلْأَيْمَانِ وَٱلشَّمَائِلِ (لابن عبد ربّه)

خطبة أُخرى له حماسية

لمّا أَغار سُفيان بن عوف الأسديّ على الأنبار في خلافة عليّ وعليها حسّان البكريّ فقتله وأزال تلك الخيل عن مسارحها . فخرج عليّ حتى جلس على باب السدّة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

٣٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ . فَمَنْ تَرَكَهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَأَشْمَلَهُ ٱلْبَلَاءَ وَأَلْزَمَهُ ٱلصَّغَارَ وَسَامَهُ ٱلْخَسْفَ . وَمَنَعَــهُ ٱلنَّصَفَ . أَلَا وَإِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا . وَقُلْتُ لَكُمْ : ٱغْزُوهُمْ قَبْــلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ

قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا . فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي . فَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ . هٰذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَتَلَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ . وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَارِحِهَا وَقَتَلَ مِنْكُمْ رِجَالًا صَالِحِينَ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا كُلِمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ . فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا بَلْ كَانَ عِنْدِي جَدِيرًا . فَوَاعَجَبًا مِنْ جِدِّ هٰؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ . فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ . وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ : حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا الْحَرُّ . وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ضُحًى فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا هٰذَا الْقُرُّ . فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٌ . وَيَا أَحْلَامَ أَطْفَالٍ وَعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ . وَدِدْتُ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ وَأَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً . وَاللهِ جَرَّتْ وَهْنًا وَوَرَّيْتُمْ وَاللهِ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَّعْتُمُونِي الْمَوْتَ أَنْفَاسًا . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . لِلّٰهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي لَقَدْ مَارَسْتُهَا وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ . فَهَا أَنَا ذَا قَدْ نَيَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ . وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

خطبة عُمر بن عبد العزيز بخُناصِرة

٣١ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًى. وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَحْكُمُ ٱللَّهُ بَيْنَكُمْ فِيهِ. فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ ٱلَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَانَ غَدًا لِمَنْ يَخَافُ ٱلْيَوْمَ وَبَاعَ قَلِيلًا بِكَثِيرٍ وَفَانِيًا بِبَاقٍ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَصْلَابِ ٱلْهَالِكِينَ. وَسَيَخْلُفُهَا مِنْ بَعْدِكُمُ ٱلْبَاقُونَ حَتَّى يُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ ٱلْوَارِثِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى ٱللَّهِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ وَبَلَغَ أَجَلَهُ. ثُمَّ تُغَيِّبُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ ثُمَّ تَدَعُونَهُ غَيْرَ مُوَسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ. قَدْ خَلَعَ ٱلْأَسْبَابَ. وَفَارَقَ ٱلْأَحْبَابَ. وَوَاجَهَ ٱلْحِسَابَ. غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ. وَٱيْمُ ٱللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ وَمَا أَعْلَمُ عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي. وَأَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَمَا تَبْلُغُنَا حَاجَةٌ يَتَّسِعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدْنَاهَا. وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّ يَدَهُ مَعَ يَدِي وَلُحْمَتِي ٱلَّذِينَ يَلُونَنِي حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ. وَٱيْمُ ٱللَّهِ إِنِّي لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هٰذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ لَكَانَ ٱللِّسَانُ بِهِ نَاطِقًا ذَلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ. وَلٰكِنَّهُ مَضَى مِنَ ٱللَّهِ سُنَّةٌ عَادِلَةٌ دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ

خطبة الخليفة المهديّ

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى ٱلْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَرَضِيَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ. أَحْمَدُهُ عَلَى

آلائِهِ . وَأَحْمَدُهُ لِبَلائِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوَكُّلَ رَاضٍ بِقَضَائِهِ وَصَابِرٍ لِبَلائِهِ . أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّ ٱلِاقْتِصَادَ عَلَيْهَا سَلَامَةٌ . وَٱلتَّرْكَ لَهَا نَدَامَةٌ . وَأَحُثُّكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ وَتَوْفِيرِ كِبْرِيَائِهِ وَقُدْرَتِهِ . وَٱلِانْتِهَاءِ إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَيُنْجِي مِنْ سُخْطِهِ وَيُنَالُ بِهِ مَا لَدَيْهِ مِنْ كَرِيمِ ٱلثَّوَابِ . وَجَزِيلِ ٱلْمَآبِ . فَٱجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمُ ٱللهُ مِنْ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ . وَأَلِيمِ ٱلْعَذَابِ . وَوَعِيدِ ٱلْحِسَابِ . يَوْمَ تُوقَفُونَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْجَبَّارِ . وَتُعْرَضُونَ فِيهِ عَلَى ٱلنَّارِ . يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ . يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا . إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ . فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَبَلَاءٍ وَشُرُورٍ . وَٱضْمِحْلَالٍ وَزَوَالٍ . وَتَقَلُّبٍ وَٱنْتِقَالٍ . قَدْ أَفْنَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ . مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ . وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ . وَمَنْ أَمَّلَهَا كَذَبَتْهُ . وَمَنْ رَجَاهَا خَذَلَتْهُ . عِزُّهَا ذُلٌّ وَغِنَاهَا فَقْرٌ . وَٱلسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا وَٱلشَّقِيُّ فِيهَا مَنْ آثَرَهَا . وَٱلْمَغْبُونُ فِيهَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا . فَٱللهَ ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ وَٱلتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ وَٱلرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ . وَبَادِرُوا بِٱلْأَعْمَالِ ٱلزَّكِيَّةِ فِي هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِٱلْكَظْمِ وَتَنْدَمُوا فَلَا

تَنَالُونَ النَّدَمَ يَوْمَ حَسْرَةٍ وَتَأَسُّفٍ. وَكَآبَةٍ وَتَلَهُّفٍ. يَوْمٌ لَيْسَ كَالْأَيَّامِ. وَمَوْقِفٌ ضَنْكُ الْمَقَامِ.

خطبة هارون الرشيد

٣٣ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَنَسْتَنْصِرُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوِّضِينَ إِلَيْهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ. وَتَضْعِيفَ الْحَسَنَاتِ وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ. وَأُحَذِّرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. وَتُبْلَى فِيهِ الْأَسْرَارُ. يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ التَّغَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِي وَيَوْمَ التَّنَادِي. يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ وَلَا يُزْدَادُ فِي حَسَنَةٍ. يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ. مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ. يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ. ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ. حَصِّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ وَدِينَكُمْ بِالْوَرَعِ وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ فَقَدْ غَرَّتْ وَأَوْرَدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا حَتَّى أَكْذَبَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ. فَتَنَاوَشُوا التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ فَرَغِبَ رَبُّكُمْ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَقَدَّمَ إِلَيْكُمُ الْوَعِيدَ. وَقَدْ رَأَيْتُمْ وَقَائِعَهُ بِالْقُرُونِ الْخَوَالِي جِيلًا فَجِيلًا. وَعَهِدْتُمُ الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ وَالْأَحِبَّةَ وَالْعَشَائِرَ بِاخْتِطَافِ الْمَوْتِ إِيَّاهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَمِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُمْ وَلَا تَحُولُونَ دُونَهُمْ. فَزَالَتْ عَنْهُمُ الدُّنْيَا وَانْقَطَعَتْ بِهِمِ الْأَسْبَابُ فَأَسْلَمَتْهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ

ٱلْمَوَاقِفِ وَٱلْحِسَابِ. لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى

خطبة المأمون في الفطر

٣٤ (قَالَ بَعْدَ ٱلتَّكْبِيرِ وَٱلتَّحْمِيدِ): أَلَا وَإِنَّ يَوْمَكُمْ هٰذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَٱبْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ. يَوْمٌ خَتَمَ ٱللّٰهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَٱفْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرَامِ. فَجَعَلَهُ أَوَّلَ أَيَّامِ شُهُورِ ٱلْحَجِّ وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَقَبَّلِ قِيَامِكُمْ. فَٱطْلُبُوا إِلَى ٱللّٰهِ حَوَائِجَكُمْ وَٱسْتَغْفِرُوهُ بِتَفْرِيطِكُمْ. فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَا كَثِيرَ مَعَ نَدَمٍ وَٱسْتِغْفَارٍ. وَلَا قَلِيلَ مَعَ تَمَادٍ وَإِصْرَارٍ. ثُمَّ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ عِبَادَ ٱللّٰهِ وَبَادِرُوا ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي لَمْ يَحْضُرِ ٱلشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ ٱلْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ. فَإِنَّهُ لَا يُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ. وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَكَرِهِ وَكَرْبِهِ وَعَلَى ٱلْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ وَضِيقِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْئَلَةِ مَلَكَيْهِ إِلَّا ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ ٱلَّذِي أَمَرَ ٱللّٰهُ بِهِ. فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ قَدَمُهُ فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ. وَفَاتَتْهُ ٱسْتِقَامَتُهُ. وَدَعَا مِنَ ٱلرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ وَبَذَلَ مِنَ ٱلْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ. فَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ عِبَادَ ٱللّٰهِ كُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا ٱلرَّجْعَةَ فَأُعْطُوهَا إِذْ مُنِعَهَا ٱلَّذِينَ طَلَبُوهَا. فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى ٱلْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هٰذَا ٱلْأَجَلَ ٱلْمَبْسُوطَ لَكُمْ. فَٱحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ ٱللّٰهُ فِيهِ وَٱتَّقُوا ٱلْيَوْمَ ٱلَّذِي يَجْمَعُكُمُ ٱللّٰهُ فِيهِ. بِوَضْعِ مَوَازِينِكُمْ وَنَشْرِ صُحُفِكُمُ ٱلْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ. فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ وَمَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ ٱلْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ.

وَلستُ أنهاكُم عَنِ ٱلدُّنيا بِأكْثَرَ مِمَّا نَهتكُمْ بِهِ ٱلدُّنيا عَنْ نَفسِها . فإنَّ كُلَّ مَا بِهَا يُحَذِّرُ مِنْهَا وَيَنْهَى عَنْهَا وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا . وَأَعْظَمُ مَا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ فَجَائِعِهَا وَزَوَالِهَا ذَمُّ ٱللهِ لَهَا وَٱلنَّهْيُ عَنْهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ . وَقَالَ : إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ . فَٱنْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا وَبِإِخْبَارِ ٱللهِ عَنْهَا وَٱعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ ٱللهِ أَدْرَكَتْهُمْ عِصْمَةُ ٱللهِ . فَحَذِرُوا مَصَارِعَهَا وَجَانَبُوا خَدَائِعَهَا . وَآثَرُوا طَاعَةَ ٱللهِ فِيهَا وَأَدْرَكُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا يَتْرُكُونَ مِنْهَا

خطبة قطري بن الفجاءة التميميّ في ذمّ الدنيا

صعد قطريُّ بن الفجاءة منبر الأزارقة وهو أحد بني مازن بن تميم فحمد الله ثم أثنى عليه وقال :

٣٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِٱلشَّهَوَاتِ وَرَاقَتْ بِٱلْقَلِيلِ . وَتَحَبَّبَتْ بِٱلْعَاجِلَةِ وَعُمِّرَتْ بِٱلْأَمْوَالِ . وَتَحَلَّتْ بِٱلْأَمَانِيِّ وَتَزَيَّنَتْ بِٱلْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَسْرَتُهَا وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا . غَدَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ . وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ . وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ . لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَٱلرِّضَا عَنْهَا . مَعَ أَنَّ ٱمْرَأً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً . وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْنًا . إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تَطُلَّهُ مِنْهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ . إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ . وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ خَاذِلَةً مُتَنَكِّرَةً . وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَٱحْلَوْلَى أَمَرَّ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى . وَإِنْ لَبِسَ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا

وَرَفَاهِيَتِهَا نِعَمًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا غَمًّا . وَلَمْ يُمْسِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا فِي قَوَادِمِ خَوْفٍ . غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا بَاقِيَةٌ فَانٍ مَا عَلَيْهَا لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى . مِنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مَا يُؤْمِنُهُ . وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا لَمْ يَدُمْ لَهُ . وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ . كَمْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ . وَكَمْ مِنِ احْتَالَ بِهَا قَدْ خَدَعَتْهُ . وَكَمْ ذِي أُبَّهَةٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا وَذِي نَخْوَةٍ فِيهَا قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا . وَذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ . سُلْطَانُهَا دُوَلٌ وَعَيْشُهَا رَنِقٌ . وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ . وَحُلْوُهَا صَبِرٌ وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ . وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ وَقِطَافُهَا سَلَعٌ . حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ . وَمَنِيعُهَا بِعَرَضِ اهْتِضَامٍ . مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ . وَضَعِيفُهَا وَسَلِيمُهَا مَنْكُوبٌ . وَجَارُهَا وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ . مَعَ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ وَهَوْلَ الْمُطَّلَعِ وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا . وَأَوْضَحَ آثَارًا . وَأَعَدَّ عَدِيدًا وَأَكْثَفَ جُنُودًا . وَأَعْتَدَ عَتَادًا . وَأَطْوَلَ عِمَادًا . تَعَبَّدُوا الدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ . فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ . وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ مِمَّا قَدْ أَمَلَتْهُمْ بِهِ بِخَطْبٍ بِحِيلَةٍ . بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ وَعَفَرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ . وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ وَأَرْهَقَتْهُمْ بِالْمَصَائِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا

لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا. حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا الْفِرَاقَ الْأَبَدَ. إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ. هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ وَأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ. أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ وَأَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ. أَوْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ أَوْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ. فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ يَتَّهِمُهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا. اعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَارِكُوهَا الْأَبَدَ فَإِنَّمَا هِيَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ. فَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَبِالَّذِينَ قَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً. وَاتَّعِظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا. وَأُنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ. وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ. وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ. فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا. إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا. وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ. جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَنَاؤُونَ وَهُمْ يُزَارُونَ وَلَا يَسْتَزِيرُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ. وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ. وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ. وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ. اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا وَبِالسَّعَةِ ضِيقًا وَبِالْآلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاؤُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى غَيْرَ أَنْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ إِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ. فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ

(لابن عبد ربه)

نخبة من كتاب تراجم الاعياد السيديّة لابن الحديثيّ المعروف بابي الحليم (•)

خطبة للصوم الكبير المبارك للقس روبيل الدُنيسري

٣٦ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُجِيرِ ٱلَّذِي لَا يُجَارُ عَلَيْهِ • ٱلْقَدِيرِ ٱلَّذِي لَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ • مُبْدِئِ ٱلْخَلْقِ وَمُعِيدِهِ • وَمُنْشِئِ ٱلرِّزْقِ وَمُفِيدِهِ • مُسَيِّرِ مُشْرِقَاتِ ٱلنُّجُومِ وَمُغِيرِهَا • وَمُدَبِّرِ حَرَكَاتِ ٱلْأَفْلَاكِ وَمُدِيرِهَا • أَلْمُدْرِكِ ٱلْمُقِيتِ • أَلْمُهْلِكِ ٱلْمُمِيتِ • ٱلَّذِي صَوَّرَ أَصْنَافَ ٱلْخَلِيقَةِ فَأَبْدَعَ تَصْوِيرَهَا • وَقَرَّرَ ٱخْتِلَافَ أَجْنَاسِهَا فَأَحْسَنَ فِي تَقْدِيرِهَا • وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلَى ضَعِيفِهَا وَقَوِيِّهَا • وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا • ٱلَّذِي لَا يُرَادُّ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُرَاجَعُ • سَامِكِ ٱلسَّمَاءِ • بِغَيْرِ عَمَدٍ فِي ٱلْهَوَاءِ • وَسَاطِحِ ٱلْأَرْضِ طَافِيَةً عَلَى تَيَّارِ ٱلْمَاءِ • أَحْمَدُهُ وَٱلْحَمْدُ مِنْ نِعَمِهِ • وَأُعَوِّلُ فِي ٱلْقَبُولِ عَلَى كَرَمِهِ • حَمْدًا لَا يَكُونُ لِمُتَّصِلِهِ ٱنْفِصَالٌ • عَلَى مَا لَا يُدْرَكُ شُكْرُهُ وَلَا يُنَالُ • لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ • وَلَا عَدِيلَ وَلَا نِدَّ • أَلْحَيُّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبْلَى • أَلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لَا يُسَمَّى بِمَا سَمَّى نَفْسَهُ وَلَا يُكَنَّى • أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَسِيمُوا ٱلْقُلُوبَ فِي هٰذَا ٱلصَّوْمِ ٱلْمُبَارَكِ فِي رِيَاضِ ٱلْحِكَمِ • وَأَدِيمُوا ٱلنَّحِيبَ عَلَى ٱبْيِضَاضِ ٱللِّمَمِ • إِلْزَمُوا ٱلتَّقْوَى يَلْزَمْكُمْ وَقَارُهَا • وَٱحْتَمُوا ٱلدُّنْيَا يَحْتَمِكُمْ صَغَارُهَا • أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى ٱللّٰهِ فَإِنَّهَا عُرْوَةٌ مَا لَهَا ٱنْفِصَامٌ • وَذُرْوَةٌ مَا لَهَا ٱنْهِدَامٌ • وَقُدْوَةٌ يَؤُمُّ إِلَيْهَا ٱلْكِرَامُ • وَجَذْوَةٌ تُضِيءُ بِهَا ٱلْأَفْهَامُ • مَنْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِهَا حَمَتْهُ مَحْذُورَ ٱلْعَاقِبَةِ • وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَمْلِهَا وَقَتْهُ

(•) قد طُبع هذا الكتاب حديثًا في مطبعة حضرات الآباء الدومينيكانيين في الموصل ولهُ من بلاغة العبارة وعلوّ المنهج وطلاوة الفصاحة ما يحث على اقتنائهِ

شُرُورَ كُلِّ نَائِبَةٍ . قَيِّدُوا أَلسِنَتَكُمْ مِنَ ٱلخَوْضِ فِي ٱلبَاطِلِ . وَٱقْطَعُوا
عَنِ ٱلنُّطْقِ بِغِيبَةِ كُلِّ غَافِلٍ أَلَا وَإِنَّ عَثْرَةَ ٱلرِّجْلِ سَرِيعٌ ٱنْدِمَالُهَا . وَعَثْرَةَ
ٱللِّسَانِ قَطِيعٌ وَبَالُهَا . وَمَنْ أَبْصَرَ عُيُوبَ نَفْسِهِ عَمِيَ عَمَّنْ سِوَاهُ . وَمَنْ
هَتَكَ عِرْضَ أَخِيهِ كَانَ خَصْمَهُ ٱللهُ . قَدْ عَمَّتْكُمْ رَحِمَكُمُ ٱللهُ مِنَ ٱلصَّوْمِ
ٱلنِّعْمَةُ ٱلسَّابِغَةُ . وَلَزِمَتْكُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلحُجَّةُ ٱلبَالِغَةُ . أَلَا وَإِنَّهُ صَوْمٌ
جَعَلَهُ ٱللهُ مِصْبَاحَ ٱلعَامِ . وَوَاسِطَةَ ٱلنِّظَامِ . وَأَشْرَقَ قَوَاعِدَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ
بِنُورِ ٱلصِّيَامِ . فَتَأَهَّبُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ لِهٰذِهِ ٱلأَيَّامِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلمُبَارَكَةِ
وَلِٱغْتِنَامِ وِرْدِهَا . فَكَمْ طَلِيقٍ فِيهَا مِنْ وِثَاقِ ٱلذُّنُوبِ . وَحَقِيقٍ بِنَيْلِ
كُلِّ مَطْلُوبٍ . يُنْزِلُ ٱللهُ لَكُمْ فِيهَا ٱلأَرْزَاقَ . وَيَجْعَلُ بِبَرَكَتِهَا فِكَاكَ
ٱلأَعْنَاقِ . فَٱهْرُبُوا إِلَى ٱللهِ يَا عِبَادَ ٱللهِ فِيهَا مِنْ سُوءِ ٱلِٱجْتِرَاحِ . وَٱطْلُبُوا
مِنْهُ حَوَائِجَكُمْ تَظْفَرُوا بِٱلنَّجَاحِ . فَلَا دُعَاءَ فِيهِ إِلَّا مَسْمُوعٌ . وَلَا عَمَلَ فِيهِ
إِلَّا مَرْفُوعٌ . وَلَا خَيْرَ إِلَّا مَجْمُوعٌ . وَلَا ضُرَّ إِلَّا مَدْفُوعٌ . يَا أَيُّهَا ٱلعَاقِلُ
هٰذَا أَوَانُ ٱزْدِيَادِكَ وَٱسْتِمَاعِكَ . وَيَا أَيُّهَا ٱلغَافِلُ هٰذَا وَقْتُ تَيَقُّظِكَ
وَٱقْتِلَاعِكَ . مَا سَأَلَ ٱللهَ فِيهَا سَائِلٌ إِلَّا أَعْطَاهُ . وَلَا ٱسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ
إِلَّا أَعَزَّهُ وَكَفَاهُ . فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَيَقَّظَ قَلْبُهُ مِنْ سِنَةِ هَوَاهُ . وَٱخْتَارَ
لِنَفْسِهِ مَا يَحْمَدُهُ مِنْ سِوَاهُ . قَبْلَ أَنْ تَتَرَامَى بِهِ ٱلأَقْدَارُ . وَيَحُلَّ بِهِ ٱلحِذَارُ .
وَتُوحَشَ مِنْهُ ٱلدِّيَارُ . وَلَا يُسْمَعَ مِنْهُ ٱلِٱعْتِذَارُ . وَلَا يُفْصِحَ بِخِطَابٍ .
وَلَا يُسْمِعَ بِجَوَابٍ . مُخْتَطَفًا مِنَ ٱلأَحْبَابِ . مُرْتَهَنًا بِٱلِٱكْتِسَابِ . وَحِيدًا
فِي مَنْزِلِ ٱلِٱغْتِرَابِ . مُوَجَّهًا يَوْمَ ٱلحِسَابِ . أَذِيَّ ٱلأَهْلِ وَأَقْرَبِ

ٱلْأَصْحَابِ . تَجَهَّزُوا فَقَدْ ضُرِبَ فِيكُمْ بُوقُ ٱلرَّحِيلِ . وَبَرِّزُوا فَقَدْ قَرُبَتْ لَكُمْ نُوقُ ٱلتَّحْوِيلِ . وَدَعُوا ٱلتَّمَسُّكَ بِخُدَعِ ٱلْأَبَاطِيلِ . وَٱلرُّكُونَ إِلَى ٱلتَّسْوِيفِ وَٱلتَّعْلِيلِ . أَظَلَّنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ بِظِلِّ عَرْشِهِ . وَوَقَانَا وَإِيَّاكُمْ حُلُولَ أَلِيمِ بَطْشِهِ . وَعَدَلَ بِنَا وَبِكُمْ إِلَى سَبِيلِ ٱلسَّلَامَةِ . وَحَمَلَ عَنَّا وَعَنْكُمْ أَعْبَاءَ ٱلظُّلَامَةِ . وَجَعَلَ ٱلْإِخْلَاصَ بِتَوْحِيدِهِ نُورًا لَنَا وَلَكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْقِيَامَةِ . وَنَزَعَ مِنَّا وَمِنْكُمْ غِلَّ ٱلْقُلُوبِ وَرَفَعَ عَنَّا وَعَنْكُمْ ذُلَّ ٱلذُّنُوبِ . وَجَمَعَ لَنَا وَلَكُمْ فِي ٱلدَّارَيْنِ كُلَّ مَحْبُوبٍ . وَأَيَّدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِٱلْاسْتِبْصَارِ بِتَصَارِيفِ أَقْدَارِهِ . وَأَسْعَدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ ٱلْاِنْبِعَاثِ بِجِوَارِهِ

(دُعَاءٌ لِلْآبَاءِ) . أَللّٰهُمَّ وَٱحْرُسْ أَيَّامَ أَبِي ٱلْآبَاءِ ٱلْجَاثَلِيقِ ٱلْفَطْرَكِ ٱلْكَبِيرِ ٱلْمُمَجَّدِ وَٱحْجُبْهُ بِحِجَابِ ٱلْعِصْمَةِ . وَخَلِّصْهُ مِنْ قَوَارِعِ كُلِّ نِقْمَةٍ . وَأَسْبِلْ عَلَيْهِ سُتُورَ ٱلرَّأْفَةِ وَٱلرَّحْمَةِ . وَبَلِّغْهُ أَقْصَى ٱلْمُرَادِ وَٱلْهِمَّةِ . آمِينَ

أَللّٰهُمَّ وَأَسْعِدِ ٱلْمَوْلَى فُلَانًا بِسَعَادَةٍ تُبْسَطُ بِهَا آمَالُ أَوْلِيَائِهِ . وَتُقْبَضُ آجَالُ أَعْدَائِهِ وَٱفْتَحْ لَهُ أَقْفَالَ ٱلْقُلُوبِ . وَأَنْجِحْ لَهُ ٱلسُّؤَالَ فِي ٱلْمَطْلُوبِ . وَأَحْصِنْهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَحُتُوفِهَا . وَسَلِّمْهُ مِنْ مَوَارِدِ خُسُوفِهَا

أَللّٰهُمَّ وَجُدْ عَلَى بَنِي ٱلْمَعْمُودِيَّةِ بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ مِنِ ٱقْتِرَافِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَنِعْمَةٍ جَامِعَةٍ لِصُنُوفِ ٱلْخَيْرَاتِ . وَرَحْمَةٍ مَاضِيَةٍ لِسَوَالِفِ ٱلْخَطِيئَاتِ . أَللّٰهُمَّ وَإِذَا ٱنْقَضَتْ مِنَ ٱلدُّنْيَا أَيَّامُنَا . وَأَزِفَ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ حِمَامُنَا . وَأَحَاطَتْ بِنَا ٱلْأَقْدَارُ . وَشَخَصَتْ إِلَى قُدُومِ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْأَبْصَارُ . وَعَلَا

ٱلْأَنِينُ . وَعَرَقَ ٱلْجَبِينِ فَمِ ٱللَّهُمَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِنَا شَفِيقًا .
وَبِنَزْعِ نُفُوسِنَا رَؤُوفًا رَفِيقًا . ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَنَا مَا أَسْرَرْنَاهُ وَمَا أَعْلَنَّاهُ . وَمَا
قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَاهُ . وَمَا أَحْصَيْتَهُ وَنَسِينَاهُ . وَعَلِمْتَهُ وَجَهِلْنَاهُ . وَلَا تَدَعْ لَنَا
أَمَلًا إِلَّا وَبَلَّغْتَنَاهُ . وَلَا سُؤَالًا إِلَّا وَأَنَلْتَنَاهُ . وَلَا شَرًّا إِلَّا وَكَفَيْتَنَاهُ .
يَا خَيْرَ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَجَاهُ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ . آمِينَ

لذكر السيدة مريم العذراء الواقع بين عيد الميلاد وعيد الظهور

٣٧ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَنَارَ بِأَنْوَارِ ٱلْحِكَمِ مَصَابِيحَ ٱلْعُقُولِ . وَكَشَفَ
عَنْهَا أَسْتَارَ ٱلظَّلَامِ فَعَرَفَتْ سِرَّ ٱلْعَقْلِ وَٱلْعَاقِلِ وَٱلْمَعْقُولِ . ٱلَّذِي تَنَزَّهَ
بِٱلْعِزَّةِ ٱلْقُدُسِيَّةِ عَنِ ٱلْأَجْنَاسِ وَٱلْأَنْوَاعِ وَٱلْفُصُولِ . وَتَقَدَّسَ
بِسُلْطَانِ ٱلْأَحَدِيَّةِ عَنْ مُشَابَهَةِ ٱلْمَوْضُوعِ وَٱلْمَحْمُولِ . ٱلَّذِي أَطْلَعَ
شَمْسَ ٱلْبَرَارَةِ مِنْ مَشْرِقِ سَيِّدَةِ ٱلنِّسَاءِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبَتُولِ . وَدَرَّعَ
ٱلْكَلِمَةَ ٱلْأَزَلِيَّةَ هَيْكَلًا نَاسُوتِيًّا أَظْهَرَهُ فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْكَوْنِيِّ عَلَى هَيْئَةِ
ٱلرَّسُولِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُودُهُ رَائِدُ ٱلتَّوْفِيقِ إِلَى أَبْوَابِ ٱلْقَبُولِ .
وَنَشْكُرُهُ سَرْمَدًا عَلَى إِيلَاءِ ٱلْآلَاءِ ٱلضَّافِيَةِ ٱلْأَهْدَابِ وَٱلذُّيُولِ . أَيُّهَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱنْتَقَلَتِ ٱلْبِيعَةُ ٱلْأَرْثَادُكْسِيَّةُ ٱبْنَةُ ٱلنُّورِ . مِنْ شَرَفٍ إِلَى
شَرَفٍ وَمِنْ نُورٍ إِلَى نُورٍ . وَمِنَ ٱلْحُبُورِ بِٱلْمِيلَادِ ٱلْغَرِيبِ . إِلَى ٱلسُّرُورِ
بِذِكْرِ وَالِدَةِ ٱلسِّرِّ ٱلْعَجِيبِ . مِنْ بِكْرِ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْمَخْصُوصَةِ بِٱلْوَلَدِ . إِلَى
عِيدِ ٱلْبِكْرِ حَافِظَةِ ٱلْبِكْرِيَّةِ إِلَى ٱلْأَبَدِ . مِنَ ٱلْأَفْرَاحِ بِعِيدِ مُنِيرِ ٱلْعُقُولِ .
إِلَى طَرَبِ ٱلْأَرْوَاحِ بِعِيدِ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلْبَتُولِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي خُصَّ

بالهناء والخدمة . وأهدي فيه هدايا السلام للطاهرة الملاءة من النعمة . هذا اليوم الذي قرت ببهجته العيون . وسرت بفرحته قلوب الأبكار والعون . هذا اليوم الذي توفرت فيه الحسرة اليهودية . وافتخرت بيمن مطلعه الأسرة الداودية . هذا اليوم الذي صدقت فيه المخايل . وأعطيت البتول الطوبى من كل الأمم وقاطبة القبائل . اليوم تشرف قبيل النساء . قدمت ركائب الأفراح على النفساء . تحلى الجيد البتولي بدر العزة القعساء . خرت ساجدة في الإيوان المغاري جباه الأساورة الرؤساء . اليوم خمدت جمرات النوائر . همدت حرارات الشكوك الثوائر . أشرقت بنور المسيح أبصار البصائر . تأرجت أنوف الخلق بأراج التهاني والبشائر . اليوم صفت المناهل والموارد . تأنست قلوب الشوارد . أذعن بالعفاف المريمي كل ضال ومارد . نظر الأعداء سيدة النساء نظر الأسود الحوارد . اليوم طربت آفاق الغبراء . إبتهجت نفس السيدة العذراء . لاح صباح المنقبة الغراء . تفطرت مرائر اليهود الأغراء . اليوم خفقت بنود السعادة . نشرت أعلام الإفادة . صبت على شعب السيد المسيح بركات الولادة . وضعت على المفرق المريمي إكليل المجد وتيجان السعادة . اليوم قرت العين المريمية . إفتخرت الجبلة الآدمية . تشرفت القرية البيت لحمية . فتقت بنور المسيح أبصار الخلق العمية . اليوم افتخرت الأنام وأقطار الورى .

تُغفرَتِ الآثامُ وَالأوزارُ إلى الورا. تخرّصت أفواهُ الأغمارِ بالقولِ الهرا. رَشقَ اليهودُ الأغبياءُ ذاتَ التُّقى وَالطهارةِ بِسهامِ الفِرى. اليومَ ظهرَتِ الآياتُ العجيبةُ. بهرَتِ المعجزاتُ الغريبةُ. زالَتْ كَواذِبُ الظُّنونِ عَنِ الخطيبةِ. أزالَتِ الآياتُ البواهِرُ عَن قلبِ يُوسُف مَواقِعَ الشُّكوكِ وَالرِّيبةِ. فالواجِبُ علينا الآنَ يا أُمَّةَ السَّيِّدِ المسيحِ. أن ندنُوَ بالهِمَمِ وَالوَلاءِ إلى خِدمَةِ أُمِّ المسيحِ وَنُجِلَّ بالإكرامِ عيدَ الدُّرَّةِ اليتيمةِ. نتلقّى بالإعظامِ ذِكرَ اللؤلؤةِ الغاليةِ القيمةِ. ننظرُ إلى أُمَّةِ اللاهوتِ. ونَؤُمُّ بعينِ العقلِ جَنابَ أُمِّ النّاسوتِ. نُشاهِدُ في إيوانِ المغارةِ. ذاتَ التُّقى وَالطهارةِ. نُحدِقُ إلى سكينةِ القُدسِ وَالرَّحمةِ. سُرادِقِ العِزِّ وَالعظمةِ. خِزانةِ الأسرارِ السَّماويّةِ. صَدفةِ دُرّةِ الحياةِ الأبديّةِ. مشرقِ الشَّمسِ الأزليّةِ. السَّماءِ الثّانيةِ العليّةِ. هيكلِ القُدرةِ العظيمةِ. مقصورةِ النّعمةِ الجسيمةِ. بابِ الأسرارِ الخفيّةِ. حِجابِ الأنوارِ البهيّةِ. دَرَجةِ الشَّرفِ الإنسيِّ. أوجِ الكوكبِ القُدسيِّ. دقيقةِ الرَّحمةِ الغزيرةِ. حقيقةِ الحِكمةِ المُنيرةِ. ذاتِ المباهي وَالمفاخِرِ. نُجلةِ البررةِ الأطهارِ وَالشَّرفِ الفاخِرِ. مريمَ العذراءِ الصَّفيّةِ. مُتَّكئةً على السُّدّةِ المِلاقيّةِ. وهي مُجلَّلةٌ بالنّورِ وَالبهاءِ. آذِنةٌ لِمَن رامَ الدُّخولَ وتقديمَ هدايا الهناءِ. نتأمّلُ بعيونِ البصائرِ شرفَ الوِلادةِ. ونلمحُ سيّدةَ النِّساءِ مُتخيّرةً بِرداءِ البهاءِ وَالسَّعادةِ. قدِ احتفّت ملائكةُ السَّماءِ بسُدّتِها. واصطفّت أجنادُ العلاءِ لِخِدمتِها.

تَرَى صَبِيَّةً خَامِلَةَ ٱلذِّكْرِ مِسْكِينَةً . نُشَاهِدُ مُحَيًّا قَدْ مُدَّ عَلَيْهِ قِنَاعُ ٱلْحَيَاءِ وَٱلْخَفَرِ . أَعْضَادًا جُعِلَتْ سُدَّةً لِسَيِّدِ ٱلْكُلِّ ٱبْنِ ٱلْبَشَرِ . ضَعِيفَةً وَلَدَتْ جَبَّارَ ٱلْعَوَالِمِ . فَقِيرَةً أَثْرَتْ بِفَقْرِهَا أَبْنَاءَ آدَمَ . خَامِلَةً تَخْدِمُهَا ٱلزُّمَرُ ٱلْمَلَائِكِيَّةُ . حَامِلَةً لِعَاقِدِ ٱلتِّيجَانِ عَلَى ٱلْمَفَارِقِ ٱلْمَلَكِيَّةِ . يَتِيمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي فَسِيحِ ٱلْأَرْضِ مَأْوًى . ضَئِيلَةً ٱفْتَخَرَتْ بِضَآلَتِهَا أُمُّهَا حَوَّاءُ . نَنْظُرُ إِلَى مُلُوكِ ٱلْمَجُوسِ وَقَدْ وَضَعُوا ٱلتِّيجَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَأَدْنَوْا أَصْنَافَ ٱلْهَدَايَا وَٱلْقَرَابِينَ إِلَى مَلِكِهِمْ وَقُدُّوسِهِمْ . شَدُّوا مِنْ قُمُطِهِ عَلَى أَسِنَّةِ ٱلرِّمَاحِ بُنُودًا وَأَعْلَامًا . وَٱسْتَكْتَبُوا مِنْ دِيوَانِ قُدْرَتِهِ لَهُمْ أَمَانًا وَذِمَامًا . نُشَاهِدُ يُوسُفَ ٱلشَّيْخَ ٱلْعَدُولَ . وَاقِفًا عَلَى قَدَمِ ٱلْأَفْرَاحِ أَمَامَ ٱلْبَتُولِ . قَدْ أَزَالَ عَنْ مَكَامِنِ قَلْبِهِ ٱلْهَوَاجِسَ وَٱلْخَطَرَاتِ . وَٱسْتَنْصَلَ مِنْ زَلَّةِ ٱلظُّنُونِ ٱلسَّوَالِفِ وَٱلْأَوْهَامِ ٱلْخَطِرَاتِ . قَدْ أُشْحِنَتْ زَوَايَا قَلْبِهِ بِٱلْبَهْجَةِ وَٱلْمَسَرَّةِ . وَلَاحَ عَلَى وَجْهِهِ ٱلْبَهِيِّ نُورُ ٱلْبِشْرِ وَٱلِٱبْتِسَامِ مِنْ أَثْنَاءِ ٱلْأَسِرَّةِ . يَتَعَجَّبُ مِنَ ٱلْآيَاتِ ٱلْغَرَائِبِ . وَيَتَعَجَّبُ لِمُلُوكِ ٱلْفُرْسِ بِإِدْنَاءِ ٱلسَّلَامِ وَتَقْدِيمِ ٱلْحَقَائِبِ . وَقَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ بِٱلْهَيْبَةِ . وَتَرَقْرَقَتْ دُمُوعُ ٱلْأَفْرَاحِ عَلَى وَقَارِ ٱلشَّيْبَةِ . نُسَبِّحُ نَحْنُ لِهٰذِهِ ٱلرَّأْفَةِ ٱلْعَمِيمَةِ . وَنَشْكُرُ تَرَادُفَ ٱلْآلَاءِ وَٱلنِّعَمِ ٱلْجَسِيمَةِ . نَمْلَأُ ٱلْأَفْوَاهَ مِنَ ٱلتَّهْلِيلِ وَٱلتَّسْبِيحِ . وَنَضْفُرُ أَكَالِيلَ ٱلْمَدَائِحِ لِأُمِّ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ . نَحْمِلُ هٰذِهِ ٱلْآيَاتِ ٱلظَّاهِرَةَ عَلَى صِدْقِ ٱلْيَقِينِ . وَنُؤْمِنُ بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ إِيمَانَ ٱلْمُصَدِّقِينَ . نَرْفُضُ مَلَابِسَ ٱلْأَوْزَارِ وَٱلذُّنُوبِ . وَنَرْحَضُ بِمَاءِ

ٱلتَّوبَةِ أَوضَارَ ٱلقُلُوبِ نُوطِّنُ ٱلنُّفُوسَ عَلَى ٱلصَّفْحِ وَٱلإِغضَاءِ • وَنَستَعِدُّ مَعَ ٱلأَبكَارِ ٱلخَمسِ بِٱلمَصَابِيحِ وَٱلأَضوَاءِ • نَبتَاعُ مِنَ ٱلقَنَايَا ٱلبَائِدَةِ مَيمَنَةَ ٱلمَسِيحِ • وَنَتَمَثَّلُ بِٱلمَلَائِكَةِ ٱلأَطهَارِ فِي ٱلتَّقدِيسِ وَٱلتَّسبِيحِ • وَنَتَشَفَّعُ بِصَلَاةِ زَهرَةِ ٱلبَشَرِيَّةِ • ٱلزَّاهِرَةِ بِٱلأَنوَارِ ٱلبَهِيَّةِ • عَيلَمَةِ ٱلأَسرَارِ ٱلعَلِيَّةِ • ٱلَّتِي أَومَضَت مِنهَا بُرُوقُ ٱلبَتُولِيَّةِ • ذَاتِ ٱلوَضَاءِ ٱلأَشرَقِ • وَٱلثَّنَاءِ ٱلأَفيَحِ ٱلأَعبَقِ • أَلسَّيِّدَةِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلزَّكِيَّةِ • سَكِينَةِ ٱلقُدرَةِ ٱلعَلِيَّةِ • أَن يَرفَعَ ٱللهُ عَنَّا مَوَارِدَ ٱلنِّقَمِ بِصَلَاتِهَا وَيَجمَعَ لَنَا شَوَارِدَ ٱلنِّعَمِ بِدُعَائِهَا وَبَرَكَاتِهَا • وَيُوَفِّقَنَا لِلتَّعَلُّقِ فِي يَومِ ٱلقِيَامَةِ بِأَهدَابِهَا • وَنَكُونَ فِي مَجمَعِ ٱلأَبرَارِ مِن خَوَاصِّهَا وَأَصحَابِهَا وَيُوَهِّلَنَا لِفِعلٍ نَحُوزُ بِهِ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهَا • وَيَجعَلَنَا مِن أَصحَابِ ٱليَمِينِ بِصَلَاتِهَا وَشَفَاعَتِهَا • وَيَمزِجَنَا بِزُمرَةِ ٱلآبَاءِ ٱلمُؤَيَّدِينَ • وَجَمِيعِ ٱلشُّهَدَاءِ وَٱلقِدِّيسِينَ • بِرَحمَتِهِ ٱلَّتِي تَعُمُّ ٱلأَحيَاءَ وَٱلمَيِّتِينَ • وَيُسبِغَ سِجَالَهَا عَلَى ٱلخَلقِ كَافَّةً أَجمَعِينَ

لعيد السلاّق (اي الصعود)

٣٨ أَلحَمدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي هَدَانَا إِلَى طَرِيقِ ٱلهُدَى وَوَاضِحِ مِنهَاجِهِ • وَفَتَحَ لَنَا بَابَ ٱلمَلَكُوتِ بِأَقَالِيدِ شَرعِهِ ٱلفَضلِيِّ بَعدَ إِغلَاقِهِ وَإِرتَاجِهِ • وَثَقَّفَ نَوعَنَا ٱلبَشَرِيَّ بِٱلأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي مِن زَيغِهِ وَأَعوِجَاجِهِ • وَقَادَهُ بِأَزِمَّةِ ٱلعِنَايَةِ إِلَى ٱلحَظَائِرِ ٱلقُدسِيَّةِ بَعدَ إِبَائِهِ وَلَجَاجِهِ • وَأَرسَلَ مُخَلِّصَ ٱلكُلِّ ظَاهِرًا بِصُورَةِ ٱلنَّاسُوتِ لِإِبرَاءِ جِبِلَّةِ آدَمَ وَعِلَاجِهِ • فَرَتَّبَ لَهُ مِن قَوَانِينِ شَرعِهِ ٱلِٱختِصَاصِيِّ دَوَاءً أَفضَى إِلَى صِحَّتِهِ وَتَعدِيلِ

مِزَاجِهِ . وَشَرَّفَ مَفْرِقَهُ بِإِكْلِيلِ ٱلْمُلْكِ ٱلْأَبَدِيِّ وَتَاجِهِ . وَأَصْعَدَهُ سِرًّا إِلَى قِمَمِ ٱلسَّمَاءِ يَوْمَ سُلَّاقِهِ وَمِعْرَاجِهِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَتَقِدُ فِي ظَلْمَاءِ ٱلْقُلُوبِ أَضْوَاءُ سِرَاجِهِ . وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا تَزْهُو كَوَاكِبُ ٱلْإِخْلَاصِ فِي أُفُقِهِ وَأَبْرَاجِهِ . أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ أَسْنَى ٱلْأَيَّامِ ٱلْعِظَامِ . وَأَبْهَى ٱلْمَوَاسِمِ . وَأَحْلَى ٱلْمَوَاقِيتِ ٱلْكِرَامِ . ٱلَّتِي تَفْتَرُّ لَهَا ٱلْمَضَاحِكُ وَٱلْمَبَاسِمُ . عِيدٌ عَبِقَتْ بِأَرَجِهِ ٱلرِّيَاحُ ٱلنَّوَاسِمُ . وَتَحَلَّتْ بِلَآلِئِ فَخْرِهِ ٱلْمَفَارِقُ وَٱلْمَنَاسِمُ . يَوْمٌ خُتِمَتْ بِهِ مَعَاقِدُ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ . وَسُلِّمَتْ قَوَاعِدُ ٱلْكَهَنُوتِ إِلَى ٱلزُّمَرِ ٱلسَّلِيحِيَّةِ . يَوْمٌ رَقِيَتْ فِيهِ صَفْوَةُ ٱلْجِبْلَةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ إِلَى ٱلْمَحَلِّ ٱلشَّامِخِ . وَٱسْتَوْطَنَتْ صَهْوَةَ ٱلْعِزِّ ٱلْأَبَدِيِّ وَٱلشَّرَفِ ٱلْبَاذِخِ . يَوْمٌ تَوَقَّلَ مُخَلِّصُ ٱلْبَرَايَا أَشْمَخَ ٱلذِّرْوَاتِ ٱلْعَلِيَّةِ وَأَسْمَى ٱلْقُلَلِ ٱلْعَوَاصِمِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلْمِيقَاتُ ٱلنَّبِيهُ . وَٱلْعِيدُ ٱلَّذِي جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ ٱلنَّظَائِرِ وَٱلتَّشْبِيهِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَشْرَقَ فِيهِ هِلَالُ ٱلْحَقِّ مِنْ سَدَفِ ٱلسِّرَارِ . وَتَحَلَّتْ فِيهِ نُحُورُ ٱلْعَقَائِدِ بِقَلَائِدِ ٱلْأَسْرَارِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَحَقَّقَتْ فِيهِ بَرَاهِينُ ٱلرَّجَاءِ . وَتَضَوَّعَتْ بِبُشْرَى سُلَّاقِ ٱلْمَسِيحِ كُلُّ ٱلنَّوَاحِي وَٱلْأَرْجَاءِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَأَتْهُ ٱلْأَبْصَارُ فِيهِ صَاعِدًا عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ ٱلْأَكْرُوبِيَّةِ . وَلَمَحَتْهُ ٱلْأَفْكَارُ قَاعِدًا عَلَى سُدَّةِ ٱلتَّعْظِيمِ عَنْ يَمِينِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَشَّ فِيهِ طَلَّ ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ غَمَامِ مَعِينِهِ وَأَمْطَرَ سَحَائِبَ ٱلْبَرَكَاتِ عَلَى ٱلْأَنْصَارِ مِنْ يُمْنِ يَمِينِهِ . أَلْيَوْمَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ مَدِينَةِ ٱلْأَطْهَارِ . نُضِيَتْ سُتُورُ ٱلْأَسْرَارِ عَنْ بِيعَةِ ٱلْأَبْكَارِ .

طَرِبَتْ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِرَئِيسِ ٱلْأَخْيَارِ. تَبَوَّأَ مَقْعَدَ ٱلْعِزِّ ٱلْأَبَدِيِّ عَلَى مِنْبَرِ ٱلْأَنْوَارِ. أَلْيَوْمَ بَرِحَتِ ٱلْأَسْرَارُ وَٱلْخَفَايَا. مُنِحَتِ ٱلْأَذْخَارُ وَٱلْعَطَايَا. صُفِحَتِ ٱلْأَوْزَارُ وَٱلْخَطَايَا. صَعِدَ ٱلْمَسِيحُ إِلَى ٱلْعَلَاءِ وَسَبَى ٱلسَّبَايَا. أَلْيَوْمَ أَفْلَتَ رَجَاءُ ٱلْأَحْيَاءِ وَٱلْأَمْوَاتِ. أُرْتِجَتْ أَرْجَاءُ ٱلسَّمَاوَاتِ. حُقَّ ٱلنَّجَاءُ لِذَوِي ٱلْخَطَايَا وَٱلْهَفَوَاتِ. وَٱسْتَغْفَرَ ٱلْمُخَلِّصُ لِأُمَّتِهِ كُلَّ ٱلْخَطَايَا وَٱلزَّلَّاتِ. أَلْيَوْمَ ٱنْحَسَرَتْ غُمَّةُ ٱلْعُبُودِيَّةِ. ٱكْتَأَبَتِ ٱلْأُمَّةُ ٱلْيَهُودِيَّةُ. صَحَّتِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلدَّاوُدِيَّةُ. رَقِيَ ٱلْمَسِيحُ بِٱلْمَجْدِ وَأَصْوَاتِ ٱلْقُرُونِ إِلَى سُدَّةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ. أَلْيَوْمَ أَخْفَقَتْ أَدِلَّةُ ٱلضَّلَالِ. أَشْرَقَتْ أَهِلَّةُ ٱلْإِقْبَالِ. أَوْرَقَتْ غُصُونُ ٱلْآمَالِ. رَقِيَتْ صُورَةُ آدَمَ مِنْ قَعْرِ ٱلْحَضِيضِ ٱلْأَوْهَدِ إِلَى ذُرْوَاتِ ٱلْكَمَالِ. أَلْيَوْمَ هَبَّتْ نَسَائِمُ ٱلرِّضَاءِ وَٱلِٱخْتِصَاصِ. هَبَّتْ نَوَائِمُ آمَالِ ٱلتَّلَامِيذِ ٱلْخَوَاصِّ. أَلْيَوْمَ قَرَّتْ عُيُونُ ٱلْأَمْلَاكِ. تَشَرَّفَتْ مُتُونُ ٱلْأَفْلَاكِ. سَكَنَ ٱلشَّوْقُ ٱلْآدَمِيُّ وَٱسْتَرَاحَ. مُلِئَتْ قُلُوبُ أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْبَهْجَةِ وَٱلْأَفْرَاحِ. مَلَكَ صَفْوَةُ جِنْسِهِ إِقْلِيمَ ٱلسَّمَاءِ. شُرِّفَ بِأَخَصِّ ٱلْأَلْقَابِ وَأَحْسَنِ ٱلْأَسْمَاءِ. رَقِيَتْ قِلَاعَتُهُ إِلَى قُلَّةِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعَلِيَّةِ. ٱسْتَوْطَنَتْ أَرَائِكَ ٱلنُّورِ فِي قُصُورِ ٱلْأَزَلِيَّةِ. ٱسْتَبْشَرَ سُكَّانُ ٱلصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَى بِإِيَابِهِ. تَعَلَّقَتِ ٱلزُّمَرُ ٱلْمَلَائِكِيَّةُ بِذُيُولِهِ وَأَهْدَابِهِ. تَبَرَّكَتِ ٱلسَّمَاءُ بِوَطْءِ أَقْدَامِهِ. بَرَزَ ٱلْإِذْنُ مِنْ سُرَادِقِ ٱلْأَزَلِيَّةِ بِتَعْظِيمِهِ وَإِكْرَامِهِ. سُمِعَتْ ضَجَّةُ ٱلْمَلَائِكَةِ بِتَقْرِيضِهِ وَمَدِيحِهِ. تَعَالَتْ لَجَّةُ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى بِتَمْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ.

نَستَبشِرُ نَحنُ مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِتَلَاقِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ . نَتَقَبَّلُ بِأَصْنَافِ ٱلْمَلَائِكَةِ فِي ٱلسُّجُودِ وَٱلتَّسْبِيحِ . نَرْفَعُ ٱلْهِمَمَ عَنْ مَسَاقِطِ ٱلشَّهَوَاتِ ٱلْأَرْضِيَّةِ . نَقُودُ ٱلْقُلُوبَ بِأَزِمَّةِ ٱلْعَزَائِمِ إِلَى ٱلطَّرَائِقِ ٱلْمَرْضِيَّةِ . نَنْفُضُ عَنِ ٱلْأَبْدَانِ قُشُورَ ٱلْكَثَافَةِ . وَنُسَرْبِلُ ٱلْأَذْهَانَ بِنُورِ ٱللَّطَافَةِ . نَرْقَا إِلَى قُلَلِ ٱلْعُلَى بِأَقْدَامِ ٱلْفِكَرِ . وَنَلْحَظُ بِأَبْصَارِ ٱلنُّهَى مُخَلِّصَنَا ٱبْنَ ٱلْبَشَرِ . نَرَاهُ عَلَى سُدَّةِ ٱلنُّورِ جَالِسًا . وَبِٱلْحَضْرَةِ ٱلْقُدْسِيَّةِ مُسْتَأْنِسًا . وَفِي خُدُورِ ٱلنُّورِ مَزْفُوفًا . وَبِأَجْنَادِ ٱلسَّمَاءِ مَحْفُوفًا . نَكْتَنِفُ بِظِلِّهِ ٱلظَّلِيلِ ٱلْوَارِفِ . وَنَشْكُرُ أَنْعُمَهُ ٱلتَّوَالِدَ وَٱلطَّوَارِفَ . نَتَشَبَّثُ بِأَهْدَابِ أَثْوَابِهِ . وَنُلْصِقُ ٱلْخُدُودَ خَاضِعَةً عَلَى أَعْتَابِ أَبْوَابِهِ . وَنَطْلُبُ مِنْ مَظَانِّ رَحْمَتِهِ . وَدِيوَانِ إِحْسَانِهِ وَرَأْفَتِهِ . أَنْ يُسْبِلَ سُتُورَ ٱلرِّضْوَانِ عَلَى بَوَادِي عُيُوبِكُمْ . وَيُرْوِيَ بِمَاءِ ٱلْغُفْرَانِ صَوَادِيَ قُلُوبِكُمْ . وَيَجْعَلَ عُيُونَكُمْ بِٱلرُّؤْيَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ قَرِيرَةً . وَقُلُوبَكُمْ بِأَنْوَارِ ٱلْبَهْجَةِ ٱلْعِيدِيَّةِ فَرِحَةً مُسْتَنِيرَةً . وَوُجُوهَكُمْ يَوْمَ فِتْنَتِهِ بَادِيَةَ ٱلسُّفُورِ مُشْرِقَةَ ٱلْوَضَاءِ . وَمَصَابِيحَ أَعْمَالِكُمْ مُسْتَعِرَةً بِٱلْأَنْوَارِ زَاهِرَةَ ٱلْأَضْوَاءِ . وَلَا بَرِحَتْ غَمَائِمُ ٱلْبَرَكَاتِ عَلَيْكُمْ وَاكِفَةً . وَنَسَائِمُ ٱلْخَيْرَاتِ مُتَتَابِعَةَ ٱلْهُبُوبِ مُتَرَادِفَةً . وَأَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لِدَعَوَاتِكُمْ مَفْتُوحَةً . وَخَطَايَاكُمْ وَآثَامُكُمْ بِٱلْعَفْوِ وَٱلْغُفْرَانِ مَصْفُوحَةً . وَإِذَا مَا آبَ مُخَلِّصُكُمْ مِنْ سَمَاءِ عِزَّتِهِ . وَأَشْرَقَ نُورُ لِوَائِهِ ٱلْأَزْهَرُ عَلَى أَشْخَاصِ أُمَّتِهِ . يَجْعَلُكُمْ مَعَ ٱلْأَصْفِيَاءِ فِي زُمْرَتِهِ . وَيُقْعِدُكُمْ عَلَى سُدَدِ ٱلنُّورِ مَعَ أَهْلِ ٱلِاصْطِفَاءِ عَنْ مَيْمَنَتِهِ . آمِينَ

اَلْبَابُ اَلثَّالِثُ
فِي اَلْأَمْثَالِ

نخبة من امثال العرب للميداني

٣٩ آخِرُ ٱلدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ ١ * آفَةُ ٱلْمُرُوءَةِ خُلْفُ ٱلْمَوْعِدِ * آكُلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعُهُ لِآكِلٍ * آكَلُ مِنَ ٱلسُّوسِ * آكَلُ مِنْ ضِرْسٍ * آكَلُ مِنْ نَارٍ * آلَفُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ * آلَفُ مِنَ ٱلْحُمَّى * آلَفُ مِنْ غُرَابِ عُقْدَةَ ٢ * آلَفُ مِنْ كَلْبٍ * آمَنُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٣ * آبَ وَقِدْحُ ٱلْفَوْزَةِ ٱلْمَنِيحُ ٤ * أَبَتِ ٱلدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ أَعْنَاقَهُمْ ٥ * أَبْخَلُ مِنْ ذِي مَعْذِرَةٍ ٦ * أَبْخَلُ مِنْ صَبِيٍّ ٧ * أَبْخَلُ مِنَ ٱلضَّنِينِ بِنَائِلِ غَيْرِهِ * أَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ ٨ * إِبْدَأْهُمْ بِٱلصُّرَاخِ يَفِرُّوا ٩ * أَبْرَدُ مِنْ بَرْدِ ٱلْكَوَانِينِ * أَبْرَدُ مِنْ جِرْبِيَاءَ ١٠ * أَبْرَدُ مِنْ عَضْرَسٍ * أَبْرَدُ مِنْ غِبِّ ٱلْمَطَرِ * أَبْرَدُ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ ٱلنَّحْوَ فِي ٱلْحِسَابِ * أَبْشَعُ مِنْ

---

١ مثل يُضرَب لامر شديد لا صبر عليهِ ٢ عُقدة ارض كثيرة النخل

٣ لانها تؤدّي ما يُودَع ٤ يُضرَب لمن غاب ثم يجيء بعد فراغ القوم مما هم فيهِ فهو يعود بخيبتهِ

٥ لا يستطيع صاحب الغنى ان يكتمهُ ان الغنيَّ طويلُ الذيل ميّاس

٦ يحمدون لقي الضيف بالقرى قبل الحديث ويعيبون تلقيهُ بالحديث والالتجاء الى المعذرة والسُّعال والتنحنح. المعذرة طرف من البخل

٧ يكون في يدهِ ادنى شيء فيشحُّ بهِ

٨ قال الشاعر: ومَن طلب الحوائج من لئيمٍ كمن طلب العظامَ من الكلابِ

٩ يُضرَب للظالم يتظلم ليُسكت عنهُ ١٠ الجربياء اسم للشمالِ والريح بين الجنوب والصبا

مَثَلٌ غَيْرُ سَائِرٍ * أَبْصَرُ مِنْ عُقَابِ مَلَاعٍ ١ * أَبْصَرُ مِنْ فَرَسٍ بِهَيْمَاءَ فِي غَلَسٍ * أَبْطَأُ مِنْ غُرَابِ نُوحٍ * أَبْغَضُ مِنَ الشَّيْبِ إِلَى الْغَوَانِي * أَبْغَى مِنَ الْمَخْبَرَةِ * أَبْغَضُ مِنْ وُجُوهِ التُّجَّارِ يَوْمَ الْكَسَادِ * أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ * أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ فِي حَجَرٍ ٢ * أَبْكَى مِنَ الْيَتِيمِ * إِبِلِي لَمْ أَبِعْ وَلَمْ أَهَبْ ٣ * إِبْنُ آدَمَ حَرِيصٌ عَلَى مَا مُنِعَ عَلَيْهِ * إِبْنُهُ عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ يَطْلُبُهُ * أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ * أَتْبِعِ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ تَمْحُهَا ٤ * أَتَتْ عَلَيْهِ أُمُّ اللُّهَيْمِ ٥ * إِتَّخَذَ الْبَاطِلَ دَخَلًا * أَتْرَبَ فَنَدَحَ ٦ * أَتْرَفُ مِنْ رَبِيبِ نِعْمَةٍ * أُتْرُكِ الشَّرَّ يَتْرُكْكَ * إِتَّكَلْنَا مِنْهُ عَلَى خُصٍّ ٧ * أَتَمُّ مِنْ سَنَامٍ * أَتَى عَلَيْهِمْ ذُو أَتَى ٨ * أَتْيَهُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ٩ * أَثْبَتُ فِي الدَّارِ مِنَ الْجِدَارِ * أَثْبَتُ مِنْ أَصَمِّ رَأْسٍ ١٠ * أَثْبَتُ مِنَ الْوَشْمِ * أَثْقَفُ مِنْ سِنَّوْرٍ ١١ * أَثْقَلُ مِنْ طَوْدٍ * أَثْقَلُ مِنَ الْمُنْتَظَرِ * اَلْإِثْمُ حَوَّازُ الْقُلُوبِ * أَجْدَى مِنَ الْغَيْثِ فِي أَوَانِهِ * أَجْرَأُ مِنْ أُسَامَةَ * أَجْرَدُ مِنْ صَلْعَةٍ ١٢ * إِجْلِسْ حَيْثُ تُؤْخَذُ بِيَدِكَ

---

١ ملاع الصحراء قالوا: ان عقاب الصحراء ابصر واسرع من عقاب الجبال

٢ كانت عرب اليمن تكتب الحكمة في الحجارة طلباً لبقائها . والناس يقولون : التأديب في الصغر كالنقش في الحجر

٣ يُضرَب للظالم يخاصمك فيما لا حقَّ لهُ فيهِ . قال بعضهم :

يا قيس درعي لم أَبع ولم أَهَب ولم اكن يا قيس ممَّن يُغتصَب

٤ يُضرَب في الانابة بعد الاجترام

٥ اهلكتهُ الداهية ويقال المنيَّة

٦ يضرب المثل لمن غنيَ فوسَّع عيشهُ وبذَّر مالهُ مسرفاً

٧ هو جدار القصب (كذا في الاصل)

٨ أي حوادث الدهر

٩ أرادوا بهِ مكث بني اسرائيل في التيه اربعين سنة

١٠ يعنون الجبل

١١ الثقف الآخذ بسرعة . يقال رجل ثقيف لقيف اذا كان جيد الحذر في القتال . ويقال هو سريع الطعن

١٢ الصلعة الصخرة الملساء

وَتِبْرٍ . لا حَيْثُ تُؤْخَذُ بِرِجْلِكَ وَبِحُجْرٍ * أَجْمَعُ مِنْ تَلْوٍ * أَجْوَعُ مِنْ ذِئْبٍ ١ * أَجْهَلُ مِنْ فَرَاشٍ ٢ * تَجْرِي بُلَيْقُ وَيُذَمُّ ٣ * جَدْحٌ جُوَيْنٌ مِنْ سَوِيقِ غَيْرِهِ ٤ * أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا ٥ * مَالَ سَرْجُهُ ٦ * فُلَانٌ لَا تَنْدَى صَفَاتُهُ ٧ * إِحْدَى حِمَارَيْكِ فَازْجُرِي ٨ * أَحْرَصُ مِنَ ٱلذَّرَّةِ * أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي رَوْضَةٍ * أَحْسَنُ مِنَ ٱلدُّهْمِ ٱلْمُوَقَّفَةِ ٩ * أَحْسَنُ مِنْ زَمَنِ ٱلْبَرَامِكَةِ * أَحْسَنُ مِنْ شَنْفِ ٱلْأَنْضَرِ ١٠ * إِحْفَظْ مَا فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ ١١ * أَحْكَمُ مِنْ لُقْمَانَ * أَحْكَى مِنْ قِرْدٍ * أَحْلَى مِنْ لَبَنِ ٱلْأُمِّ * أُحْلُبْ حَلَبًا لَكَ شَطْرُهُ ١٢ * أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ * أَحْلَى مِنْ نَيْلِ ٱلْمُنَى * أَحْمَضُ مِنْ صَفْعِ ٱلذُّلِّ فِي بَلَدِ ٱلْغُرْبَةِ * أَحْمَقُ بَلْغٌ ١٣ * أَحْمَقُ مِنَ ٱلْمُمْتَخِطِ بِكُوعِهِ * أَحْمَلُ مِنَ ٱلْأَرْضِ * أَحْيَرُ مِنْ

---

١ ومنهُ داء الذئب وتقول العرب: رماهُ الله في داء الذئب ٢ دوابٌّ مثل البعوض تطير وتتهافت على السراج ٣ بُليق فرسٌ سبَّاق كان يسبق الخيل وكان مع ذلك يعاب. يُضرَب للمحسن الذي يذمّ مع احسانهِ ٤ يُضرَب للبخيل يجود من اموال الناس ٥ يُضرَب للجبان يوعد ولا يوقع وللبخيل يعِد ولا ينجز

٦ يُضرَب في اضطراب الامر وفشل الراي . ومنهُ قول الربيع بن زياد العبسي:

فكنّا فوارس يوم الهرير اذا مال سرجك فاستقدما

٧ الصفاة الحجر الصلب الضخم. يُضرَب في شدَّة الحرص والإمساك

٨ يُقال لمن يتكلَّف ما لا يعنيهِ ٩ هي التي في قوائمها بياض ١٠ النضر الخالص من الذهب. قال الشاعر:

وبياض الوجه لم تحلْ اسرارهُ مثل الوذيلة او كشنف الانضرِ

١١ يُضرَب في الحثّ على اخذ الامر بالحزم ١٢ يُضرَب للرجل يعين صاحبهُ على امر لهُ فيهِ نصيب ١٣ يقال: احمق بلغ وهذا يحتمل وجهين احدهما انهُ احمق ويبلغ ما يريد والآخر ان حماقتهُ قد بلغت

لَيْلٍ ١ * أَحْيَى مِنْ فَتَاةٍ * أَخْبَرْتُهُ بِعُجَرِي وَبُجَرِي * أَخْبَرْتُهُ خُبُورِي وَشُقُورِي وَفُقُورِي * أَخْبَطُ مِنْ عَشْوَاءَ * أَخْبَطُ مِنْ حَاطِبِ لَيْلٍ ٢ * إِخْتَلَطَ ٱلْخَاثِرُ بِٱلزُّبَادِ ٣ * أَخَذَ فِي تُرَّهَاتِ ٱلْبَسَابِسِ ٤ * أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخَارِيَّهَا ٥ * أَخَذْنَا فِي ٱلْبَرْقَلَةِ * أَخَذَنِي بِأَطِيرِ غَيْرِي * أَخَذَهُ عَلَى غَلِّ غَيْظِهِ ٦ * أَخْرِجِ ٱلطَّمَعَ مِنْ قَلْبِكَ تُحَلَّ ٱلْقَيْدَ مِنْ رِجْلِكَ * إِنَّ فِي ٱلشَّرِّ خِيَارًا ٧ * إِنَّ ٱلْخَصَاصَ يُرَى مِنْ جَوْفِهَا ٱلرَّقَمُ ٨ * إِنَّ فِي ٱلْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ ٱلْكَذِبِ ٩ * عَادَتْ إِلَى عِتْرِهَا لَمِيسُ ١٠ * هٰذَا بَرْضٌ مِنْ عِدٍّ ١١ * يُبْلَغُ ٱلْخَضْمُ بِٱلْقَضْمِ ١٢ * لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ ١٣ * عَادَ ٱلسَّهْمُ إِلَى ٱلنَّزَعَةِ ١٤ * هُوَ كَٱلْكَاتِبِ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلْمَاءِ ١٥ * أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ ١٦ * إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ

---

١ من الحيرة والليل ولد الحيارى. قال الزمخشري: بل جُعِلت الحيرة لليل وهي في المعنى لاهله
٢ لان الذي يحتطب ليلاً يجمع كل شيء مما يحتاج اليهِ وما لا يحتاج. فلا يدري ما يجمع
٣ للقوم يقعون في التخليط من امرهم ٤ لمن جاء بكلام كذب محال وسلك في الطريق الذي لا ينتفع بهِ ٥ لمن صلح حالهُ بعد فسادهِ ٦ اي رغمًا عنهُ وعلى أثر غيظهِ كمنهُ في قلبهِ ٧ بعض الشر اهون من بعض خير . ويجوز ان يكون الخيار الاسم من الاختيار اي في الشر ما يختار على غيرهِ ٨ اي الشيء العظيم يرى في الشيء الحقير ٩ لمن يحسب انهُ يضطر الى الكذب
١٠ اي رجعت الى اصلها . يُضرَب لمن رجع الى خُلقٍ كان قد تركهُ
١١ يُضرَب لمن يعطي قليلاً من كثير ١٢ اي الغاية البعيدة تُدرَك بالرفق وقيل: المراد بالخضم اكل الشيء الرطب والقضم اكل الشيء اليابس. اي الراحة والسهولة تحصل باحتمال العناء والمشقة ١٣ اي لكل كلمة سقطت من فم الناطق نفس تسمعها فتلقطها فتذيعها. يُضرَب في حفظ اللسان ١٤ اي رجع الحق الى اهلهِ
١٥ يُضرَب لمن لا يؤثر عملهُ شيئًا ١٦ يُضرَب في الشهرة

إِعْصَارًا * بِعِلَّةِ ٱلْوَرَشَانِ يَأْكُلُ رُطَبَ ٱلْمُشَانِ ١ * لَا يَعْرِفُ ٱلْهِرَّ مِنَ ٱلْبِرِّ ٢ * عِنْدَ ٱلرِّهَانِ تُعْرَفُ ٱلسَّوَابِقُ ٣ * لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ ٤ * أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ٥ * فُلَانٌ يَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ تُؤْكَلُ ٱلْكَتِفُ ٦ * أَلْقَى حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ * يَضِنُّ بِٱلضَّنِينِ ٧ * مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ ٨ * هُوَ إِمَّعَةٌ وَهُوَ إِمَّرَةٌ ٩ * هُمَا زَنْدَانِ فِي وِعَاءٍ ١٠ * إِذَا أُرْجِحْنَ شَاصِيًا فَٱرْفَعْ يَدًا ١١ * هَوِّنْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقٍ ١٢ * لَا تَكُنْ حُلْوًا فَتُسْتَرَطَ وَلَا مُرًّا فَتُعَافَ ١٣ * يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْأَرْوَى وَٱلنَّعَامِ ١٤ * لَيْسَ قَطًا مِثْلَ قُطَيٍّ ١٥ * جَاءَ بَعْدَ ٱلْهِيَاطِ وَٱلْمِيَاطِ ١٦ * كَٱلْمُسْتَغِيثِ مِنَ ٱلرَّمْضَاءِ بِٱلنَّارِ ١٧ * لَا آتِيكَ أَوْ يَؤُوبَ ٱلْقَارِظُ ٱلْعَنَزِيُّ ١٨ * أَخَذَهُ بِرُمَّتِهِ ١٩

---

١ اي ان الصيَّاد بحجة سعيهِ في اثر الصيد يدخل بين النخل فياكل التمر بجذة العلة . يُضرَب لمن يظهر شيئًا والمراد منهُ شيء آخر ٢ قيل الهر القط والبر الفارة وقيل المراد الشر من الخير. وقيل الحق من الباطل . يُضرَب في الجهالة

٣ يُضرَب لبيان الامر عند الاختبار ٤ الهرف الاطناب في المدح

٥ وهو لانجاز الوعد ٦ للاريب الداهي ٧ للصلة والقطيعة

٨ هو للمطرق حتى يصيب الفرصة ٩ للرجل الذي لا عزم لهُ يتابع كل احد على رايهِ ١٠ للمتساويين في الخير والشر ١١ يقول اذا رأيتهُ قد خضع واستكان فاكفف عنهُ ١٢ للصبر على المصائب ١٣ يُضرَب لتوسط الامور

١٤ يُضرَب لسوء المرافقة . لان مسكن الاروى الجبال ومسكن النعام الرمل

١٥ يُضرَب للغلط في القياس ١٦ اي لحاجة مقضية ١٧ للظالم الذي لا يشفق

١٨ يُضرَب لكل غائب لا يُرجَى ايابهُ . والقارظ رجلٌ من عنزة خرج يجني القَرَظ فلم يرجع ولا عُرِف لهُ خبرٌ ١٩ الرمَّة قطعة من الحبل . اصل المثل ان رجلًا دفع الى رجل بعيرًا بحبل في عنقهِ . فقيل لكل من دفع شيئًا بجملتهِ : دفع اليهِ برمَّتهِ واخذهُ منهُ برمَّتهِ

نخبة من امثال الميداني وابن نباتة مع شرحها لهما

٤٠ يومُ عُبيدٍ

يُضرَب لليوم المنحوس الطالع . وكان عُبَيد بن الابرص تصدَّى فيهِ للنعمان في يوم بؤسهِ . وكان لهُ يوم بؤس من لقيهُ فيهِ اهلكهُ ويوم نعيم من لقيهُ فيهِ اكرمهُ . فقال : يا عُبَيد انك مقتول فانشدني (اقفر من اهله ملحوب) . فانشد :

اقفر من اهلهِ عُبَيدُ   فظلَّ لا يُبدي ولا يُعيدُ

ثم قتلهُ وصار يومهُ يُضرَب بهِ المثل . قال ابو تمَّام :

لمَّا اظلَّتني سماؤُك اقبلت   تلك الشهود عليَّ وهي شهودي

من بعد ما ظنَّ الأعادي أنهُ   سيكون لي يومٌ كيوم عُبَيدِ

٤١ صَمْصَامَةُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ٱلزَّبِيدِيِّ

من اشهر سيوف العرب وبهِ يُضرَب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والخبر والمضاء . وكان عمرو فارس زبيد حسن الاستعمال لهُ في الجاهليَّة . وفيهِ يقول :

سناني ازرقٌ لا عيب فيهِ   وصمصامي يصمّم في العظامِ

وقال عبد الله بن العبَّاس لبعض اليمانيين : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صمصامها . يعني سهيلاً والركن اليماني وصمصامة عمرو بن معدي كرب

٤٢ حَدِيثُ خُرَافَةَ

خرافة رجل من بني عذرة استهوتهُ الجنّ . فلمَّا رجع الى قومهِ جعل يحدثهم بالأعاجيب من احاديث الجنّ . وكانت العرب اذا سمعت حديثًا لا اصل لهُ قالت : حديث خرافة

٤٣ نَخْوَةُ ٱلْعَرَبِ

لم تزل تتميز العرب عن سائر الامم بالنخوة لما فيها من الشجاعة والكرم والفصاحة حتى ان النعمان بن المنذر امتنع عن مصاهرة ابرويز كسرى ملك الفرس

٤٤ عُرْوَةُ ٱلصَّعَالِيكِ

هو عروة بن الورد العبسيّ . وانما سُمّي عروة الصعاليك لانهُ كان اذا شكا احد اليهِ الفقر اعطاهُ فرسًا ورمحًا . ويقول لهُ : ان لم تستغنِ بهما فلا اغناك الله

٤٥ جَوْفُ حِمَارٍ

من امثال العرب هو اكفر من حمار واخلى من جوف حمار . وهو ابن بُويلع من عادٍ

وجوفٌ وادٍ لهُ طويل عريض لم يكن ببلاد العرب اخصب منهُ . وفيهِ من كل الثمرات فخرج بنوه يتصيَّدون فاصابتهم صاعقة فهلكوا. فقال: لا اعبد من اهلك اولادي. فكفر ودعا قومهُ الى الكفر. فمن خالفهُ قتلهُ فاخرب الله تعالى واديهُ فضُرِب بهِ المثل في الخراب . فقال امرؤُ القيس:

ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعتهُ　　بهِ الذئبُ يعوي كالخليع المعيَّلِ

٤٦ حُصنُ تَيْماءَ

بلدة بين الحجاز والشام ولها حصن يتمثَّل بهِ في الحصانة ويقال ان سليمان بناهُ بالحجارة والكلس . فمنعتهُ العرب ثم ملكهُ عادياء اليهودي ثم ابنهُ السموءل . وفيهِ يقول الاعشى :

اری عاديا لم يمنع الموت مالهُ　　وفرد لتيماء اليهودي ابلقُ
بناهُ سليمان بن داود حقبةً　　لهُ ازَجٌ صُمٌّ وطيٌّ موثقُ
يوازي كبيدات السماء ودونهُ　　ملاط ودارات وكلسٌ وخندقُ

٤٧ كَعبةُ نَجْرَانَ

اقدم بلاد اليمن وكان لها كعبة تحج فخربت وبطلت وضُرِب بها المثل في الخراب وزوال الدولة . قال ابو عُبَيدة : احبَّت العرب ان تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر . فبنوا غمدان وهو قصر شاهق مشهور. وكعبة نجران وحصن تيماء الابلق الفرد وغير ذلك من البنيان. وغمدان احد الابنية الوثيقة للعرب يتمثَّل بهِ في الحصانة والوثاقة سكنهُ ملوك حمير . ثم تنقَّلت بهِ احوال ادَّت الى خرابهِ

٤٨ إنَّ ٱلْمُوَصِّينَ بَنُو سَهْوَانَ

قيل هذا معناهُ : انما يحتاج الى الوصيَّة من يسهو ويغفل. فامَّا انت فغير محتاج اليها لانك لا تسهو. وقال بعضهم: يريد بقولهِ بنو سهوان جميع الناس لان كلهم يسهو . والاصوب في معناهُ ان يقال ان الذين يوصون بالشيء يستولي عليهم السهو حتى كأنهُ موكل بهم . ويُضرَب لمن يسهو عن طلب شيء أُمِر بهِ . والسهوان السهو ويجوز ان يكون صفة اي بنو رجل سهوان وهو آدم حين عهد اليهِ فسها ونسي . يقال رجل سهوان وساهٍ اي ان الذين يوصون لا بدَّ ان يسهوا لانهم بنو آدم ايضاً

٤٩ أَكْرَمُ مِنْ حَاتِمِ طَيٍّ

جواد العرب المضروب بهِ المثل في الجود وفيهِ يقول الشاعر :

لما سألتك شيئاً　　بذلت رُشْداً بغيِّ
عمَّن تعلَّمت هذا　　ان لا تجود بشيِّ

أما مررتَ بعبدٍ   لعبـد حاتم طيّ

وكان يُضرَب بجود طي المثل . حيث منهم حاتم واوس بن حارثة . وهما في الجود والكرم على جانب عظيم . ورُوي ان اوساً وحاتماً وفدا على عمرو بن هنـد . فدعا اوساً فقال لهُ : انت افضل ام حاتم . فقال : ابيت اللعن لو وُهِبتني حاتم وولدي لَوَهَبَني في ساعةٍ واحدةٍ ثم دعا حاتماً . فقال لهُ : انت افضل ام اوس . فقال : ابيت اللعن انما ذُكِرت باوس ولَاحد ولدهِ افضل مني . فقال عمرو : ما ادري ايّكما افضل وما منكما الّا سيّد كريم . ومن محـاسن اوس ان النعمان ابن المنذر دعا بحلّة نفيسة وعندهُ العرب وفيهم كل سيّد كريم وفيهم اوس . فقال : احضروا غداً فاني ملبس هذه الحلّة اكرمكم . فحضر القوم الّا اوساً . فقيل لهُ : لِمَ تتخلّف . فقال : ان كان المراد غيري فاجلّ الاشياء بي ان لا اكون حاضرًا وان كنت المراد فسأُطلَب . فلماَّ جلس النعمان ولم يرَ اوساً فقال : اذهبوا الى اوس فقولوا لهُ احضر آمناً مما خفت . فحضر وأُلبس الحلّة . فحسده قوم من اهله وقالوا لبشر بن ابي حازم اهجُهُ . فهجـاه بشر فاغار اوس على ابلهِ واكتسحها وطلبهُ فجعل بشر لا يستجير حيّاً من احياء العرب الّا قالوا لهُ : قد اجرناك من الانس والجن الّا من اوس . وكان في هجائهِ اياهُ ذكر أُمهُ . فما لبث يسيرًا حتى اتى بهِ اسيرًا . فدخل اوس الى امهِ واستشارها في امرهِ . فقالت : ارى ان تردّ عليهِ مالهُ وتعفو عنهُ وافعل انا مثل ذلك فانهُ ليس تقيلُ هجاؤهُ فاخبره اوس بما قالت أمهُ . فقال : لا جرم والله لا مدحت غيرك حتى اموت

٥٠   أَلْمُعِيدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

هذا مثل يُضرَب لمن يكون خبرهُ خيرًا من منظرهِ . وأوّل من قالهُ النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل . معناهُ انهُ كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليهِ الى ان أمّنهُ النعمان وكان يعجبهُ ما يسمع عنهُ من الشجاعة والاقدام . فلماَّ رآهُ استزرى منظرهُ لانهُ كان ذميم الخلقة فقال : تسمع بالمعيدي خير من ان تراهُ . فقال : ابيت اللعن ان الرجال ليست بجُزُر وانما يعيش المرء باصغريهِ قلبهِ ولسانهِ . فاعجب النعمان كلامهُ وجعلهُ من خواصهِ الى ان مات . ومعدّ اسم قبيلة

٥١   أَبْدَى ٱلصَّرِيحُ عَنِ ٱلرُّغْوَةِ

ابدى الصريح أي وضح الأمر عن الرغوة وبان . قال بعضهم :

ألم تسلِ الفوارسَ يوم غولٍ   بنضلة وهو موتور مُشيحُ
رأوهُ فازدروهُ وهو حرٌ   وينفع اهلهُ الرجل القبيحُ
ولم يخشوا مَصَالتهُ عليهم   وتحت الرُّغوة اللبنُ الصريحُ

يقول : رأوني فازدروني لدمامتي فلماَّ كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا ظاهرًا

٥٢ إِنَّ ٱلشَّقِيَّ وَافِدُ ٱلْبَرَاجِمِ

هو عمار بن صخر التميمي . والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم . وذلك ان الملك عمرو بن هند احرق تسعة وتسعين رجلًا من بني تميم لثارٍ لهُ عندهم وكان قد آلى ان يحرق منهم مائة . فبينا هو يلتمس بقيَّة المائة اذ مرَّ رجل من البراجم يُسمى عمارًا قادم من سفرٍ فاشتمَّ رائحة القتار فظن ان الملك اتخذ طعامًا فعدل اليهِ . فقيل لهُ ممَّن انت . قال : من البراجم فالقي في النـار . وقيل في المثل ان الشقيَّ وافد البراجم . ومن هنالك عُيّرت بنو تميم بحبّ الطعام

٥٣ شَقَائِقُ ٱلنُّعْمَانِ

قال ابو محمد : شقائق النعمان منسوبة الى النعمان بن المنذر . وكان خرج الى الظهر وقد اعتمَّ نبتهُ من بين أخضرَ وأصفرَ وأحمرَ واذا فيهِ من هذه الشقائق شيء . فقال : ما احسنهـا احموها . فحموْها فسُمّيت شقائق النعمان

٥٤ أَفْصَحُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ

هو وائل بن معن بن اعصر وكان خطيبًا يُضرَب بهِ المَثل في الفصاحة . قال الشاعر في ضيف نزل بهِ :

اتانا ولم يعدلهُ سحبان وائلٍ ... بيانًا وعلمًا بالذي هو قائلُ
فما زال عنهُ اللقم حتى كأنهُ ... من العي لمَّا ان تكلَّم باقلُ

٥٥ أَبَرُّ مِنَ ٱلْعَمَلَّسِ

كان برًّا بامّهِ وكان يحملها على عاتقهِ حمل اليها غبوقًا من لبن في عُسٍّ . فصادفها نائمة فكره انباهها والانصراف عنها . فاقام مكانهُ قائمًا يتوقع انتباهها حتى اصبح

٥٦ أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرٍ

قالوا : ان دوسر احدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب . وكانت لهُ خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر . امَّا الرهائن فانهم كانوا خمس مائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجي بدلهم خمسمائة أُخرى وينصرف اولئك الى احيائهم . فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره . واما الصنائع فبنو قيس وكانوا خواصّ الملك لا يبرحون بابهُ . امَّا الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضمهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب . وكانوا ايضًا يقيمون سنة ثم ياتي بدلهم الف رجل وينصرف اولئك . واما الاشاهب فاخوة مـلك العرب وبنو عمّـه ومن يتبعهم من اعوانهم سُمّوا

الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه . فاماً دوس فانها كانت اخشن كنائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة . سُمّيت دوس اشتقاقاً من الدس وهو الطعن بالثقال لثقل وطأتها . قال الشاعر :

ضربت دوسٌ فيهم ضربةً   اثبتت اوتادَ ملك فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع يأتيهِ وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد صيَّر لهم أكلاً عندهُ وهم ذوو الآكال . فيقيمون عندهُ اشهراً ويأخذون أكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم

٥٧ أَبْأَى مِمَّنْ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ

هذا خاقان ملكٌ من ملوك الترك خرج من ناحية باب الأبواب . وظهر على ارمينية وقتل الجرَّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها . وغلظت نكايتهُ في تلك البلاد . فبعث هشام الى سعيد بن عمرو الحرَشي وكان مسلمة صاحب الجيش فاوقع سعيد بخاقان ففض جمعهُ واحتز رأسهُ وبعث بهِ الى هشام . فعظم اثرهُ في قلوب المسلمين وفخم امرهُ ففخر بذلك حتى ضُرِب بهِ المثل

٥٨ أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

هي عنزة اليمامة . واليمامة اسمها وبها سُمّي البلد وهي امرأة من جديس . وذكر الجاحظ انها كانت تبصر الشيءَ من مسيرة ثلاثة ايام . فلما قتلت جديس طسماً خرج رجل من طسم الى حسَّان بن تبَّع فاستجاشهُ ورغَّبهُ في الغنائم فجهَّز اليهم جيشاً . فلماَّ صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش . وقد امروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم اتتكم الاشجار او اتتكم حِمْيَر فلم يصدقوها . فقالت على مثال رجز :

أُقسم بالله لقد دبَّ الشجر   او حِميَرٌ قد اخذت شيئاً تجُر

فلم يصدقوها . فقالت : بالله لقد أرى رجلاً ينهش كتفاً او يخصف النعل فلم يصدقوها . ولم يستعدوا حتى صبحهم حسَّان فاجتاحهم . وكانت أوَّل من اكتحل بالاثمد من العرب

٥٩ أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ

قسّ بن ساعدة بن خذافة بن زهير بن إياد بن نزار الايادي اسقف نجران . وكان من حكماء العرب واعقل من سمع بهِ منهم . وهو أوَّل من كتب من فلان الى فلان . وأوَّل من اقرَّ بالبعث من علم . وأوَّل من قال : اماَّ بعدُ وأوَّل من قال : البيّنة على من ادَّعى واليمين على من انكر . وقد عُمّر مائة سنة ونيفاً

٦٠ أَلْحَدِيثُ شُجُونٌ

وهذا المثل لضبَّة بن آد . وكان لهُ ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعيد ولم يرجع سعد . فكان ضبَّة لما رأى رجلاً مقبلاً قال : أسعد أم سعيد فذهبت مثلاً . ثم ان ضبَّة بيناهُ يسير يوماً ومعهُ الحرث بن كعب في الشهر الحرام فأتى على مكان فقال لهُ الحرث : أترى هذا الموضع فاني لقيت فتى هيئتهُ كذا وكذا فقتلتهُ واخذت منهُ هذا السيف . فاذا بصفة سعد . فقال لهُ ضبَّة : أرني السيف انظر اليهِ فناولهُ فعرفهُ فقال لهُ : ان الحديث شجون. ثم ضربهُ بهِ حتى قتلهُ . فلامهُ الناس في ذلك وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام . قال . سبق السيف العذل . فذهبت مثلاً

٦١ أَتَانَا صَكَّةَ عُمَيٍّ

عُمَيٍّ رجل من عدوان وكان يفتي في الحج فاقبل معتمرًا ومعهُ ركب حتى نزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحرّ . فقال عُمَيٍّ : من جاءت عليهِ هذه الساعة من غد وهو حرام لم يقض عمرتهُ فهو حرام الى قابل . فوثب الناس في الظهيرة يضربون (اي يسيرون) حتى وافوا البيت وبينهم وبينهُ من ذلك الموضع ليلتان . فضرب مثلاً فقيل : اتانا صكَّة عُمَيٍّ اذا جاء في الهجيرة الحارَّة وقيل : كان عُمَيٍّ رجلاً مغوارًا فغزا قوماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكَّة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء في ذلك الوقت

٦٢ كَأَنَّهُ سِنَّوْرُ عَبْدِ ٱللهِ

يُضرَب لمن لا يزيد سنًّا الَّا ازداد نقصانًا وجهلاً . وفيهِ يقول بشَّار بن برد الأعمى :

أبا مخلفٍ ما زلت سبَّاحَ غمرة صغيرًا فلما شبتَ خيمتَ بالشاطي
كسنَّور عبد الله بيعَ بدرهمٍ صغيرًا فلما شبَّ بيع بقيراطِ

٦٣ فِي مَلآنُ مِنَ ٱلْمَاءِ

يُضرَب لمن يريد ان يتكلَّم ولكن لهُ ما يحجزهُ عن الكلام . وقد بعض الشعراء وقد عوتب على قلَّة كلامهِ :

قالت الضفدع قولاً فسَّرتهُ الحكماء
في فمي ماء وهل ينـ ـطق من في فيهِ ماء

٦٤ أَحْلَمُ مِنَ ٱلْأَحْنَفِ

هو ابو بحر الضحَّاك بن قيس التميمي الأحنف من التابعين ومن كلامهِ : ربَّ غيظ تجرَّعتهُ مخافة ما هو اشدُّ منهُ . ومن قولهِ : كثرة المزاح تذهب بالهيبة . السؤددُ كرم الاخلاق وحسن الفعل . الداء اللسان البذي والخلق الردي . وكان الاحنف شهد مع عليّ بن ابي طالب وقعة

صِفِّين . ولما استقرَّ الأمر لمعاوية دخل عليهِ يوماً . فقال لهُ معاوية : والله يا أحنف ما اذكر يوم صِفِّين الَّا كانت حزازة في قلبي الى يوم القيامة . فقال لهُ الأحنف : والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا . وان السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها . وان تدنُ من الحرب فترًا ندنُ منك شبرًا . وان تمشِ اليها نهرول اليك . ثم قام وخرج . وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامهُ فقالت : يا امير المؤمنين مَن هذا الذي يتهدَّد ويتوعَّد . فقال : هذا الذي اذا غضب غضب لغضبهِ مائة الف من بني تميم ولا يدرون لما غضب

واخبر النويريّ عنهُ قال : كان معاوية قد كتب الى عمَّالهِ ان يوفدوا اليهِ الوفود من الأمصار . فكان فيمَن اتاهُ محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس في وفد اهل البصرة . ثم ان معاوية قال للضحَّاك بن قيس الفهري : لمَّا تجمع الوفود اني متكلّم فاذا اسكتُ فكن انت الذي تدعو الى بيعة يزيد وتحثّني عليها . فلما جلس معاوية للناس تكلَّم فعظَّم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها فحمد الله وأثنى عليهِ . ثم قال الضحَّاك : يا أمير المؤمنين انهُ لا بدَّ للناس من والٍ بعدك وقد يكون الجماعة والالفة فوجدناها احقن للدماء واصلح للدهماء . وآمن للسبيل وخيرًا في العاقبة . والايام عوج والله كل يوم في شأن ويزيد بن امير المؤمنين في حسن هديهِ وقصد سيرتهِ على علمهِ . وهو من أفضلنا علماً وحلماً وأبعدنا رايًا . فحوّلهُ عهدك واجعلهُ لنا علماً بعدك ومفزعًا نلجأ اليهِ ونسكن الى ظلّهِ . وتكلَّم عمرو بن سعيد الاشدق بنحوٍ من ذلك . ثم قام يزيد بن المقنَّع العذريّ فقال : هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومن أبى فهذا (واشار الى سيفهِ) . فقال معاوية : اجلس فانت سيّد الخطباء . فاذعن مَن حضر من الوفود . فقال معاوية للأحنف : ما تقول يا ابا بحر . فقال : نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا . وانت يا أمير المؤمنين اعلَم بيزيد في ليلهِ ونهارهِ وسرّهِ وعلانيتهِ ومدخلهِ ومخرجهِ . فان كنت تعلمهُ لله تعالى ولهذه الامَّة رضى فلا تشاور فيهِ . وان كنت تعلم منهُ غير ذلك فانت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول : سمعنا واطعنا

٦٥ أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ

هُن خزاعة اخذ فيها موت شديد وزعاف عمَّهم بمكَّة . فخرجوا منها ونزلوا الظهران . وكان فيهم رجل يقال لهُ حليل بن حبشيَّة وكان صاحب البيت . وكان لهُ بنون وبنت يقال لها حُبي وهي امرأة قصيّ بن كلاب . فمات حليل وكان اوصى ابنتهُ حُبي بالحجابة واشرك معها ابا غبشان الملكاني . فلما رأى قصيّ بن كلاب ان حليلاً قد مات وبنوه غُيَّب والمفتاح في يد امرأتهِ طلب اليها ان تدفع المفتاح الى ابنها عبد الدار بن قصيّ وحمل بنيهِ على ذلك فقال : اطلبوا الى امكم حجابة جدّكم . ولم يزل بها حتى سلمت لهُ بذلك . وقالت : كيف اصنع بأبي غبشان وهو وصي معي . فقال قصيّ : أنا اكفيكِ أمرهُ . فاتفق أن اجتمع ابو غبشان مع قصيّ في شربٍ بالطائف

فخدعهُ قصيّ عن مفاتيح الكعبة بان اسكرهُ ثم اشترى منهُ المفاتيح بزقّ خمر واشهد عليهِ ودفع المفتاح الى ابنهِ عبد الدار بن قصيّ وطيّرهُ الى مكّة . فلما اشرف عبد الدار على دُور مكّة رفع عقيرتهُ وقال : معاشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم اسماعيل قد ردّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم . فافاق ابو غبشان من سكرهِ أندمَ من الكُسَعيّ . فقال الناس : احمق من ابي غبشان . واندم من ابي غبشان . واخسر صفقةً من ابي غبشان . فذهبت امثالاً . واكثر الشعراء فيهِ القول

٦٦ صَفْقَةٌ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ

هو حاطب بن ابي بلتعة وكان حازماً خبيراً . اذا باع بعض قومهِ او اشترى جعل ذلك على يدهِ لئلا يُغبن فيهِ . فباع بعض اهلهِ بيعةً ليست عن يدهِ فغُبن فيها فقيل : هي صفقة لم يشهدها حاطب . يُضرَب لمن يقضي امراً ليس عن يد اربابهِ

٦٧ أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ

قيل : انهُ جعل في عنقهِ قلادة من ودعة وعظام وخزف وهو ذو لحية طويلة . فسُئل عن ذلك . فقال : لاعرف بها نفسي ولئلا اضلّ . فبات ذات ليلة واخذ اخوهُ قلادتهُ فتقلّدها فلما اصبح ورأى القلادة في عنق اخيهِ فقال : يا اخي انت انا فمن انا . وقيل انهُ ضلّ لهُ بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو لهُ . فقيل لهُ : فلِمَ تنشدهُ . قال : فاين حلاوة الوجدان

٦٨ أَحْوَلُ مِنْ أَبِي قَلَمُونَ وَأَبِي بَرَاقِشَ

أبو براقش وابو قلمون كنية الرجل الكثير التلوّن القليل الارتباط . واصل ابي قلمون كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر وبلاد الروم تتلوّن بالعيون الواناً . قال بديع الزمان في بعض مقاماتهِ :	انا ابو قلمونِ	في كل لونٍ اكونُ

٦٩ قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ

يُضرَب لمن كان لصاحبهِ على مودّة ورعاية ثم حال عن العهد . وقد يُضرب للمحاربة بعد المسالمة . لان ممسك المجنّ اذا جعل ظهرهُ خارجاً لم يكن الّا ليتقي بهِ ولا يفعل ذلك الّا المحارب

٧٠ هُوَ أَبْطَأُ مِنْ فِنْدٍ

اسم ابي زيد صاحب عائشة بنت سعد بن ابي وقّاص . كان من المغنّين المحسنين ارسلتهُ عائشة ذات يوم ليأتيها بشعلة نار من بيوت الجيران . فوجد قوماً ذاهبين الى مصر فتبعهم من فورهِ واقام هناك سنة ثم قدم . ولمّا دخل الحي اخذ ناراً وجاء يعدو الى بيت عائشة . فعثر بحجرٍ هناك وتبدّدت النار التي كان قد اتى بها فقال : تعسَت العجلة . وفيهِ يقول الشاعر :

ما رأينا لغرابٍ مثلاً	اذ بعثناهُ يجيءُ بالمِشمله

فعِي فندٍ ارسلتُـهُ قابسًا فثوى حولًا وسبَّ العجلَه

المشملة كساء يتدثر به . وغراب اسم رجل ارسلوهُ ليأتيهم بها قابطاً . فقال بعضهم البيتين مشبهًا اياهُ بفند المذكور آنفًا

٧١ أَحَشَفًا وَسُوءَ كِيلَةٍ

حكى الاصمعي ان ابا جعفر المنصور لقي اعرابيًا بالشام وقال لهُ : احمد الله يا اعرابيُّ الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا اهل البيت . فقال لهُ الاعرابي : ان الله أعدل من ان يجمع علينا حشفًا وسوء كيلة . فلا يجمع بين ولايتكم والطاعون . يُضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

٧٢ كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

اصلهُ ان ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد احدهم ارنبًا والآخر ظبيًا والآخر حمار وحش . فاستبشر الاولان وتطاولا . فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا . يُضرَب للرجل يكون لهُ حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتقضى لهُ فيقول ذلك . او يُقال لهُ ذلك على معنى انهُ لم يبالِ بفوات البواقي

٧٣ أَهْدَى مِنَ ٱلْقَطَا

قيل : ان القطا تترك فراخها في الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر في طلب الماء من مسير ليلة فتردهُ ضحوةَ يومها فتحمل الماء الى فراخها فتنهلها . ثم ترجع بعد الزوال الى تلك المسافة فتشرب وتأتي فراخها في عشيَّة يومها فتسقيها عللًا بعد نهلٍ ولا تخطئُ مواضع فراخها

٧٤ لَا تُطْعِمِ ٱلْعَبْدَ ٱلْكُرَاعَ فَيَطْمَعَ فِي ٱلذِّرَاعِ

قيل لعمرو بن عديّ ابن اخت جذيمة الابرش . وكان قد هام على وجهه في البراري حتى توحَّش . واتفق ان رجلين من اليمن كانا يطلبانهِ جلسا في بعض الطريق يأكلان ومعهما امرأة تسقيهما الخمر فاقبل عليهما عمرٌو وجلس معهما على الطعام وهما لا يعرفانهِ . ثم سأل المرأة ان تسقيهُ فقالت المثل . يُضرَب لمن يرخّص لهُ في القليل فيطمع في الكثير

٧٥ قُبَّةُ نَجْرَانَ

هي قبَّة عظيمة يُضرَب بها المثل قيل انها كانت تظلّل الف رجل . وكان اذا نزلَ بها مستجير أُجير او خائف أُمن او جائع أُشبع او مسترفد أُعطي او طالب حاجة قُضيت . وكانت هذه القبَّة لعبد المسيح بن دارس بن عدي . ونجران بلد في اليمن كانت هذه القبَّـة بجانب نهر فيها وكانت العرب تسمّيها كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . وعلى ذلك قول الاعشى يخاطب ناقتهُ :

وكعبة نجران حتم عليك ... حتى تناخي بأبوابها

تزور يزيدًا وعبد المسيح ... وقيسًا وهم خير اربابها

٧٦ أَنْتَ تَئِقٌ وَأَنَا مَئِقٌ فَكَيْفَ نَتَّفِقُ

يُضرَب للمتنافيَين في الخلق . فان التئق هو الممتلئ غيظًا والمئق هو الباكي . فكان التئق يترع الى الشرّ لغيظهِ . والمئق يضيق ذرعًا باحتمالهِ . والتئق السريع الى الشر والمئق السريع الى البكاء

٧٧ حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ

اصلهُ ان رجلًا كان لهُ ابنٌ نبغ في الشعر فنهاهُ عنهُ . فجاش بهِ صدرهُ ومرض حتى أشرف على الموت . فأذن لهُ ابوهُ حينئذٍ في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض أي ان غصّة الموت حالت بينهُ وبين قول الشعر . يُضرَب لامرٍ يعوق دونهُ عائق

٧٨ لَيْسَ ٱلْقَوَادِمُ كَٱلْخَوَافِي

يُضرَب في تفضيل بعض الناس على بعضهم لما بينهم من التفاوت . والقوادم مقادم ريش الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القُدامى . والخوافي ما دون القوادم من الريش

٧٩ أَتْبِعِ ٱلْفَرَسَ لِجَامَهُ وَٱلنَّاقَةَ زِمَامَهَا

أي انك قد جُدتَ بالفرس . واللجام ايسر خطبًا فاتمّ الحاجة . كما ان الفرس لا غنى بهِ عن اللجام . يُضرَب لاستكمال المعروف

٨٠ أَعَزُّ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ

الزبّاء هي فارعة بنة مليح بن البرّا ملكة جزيرة العرب يُضرَب بها المثل في العزّ والمنعة . وكان أبوها الريّان الغسّاني ملكًا على الحضر وقتلهُ جذيمة الابرش وطرد الزبّاء الى الشام . فلحقت بالروم وكانت عربيّة اللسان كبيرة الهمة . وكان لها شَعر اذا مشت سحبتهُ وراءها واذا نشرتهُ جلّلها فسُمّيت الزبّاء . والأزبّ الكثير الشعر . وبلغت من همّتها انها جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى دار أبيها ومملكتهِ فازالت جذيمة عنها وقتلتهُ . وبنت على الفرات مدينتَين متقابلتَين وجعلت بينهما انفاقًا تحت الارض وتحصّنت . وأمّا مقتلها فان قصيرًا لمّا فارق جذيمة وعاد الى بلادهِ احتال في قتلها فجدع انفهُ وضرب جسدهُ ورحل اليها زاعمًا ان عمرو بن اخت جذيمة صنع بهِ ذلك وانهُ لجأ اليها هاربًا منهُ واستجار بها . ولم يزل يتلطّف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى ان وثقت وعلم خفايا قصرها وأنفاقهُ . ثم وضع رجالًا من قوم عمرو في غراير وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى ان دخل جهم مدينتها . فخلوا الغراير وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل ان تصل الى نَفَقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح

٨١ أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ

هو هَرِم بن سنان بن ابي حارثة المري . قال زهير بن ابي سلمى فيهِ :

ان البخيل مَلومٌ حيث كان ولـكنَّ الجوادَ على علّاتهِ هَرِمُ
هو الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفوًا ويُظلَم احيانًا فيظَّلِمُ

ووفدت ابنة هَرِم على عُمَر فقال لها : ما كان الذي اعطى ابوكِ زهيرًا حتى قابلهُ من المديح بما قد سار فيهِ . فقالت : اعطاهُ خيلًا تنضي وابلًا تتوي وثيابًا تبلى ومالًا يفنى . فقال عمر : لكن ما اعطاكم زهير لا يبليهِ الدهر ولا يفنيهِ العصر وهو قولهُ :

قوم سنـان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما وَلَدوا
محسّـدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ما لهُ حُسِدوا
إنسٌ اذا أَمنوا جِنٌّ اذا فزعوا مرزَّؤن بهاليلٌ اذا جهدوا

٨٢ إِحْتَرِسْ مِنَ ٱلْعَيْنِ فَوَٱللهِ لَهِيَ أَنَمُّ عَلَيْكَ مِنَ ٱللِّسَانِ

قال ابو عُبَيدة معناهُ : رُبَّ عينٍ انمُّ من لسانٍ . وقال الشاعر :

لا جزى الله دمعَ عينيَ خيرًا بل جزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نمَّ طرفي فليس يكتم شيئًا ووجدت اللسان ذا كتمانِ
كنت مثل الكتاب اخفاهُ طيٌّ فاستدلّوا عليـهِ بالعنوانِ

قال زُهَير : ان تكُ في صديقٍ أو عدوٍّ تخبرك العيون عن القلوب

٨٣ أَحْزَمُ مِنَ ٱلْحِرْبَاءِ

لانهُ لا يخلي عن ساق شجرة حتى يمسك ساق شجرة أُخرى . ومنها قول الحريريّ : اعتلقنا بهِ اعتـلاق الحرباء بالأعواد . وقولهُ ايضًا : ابرز يا بني في بكور ابي زاجر . وجرأة أبي الحرث . وحزامة أبي قرَّة . وختل أبي جعدة . وحرص أبي عقبة . ونشاط أبي وثاب . ومكر أبي الحصين . وصبر أبي أيوب . وتلطّف أبي غزوان وتلوُّن أبي براقش . وفي معناهُ قول الشاعر :

اني اتيح لهُ حرباءُ تنضُبـةٍ لا يرسل الساقَ الّا ممسكًا ساقا

٨٤ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ

اصلهُ ان الرجل اذا أَراد سفرًا بعيدًا عوَّد ابلهُ ان تشرب خِمسًا أَي كل خمسة أيام مرَّة . ثم عوَّدها على السدس حتى اذا أَخذت في السير تصبر عن الماء . يُضرَب لمن يسعى في المكر

٨٥ آخِرُ ٱلْبَزِّ عَلَى ٱلْقَلُوصِ

يُقال فرس مقلّص اذا كان طويل القوائم . واذا كان كذلك كان اسرع . وقيل لهُ مقلّص

تشبيهاً بالرجل الذي قلّص ثيابهُ أي شمّرها فظهرت رجلاهُ . يُضرَب عند آخر العهد بالشيء وعند انقطاع اثرهِ وذهاب امرهِ

٨٦ أَحذَرُ مِن قِرِلَّى

قالوا : انهُ طير من بنات الماء صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف . لا يُرى الّا مرفرفاً على وجه الماء على جانب كطيران الحِدأة . يهوي باحدى عينيهِ الى قعر الماء طمعاً ويرفع الاخرى الى الهواء حذرًا . فان ابصر في الماء ما يستقل بحملهِ من سمك او غيرهِ انقضَّ عليهِ كالسهم المرسل فاخرجهُ من قعر الماء . وان ابصر في الهواء جارحًا مرَّ في الارض . وكما ضربوا بهِ المثل في الاختطاف كذلك ضربوا بهِ المثل في الحذر والحزم فقالوا : احذر من القرلى كما قالوا : احذر من غراب . وقالوا احزم من قرلى كما قالوا احزم من حرباء . قال شاعر :

حذرًا كن كالقِرلَّى ان رأى خيرًا تدلَّى أو رأى شرًّا تولَّى

٨٧ أَوفَى مِنَ السَّموْءَلِ

هو السموءل بن عاديا من يهود يثرب الذي يُضرَب بهِ المثل في الوفاء . وسبب ذلك ان امرء القيس بن حجر الكندي لمَّا قُتل أبوهُ وكان ملكًا في كندة خرج يستنجد بملك الروم فمرَّ على تيماء وفيها حصن السموءل المسمَّى بالابلق المذكور في شعرهِ . فاودع السموءل مائة درع وسلاحًا ومضى . فسمع الحارث بن ظالم بها فجاء ليأخذها منهُ فأبى السموءل وتحصَّن بحصنهِ . فاخذ الحارث ابنًا للسموءل وناداهُ امَّا ان تسلّم الادراع لي وامَّا قتلت ولدك . فأبى ان يسلّم الأدراع فضرب وسط الغلام بالسيف فقطعهُ وأبوهُ يراهُ وانصرف . ومات امرء القيس قبل ان يعود الى تيماء ومنع السموءل الادراع الى ان مات هو أيضاً . وضرب بهِ المثل وقال الاعشى في ذلك :

كن كالسموءل اذ طاف الهمام بهِ في جحفلٍ كسواد الليل جرَّارِ
بالأبلق الفرد من تيماء منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدَّارِ
اذ سامهُ خُطَّتي خسفٍ فقال لهُ مهما تقلْهُ فاني سامع حارِ
فقال غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما فاختَرْ فما فيهما حظ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال لهُ اقتل أسيرك اني مانع جاري
انا لهُ خَلَفٌ ان كنت قاتلهُ وان قتلت كريمًا غير غوارِ
مالًا كثيرًا وعرضًا غير ذي دنسٍ واخوة مثلهُ ليسوا بأشرارِ
جدُّوا على أدبٍ مني بلا ترفٍ ولا اذا شمَّرت حرب بأغمارِ
فسوف يخلفهُ ان كنت قاتلهُ ربٌّ كريمٌ وقومٌ أهل أطهارِ
فقال يقدمهُ إذ قام يقتلهُ أَشرِفْ سموءلُ فانظر للدم الجاري

أأقتل ابنك صبرًا أو تجيء بها ... طوعًا فانكر هذا أيّ انكارِ
فشد أوداجه والصدر في مضضٍ ... عليه منطويًا كالدرع بالنارِ
واختار أدراعه ان لا يسبّ بها ... ولم يكن هذه فيها بمختارِ
وقال لا تشتري عارًا بمكرمةٍ ... واختار مكرمة الدنيا على العارِ
فالصبر منهُ قديمًا شيمة خلق ... وزندهُ في الوفاء الثاقبُ الواري

والسموءل من شعراء الجاهليَّة المجيدين ولهُ في الحماسة اللاميَّة المشهورة

اني إذا ما الأمر بيَّن شكّهُ ... وبدت عواقبهُ لمن يتأمّلُ
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم ... والحّ من حز الصميم الكلكلُ
أدعُ التي هي أرفق الحالات بي ... عند الحفيظة للتي هي أجملُ

ولهُ:
يا ليت شعري حين أندب هالكًا ... ماذا تؤبنني بهِ أنواحي
أيقلن لا تبعد فربَّ كريهةٍ ... فرجتها بشجاعةٍ وسماحِ
ولقد أخذت الحق غير مخاصمٍ ... ولقد بذلت الحقَّ غير ملاحي

٨٨ رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ

قيل: كان حُنَين اسكافًا من أهل الحيرة ساومهُ اعرابيّ بخُفَّين فلم يشترِ منهُ شيئًا فغاظهُ. فخرج فعلّق احد الخُفَّين على شجرة في طريقهِ وتقدَّم قليلًا وطرح الاخرى وكمن. فجاء الاعرابيّ فرأى أحد الخُفَّين فوق الشجرة فقال: ما اشبههُ بخُفّ حُنين لو كان معهُ الآخر لتكلَّفت أخذهُ. وتقدَّم فرأى الخُفَّ الآخر مطروحًا فنزل وعقل بعيرهُ وأخذهُ ورجع ليأخذ الاوَّل. فخرج حُنَين من الكمين فاخذ بعيرهُ وذهب ورجع الاعرابيّ الى حيّهِ بخُفَّي حُنَين

٨٩ أَعْدَى مِنَ ٱلشَّنْفَرَى

هو ابن الاوس الازدي وكان من العدَّائين. ومن حديثهِ فيما ذكر ابو عمرو الشيباني انهُ خرج الشنفرى وتأبط شرًّا وعمرو بن برّاق. فاغاروا على بَجيلة فوجدوا لهم رَصَدًا على الماء. فلمَّا مالوا لهُ في جوف الليل قال لهم تأبط شرًّا: ان بالماء رصدًا واني لاسمع وجيب قلوب القوم. فقالا: ما نسمع شيئًا وما هو الَّا قلبك يجب. فوضع ايديهما على قلبهِ وقال: والله ما يجيب وما كان وجابًا. قالوا: فلا بد لنا من ورد الماء. فخرج الشنفرى فلمَّا رآهُ الرَّصد عرفوهُ فتركوهُ حتى شرب الماء ورجع الى اصحابهِ. فقال: والله ما بالماء احد. ولقد شربت من الحوض. فقال تأبط شرًّا: بلى ولكن القوم لا يريدونك انما يريدونني. ثم ذهب بن برّاق فشرب ورجع ولم يتعرَّضوا لهُ. فقال تأبط شرًّا للشنفرى: اذا انا كرعت من الحوض فان القوم سيشدُّون عليَّ فيأسرونني. فاذهب كانك تهرب ثم كن في اصل ذلك القرن فاذا

سمعتني اقول : خذوا خذوا فتصالَّ فأطلقني . وقال لابن برّاق : اني سآمرك تستأسر للقوم ولا تنأ عنهم ولا تمكّنهم من نفسك . ثم مرّ تأبّط شرًّا حتى ورد الماء فحين كرع من الحوض شدّوا عليهِ فأخذوهُ وكتفوهُ بوترٍ . وطار الشنفرى واتى حيث امرهُ وانحاز ابن البرّاق حيث يرونهُ . فقال تأبّط شرًّا : يا معشر بجيلة هل لكم في خيرٍ ان تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن برّاق . قالوا : نعم . فقال : ويلك يا ابن برّاق اما الشنفرى فقد طار وهو يصطلي بنار بني فلان . وقد علمت ما بيننا وبين اهلك فهل لك ان تستاسر ويُياسرونا في الفداء . قال : لا والله حتى اروز نفسي شوطاً او شوطين . فجعل يستنّ نحو الجبل ويرجع حتى اذا رأوا انهُ اعيا طمعوا فيهِ فاتبعوهُ . ونادى تأبّط شرًا : خذوا خذوا . فخالف الشنفرى الى تأبّط شرًّا فقطع وثاقهُ . فلمّا رآهُ ابن برّاق وقد خرج من وثاقهِ مال اليهِ فناداهم تأبّط شرًّا : يا معشر بجيلة أأعجبكم عَدْو ابن برّاق . اما والله لاعدونّ لكم عدوًا ينسيكم عدوهُ . ثم أحضروا ثلاثتهم فنجوا . ففي ذلك يقول تأبّط شرًّا :

ليلة صاحوا واغروا بي سِراعهم بالعيكتين لدى معدي بن برّاقِ
كأنّما حثحثوا حُصاً قوادمهُ او امُّ خِشف بذي شثٍّ وطبّاقِ
لا شيء اسرعُ من ذي غبَّرٍ عُذُرٍ اوذي جناح بجنب الريد خفّاقِ

فكل هؤلاء الثلاثة كانوا عدّائين ولم يسر المثل الّا بالشنفرى

٩٠ أَنْدَمُ مِنَ ٱلْكُسَعِيِّ

هو غامد بن الحرث . ومن حديث الكُسعي انهُ خرج يرعى ابلهُ في وادٍ فيهِ حمض وشوحط . فرأى قضيب شوحط نابتًا في صخرة صماء ملساء . فقال : نعمَ منبت العود . في قرار الجلمود . ثم اخذ سقاءهُ فصبَّ ما كان فيهِ من ماء في اصلهِ فشربهُ لشدة ظمائهِ . وجعل يتعاهدهُ بالماء سنة حتى سبط العود وسق واعتدل . فقطعهُ وجعل يقوّمهُ ويقوّم اودهُ حتى صلح . فبراهُ قوسًا وهو يرتجز ويقول :

ادعوك فاسمع يا الهي جرسي يا رب سَدِّدني لنحت قوسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي فانها من لذتي لنفسي
انحتها صفراء لون الورسِ صلداء ليست مثل قوس النكسِ

ثم برى بقيتهُ خمسة اسهم وهو يرتجز ويقول :

هنَّ لعمري خمسة حسانُ يلذ للرمي بها البنانُ
كأنّما قوامها ميزانُ فابشروا بالخصب يا صبيانُ
ان لم يعقني الشؤم والحرمانُ او يرمني بكيدهِ الشيطانُ

ثم اخذ قوسهُ واسهمهُ وخرج الى مكمن كان مورد الحمُر في الوادي . فوارى شخصهُ حتى

اذا وردت رمى عَيرًا منها بسهمٍ . فمرق منهُ بعدان انفذهُ وضرب صخرة فقدح منها نارًا . فظن انهُ قد اخطأ فقال :

اعوذ بالله العزيز الرحمان ... من نكد الجد معاً والحرمان

ما لي رأيت السهم فوق الصفوان ... يرمي شرارًا مثل لون العقيان

فاخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حُمُر أُخرى فرمى عَيرًا فصنع سهمهُ كالاوَّل فظنهُ اخطأ فقال :

اعوذ بالرحمان من شرّ القَدَر ... أأخطأ السهم لارهاف الوتَر

ام ذاك من سوء احتيالٍ ونظر ... وانني عهدي لرام ذو ظفر

مطعم بالصيد في طول الدهر

ثم وردت حمر أُخرى فرمى عَيرًا بسهمٍ . ففعل سهمهُ كالأوَّل وظنهُ أَخطأ فقال :

يا حسرتا للشؤم والجد النكد ... قد شفني القوت لاهلي والولد

والله ما خلَّفتُ في ذاك العمد ... لصبيتي من سَبَدٍ ولا لَبَد

اذهب بالحرمان مع طول الأمد

ثم وردت حُمُرٌ أُخرى فصنع كالاولى فقال :

ما بال سهمي يظهر الحباحبا ... وكنت ارجو ان يكون صائبا

اذ امكن العير وابدى جانبًا ... وصار ظني فيهِ ظنًا كاذبا

وخفت ان ارجع يومي خائبًا ... اذ أفلتَت اربعةً ذواهبا

ثم وردت اخرى فصنع كالاوَّل فقال :

ابعد خمسٍ قد حفظت عدّها ... احمل قوسي واريد ردّها

اخزى الاله لينها وشدّها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا ارجي ما حييت رفدها ... قد اعذرت نفسي وأبلت جهدها

ثم خرج من مكمنهِ فاعترضتهُ صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها . ثم قال : ابيت ليلتي ثم آتي اهلي . فبات فلمَّا اصبح رأى خمسة حمر مصرعةً ورأى اسهمهُ مضرجةً بالدم . فندم على ما صنع وعض على انامله حتى قطعها وقال :

ندمتُ ندامةً لو ان نفسي ... تطاوعني اذًا لقتلتُ نفسي

تبين لي سفاهُ الرأي مني ... لعمر الله حين كسرت قوسي

وقد كانت بمنزلة المُفَدَّى ... لديَّ وعند صبياني وعرسي

فلم املك غداةَ رأيت حولي ... حميرَ الوحش أن ضرَّجت خمسي

ٱلْبَابُ ٱلرَّابِعُ
فِي ٱلْمَقَامَاتِ

نخبة من مقامات السيد الفاضل ابي بكر الحسيني الحضرمي
المقامة الشعرية

٩١ حَدَّثَ ٱلنَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ . قَالَ: سَافَرْتُ إِلَى جَوِّ نُفُوزٍ. مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ مَنْدَسُورَ. وَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْهَا قُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ تَنْزِلُونَ فِيهَا . قَالُوا: فِي بَعْضِ مَدَارِسِهَا . قُلْتُ لَهُمْ: أَنَا سَأَنْزِلُ فِي بَيْتِ وَالِيهَا وَحَارِسِهَا . لِأَنِّي ٱمْتَدَحْتُهُ بِأَبْيَاتٍ رَائِيَّةٍ. وَأَرْجُو أَنْ يُجِيزَنِي بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ. فَذَهَبْتُ إِلَى دَارِ ٱلْأَمِيرِ. فَوَجَدْتُهَا قَدْ جَمَعَتِ ٱلصَّغِيرَ وَٱلْكَبِيرَ . فَتَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ ٱلْفِقْهِ وَٱلْأَدَبِ . وَحَازَ طَرَفَيِ ٱلْكَمَالِ ٱلْغَرِيزِيِّ وَٱلْمُكْتَسَبِ . وَٱحْتَوَى عَلَى ٱلْمَنْثُورِ وَٱلْمَنْظُومِ . وَيُفْتِي فِي جَمِيعِ ٱلْعُلُومِ. وَٱلطَّلَبَةُ وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ. يَرْفَعُونَ أَسْئِلَتَهُمْ إِلَيْهِ. ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِنَ ٱلدَّرْسِ فِي ٱلْمَنْقُولِ. شَرَعَ يَدْرُسُ فِي عِلْمِ ٱلْمَعْقُولِ. ثُمَّ قَصَدَ ٱلشُّعَرَاءُ بِقَصَائِدِهِمْ وَأَبْيَاتِهِمْ . وَهُوَ يُعْطِيهِمْ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِهِمْ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَغُرَتْ نَفْسِي فِي عَيْنِي. وَأَخْفَيْتُ ٱلْأَبْيَاتَ خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ شَيْنِي. فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ قَامَ شَابٌّ وَأَنْشَدَ ٱلْأَبْيَاتَ بِعَيْنِهَا بَعْدَ أَنْ نَقَصَ مِنْهَا جُزْئَيْنِ . وَٱلْجَمَاعَةُ يُبَالِغُونَ فِي تَحْسِينِهَا وَهِيَ هٰذِهِ :

يَا صَاحِبَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَبِيَّةِ م وَٱلنُّهَى حُزْتَ ٱلْمَدَى

وَحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ ٱلسُّهَى وَلَكَ ٱلنَّدَى
وَحَوَيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَى فَبِكَ ٱلْهُدَى
فَهَبِ ٱلْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّهَا سُمُّ ٱلْعِدَى

فَسُرَّ بِهَا ٱلْوَالِي وَأَعْطَاهُ هِبَةً جَزِيلَةً. وَخِلْعَةً جَمِيلَةً. فَقَامَ شَيْخٌ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَالِي هٰذِهِ أَبْيَاتِي وَإِنَّهَا سُدَاسِيَّةُ ٱلْأَجْزَاءِ. فَٱنْظُرْ كَيْفَ سَرَقَهَا وَأَخَذَ عَلَيْهَا ٱلْجَزَاءَ. وَهِيَ مِنْ كَامِلِ ٱلْبَحْرِ وَمِنْ ضَرْبِهِ ٱلثَّانِي. فَرَدَّهَا إِلَى ٱلثَّامِنِ قَصْدًا لِخَفْضِ شَانِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: كَيْفَ قُلْتَ. فَقَالَ:

يَا صَاحِبَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَبِيَّةِ وَٱلنُّهَى حُزْتَ ٱلْهُدَى فَٱشْكُرْ نَعِيمَ ٱلْبَارِي
وَحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ ٱلسُّهَى وَلَكَ ٱلنَّدَى وَٱلذِّكْرُ فِي ٱلْأَمْصَارِ
وَحَوَيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَى فَبِكَ ٱلْهُدَى وَٱلنُّورُ فِي ٱلْأَسْحَارِ
فَهَبِ ٱلْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّهَا سُمُّ ٱلْعِدَى وَمَسَرَّةُ ٱلْأَخْيَارِ

فَٱلْتَفَتَ ٱلْوَالِي إِلَى ٱلشَّابِّ. وَقَالَ لَهُ: يَا دَنِسَ ٱلْإِهَابِ. أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ سَرِقَةَ ٱلشِّعْرِ كَسَرِقَةِ ٱلْبُرِّ وَٱلشَّعِيرِ. وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى أَخْذِ ٱلْقَلِيلِ تَجَرَّأَ عَلَى ٱلْكَثِيرِ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَالِي جَعَلَ ٱللهُ كَعْبَكَ ٱلْعَالِيَ. إِمْتَحِنَّا فَعِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ. يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ. وَمَعَ ٱلتَّعْدِيلِ وَٱلتَّجْرِيحِ. يُعْرَفُ ٱلْفَاسِدُ مِنَ ٱلصَّحِيحِ. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ: لَقَدْ نَطَقْتَ بِلِسَانِي. وَعَبَّرْتَ عَمَّا فِي جَنَانِي. فَمُرْ أَيُّهَا ٱلْوَالِي مَنْ أَرَدْتَهُ أَنْ يَبْتَدِيَ. لِيَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلْمُعْتَدِي. وَٱشْتَغَلَ ٱلْوَالِي بِبَعْضِ شَانِهِ. عَنِ ٱلشَّابِّ وَٱمْتِحَانِهِ. فَٱضْطَرَبَ ٱلشَّيْخُ ٱضْطِرَابَ ٱلرِّشَا. وَظَنَّ أَنَّ ٱلْوَالِيَ مِمَّنْ يَقْبَلُ ٱلرِّشَا. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي:

دعِ ٱلِاضطِرابَ وٱسمعِ ٱلجوابَ . ثمَّ ٱشتغلَ عنهُ بأمرِ رعيَّتِهِ . فٱضطربَ ٱلشيخُ على جاري سجيّتِهِ . وقامَ منتصبًا . وأنشدَ مضطربًا :

أشكو إلى حبرِ ٱلزمانِ وقُسِّهِ ... مِن جنِّ هذا ٱلحيِّ بل من إنسِهِ

وأقولُ يا عينَ ٱلأُلى عشقوا ٱلندى ... صِدقًا وشادوا حِصنَهُ من أُسِّهِ

أبطا ٱلجوابُ على ٱلكئيبِ وطالما ... قد كانَ ينثرُ درَّهُ من حدسِهِ

وٱلمرءُ لا يرجو ٱلكريمَ سوى إذا ... سئمَ ٱللبيبُ من ٱلأذى عن نفسِهِ

وأخو ٱلندى يسقي غروسَ نوالِهِ ... سقيَ ٱلحيا لزروعِهِ ولغرسِهِ

لا تطوِ كشحًا عن جوابي إنني ... كالميْتِ يرجو نشرَهُ من رمسِهِ

فقالَ ٱلفتى مغضبًا . وأشارَ إلى ٱلشيخِ مخاطبًا : يا أذلَّ من وتدٍ . ويا كثيرَ ٱلحسدِ . هل ٱطَّلعَ على أبياتكَ أحدٌ . ثمَّ ٱلتفتَ إلى ٱلوالي . وقالَ ودمعُ خدَّيهِ كاللآلي :

يا من زكت في ٱلأصلِ دوحةُ غرسِهِ ... وسما بفضلٍ حازهُ وبحدسِهِ

لا تُصغِ للعذّالِ فيمن قد حوى ... فضلًا ولم يرضَ ٱلأذى من نفسِهِ

وأرادَ أن يمشيَ إلى ٱلسادسِ فقالَ ٱلوالي . حسبكَ أيها ٱلفارسُ . ثمَّ إنَّهُ أعطى ٱلشيخَ مثلَ ما أعطى ٱلفتى وأصلحَ بينهما . وقالَ قد ضلَّ من بغى وعتا . فخرجا من دارِهِ . وقلبي يصلى بنارِهِ . وضاقَ عليَّ ٱلفضا . وشبَّ في فؤادي جمرُ ٱلغضا . حيثُ سُرِقتْ منّي ٱلأبياتُ . ولم أقدرْ على ٱلإثباتِ . وأخفيتُ ما أجنَّهُ ٱلضميرُ . خوفًا من أن أكونَ أضحوكةً للكبيرِ وٱلصغيرِ . وذهبتُ إلى رفقتي في ٱلمدرسةِ . وقد

غَلَبَ عَلَيَّ ٱلْفِكْرُ وَٱلْوَسْوَسَةُ. وَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ. وَنَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْهِمْ. فَإِذَا ٱلرَّجُلُ وَٱلْفَتَى لَبِسَا أَحْسَنَ ٱلْمَلَابِسِ. وَتَصَدَّرَا أَعْلَى ٱلْمَجَالِسِ. وَتَأَمَّلْتُهُمَا وَوَقَفْتُ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ. أَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ أَصْحَابِي فِي ٱلطَّرِيقِ. وَأَرَدْتُ أَنْ أُظْهِرَ ٱلْقَضِيَّةَ. وَأُوَطِّنَ ٱلنَّفْسَ عَلَى ٱلْأُمْنِيَّةِ أَوِ ٱلْمَنِيَّةِ. ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلصَّبْرَ بِمِثْلِي أَحْرَى. فَٱحْتَسَبْتُ ٱلثَّوَابَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْأُخْرَى. ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَعَنِ ٱلْفَتَى. فَقِيلَ: هُمَا رِحْلَةُ ٱلصَّيْفِ وَٱلشِّتَا. أَبُو ٱلظَّفَرِ ٱلْهِنْدِيُّ وَنَجْلُهُ ٱلْأَدِيبُ. ٱللَّذَانِ عَلَيْهِمَا شَعْرَةُ ٱلذِّيبِ. فَسَأَلْتُ ٱللّٰهَ ٱلْأَمَانَ وَٱلظَّفَرَ. فِي ٱلْإِقَامَةِ وَٱلسَّفَرِ

المقامة الوعظية

٩٢ رَوَى ٱلنَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قَالَ. ٱشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلْأُتْرُنْجِ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي بَلْدَةِ صَرْنَجٍ. فَسَافَرْتُ إِلَيْهَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْأُدَبَاءِ. وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْخُطَبَاءِ. فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى فِنَائِهَا. سَأَلْنَا عَنْ عُلَمَائِهَا. فَقِيلَ لَيْسَ بِهَا إِلَّا ٱلْحَاكَةُ وَٱلصَّبَّاغُونَ. وَٱلْحَدَّادُونَ وَٱلصَّائِغُونَ. وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ ٱلْأَعْلَامِ. وَلٰكِنَّهُمْ قَدْ تَغَيَّرُوا بِصُحْبَةِ ٱلْحُكَّامِ. وَقَدْ فَشَا فِيهَا فِعْلُ ٱلْحَرَامِ وَٱلظُّلْمِ. وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِحَاكِمِهَا حُكْمٌ. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي إِنِّي أَرَى فِي ٱلسَّفَرِ ٱلسَّلَامَةَ. وَٱلْعَطَبَ وَٱلضَّرَرَ فِي ٱلْإِقَامَةِ. وَأَخْشَى أَنْ يَخْسِفَ ٱللّٰهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ. وَنَهْلِكَ بِسَبَبِهِمْ فَسَافِرُوا تَغْنَمُوا. وَتَجَنَّبُوا مَوَاضِعَ ٱلتُّهَمِ لِئَلَّا تُتَّهَمُوا. فَلَمَّا وَعَتْ كَلَامِي ٱلْمَسَامِعُ. قَالُوا: مَا مِنَّا إِلَّا مُطِيعٌ لَكَ وَسَامِعٌ. وَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ

ٱلْبَلَدِ نَحْوَ مِيلٍ . ضَاقَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْخَلْقِ عَلَيْنَا ٱلسَّبِيلُ . وَأَتَوْا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَمَكَانٍ . وَتَجَمَّعُوا مِنْ جَمِيعِ ٱلْبُلْدَانِ . وَهُمْ قَاصِدُونَ إِلَى ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّتِي خَرَجْنَا مِنْهَا . وَٱلْبُقْعَةِ ٱلَّتِي تَجَاوَزْنَا عَنْهَا . وَيَقُولُونَ دَخَلَ ٱلْبَلَدَ بَعْضُ ٱلْوُعَّاظِ . وَقَدْ فَاقَ فِي بَلَاغَتِهِ خَطِيبَ عُكَاظَ . وَإِنَّهُ سَيَخْطُبُ وَيَعِظُ ٱلنَّاسَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ . فَطُوبَى لِمَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ . فَرَجَعْتُ دُونَ رُفْقَتِي . وَأَخَذْتُ مَعِي قَدَرَ نَفَقَتِي . وَلَمَّا قَضَيْنَا ٱلنَّفْلَ وَٱلْفَرْضَ . جَلَسْتُ لِٱسْتِمَاعِ ٱلْوَعْظِ . فَأَقْبَلَ ٱلْوَاعِظُ يَمْشِي مَائِسًا . وَبِرِدَائِهِ مُتَطَلِّسًا وَصَعِدَ ٱلْمِنْبَرَ وَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَبِيرِ ٱلْمُتَعَالِ . ٱلَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِٱلْإِمْهَالِ . دُونَ ٱلْإِهْمَالِ . ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلْعِلْمَ حَتَّى قَصَّرَ كُلُّ مُقَصِّرٍ دُونَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ . شَهَادَةَ عَبْدٍ بَذَلَ لِعِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةَ . وَحَذَّرَهُمْ مِنَ ٱلْعِصْيَانِ وَٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْفَضِيحَةِ . وَبَعْدُ فَيَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ . وَٱلِٱحْتِرَازِ مِنْ إِبْلِيسَ وَبِطَانَتِهِ . فَٱنْتَبِهُوا مِنْ سِنَةِ ٱلْغَفْلَةِ . وَلَا تَغْتَرُّوا بِٱلْمُهْلَةِ . فَإِنَّ رُسُومَ ٱلدِّينِ بِبَلَدِكُمْ قَدْ عَفَتْ . وَأَعْلَامَ ٱلْهُدَى قَدْ طُمِسَتْ . وَأَحْكَامَ ٱلشَّرِيعَةِ قَدْ عُطِّلَتْ . وَٱلْفَرَائِضَ قَدْ رُفِضَتْ . وَٱلْمَحَارِمَ قَدِ ٱنْتُهِكَتْ . وَٱلْخُمُورَ قَدْ شُرِبَتْ . وَٱلْأَيْتَامَ وَٱلضُّعَفَاءَ قَدْ ظُلِمَتْ . حَتَّى لَبِسَ ٱلْإِسْلَامُ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ ٱلْفَرْوَ مَقْلُوبًا . فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ . وَقُرِّبَ فِيهِ ٱلْجَاهِلُ . وَأُبْعِدَ فِيهِ ٱلْفَاضِلُ . وَٱسْتُكْمِلَ ٱلْفَاجِرُ . وَٱسْتُنْقِصَ فِيهِ ٱلطَّاهِرُ . وَكُذِّبَ ٱلصَّادِقُ وَصُدِّقَ ٱلْكَاذِبُ . وَٱسْتُؤْمِنَ ٱلْخَائِنُ وَٱسْتُخْوِنَ

ٱلْأَمِينُ. وَهَاجَتِ ٱلدَّهْمَاءُ. وَكَثُرَ ٱلضَّلَالُ وَٱلْعَمَى. فَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ. وَلَا مِنَ ٱلدِّينِ إِلَّا رَسْمُهُ. وَأَنْتُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ غَيْرُ مَعْذُورِينَ مِنَ ٱللّٰهِ بِتَغْيِيرِ ذٰلِكَ. وَلَا مَتْرُوكِينَ عَنِ ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِذٰلِكَ. فَتُوبُوا وَصَحِّحُوا ٱلتَّوْبَةَ قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهَا. وَقَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. فَبَكَى ٱلْقَوْمُ حَتَّى كَادَ أَحَدُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْحَرَكَةَ. إِلَّا إِذَا آخَرُ حَرَّكَهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْوَاجِدَ يَسْبَحُ فِي دُمُوعِهِ. وَكِدْتُ مِنْ زَفَرَاتِهِ أَعْلَمُ عَدَدَ ضُلُوعِهِ. وَلَمَّا رَأَى ٱلْخَطِيبُ ٱلْقَوْمَ كَجُزُوعِ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ. هَرَبَ كَٱلسَّيْلِ ٱلْمُنْهَمِرِ. وَتَبِعْتُهُ فِي طَرِيقَتِهِ. لِأَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ. فَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا مَهْدِيُّ. ٱرْجِعْ أَنَا أَبُو ٱلظَّفَرِ ٱلْهِنْدِيُّ. فَرَجَعْتُ إِلَى رُفْقَتِي ٱلسَّابِقَةِ. وَجَوَانِحِي مِنْ كَثْرَةِ ٱلْبُكَاءِ وَٱلْخَوْفِ خَافِقَةٌ

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة القريضية

٩٣ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ ٱلْأَقْصَى. فَٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ ٱلْعِمَارَةِ. وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى ٱلتِّجَارَةِ. وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً. وَرُفْقَةٍ ٱتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً. وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ. حَاشِيَتَيِ ٱلنَّهَارِ. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ. وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَسْكُتُ. وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ. حَتَّى إِذَا مَالَ ٱلْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ. وَجَرَّ ٱلْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ. وَوَافَقْتُمْ

جُذَيْلَه . وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ . وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ . وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ . وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ . فَقُلْتُ : يَا فَاضِلُ أُدْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ . وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ . فَدَنَا وَقَالَ : سَلُونِي أُجِبْكُمْ . وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ . فَقُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ . قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا . وَاغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا . وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا . وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِبًا . وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا . فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ . وَانْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ قَالَ : يَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ . وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ . وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ . وَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ . قَالَ : يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ . قَالَ : هُوَ مَاءُ الْأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا . وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا . مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ . وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ . وَأَيُّهُمَا أَسْبَقُ . فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا . وَأَغْزَرُ غَزْرًا . وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا . وَأَكْثَرُ فَخْرًا . وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا . وَأَشْرَفُ يَوْمًا وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا وَأَكْرَمُ قَوْمًا . وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى . وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى . وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى . وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى . وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى . وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى . قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ . قَالَ : الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا . وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا . وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وَأَرَقُّ نَسْجًا . قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ .

ورَوَيتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا مُمْتَطِيًا فِي الضُّرِّ أَمْرًا مُرًّا
مُنْطَوِيًا عَلَى اللَّيَالِي غَمْرَا مُلاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرَا
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى فَقَدْ عُنِينَا بِالأَمَانِي دَهْرَا
وَكَانَ هٰذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا وَمَاءُ هٰذَا الْوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا
ضَرَبْتُ لِلسِّرِّ قِبَابًا خُضْرَا فِي دَارِ دَارَا وَإِيوَانِ كِسْرَى
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِيَ إِلَّا ذِكْرَا ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرَّا
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ. وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أُنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ. ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ. فَقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا. وَوَافَانَا جِلْفًا. وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ. فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا. فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هٰذَا الزَّمَانُ زُورُ فَلَا يَغُرَّنَّكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً وَلٰكِنْ دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

المقامة الجرجانية

٩٤ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَا فِينَا إِلَّا مِنَّا. إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُتَمَدِّدِ. وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ. كَثُّ الْعُثْنُونِ يَتْلُوهُ صِغَارٌ. فِي أَطْمَارٍ. فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِالسَّلَامِ. وَتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ. فَوَلَّانَا جَمِيلًا. وَأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلًا. فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الثُّغُورِ الْأُمَوِيَّةِ. نَمَتْنِي سُلَيْمٌ وَرَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ. جُبْتُ الْآفَاقَ. وَتَقَصَّيْتُ الْعِرَاقَ. وَجُلْتُ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ. وَدَارَيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ. مَا هُنْتُ حَيْثُ كُنْتُ. فَلَا يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْمَارِي. فَلَقَدْ كُنَّا وَاللَّهِ مِنْ أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ. نُرْغِي لَدَى الصَّبَاحِ. وَنُثْغِي عِنْدَ الرَّوَاحِ:

وَفِينَا مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ ... وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

ثُمَّ إِنَّ الدَّهْرَ يَا قَوْمُ قَلَبَ لِي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ الْمِجَنِّ. فَاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَرَ. وَبِالْإِقَامَةِ السَّفَرَ. تَتَرَامَى بِي الْمَرَامِي. وَتَتَهَادَى بِي الْمَوَامِي. وَقَلَعَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصَّمْغَةِ. فَأُصْبِحُ وَأُمْسِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وَأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الْوَلِيدِ. وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الْفِنَاءِ. صِفْرَ الْإِنَاءِ. مَا لِي كَآبَةُ الْأَسْفَارِ. وَمُعَاقَرَةُ السِّفَارِ. أُعَانِي الْفَقْرَ. وَأُمَانِي الْقَفْرَ. فِرَاشِي الْمَدَرُ. وَوِسَادِي الْحَجَرُ:

بِآمِدَ مَرَّةً وَبِرَأْسِ عَيْنٍ ... وَأَحْيَانًا بِمَيَّا فَارِقِينَا

لَيْلَةً بِالشَّامِ ثُمَّتَ بِالْأَهْوَازِ رَحْلِي وَلَيْلَةً بِالْعِرَاقِ

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ الْحَجَرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ. فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا. وَاشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا. وَلٰكِنِّي مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً. وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوَطَّأَ لِي مَضْجَعًا. وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا. فَإِنْ وَنَى لِي وِنْيَةً هَبَّ لِي ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ. أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ. وَأَوْلَانِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي. وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي. أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ. وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ. فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلَّا النِّعَمُ. حَيْثُ تَوَالَتْ. وَالدِّيَمُ لَمَّا انْثَالَتْ. فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ. وَنَفَرْتُ نِفَارًا الْآبِدِ. أَفْرِي الْمَسَالِكَ. وَأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكَ. وَأَعَانِي الْمَمَالِكَ. عَلَى أَنِّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزُغْلُولًا لِي:

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبِهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَفْصُومُ

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الِاحْتِيَاجِ. وَنَسِيمُ الِانْفِجَاجِ. فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ لِنِقْضٍ مِنَ الْأَنْقَاضِ. هَدَّتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ:

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

جَعَلَ اللّٰهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا. وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَقَّتْ وَاللّٰهِ لَهُ الْقُلُوبُ. وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلَامِهِ الْعُيُونُ. وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ. وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ

المقامة البصرية

٩٥ حدثنا عيسى بن هشام قال: دخلت البصرة وأنا من سني في فتاء. ومن الزي في حبر ووشاء. ومن الغنى في بقر وشاء. فأتيت المربد في رفقة تأخذهم العيون ومشينا غير بعيد إلى بعض تلك المتنزهات. في تلك المتوجهات. وملكتنا أرض فحللناها. فما كان بأسرع من ارتداد الطرف حتى عن لنا سواد. تخفضه وهاد وترفعه نجاد. وعلمنا أنه يهم بنا فأتلعنا له حتى أداه إلينا سيره ولقينا بتحية الإسلام. ورددنا عليه مقتضى السلام. ثم أجال فينا طرفه وقال: يا قوم ما منكم إلا من يلحظني شزرا. ويوسعني حزرا. وما ينبئكم عني. أصدق مني. أنا رجل من أهل الإسكندرية. من الثغور الأموية. قد وطأ لي الفضل ورحب بي عيش ونماني بيت. ثم جعجع بي الدهر عن ثمه ورمه. وأتلاني زغاليل حمر الحواصل:

كأنهم حيات أرض محلة ... فلو يعضون لذكى سمهم

إذا نزلنا أرسلوني كاسبا ... وإن رحلنا ركبوني كلهم

ونشزت علينا البيض وشمست منا الصفر. وأكلتنا السود وحطمتنا الحمر. وانتابنا أبو مالك. فما يلقانا أبو جابر إلا عن عفر. وهذه البصرة ماؤها هضوم. وفقيرها مهضوم. والمرء من ضرسه في شغل. ومن نفسه في كل. فكيف بمن

يطوف ما يطوف ثم يأوي ... إلى زغب محددة العيون

كَسَاهُنَّ ٱلْبِلَى شُعْثاً فَتُمْسِي   جِيَاعَ ٱلنَّابِ ضَامِرَةَ ٱلْبُطُونِ

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ ٱلْيَوْمَ وَسَرَّحْنَ ٱلطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمَيْتٍ . وَبَيْتٍ كَلَا بَيْتٍ . وَقَلَّبْنَ ٱلْأَكُفَّ عَلَى لَيْتَ . فَفَضَضْنَ عِقْدَ ٱلدُّمُوعِ . وَأَفَضْنَ مَاءَ ٱلضُّلُوعِ . وَتَدَاعَيْنَ بِٱسْمِ ٱلْجُوعِ :

وَٱلْفَقْرُ فِي زَمَنِ ٱللِّئَا   مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ

رَغِبَ ٱلْكِرَامُ إِلَى ٱللِّئَا   مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ ٱلْقِيَامَهْ

وَلَقَدِ ٱخْتَرْتُكُمْ يَا سَادَةُ . وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ ٱلسَّعَادَةُ . وَقُلْتُ قَسَماً . إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَماً . فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ . أَوْ يُغَشِّيهِنَّ . وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يَفْدِيهِنَّ . أَوْ يُرْدِيهِنَّ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلَامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ . لَاجَرَمَ إِنَّا ٱسْتَمَحْنَا ٱلْأَوْسَاطَ . وَنَفَضْنَا ٱلْأَكْمَامَ وَبَحَثْنَا ٱلْجُيُوبَ . وَنِلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي وَأَخَذَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِخْذِي . وَقُلْنَا لَهُ : ٱلْحَقْ بِأَطْفَالِكَ فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَّاهُ . وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فَاهُ

المقامة القرديّة

٩٦ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ . قَافِلاً مِنَ ٱلْبَلَدِ ٱلْحَرَامِ . أَمِيسُ مَيْسَ ٱلرَّجْلَةِ . عَلَى شَاطِئِ ٱلدِّجْلَةِ . أَتَأَمَّلُ تِلْكَ ٱلطَّرَائِفَ . وَأَتَقَصَّى تِلْكَ ٱلزَّخَارِفَ . وَٱنْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي ٱلطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ . وَيَشُقُّ ٱلضَّحِكُ أَشْدَاقَهُمْ . فَسَاقَنِي ٱلْحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ ٱلرِّجَالِ دُونَ مَرْأَى

وَجهِهِ لِشِدَّةِ ٱلْعَجْمَةِ . وَفَرْطِ ٱلزَّحْمَةِ . فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ . وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقَصْتُ رَقْصَ ٱلْمُحْرِجِ . وَسِرْتُ سَيْرَ ٱلْأَعْرَجِ . فَوْقَ رِقَابِ ٱلنَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هٰذَا لِشِدَّةِ ذَاكَ . حَتَّى ٱفْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ . وَقَعَدتُ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ . وَقَدْ أَشْرَقَنِي ٱلْخَجَلُ بِرِيقِهِ . وَأَرْهَقَنِي ٱلْمَكَانُ بِضِيقِهِ . وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَٱنْتَفَضَ ٱلْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ . قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي ٱلدَّهَشُ حُلَّتَهُ . لِأَرَى صُورَتَهُ . فَإِذَا هُوَ وَٱللهِ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : مَا هٰذِهِ ٱلدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَا لِي   فَٱعْتِبْ عَلَى صَرْفِ ٱللَّيَالِي
بِٱلْحُمْقِ أَدْرَكْتُ ٱلْمُنَى   وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ ٱلْجَمَالِ

المقامة العلمية

٩٧ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ ٱلْغُرْبَةِ مُجْتَازًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ : بِمَ أَدْرَكْتَ ٱلْعِلْمَ وَهُوَ يُجِيبُهُ . قَالَ : طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ ٱلْمَرَامِ . لَا يُصْطَادُ بِٱلسِّهَامِ . وَلَا يُقْسَمُ بِٱلْأَزْلَامِ . وَلَا يُرَى فِي ٱلْمَنَامِ . وَلَا يُضْبَطُ بِٱللِّجَامِ . وَلَا يُورَثُ عَنِ ٱلْأَعْمَامِ . وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ ٱلْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِٱفْتِرَاشِ ٱلْمَدَرِ . وَٱسْتِنَادِ ٱلْحَجَرِ . وَرَدِّ ٱلضَّجَرِ . وَرُكُوبِ ٱلْخَطَرِ . وَإِدْمَانِ ٱلسَّهَرِ . وَٱصْطِحَابِ ٱلسَّفَرِ . وَكَثْرَةِ ٱلنَّظَرِ . وَإِعْمَالِ ٱلْفِكَرِ . فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ . وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي ٱلنَّفْسِ . وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ٱلنَّدْرِ . وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي ٱلصَّدْرِ . وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ ٱللَّفْظِ .

وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ ٱلْحِفْظِ. فَحَمَلْتُهُ عَلَى ٱلرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى ٱلْعَيْنِ. وَأَنْفَقْتُ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَخَزَنْتُ فِي ٱلْقَلْبِ. وَحَرَّزْتُ بِٱلدَّرْسِ وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ. وَمِنَ ٱلتَّحْقِيقِ إِلَى ٱلتَّعْلِيقِ. وَٱسْتَعَنْتُ فِي ذٰلِكَ بِٱلتَّوْفِيقِ. فَسَمِعْتُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا فَتَقَ ٱلسَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى ٱلْقَلْبِ. وَتَغَلْغَلَ فِي ٱلصَّدْرِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هٰذَا ٱلشَّمْسِ. فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي   لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لٰكِنَّ بِٱلشَّامِ لَيْلِي   وَبِٱلْعِرَاقِ نَهَارِي

المقامة الملوكية

٩٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ ٱلْيَمَنِ. وَتَوَجُّهِي إِلَى نَحْوِ ٱلْوَطَنِ. أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا ٱلضَّبُعُ. وَلَا بَارِحَ إِلَّا ٱلسَّبُعُ. فَلَمَّا ٱنْتَضَى نَصْلُ ٱلصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَبِينُ ٱلْمِصْبَاحِ. عَنَّ لِي فِي ٱلْبَرَاحِ. رَاكِبٌ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ. فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ ٱلْأَعْزَلَ. مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ. لٰكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ فَدُونِي شَرْطُ ٱلْحِدَادِ. وَخَرْطُ ٱلْقَتَادِ. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ. وَأَنَا سَلْمٌ إِنْ كُنْتَ فَمَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سَلْمًا أَصَبْتَ. وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ. وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخَالَيْنَا. وَحِينَ تَجَالَيْنَا. لَجَّاتِ ٱلْقِصَّةُ عَنْ أَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيِّ. وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ ٱلشَّامِ. وَمَنْ بِهَا مِنَ ٱلْكِرَامِ. وَمُلُوكَ ٱلْعِرَاقِ وَمِنْ

بِهَا مِنَ ٱلْأَشْرَافِ. وَأُمَرَاءِ ٱلْأَطْرَافِ. وَسُقْتُ ٱلذِّكْرَ. إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ. فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوَارِفِ مُلُوكِ ٱلْيَمَنِ وَلَطَائِفِ مُلُوكِ ٱلطَّائِفِ وَخَتَمْتُ مَدْحَ ٱلْجُمْلَةِ. بِذِكْرِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا سَارِيًا بِنُجُومِ ٱللَّيْلِ يَمْدَحُهَا ... وَلَوْ رَأَى ٱلشَّمْسَ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا خَطَرَا

وَوَاصِفًا لِلسَّوَاقِي هَبْكَ لَمْ تَرِدِ ٱلْ ... بَحْرَ ٱلْمُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبَرَا

مَنْ أَبْصَرَ ٱلدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجَرَا ... وَمَنْ رَأَى خَلَفًا لَمْ يَذْكُرِ ٱلْبَشَرَا

زُرْهُ تَزُرْ مَلِكًا يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ ... لَمْ يَحْوِهَا أَحَدٌ وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى

أَيَّامَهُ غُرَرًا وَوَجْهَهُ قَمَرًا ... وَعَزْمَهُ قَدَرًا. وَسَيْبَهُ مَطَرَا

مَا زِلْتُ أَمْدَحُ أَقْوَامًا أَظُنُّهُمُ ... صَفْوَ ٱلزَّمَانِ فَكَانُوا عِنْدَهُ كَدَرَا

(قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ) فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا ٱلْمَلِكُ ٱلرَّحِيمُ ٱلْكَرِيمُ. فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ. مَا لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلظُّنُونُ. وَكَيْفَ أَقُولُ. لَمْ تَقْبَلْهُ ٱلْعُقُولُ. وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ ٱلْأَكَارِمَ. إِنْ بَعَثَ بِٱلدَّرَاهِمِ. وَٱلذَّهَبُ. أَيْسَرُ مَا يَهَبُ. وَٱلْأَلْفُ. لَا يَعُمُّهُ إِلَّا ٱلْخَلْفُ. وَهٰذَا جَبَلُ ٱلْكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ ٱلْمِيلُ. فَكَيْفَ لَا يُؤَثِّرُ ذٰلِكَ ٱلْعَطَاءُ ٱلْجَزِيلُ. وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ ٱلْبَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ. وَمِنَ ٱلْخُلُقِ إِلَى شَرَفِهِ. وَمِنَ ٱلدِّينِ إِلَى كَلَفِهِ. وَمِنَ ٱلْمُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ. وَمِنَ ٱلْأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ. وَمِنَ ٱلنَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هٰذِي مَآثِرُهُ ... مَاذَا ٱلَّذِي بِبُلُوغِ ٱلنَّجْمِ يَنْتَظِرُ

٩٩ حدّثنا عيسى بن هشام قال: أحلّني جامع بخارى وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريّا. وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا. واستتلى طفلا عريانا. يضيق بالضرّ وسعه. ويأخذه القرّ ويدعه. لا يملك غير القشرة بردة. ولا يكتفي لحماية رعدة. فوقف الرجل وقال: لا ينظر لهذا الطفل إلّا من الله طفّله. ولا يرقّ لهذا الضرّ إلّا من لا يأمن مثله. يا أصحاب الخدود المفروزة. والأردية المطروزة. والدور المنجّدة. والقصور المشيّدة. إنّكم لن تأمنوا حادثا. ولن تعدموا وارثا. فبادروا الخير ما أمكن. وأحسنوا مع الدهر أحسن. فقد والله طعمنا السكباج. وركبنا الهملاج. ولبسنا الديباج. وافترشنا الحشايا بالعشايا. فما راعنا إلّا هبوب الدهر بغدره. وانقلاب المجنّ لظهره. فعاد الهملاج قطوفا. والديباج صوفا. وهلمّ جرّا إلى ما تشاهدون من حالي وزيّي. فها نحن نرتضع من الدهر ثدي عقيم. ونركب من الفقر ظهر بهيم. فلا نرنو إلّا بعين اليتيم. ولا نمدّ إلّا يد الغريم. فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤوس. ويفلّ شبا هذه النحوس. ثمّ قعد مرتفقا وقال للطفل: أنت وشأنك. فقال: ما أكاد أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه. أو الصخر لفلقه. وإنّ قلبا لم ينضجه لني. وقد سمعتم يا قوم ما لم تسمعون قبل اليوم. فليشغل كلّ منكم بالجود يده. وليذكر غده. واقيا بي ولده. وامنحوني

أَشْكُرْكُمْ . وَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ . وَأَعْطُونِي أَشْكُرْكُمْ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَمَا آنَسَنِي عَنْ وَجْدِي إِلَّا خَاتَمٌ خَتَمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ . فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أَنْشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ :

وَمُنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ ٱلْجَوْزَاءِ حُسْنَا
مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ عَلَى ٱلْأَيَّامِ خِدْنَا
عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ ٱلْوَرَى فِي ٱلْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ ٱلْفَوْزِ فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ ٱلْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ وَٱللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . وَإِذَا ٱلطِّلَا زُغْلُولُهُ فَقُلْتُ : أَبَا ٱلْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ ٱلْغُلَامُ . فَأَيْنَ ٱلسَّلَامُ وَأَيْنَ ٱلْكَلَامُ . فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعَتْنَا ٱلطَّرِيقُ أَلِيفًا إِذَا نَظَمَتْنَا ٱلْخِيَامُ

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَٱنْصَرَفْتُ



أَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ
فِي ٱلْمُنَاظَرَةِ

نخبة من مقامات جلال الدين السيوطي الطبيّة

مناظرة الازهار او المقامة الورديّة

١٠٠ حَدَّثَنَا ٱلرَّيَّانُ عَنْ أَبِي ٱلرَّيْحَانِ عَنْ أَبِي ٱلْوَرْدِ أَبَانَ . عَنْ بُلْبُلِ ٱلْأَغْصَانِ . عَنْ نَاظِرِ ٱلْإِنْسَانِ . عَنْ كَوْكَبِ ٱلْبُسْتَانِ . عَنْ وَابِلِ ٱلْهَتَّانِ . قَالَ : مَرَرْتُ يَوْمًا عَلَى حَدِيقَةٍ . خَضِرَةٍ نَضِرَةٍ أَنِيقَةٍ . طُلُولُهَا وَدِيقَةٌ . وَأَغْصَانُهَا وَرِيقَةٌ . وَكَوْكَبُهَا أَبْدَى بُرَيْقَهُ . ذَاتِ أَلْوَانٍ وَأَفْنَانٍ . وَأَكْمَامٍ وَأَكْنَانٍ . وَإِذَا بِهَا أَزْرَارُ ٱلْأَزْهَارِ مُجْتَمِعَةٌ . وَأَنْوَارُ ٱلْأَنْوَارِ مُلْتَمِعَةٌ . وَعَلَى مَنَابِرِ ٱلْأَغْصَانِ أَكَابِرُ ٱلْأَزَاهِرِ . وَٱلصَّبَا تَضْرِبُ عَلَى رُؤُوسِهَا مِنَ ٱلْأَوْرَاقِ ٱلْخُضْرِ بِٱلْمَزَاهِرِ . فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ عَبَرَ : أَلَا يُحَدِّثُونِي مَا ٱلْخَبَرُ . فَقَالَ : إِنَّ عَسَاكِرَ ٱلرَّيَاحِينِ قَدْ حَضَرَتْ . وَأَزَاهِرَ ٱلْبَسَاتِينِ قَدْ نَظَرَتْ لَمَّا نَضَرَتْ . وَٱتَّفَقَتْ عَلَى عَقْدِ مَجْلِسٍ حَافِلٍ . لِٱخْتِيَارِ مَنْ هُوَ بِٱلْمُلْكِ أَحَقُّ وَكَافِلٌ . وَهَا أَكَابِرُ ٱلْأَزْهَارِ قَدْ صَعِدَتِ ٱلْمَنَابِرَ . لِيُبْدِيَ كُلٌّ حُجَّتَهُ لِلنَّاظِرِ . وَيُنَاظِرَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ ٱلْمَنَاظِرِ . فِي أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُلْحَظَ بِٱلنَّوَاظِرِ . مِنْ بَيْنِ سَائِرِ ٱلرَّيَاحِينِ ٱلنَّوَاضِرِ . وَأَوْلَى بِأَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَى ٱلْبَوَادِي مِنْهَا وَٱلْحَوَاضِرِ . فَجَلَسْتُ لِأَحْضُرَ فَصْلَ ٱلْخِطَابِ . وَأَسْمَعَ مَا يَأْتِي بِهِ كُلٌّ مِنَ ٱلْحَدِيثِ ٱلْمُسْتَطَابِ

١٠١ (فَهَجَمَ ٱلْوَرْدُ) بِشَوْكَتِهِ . وَنَجَمَ مِنْ بَيْنِ ٱلرَّيَاحِينِ مُعْجَبًا بِإِشْرَاقِ

صُورَتِهِ . وَإِفْرَاقِ صَوْلَتِهِ . وَقَالَ : بِسْمِ ٱللهِ ٱلْمُعِينِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ . أَنَا ٱلْوَرْدُ مَلِكُ ٱلرَّيَاحِينِ . وَٱلْوَارِدُ مُنْعِشًا لِلْأَرْوَاحِ وَمَتَاعًا لَهَا إِلَى حِينٍ . وَنَدِيمُ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلسَّلَاطِينِ . وَٱلْمَرْفُوعُ أَبَدًا عَلَى ٱلْأَسِرَّةِ لَا أَجْلِسُ عَلَى تُرْبٍ وَلَا طِينٍ . وَٱلظَّاهِرُ لَوْنِي ٱلْأَحْمَرُ عَلَى أَزَاهِرِ ٱلْبَسَاتِينِ . وَٱلْعَزِيزُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ . وَٱلْمَوْدُودُ بَيْنَ ٱلْجُلَّاسِ لِلْإِينَاسِ . وَٱلْعَادِلُ فِي ٱلْمِزَاجِ . وَٱلصَّالِحُ فِي ٱلْعِلَاجِ . أُسَكِّنُ حَرَارَةَ ٱلصَّفْرَاءِ . وَأُقَوِّي ٱلْبَاطِنَ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ . وَأُبَرِّدُ ٱللَّهِيبَ ٱلْكَائِنَ فِي ٱلرَّاسِ . وَرُبَّمَا أَسْتَخْرِجُهَا مِنْهُ بِٱلْعُطَاسِ . وَأَنْفَعُ مِنَ ٱلْقُلَاعِ وَٱلْقُرُوحِ . وَأَنَا بِعِطْرِيَّتِي مُلَائِمٌ لِجَوْهَرِ ٱلرُّوحِ . وَمَنْ تَجَرَّعَ مِنْ مَاءِي يَسِيرًا نَفَعَ مِنَ ٱلْغَشْيِ وَٱلْخَفَقَانِ كَثِيرًا . وَدُهْنِي شَدِيدُ ٱلنَّفْعِ لِلْجِرَاحَاتِ . وَفِيهِ مَآرِبُ كَثِيرَةٌ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ . وَأَنَا مَعَ ذَٰلِكَ جَلْدٌ صَبَّارٌ . أَجْرِي مَعَ ٱلْأَقْدَارِ . إِذَا صُلِيتُ بِٱلنَّارِ فَلِهٰذَا رُفِعَتْ مِنْ أَغْصَانِي ٱلْأَشَايِرُ . وَدُقَّتْ مِنْ دَارَاتِي ٱلْبَشَائِرُ . وَأُعْلِمَتْ لِيَ ٱلْمَشَاعِرُ . وَقَالَ فِيَّ ٱلشَّاعِرُ :

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ وَرُتْبَةٌ لَا تُمَلُّ
كُلُّ ٱلرَّيَاحِينِ جُنْدٌ وَهْوَ ٱلْأَمِيرُ ٱلْأَجَلُّ
إِنْ جَاءَ عَزُّوا وَتَاهُوا حَتَّى إِذَا غَابَ ذَلُّوا

١٠٢ (فَقَامَ ٱلنَّرْجِسُ) عَلَى سَاقٍ . وَرَمَى ٱلْوَرْدَ مِنْهُ بِٱلْأَحْدَاقِ . وَقَالَ : لَقَدْ تَجَاوَزْتَ ٱلْحَدَّ يَا وَرْدُ . وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جَمْعٌ فِي فَرْدٍ . إِنِ ٱعْتَقَدْتَ أَنَّ لَكَ بِحُمْرَتِكَ فَخْرًا . فَإِنَّهَا مِنْكَ فَجْرٌ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ نَافِعٌ

فِي ٱلْعِلَاجِ . فَكَمْ لَكَ فِي مِنْهَاجِ ٱلطِّبِّ مِنْ هَاجٍ . فَٱحْفَظْ حُرْمَتَكَ .
وَإِلَّا كَسَرْتُ بِقَائِمِ سَيْفِي شَوْكَتَكَ . وَيَكْفِيكَ قَوْلُ ٱلْبُسْتِيِّ فِيكَ :

لَا يَغُرَّنْكَ أَنَّنِي لَيِّنُ ٱلْمَسِّ لِأَنِّي إِذَا ٱنْتُضِيتُ حُسَامُ
أَنَا كَٱلْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لِآخَرِينَ زُكَامُ

وَلَكِنْ أَنَا ٱلْقَائِمُ لِلّٰهِ فِي ٱلدَّيَاجِي عَلَى سَاقِي . ٱلسَّاهِرُ طُولَ ٱللَّيْلِ
فِي عِبَادَةِ رَبِّي فَلَا تَطْرِفُ أَحْدَاقِي . وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ ٱلْمُعَدُّ لِلْحُرُوبِ .
ٱلْمَدْعُوُّ عِنْدَ تَزَاحُمِ ٱلْكُرُوبِ . أَلَا تَرَى وَسَطِي لَا يَزَالُ مَشْدُودًا . وَسَيْفِي
لَا يَزَالُ مُجَرَّدًا . وَأَنَا فَرِيدُ ٱلزَّمَانِ . فِي ٱلْمَحَاسِنِ وَٱلْإِحْسَانِ . وَلِهٰذَا
قَالَ فِيَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ : ٱلنَّرْجِسُ يَاقُوتٌ أَصْفَرُ . بَيْنَ دُرٍّ أَبْيَضَ
عَلَى زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ . وَأَنَا ٱلْمَقْرُونُ فِي مُهِمَّاتِ ٱلْأَدْوَاءِ بِٱلصَّلَاحِ . أَنْفَعُ
غَايَةَ ٱلنَّفْعِ . مِنْ دَاءِ ٱلثَّعْلَبِ وَٱلصَّرْعِ . وَمِنَ ٱلدَّلِيلِ عَلَى صَلَاحِي أَنَّ
أَبَا نُوَاسٍ غُفِرَ لَهُ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا فِي ٱمْتِدَاحِي :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ ٱلْأَرْضِ وَٱنْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ ٱلْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ بِأَحْدَاقٍ كَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلسَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ ٱلزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ ٱللّٰهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ . مُبَيِّنًا فَضْلِي عَلَى كُلِّ حَالٍ :

أَيُّهَا ٱلْمُحْتَجُّ لِلْوَرْ دِ بِزُورٍ وَمُحَالِ
ذَهَبَ ٱلنَّرْجِسُ بِٱلْفَضْ لِ فَأَنْصِفْ فِي ٱلْمَقَالِ

١٠٣ (فَقَامَ ٱلْيَاسَمِينُ) وَقَالَ : آمَنْتُ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . لَقَدْ تَجَسَّسَتْ

يا جِبْسُ . وَأَكْثَرُكَ رِجْسٌ نَجِسٌ . وَأَنتَ قَلِيلُ ٱلْحُرْمَةِ . وَٱسْمُكَ مَشْمُولٌ بِٱلْعُجْمَةِ . وَكَيفَ تَطْلُبُ ٱلْمُلْكَ وَأَنتَ بَعْدُ قَائِمٌ مَشْدُودُ ٱلْوَسَطِ فِي ٱلْخِدْمَةِ رَأْسُكَ لَا يَزَالُ مَنْكُوسٌ . وَأَنتَ ٱلْمُهَيِّجُ لِلْقَيْءِ ٱلْمُصَدِّعُ مِنَ ٱلْمَحْرُورِينَ لِلرُّوسِ . أَصْفَرُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ مَكْسُوٌّ أَحْقَرَ حُلَّةٍ . وَيَكْفِيكَ بَعْضُ وَاصِفِيكَ

أَرَى ٱلنَّرْجِسَ ٱلْغَضَّ ٱلزَّكِيَّ مُشَمِّرًا   عَلَى سَاقِهِ فِي خِدْمَةِ ٱلْوَرْدِ قَائِمُ
وَقَدْ زَالَ حَتَّى لَفَّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ   عَمَائِمَ فِيهَا لِلْيَهُودِ عَلَائِمُ

وَلٰكِنْ أَنَا زَيْنُ ٱلرِّيَاضِ . وَٱلْمَوْسُومُ فِي ٱلْوَجْهِ بِٱلْبَيَاضِ شَطْرَ ٱلْحُسْنِ كَمَا وَرَدَ . وَأَنَا أَلْطَفُ مَنْ وَرَدَ حَاوَرْدَ . وَنَشْرِي أَعْبَقُ مِنْ نَشْرِكَ صَبَاحًا وَنَدًا . فَأَنَا أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْكَ مَنْصُورًا وَمُؤَيَّدًا . وَأَنَا ٱلنَّافِعُ مِنْ أَمْرَاضِ ٱلْعَصَبِ ٱلْبَارِدَةِ . وَٱلْمُلَطِّفُ لِلرُّطُوبَاتِ ٱلْجَامِدَةِ . أَنْفَعُ مِنَ ٱللَّقْوَةِ وَٱلشَّقِيقَةِ وَٱلزُّكَامِ . وَمِنْ وَجَعِ ٱلرَّأْسِ ٱلْبَلْغَمِيِّ وَٱلسَّوْدَاوِيِّ . وَدُهْنِي نَافِعٌ مِنَ ٱلْفَالِجِ وَوَجَعِ ٱلْمَفَاصِلِ . وَيُحَلِّلُ ٱلْإِعْيَاءَ وَيَجْلِبُ ٱلْعَرَقَ ٱلْفَاضِلَ . يَقُولُ لِي لِسَانُ ٱلْحَالِ : لَسْتَ ٱلْمُزِيلَ مَقَامًا يَاسَمِينُ . وَيَشْهَدُ لِسَانُ ٱلْأَلْثَغِ بِأَنِّي ٱلدُّرُّ ٱلْغَالِي إِذَا قَالَ : يَا ثَمِينُ

أَنَا ٱلْيَاسَمِينُ ٱلَّذِي   لَطُفْتُ فَنِلْتُ ٱلْمُنَى
فَرِيحِي لِمَنْ قَدْ نَأَى   وَعَيْنِي إِلَى مَنْ دَنَا
وَقَدْ شَرُفَتْ حَضْرَتِي   لِصَبْرِي عَلَى مَنْ جَنَى

١٠٤   (فَقَامَ ٱلْبَانُ) وَأَبْدَى غَايَةَ ٱلْغَضَبِ وَأَبَانَ وَقَالَ : لَقَدْ تَعَدَّيْتَ

يا ياسمين طورك . وأبعدت في المداغورك . وكونك أضعف الكون . وكثرة شمك تصفر اللون . وإذا سحق اليابس منك ورض . وذر على الشعر الأسود ابيض . وإذا قسم اسمك قسمين صار ما بين يأس ومين . وإن ذكرت نفعك . فأنت كما قيل لا تساوي جمعك . ولقد صدق القائل من الأوائل :

لا مرحباً بالياسمين وإن غدا في الروض زينا
صحفته فوجدته متضمناً يأساً ومينا

ولكن أنا ذو الاسمين . والظافر بالأصل والفرع بالقسمين . والقريب من الباز . والمضروب بقدي المثل في الاهتزاز . أزهاري عالية وأدهاني غالية . وقد ألبست خلعة من السنجاب . واتفق على فضلي الأنجاب . أنفع بالشم من مزاجه حار . وأرطب دماغه وأسكن صداعه . ودهني نافع لكل وجع بارد . وتحت ذلك صور كثيرة الموارد . من الرأس والضرس . ويكفي في وردي . قول ابن الوردي :

تجادلنا أماء الزهر أذكى أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف

١٠٥ (فقام النسرين) بين القائمين . منتصراً لأخيه الياسمين . وقال : أتتعدى يا بان على شقيقي . وأين القري من الذهب الدبيقي . ألم يعرفك الخال قول من قال :

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها

وَأَنَا ٱلْمُحِبُّ لِلْقُلُوبِ زَمَانُهُ ... وَبِمَقْدَمِي أَهْلُ ٱلْمَسَرَّةِ تَفْخَرُ

وَقَالَ ٱلْحَاكِي. عَنِ ٱلْوَرْدِ ٱلْبَاكِي:

عَابَتْ وَرْدَ ٱلرَّوْضِ يَلْطِمُ خَدَّهُ ... وَيَقُولُ وَهْوَ عَلَى ٱلْبَنَفْسَجِ مُحْنَقُ

وَتُقَرِّبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ ... مَا بَيْنَكُمْ فَهْوَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ

وَلَكِنْ أَنَا ٱللَّطِيفُ ٱلْغَوَّاصُ. ٱلْكَثِيرُ ٱلْخَوَاصِ. أُسَكِّنُ ٱلصُّدَاعَ ٱلْحَارَّ. وَأُذْهِبُ بِٱلْأَرَقِ وَٱلْأَسْهَارِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيَّ بَعْضُ وَاصِفِيَّ:

يُرْتَاحُ لِلنَّيْلُوفَرِ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي ... لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ ٱلْغَرَامِ وَجَهْدِهِ

وَٱلْوَرْدُ أَصْبَحَ فِي ٱلرَّوَائِحِ عَبْدَهُ ... وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْمِسْكِيُّ خَادِمَ عَبْدِهِ

يَا حُسْنَهُ فِي بِرْكَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ ... مَحْشُوَّةً مِسْكًا يُشَانُ بِنَدِّهِ

وَمِنِّي صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْبَشْنِينُ يُشَابِهُنِي فِي ٱلتَّكْوِينِ لَا فِي ٱلتَّلْوِينِ وَيَحْدُثُ عِنْدَ إِطْبَاقِ ٱلنِّيلِ. وَلَهُ فِي مَنَافِعِ ٱلطِّبِّ تَنْوِيلٌ. دُهْنُهُ مَحْمُودٌ فِي ٱلْبِرْسَامِ. إِذَا تَسَعَّطَ بِهِ ذُو ٱلْأَسْقَامِ. وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ حَقَّهُ وَيُوفِيَهُ:

وَبِرْكَةٍ بِغَدِيرِ ٱلْمَاءِ قَدْ طَفَحَتْ ... بِهَا عُيُونٌ مِنَ ٱلْبَشْنِينِ قَدْ فُتِحَتْ

كَأَنَّهَا وَهْيَ تَزْهُو فِي جَوَانِبِهَا ... مِثْلُ ٱلسَّمَاءِ وَفِيهَا أَنْجُمٌ سَبَحَتْ

١٠٨ (فَقَامَ ٱلْآسُ) وَقَدِ ٱسْتَعَدَّ. وَقَالَ: لَقَدْ تَجَاوَزْتَ يَا لَيْنُوفَرُ ٱلْحَدَّ. أَلَسْتَ ٱلْمُضْعِفَ لِلْمَرْءِ فِي قُوَاهُ. ٱلْجَالِبَ لَهُ صِفَةَ ٱلشَّيْخُوخَةِ فِي صِبَاهُ. وَلَقَدْ عَرَفَكَ. مَنْ قَالَ حِينَ وَصَفَكَ:

وَلَيْنُوفَرٍ أَبْدَى لَنَا بَاطِنًا لَهُ ... مَعَ ٱلظَّاهِرِ ٱلْمُخْضَرِّ حُمْرَةَ عَنْدَمِ

فَشَبَّهْتُهُ لَمَّا قَصَدْتُ هِجَاءَهُ ... بِكَاسَاتِ حَجَّامٍ بِهَا لَوْثَةُ الدَّمِ

أَنَا الْمُقَوِّي لِلْأَبْدَانِ. أَلْحَابِسُ لِلْإِسْهَالِ وَالْعَرَقِ وَكُلِّ سَيَلَانٍ. أَلْمُنَشِّفُ مِنَ الرُّطُوبَاتِ. أَلْمَانِعُ مِنَ الصُّنَانِ. أَلْمُسَكِّنُ لِلْأَوْرَامِ وَالْحُمْرَةِ وَالثُّوَى وَالصُّدَاعِ وَالْخَفَقَانِ. وَأَنَا الْبَاقِي فِي طُولِ الزَّمَانِ. وَقَالَ فِي بَعْضِ الْأَعْيَانِ:

أَلْآسُ سَيِّدُ أَنْوَاعِ الرَّيَاحِينِ ... فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ فِي الْبَسَاتِينِ
يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى نَضَارَتُهُ ... لَا فِي الْمَصِيفِ وَلَا فِي بَرْدِ كَانُونِ

وَقَالَ آخَرُ:

لِلْآسِ فَضْلُ بَقَائِهِ وَوَفَائِهِ ... وَدَوَامُ مَنْظَرِهِ عَلَى الْأَوْقَاتِ
قَامَتْ عَلَى أَغْصَانِهِ وَرَقَاتُهُ ... كَنُصُولِ نَبْلٍ جُنَّ مُؤْتَلِفَاتِ

١٠٩ (فَقَامَ الرَّيْحَانُ) وَقَالَ: يَا آسُ. لَأَجْرَحَنَّكَ جُرْحًا مَا لَهُ مِنْ آسٍ:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ... فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وَأَنَا الْوَارِدُ فِيَّ عَلَيْكُمْ بِالْمَرْزَنْجُوشِ. فَشُمُّوهُ فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْخُشَامِ وَأَنَا أَنْفَعُ مِنْ لَسْعَةِ الْعَقْرَبِ لِمَنْ بِالْخَلِّ ضُمِّدَ. وَدُهْنِي يَدْخُلُ فِي الضِّمَادَاتِ لِلْفَالِجِ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ مَيْلُ الرَّقَبَةِ إِلَى خَلْفٍ وَفِي تَشَنُّجِ الْأَعْصَابِ. وَمَعَ هٰذَا فَأَنَا الْمُنَوَّهُ بِٱسْمِي فِي الْقُرْآنِ. حَيْثُ يُقَالُ: فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ. وَحَسْبُكَ مِنِّي فِي التَّشْبِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ عَلَى الْبَدِيهِ:

أَمَا تَرَى الرَّيْحَانَ أَهْدَى لَنَا ... جَمَاجِمًا مِنْهُ فَأَحْيَانَا
كَأَنَّهُ فِي ظِلِّهِ وَالنَّدَى ... زُمُرُّدٌ يَحْمِلُ مَرْجَانَا

فَعَطَفَ عَلَيْهِ ٱلْآسُ . وَقَالَ : يَا رَيْحَانُ أَتُرِيدُ أَنْ تَسُودَ وَأَنْتَ تُشَبَّهُ بِهَامَاتِ ٱلْعَبِيدِ ٱلسُّودِ . أَلَمْ يُغْنِكَ عَنْ مَقْصُورِي . قَوْلُ ٱلشِّهَابِ ٱلْمَنْصُورِيِّ :

وَرَيْحَانٍ تَمِيسُ بِهِ غُصُونٌ يَطِيبُ بِشَمِّهِ لَثْمُ ٱلْكُؤُوسِ
كَسُودَانٍ لَبِسْنَ ثِيَابَ خَزٍّ وَقَدْ قَامُوا مَكَاشِيفَ ٱلرُّؤُوسِ

١١٠ قَالَ ٱلرَّاوِي : فَلَمَّا أَبْدَى كُلٌّ مَا لَدَيْهِ . وَقَالَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ . ٱتَّفَقَ رَأْيُ ٱلنَّاظِرِينَ . وَأَهْلُ ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ مِنَ ٱلْحَاضِرِينَ . عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ حَكَمًا عَادِلًا . يَكُونُ لِقَطْعِ ٱلنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ فَاصِلًا . فَقَصَدُوا رَجُلًا عَالِمًا بِٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ . حَافِظًا لِلْآثَارِ ٱلْمَوْقُوفِ مِنْهَا وَٱلْمَرْفُوعِ . عَارِفًا بِٱلْأَنْسَابِ مُمَيِّزًا بَيْنَ ٱلْأَسْمَاءِ وَٱلْأَلْقَابِ وَٱلْأَتْبَاعِ . وَٱلْأَصْحَابِ مَدِيدَ ٱلْبَاعِ . بَسِيطَ ٱلْيَدَيْنِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلْخِلَافِ وَٱلْإِجْمَاعِ . خَبِيرًا بِمَبَاحِثِ ٱلْجَدَلِ . وَٱسْتِخْرَاجِ مَسَالِكِ ٱلْعِلَلِ . مُتَبَحِّرًا فِي عُلُومِ ٱللُّغَةِ وَٱلْإِعْرَابِ . مُطَّلِعًا بِعُلُومِ ٱلْبَلَاغَةِ وَٱلْخِطَابِ . مُحِيطًا بِفُنُونِ ٱلْبَدِيعِ . حَافِظًا لِلشَّوَاهِدِ ٱلشِّعْرِيَّةِ ٱلَّتِي هِيَ أَبْهَى مِنْ زَهْرِ ٱلرَّبِيعِ . شَدِيدَ ٱلرَّمْيَةِ . سَدِيدَ ٱلْإِصَابَةِ . ٱلشِّعْرُ وَٱلنَّظْمُ صَوْغُ بَيَانِهِ . وَٱلنَّثْرُ وَٱلْإِنْشَاءُ طَوْعُ بَنَانِهِ . وَٱلتَّارِيخُ ٱلَّذِي هُوَ فَضِيلَةُ غَيْرِهِ فَضْلَةُ دِيوَانِهِ . فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَوَقَعَتْ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهِ . قَالُوا : يَا فَرِيدَ ٱلْأَرْضِ يَا عَالِمَ ٱلْبَسِيطَةِ مَا بَيْنَ طُولِهَا وَٱلْعَرْضِ . إِنَّا أَخْصَامٌ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . فَٱنْظُرْ فِي حَالِنَا لِتَكُونَ لَكَ ذَخِيرَةً يَوْمَ ٱلْعَرْضِ . وَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ .

وَٱقضِ لِأَيِّنَا بِٱلمُلكِ أَحَقُّ . فَقَالَ : أَيَّتُهَا ٱلأَزْهَارُ إِنِّي لَسْتُ كَٱلَّذِي تَحَاكَمَ إِلَيْهِ ٱلعِنَبُ وَٱلرُّطَبُ . وَلَا ٱلَّذِي تَقَاضَى إِلَيْهِ ٱلمِشْمِشُ وَٱلتُّوتُ وَلَا ٱلتِّينُ وَٱلعِنَبُ . إِنِّي لَا أَقْبَلُ ٱلرُّشَا . وَلَا أَطْوِي عَلَى ٱلغِلِّ ٱلحَشَا وَلَا أَمِيلُ مَعَ صَاحِبِ رُشْوَةٍ . وَلَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ ٱلمُسْلِمِينَ حَشَرَةً . إِنَّمَا أَحْكُمُ بِمَا ثَبَتَ فِي ٱلسُّنَّةِ . وَلَا أَسْلُكُ إِلَّا طَرِيقًا مُوصِلًا لِلْجَنَّةِ . قُصُّوا عَلَيَّ ٱلخَبَرَ . لِأَعْرِفَ مَنْ فَجَرَ مِنْكُمْ وَبَرَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ كُلٌّ قَوْلَهُ . وَأَبْدَى هَيْئَتَهُ وَهَوْلَهُ . قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدِي مُسْتَحِقًّا لِلْمُلْكِ . وَلَا صَالِحًا لِلِٱنْخِرَاطِ فِي هٰذَا ٱلسِّلْكِ . وَلٰكِنِ ٱلمُلْكُ ٱلأَكْبَرُ . وَٱلسَّيِّدُ ٱلأَبَرُّ . وَصَاحِبُ ٱلمِنْبَرِ ذُو ٱلنَّشْرِ ٱلأَعْطَرِ . وَٱلقَدْرِ ٱلأَخْطَرِ . ٱلسَّيِّدُ ٱلأَيِّدُ ٱلصَّالِحُ ٱلجَيِّدُ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُ وَٱنْتَشَرَ . وَكَانَ أَحَبَّ ٱلرَّيَاحِينِ إِلَى قَلْبِ ٱلبَشَرِ . وَٱشْتَمَلَ عَلَى مَا فِي ٱلرَّيَاحِينِ مِنَ ٱلحُسْنَى وَزِيَادَةٍ . وَحَكَمَ لَهُ بِٱلسِّيَادَةِ وَشَهِدَ لَهُ بِهَا وَنَاهِيكَ بِٱلشَّهَادَةِ

(قَالَ) فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلرَّيَاحِينُ هٰذِهِ ٱلأَحَادِيثَ فِي فَضْلِهِ أَطْرَقُوا رُؤُوسَهُمْ خَاشِعِينَ . وَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَدَخَلُوا تَحْتَ أَمْرِهِ سَامِعِينَ طَائِعِينَ . وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لَهُ مُبَايِعِينَ بِٱلإِمْرَةِ وَمُتَابِعِينَ . وَقَالُوا : لَقَدْ كُنَّا قَبْلُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هٰذَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . وَإِنَّا إِذًا لَمِنَ ٱلآثِمِينَ . وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلحَقِّ وَقِيلَ ٱلحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ

مناظرة بين فصول العام

١١١ حَضَرَ فُصُولُ ٱلعَامِ مَجْلِسَ ٱلأَدَبِ . فِي يَوْمٍ بَلَغَ مِنْهُ ٱلأَدِيبُ

نِهَايَةَ ٱلْأَرَبِ . بِمَشْهَدٍ مِنْ ذَوِي ٱلْبَلَاغَةِ . وَمُتْقِنِي صِنَاعَةِ ٱلصِّيَاغَةِ .
فَقَامَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ . وَيَفْتَخِرُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ

(فَقَالَ ٱلرَّبِيعُ) :

أَنَا شَابُّ ٱلزَّمَانِ . وَرُوحُ ٱلْحَيَوَانِ . وَإِنْسَانُ عَيْنِ ٱلْإِنْسَانِ .
أَنَا حَيَاةُ ٱلنُّفُوسِ وَزِينَةُ عَرُوسِ ٱلْغُرُوسِ . وَنُزْهَةُ ٱلْأَبْصَارِ . وَمَنْطِقُ
ٱلْأَطْيَارِ . عَرْفُ أَوْقَاتِي نَاسِمٌ . وَأَيَّامِي أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمُ . فِيهَا يَظْهَرُ
ٱلنَّبَاتُ . وَتُنْشَرُ ٱلْأَمْوَاتُ . وَتُرَدُّ ٱلْوَدَائِعُ . وَتَتَحَرَّكُ ٱلطَّبَائِعُ . وَيَمْرَحُ
جَنِيبُ ٱلْجُنُوبِ . وَيَنْزَحُ وَجِيبُ ٱلْقُلُوبِ . وَتَفِيضُ عُيُونُ ٱلْأَنْهَارِ .
وَيَعْتَدِلُ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ . كَمْ لِي عِقْدٌ مَنْظُومٌ . وَطِرَازٌ وَشْيٍ مَرْقُومٌ . وَحُلَّةٌ
فَاخِرَةٌ . وَحِلْيَةٌ ظَاهِرَةٌ . وَنَجْمُ سَعْدٍ يُدْنِي رَاعِيَهُ مِنَ ٱلْأَمَلِ . وَشَمْسُ
حُسْنٍ تُنْشِدُ : يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ بُرْجِ ٱلْجَدْيِ وَٱلْحَمَلِ . عَسَاكِرِي مَنْصُورَةٌ .
وَأَسْلِحَتِي مَشْهُورَةٌ . فَمِنْ سَيْفِ غُصْنٍ مُجَوْهَرٍ . وَدِرْعِ بَنَفْسَجٍ مُشَهَّرٍ .
وَمِغْفَرِ شَقِيقٍ أَحْمَرَ . وَتُرْسِ بَهَارٍ يَبْهَرُ . وَكَمْ آسٍ يُرْشَقُ فَيُنْشَقُ . وَرُمْحِ
سُوسَنٍ سِنَانُهُ أَزْرَقُ . تَحْرُسُهَا آيَاتٌ . وَتَكْنُفُهَا أَلْوِيَةٌ وَرِوَايَاتٌ .
بِي تَحْمَرُّ مِنَ ٱلْوَرْدِ خُدُودُهُ . وَتَهْتَزُّ مِنَ ٱلْبَانِ قُدُودُهُ . وَيَخْضَرُّ عِذَارُ
ٱلرَّيْحَانِ . وَيَنْتَبِهُ مِنَ ٱلنَّرْجِسِ طَرْفُهُ ٱلْوَسْنَانُ . وَتَخْرُجُ ٱلْخَبَايَا مِنَ
ٱلزَّوَايَا . وَيَفْتَرُّ ثَغْرُ ٱلْأُقْحُوَانِ قَائِلًا : أَنَا ٱبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ ٱلثَّنَايَا

إِنَّ هٰذَا ٱلرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ ... تَضْحَكُ ٱلْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ ٱلسَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثُ مَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ ... حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَّةٌ فِي ٱلْفَضَاءِ

١١٢ (وَقَالَ ٱلصَّيْفُ) :

أَنَا ٱلْخِلُّ ٱلْمُوَافِقُ . وَٱلصَّدِيقُ ٱلصَّادِقُ . وَٱلطَّبِيبُ ٱلْحَاذِقُ . أَجْتَهِدُ فِي مَصْلَحَةِ ٱلْأَصْحَابِ . وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلْفَةَ حَمْلِ ٱلثِّيَابِ . وَأُخَفِّفُ أَثْقَالَهُمْ . وَأُوَفِّرُ أَمْوَالَهُمْ . وَأَكْفِيهِمِ ٱلْمُؤُونَةَ . وَأُجْزِلُ لَهُمُ ٱلْمَعُونَةَ . وَأُغْنِيهِمْ عَنْ شِرَاءِ ٱلْفِرَا . وَأُحَقِّقُ عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا . نُصِرْتُ بِٱلصَّبَا . وَأُوتِيتُ ٱلْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا . بِي تَنْضَجُ ٱلْجَادَّةُ . وَتَنْضَجُ مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ ٱلْمَادَّةُ . وَيَزْهُو ٱلْبُسْرُ وَٱلرُّطَبُ . وَيَنْصَلِحُ مِزَاجُ ٱلْعِنَبِ . وَيَقْوَى قَلْبُ ٱللَّوْزِ . وَيَلِينُ عِطْفُ ٱلتِّينِ وَٱلْمَوْزِ . وَيَنْعَقِدُ حَبُّ ٱلرُّمَّانِ . فَيَقْمَعُ ٱلصَّفْرَاءَ وَيُسَكِّنُ ٱلْخَفَقَانَ . وَتَخْضَبُ وَجَنَاتُ ٱلتُّفَّاحِ . وَيَذْهَبُ عَرْفُ ٱلسَّفَرْجَلِ مَعَ هُبُوبِ ٱلرِّيَاحِ . وَتَسْوَدُّ عُيُونُ ٱلزَّيْتُونِ . وَتَخْلُقُ تِيجَانُ ٱلنَّارَنْجِ وَٱللَّيْمُونِ . مَوَاعِدِي مَنْقُودَةٌ . وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ . أَلْخَيْرُ مَوْجُودٌ فِي مَقَامِي . وَٱلرِّزْقُ مَقْسُومٌ فِي أَيَّامِي . أَلْفَقِيرُ يَنْصَاعُ بِمِلْءِ مُدِّهِ وَصَاعِهِ . وَٱلْغَنِيُّ يَرْتَعُ فِي مُلْكِهِ وَأَقْطَاعِهِ . وَٱلْوَحْشُ تَأْتِي زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا . وَٱلطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا . قَالَ ٱبْنُ حَبِيبٍ :

مَصِيفٌ لَهُ ظِلٌّ مَدِيدٌ عَلَى ٱلْوَرَى ... وَمَنْ قَدْ حَلَا طَعْمًا وَحَلَّلَ أَخْلَاطَا
يُعَالِجُ أَنْوَاعَ ٱلْفَوَاكِهِ مُبْدِيًا ... لِصِحَّتِهَا حِفْظًا يُعَجِّزُ بُقْرَاطَا

١١٣ (وَقَالَ ٱلْخَرِيفُ):

أَنَا سَائِقُ ٱلْغُيُومِ . وَكَاسِرُ جَيْشِ ٱلْغُمُومِ . وَهَازِمُ أَحْزَابِ

ٱلسَّمُومِ . وَحَادِي نَجَائِبِ ٱلسَّحَائِبِ . وَحَاسِرُ نِقَابِ ٱلْمَنَاقِبِ . أَنَا أَصُدُّ ٱلصَّدَى . وَأَجُودُ بِٱلنَّدَى . وَأُظْهِرُ كُلَّ مَعْنًى جَلِيٍّ . وَأَسْمُو بِٱلْوَسْمِيِّ وَٱلْوَلِيِّ . فِي أَيَّامِي تُقْطَفُ ٱلثِّمَارُ . وَتَصْفُو ٱلْأَنْهَارُ مِنَ ٱلْأَكْدَارِ . وَيَتَرَقْرَقُ دَمْعُ ٱلْعُيُونِ . وَيَتَلَوَّنُ وَرَقُ ٱلْغُصُونِ . طَوْرًا يُحَاكِي ٱلْبَقَّمَ . وَتَارَةً يُشْبِهُ ٱلْأَرْقَمَ . وَحِينًا يَبْدُو فِي حُلَّتِهِ ٱلذَّهَبِيَّةِ . فَيَجْذِبُ إِلَى خُلَّتِهِ ٱلْقُلُوبَ ٱلْأَبِيَّةَ . وَفِيهَا يَكْفِي ٱلنَّاسُ هَمَّ ٱلْهَوَامِّ . وَيَتَسَاوَى فِي لَذَّةِ ٱلْمَاءِ ٱلْخَاصُّ وَٱلْعَامُّ . وَتَتَقَدَّمُ ٱلْأَطْيَارُ مُطْرِبَةً بِنَشِيشِهَا . رَافِلَةً فِي ٱلْمَلَابِسِ ٱلْمُجَدَّدَةِ فِي رِيشِهَا . وَتُعْصَرُ بِنْتُ ٱلْعُنْقُودِ . وَتُوثَقُ فِي سِجْنِ ٱلدَّنِّ بِٱلْقُيُودِ . عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَجْتَرِحْ إِثْمًا . وَلَمْ تُعَاقَبْ إِلَّا عُدْوَانًا وَظُلْمًا . بِي تَطِيبُ ٱلْأَوْقَاتُ وَتَحْصُلُ ٱللَّذَّاتُ . وَتَرِقُّ ٱلنَّسَمَاتُ . وَتُرْمَى حَصَى ٱلْجَمَرَاتِ . وَتَسْكُنُ حَرَارَةُ ٱلْقُلُوبِ . وَتَكْثُرُ أَنْوَاعُ ٱلْمَطْعُومِ وَٱلْمَشْرُوبِ . كَمْ لِي مِنْ شَجَرَةٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ . وَحَمْلُهَا لِلنَّفْعِ ٱلْمُتَعَدِّي لَازِمٌ . وَوَرَقُهَا غَيْرُ زَائِلٍ . وَقُدُودُ أَغْصَانِهَا تُخْجِلُ كُلَّ رُمْحٍ ذَابِلٍ . وَلِٱبْنِ حَبِيبٍ :

إِنَّ فَصْلَ ٱلْخَرِيفِ وَافَى إِلَيْنَا ... يَتَهَادَى فِي حَلْيِهِ كَٱلْعَرُوسِ

غَيْرُهُ كَانَ لِلْعُيُونِ رَبِيعًا ... وَهُوَ مَا بَيْنَنَا رَبِيعُ ٱلنُّفُوسِ

١١٤ (وَقَالَ ٱلشِّتَاءُ):

أَنَا شَيْخُ ٱلْجَمَاعَةِ . وَرَبُّ ٱلْبِضَاعَةِ . وَٱلْمُقَابِلُ بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ . أَجْمَعُ شَمْلَ ٱلْأَصْحَابِ . وَأُسْبِلُ عَلَيْهِمِ ٱلْحِجَابَ . وَأُتْحِفُهُمْ بِٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ بِي طَاقَةٌ أُغْلِقُ مِنْ دُونِهِ ٱلْبَابَ . أَمِيلُ إِلَى

ٱلْمطيعِ . أَلْقَادِرِ ٱلْمُسْتَطِيعِ . أَلْمُتَضِدِ بِٱلْبُرُودِ وَٱلْفِرَا . أَلْمُسْتَمْسِكِ مِنَ ٱلدِّثَارِ بِأَوْثَقِ ٱلْعُرَا . أَلْمُرْتَقِبِ قُدُومِي وَمُوَافَاتِي . أَلْمُتَأَهِّبِ لِلسَّبْعَةِ ٱلْمَشْهُورَةِ مِنْ كَافَاتِي . وَمَنْ يَعِشْ مِنْ ذِكْرِي . وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرِي . أَرْجَفْتُهُ بِصَوْتِ ٱلرَّعْدِ . وَأَنْجَزْتُ لَهُ مِنْ سَيْفِ ٱلْبَرْقِ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ . وَسِرْتُ إِلَيْهِ بِعَسَاكِرِ ٱلسَّحَابِ . وَلَمْ أَقْنَعْ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بِٱلْإِيَابِ . مَعْرُوفِي مَعْرُوفٌ . وَنَيْلُ نِيلِي مَوْصُوفٌ . وَثِمَارُ إِحْسَانِي دَانِيَةُ ٱلْقُطُوفِ . كَمْ لِي مِنْ وَابِلٍ طَوِيلِ ٱلْمَدَا . وَجَوْدٍ وَافِرِ ٱلْجَدَا . وَقَطْرٍ حَلَا مَذَاقُهُ . وَغَيْثٍ قَيَّدَ ٱلْعُفَاةَ إِطْلَاقُهُ . وَدِيمَةٍ تُطْرِبُ ٱلسَّمْعَ بِصَوْتِهَا . وَحَيًا يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . أَيَّامِي وَجِيزَةٌ . وَأَوْقَاتِي عَزِيزَةٌ . وَمَجَالِسِي مَعْمُورَةٌ . بِذَوِي ٱلسِّيَادَةِ مَغْمُورَةٌ . بِٱلْخَيْرِ وَٱلْمَيْرِ وَٱلسَّعَادَةِ . نُقْلُهَا يَأْتِي مِنْ أَنْوَاعِهِ بِٱلْعَجَبِ . وَمَنَاقِلُهَا تَسْمَحُ بِذَهَبِ ٱللَّهَبِ . وَرَاحُهَا تُنْعِشُ ٱلْأَرْوَاحَ . تَفْتِنُ ٱلْعُقُولَ ٱلصِّحَاحَ . إِنْ رُدْتَهَا وَجَدْتَ مَالًا مَمْدُودًا . وَإِنْ زُرْتَهَا شَاهَدْتَ لَهَا بَنِينَ شُهُودًا :

وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي ٱلْهَوَا   عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْعَقِيقِ عُقُودَا
يَا صَاحِبَ ٱلْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا   حَرِّكْ لَنَا عُودًا وَحَرِّقْ عُودَا

فَلَمَّا نَظَمَ كُلٌّ مِنْهُمْ سِلْكَ مَقَالِهِ . وَفَرَغَ مِنَ ٱلْكَلَامِ عَلَى شَرْحِ حَالِهِ . أَخَذَ ٱلْجَمَاعَةَ مِنَ ٱلطَّرَبِ مَا يَأْخُذُ أَهْلَ ٱلسُّكْرِ . وَتَجَاذَبُوا أَطْرَافَ مَطَارِفِ ٱلثَّنَاءِ وَٱلشُّكْرِ . وَظَهَرَتْ أَسْرَارُ ٱلسُّرُورِ . وَٱنْشَرَحَتْ صُدُورُ ٱلصُّدُورِ . وَهَبَّتْ نَسَمَاتُ قَبُولِ ٱلْإِقْبَالِ . وَأَنْشَدَ لِسَانُ ٱلْحَالِ :

وَمَاذَا يَعِيبُ ٱلْمَرْءَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ بِكَذُوبِ

ثُمَّ ٱنْفَضَّ ٱلْمَجْلِسُ وَحُلَّ ٱلنِّطَاقُ . وَتَفَرَّقَ شَمْلُ أَهْلِهِ وَآخِرُ ٱلصُّحْبَةِ ٱلْفِرَاقُ

(نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي)

البحر والبرّ

١١٥ قَدْ تَفَاوَضَ لِسَانُ حَالِ ٱلْبَحْرِ وَلِسَانُ حَالِ ٱلْبَرِّ . وَهُمَا فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ عِيدِ ٱلْفِطْرِ وَعِيدِ ٱلنَّحْرِ . بِعِتَابٍ فِي ٱلسِّرِّ مُنَزَّهٍ عَنِ ٱلشَّرِّ . (فَقَالَ ٱلْبَرُّ) : يَا صَاحِبَ ٱلدُّرِّ وَمَعْدِنَ ٱلدُّرِ أَغْرَقْتَ رِيَاضِي . وَمَزَّقْتَ جُسُورِي وَأَحْوَاضِي . وَأَغْرَقْتَ جُثَّتِي وَدَخَلْتَ جَنَّتِي . وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُكَ عَلَى جُنَّتِي . وَأَكَلْتَ جَزَائِرِي وَجُرُوفِي . وَأَهْلَكْتَ مَرْعَى فَصِيلِي وَخَرُوفِي . وَأَهْزَلْتَ ثَوْرِي وَجَمَلِي . وَفَرَسِي وَحَمَلِي . وَأَجْرَيْتَ سُفُنَكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهَا . وَلَمْ تُمِرَّ طَرْفَ غُرَابِهَا إِلَيْهَا . وَغَرَسْتَ أَوْتَادَهَا عَلَى أَوْتَادِ ٱلْأَرْضِ . وَعَرَّسْتَ فِي مَوَاطِنِ ٱلنَّفْلِ وَٱلْفَرْضِ . وَجَعَلْتَ مَجْرَى مَرَاكِبِكَ فِي مَجْرَى مَرَاكِبِي . وَمَشَى حُوتُكَ عَلَى بَطْنِهِ فِي سَعْدِ أَخْبِيَةِ مَضَارِبِي . وَغَاصَ مَلَّاحُكَ فِي دِيَارِ فَرَحِي . وَهَاجَرْتَ مِنَ ٱلْقُرَى إِلَى أُمِّ ٱلْقُرَى . وَحَمَّلْتَ فَلَّاحِي أَثْقَالَهُ عَلَى ٱلْقَرَى . وَقَدْ تَلَقَّيْتُكَ مِنَ ٱلْجَنَادِلِ بِصَدْرِي . وَحَمَلْتُكَ إِلَى بَرْزَخِكَ عَلَى ظَهْرِي . وَقَبَّلَتْ أَمْوَاجَكَ بِثَغْرِي وَخَلَّقَتْ مِقْيَاسِي فَرَحًا بِقُدُومِكَ إِلَى مِصْرِي . وَقَدْ جُرْتَ وَعَدَلْتَ . وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . وَأَخْرَبْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَٱخْتَرْتَ رَحْلَكَ وَبَيْنَكَ . فَلَعَلَّكَ تَفِيضُ . وَلَا يَكُونُ ذَهَابُكَ عَلَيَّ

ذهابَ بَعيضٍ . أوْ تُفارِقَ هٰذهِ ٱلفِجاجَ . وتَختلطَ بِٱلبحرِ ٱلعجاجِ . وَإنَّنا لَمْ تَفصلْ شكوْناكَ إلَى مَنْ أنْزلكَ مِنَ ٱلسَّماءِ . وأنعمَ بِكَ عَلينا مِن خزائنِ ٱلماءِ :

إذا لَمْ تكُنْ تَرحمْ بِلادًا وَلَمْ تَغثْ عِبادًا فَمولاهُمْ يُغيثُ وَيرْحمُ
وَإنْ صدرتْ مِنهمْ ذُنوبٌ عَظيمةٌ فَعفوُ ٱلذي أجراكَ يابحرُ أعظمُ
نَمُدُّ إليهِ أيديًا لَمْ نَمُدَّها إلَى غيرهِ وَٱللهُ بِٱلحالِ أعلمُ

(قالَ ٱلبحرُ): يا برُّ ياذا ٱلبرِّ . ومَنبتَ ٱلبُرِّ . هكذا تُخاطِبُ ضَيفكَ . وَهُوَ يُخصبُ شِتاءكَ وصيفكَ . وَقدْ ساقَني ٱللهُ إلَى أرضِكَ ٱلجُرزِ . وَمَعدِنِ ٱلدُّرِّ وَٱلخَرزِ . لِأبهجَ زرعَها وأُخيلَها . وأُخرجَ أبَّها ونَخيلَها . وأُكرِمَ ساكنَكَ . وأُنزلَ ٱلبركةَ فِي أماكنكَ . وأُثبتَ لكَ فِي قلبِ أهلِكَ أحكامَ ٱلمحبَّةِ . وأُنبتَ بِكَ لهمْ فِي كلِّ سُنبلةٍ مِائةَ حبَّةٍ . وأُحييكَ حياةً طيبةً يَبتهجُ بِها عُمرُكَ ٱلجديدُ . ويَتلُو كذٰلكَ يُحيي ٱللهُ ٱلموتَى ألسنةُ ٱلعبيدِ . وأُطهِّركَ مِنَ ٱلأوساخِ . وأَحمِلَ إليكَ ٱلإبليزَ فأُطيِّبكَ بِهِ مِن عرقِ ٱلسِّباخِ . وأنا هديَّةُ ٱللهِ إلَى مِصرِكَ . ومِلكُ عصرِكَ ٱلقائمِ بِنصرِكَ . وَكذٰلكَ أُنمي مالَ ٱلسُّلطانِ . ولولا بركاتي عليكَ ومَسيري فِي كلِّ مَسرًى إليكَ لكنتَ وادِيًا غيرَ ذي زرعٍ . وَصادِيًا غيرَ ذي ضرعٍ . هٰذا وَلَمْ أتحرَّكْ إليكَ إلَّا بِإذنِ أسمعهُ بِأُذنٍ . وأخرجُ لِأجلكَ مِنْ جنَّاتِ عدنٍ . وأدخلُ بعدَ إحيائكَ فِي ٱلبحرِ ٱلأعظمِ وقيلَ إنَّهُ جهنَّمُ . وتهتزُّ طربًا إذا رحلتُ

عَنكَ بِأَمرِ مَن أرسَلَنِي إِلَيكَ وَتَتَبَسَّمُ فَلا أَقَلَّ مِن أَن تُزَوِّدَنِي بِشُكرٍ. فِي صَحوٍ سُكرٍ. فَإِلَى اللهِ البَرِّ آمالُكَ أَيُّها البَرُّ. وَأَسأَلُهُ أَن يُسَخِّرَكَ وَيُسَخِّرَنِي لِأَهلِ الخَيرِ وَالبِرِّ. فَأَنا وَأَنتَ إِلَى خَيرِهِ فَقِيرانِ. وَتُرابُكَ وَمائِي لِأَهلِ عِبادِهِ طَهُورانِ. وَبَعدَ ذٰلِكَ فَأَقُولُ لَكَ يا مُبارَكَ المَسالِكِ. وَكِنانَةَ اللهِ المَحرُوسَةَ بِالمَلائِكِ:

سَرَيتُ أَنا ماءُ الحَياةِ فَلا أَذَى ... إِذا ما حَفِظتُ الصَّحبَ فَالمالُ هَيِّنُ

فَكُن خَضِرًا يا بَرُّ وَاعلَم بِأَنَّنِي ... إِلَى طِينِكَ الظَّمآنِ بِالرَّيِّ أَحسَنُ

وَأَسعَى إِلَيهِ فِي بِلادٍ بَعِيدَةٍ ... وَأُحسِنُ أَجرِي بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ

إِذا طافَ طُوفانِي بِمِقياسِكَ الَّذِي ... يُسَرُّ بِإِتيانِ الوَفاءِ وَيُعلِنُ

فَقُم وَتَلَقَّاهُ بِبَسطَتِكَ الَّتِي ... لِرَوضَتِها فَضلٌ عَلَى الرَّوضِ بَيِّنُ

وَلَعَمرِي لَقَد تَلَطَّفَ البَرُّ فِي عِتابِهِ وَأَحسَنَ. وَدَفَعَ البَحرُ فِي جَوابِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ. وَقَدِ اصطَلَحنا عَلَى مَصالِحِنا بَينَ العِيدَينِ. وَصارا بِفَضلِ اللهِ لَنا كَالعَبدَينِ. وَهُما بِحَمدِ اللهِ خِوانانِ لِعِبادِهِ. أَو أَخَوانِ مُتَظافِرانِ عَلَى عِمارَةِ بِلادِهِ. فَاللهُ تَعالَى يُخصِبُ مَرعاهُما. وَيَحرُسُهُما وَيَرعاهُما. وَيُثَبِّتُهُما بِالجِبالِ الشَّواهِقِ. وَيُقِرُّ بِهِما جُفُونَ الأَحداقِ وَعُيُونَ الحَدائِقِ (الكنز المدفون للسيوطي)

وفود العرب على كسرى

١١٦ رَوَى ابنُ القَطامِيِّ عَنِ الكَلبِيِّ. قالَ: قَدِمَ النُّعمانُ بنُ المُنذِرِ عَلَى كِسرَى وَعِندَهُ وُفُودُ الرُّومِ وَالهِندِ وَالصِّينِ. فَذَكَرُوا مِن

مُلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ. فَافْتَخَرَ النُّعْمَانُ بِالْعَرَبِ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ لَا يَسْتَثْنِي فَارِسَ وَلَا غَيْرَهَا. فَقَالَ كِسْرَى وَأَخَذَتْهُ عِزَّةُ الْمُلْكِ: يَا نُعْمَانُ لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ. وَنَظَرْتُ فِي حَالِ مَنْ يَقْدَمُ عَلَيَّ مِنْ وُفُودِ الْأُمَمِ. فَوَجَدْتُ الرُّومَ لَهَا حَظًّا فِي اجْتِمَاعِ أُلْفَتِهَا وَعِظَمِ سُلْطَانِهَا. وَكَثْرَةِ مَدَائِنِهَا وَوَثِيقِ بُنْيَانِهَا. وَأَنَّ لَهَا دِينًا يُبَيِّنُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا. وَيَرُدُّ سَفِيهَهَا وَيُقِيمُ جَاهِلَهَا. وَرَأَيْتُ الْهِنْدَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ فِي حِكْمَتِهَا وَطِبِّهَا مَعَ كَثْرَةِ أَنْهَارِ بِلَادِهَا وَثِمَارِهَا. وَعَجِيبِ صِنَاعَاتِهَا وَطِيبِ أَشْجَارِهَا. وَدَقِيقِ حِسَابِهَا وَكَثْرَةِ عَدَدِهَا. وَكَذَلِكَ الصِّينَ فِي اجْتِمَاعِهَا وَكَثْرَةِ صِنَاعَاتِ أَيْدِيهَا وَفُرُوسِيَّتِهَا وَهِمَّتِهَا فِي آلَةِ الْحَرْبِ وَصِنَاعَةِ الْحَدِيدِ. وَأَنَّ لَهَا مَلِكًا يَجْمَعُهَا. وَالتُّرْكَ وَالْخَزَرَ عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ سُوءِ الْحَالِ فِي الْمَعَاشِ وَقِلَّةِ الرِّيفِ وَالثِّمَارِ وَالْحُصُونِ وَمَا هُوَ رَأْسُ عِمَارَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَسَاكِنِ وَالْمَلَابِسِ لَهُمْ مُلُوكٌ تَضُمُّ قَوَاصِيَهُمْ وَتُدَبِّرُ أَمْرَهُمْ. وَلَمْ أَرَ لِلْعَرَبِ شَيْئًا مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَزْمٍ وَلَا قُوَّةٍ. وَمَعَ أَنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَهَانَتِهَا وَذُلِّهَا وَصِغَرِ هِمَّتِهَا مَحَلَّتَهُمُ الَّتِي هُمْ بِهَا مَعَ الْوُحُوشِ النَّافِرَةِ وَالطَّيْرِ الْحَائِرَةِ. يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ. وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْحَاجَةِ. قَدْ خَرَجُوا مِنْ مَطَاعِمِ الدُّنْيَا وَمَلَابِسِهَا وَمَشَارِبِهَا وَلَهْوِهَا وَلَذَّاتِهَا. فَأَفْضَلُ طَعَامٍ ظَفِرَ بِهِ نَاعِمُهُمْ لُحُومُ الْإِبِلِ الَّتِي يَعَافُهَا كَثِيرٌ مِنَ السِّبَاعِ لِثِقَلِهَا وَسُوءِ طَعْمِهَا وَخَوْفِ دَائِهَا. وَإِنْ قَرَى أَحَدُهُمْ ضَيْفًا عَدَّهَا مَكْرُمَةً. وَإِنْ أَطْعَمَ أَكْلَةً عَدَّهَا غَنِيمَةً.

تَنْطِقُ بِذٰلِكَ أَشْعَارُهُمْ وَتَفْتَخِرُ بِذٰلِكَ رِجَالُهُمْ . مَا خَلَا هٰذِهِ ٱلتَّنُوخِيَّةَ ٱلَّتِي أَسَّسَ جَدِّي ٱجْتِمَاعَهَا وَشَدَّ مَمْلَكَتَهَا وَمَنَعَهَا مِنْ عَدُوِّهَا . فَجَرَى لَهَا ذٰلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هٰذَا . وَإِنَّ لَهَا مَعَ ذٰلِكَ آثَارًا وَلَبُوسًا وَقُرًى وَحُصُونًا وَأُمُورًا تُشْبِهُ بَعْضَ أُمُورِ ٱلنَّاسِ يَعْنِي ٱلْيَمَنَ . ثُمَّ لَا أَرَاكُمْ تَسْتَكِينُونَ عَلَى مَا بِكُمْ مِنَ ٱلذِّلَّةِ وَٱلْقِلَّةِ وَٱلْفَاقَةِ وَٱلْبُؤْسِ حَتَّى تَفْتَخِرُوا وَتُرِيدُوا أَنْ تَنْزِلُوا فَوْقَ مَرَاتِبِ ٱلنَّاسِ . قَالَ ٱلنُّعْمَانُ : أَصْلَحَ ٱللّٰهُ ٱلْمَلِكَ . حَقٌّ لِأُمَّةٍ ٱلْمَلِكُ مِنْهَا أَنْ يَسْمُوَ فَضْلُهَا وَيَعْظُمَ خَطْبُهَا وَتَعْلُوَ دَرَجَتُهَا . إِلَّا أَنَّ عِنْدِي جَوَابًا فِي كُلِّ مَا نَطَقَ بِهِ ٱلْمَلِكُ فِي غَيْرِ رَدٍّ عَلَيْهِ وَلَا تَكْذِيبٍ لَهُ . فَإِنْ أَمَّنَنِي مِنْ غَضَبِهِ نَطَقْتُ بِهِ . قَالَ كِسْرَى : قُلْ فَأَنْتَ آمِنٌ . قَالَ ٱلنُّعْمَانُ : أَمَّا أُمَّتُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَلَيْسَتْ تُنَازَعُ فِي ٱلْفَضْلِ لِمَوْضِعِهَا ٱلَّذِي هِيَ بِهِ مِنْ عُقُولِهَا وَأَحْلَامِهَا وَبَسْطَةِ مَحَلِّهَا وَبُحْبُوحَةِ عِزِّهَا . وَمَا أَكْرَمَهَا ٱللّٰهُ بِهِ مِنْ وِلَايَةِ آبَائِكَ وَوِلَايَتِكَ . وَأَمَّا ٱلْأُمَمُ ٱلَّتِي ذَكَرْتَ فَأَيُّ أُمَّةٍ تَقْرِنُهَا بِٱلْعَرَبِ إِلَّا فَضَلَتْهَا . قَالَ كِسْرَى : بِمَاذَا . قَالَ ٱلنُّعْمَانُ : بِعِزِّهَا وَمَنَعَتِهَا وَحُسْنِ وُجُوهِهَا وَبَأْسِهَا وَسَخَائِهَا وَحِكْمَةِ أَلْسِنَتِهَا وَشِدَّةِ عُقُولِهَا وَأَنَفَتِهَا وَوَفَائِهَا . فَأَمَّا (عِزُّهَا وَمَنَعَتُهَا) فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ مُجَاوِرَةً لِآبَائِكَ ٱلَّذِينَ دَوَّخُوا ٱلْبِلَادَ وَوَطَّدُوا ٱلْمُلْكَ وَقَادُوا ٱلْجُنْدَ . وَلَمْ يَطْمَعْ فِيهِمْ طَامِعٌ وَلَمْ يَنَلْهُمْ نَائِلٌ . حُصُونُهُمْ ظُهُورُ خَيْلِهِمْ وَمِهَادُهُمُ ٱلْأَرْضُ وَسُقُوفُهُمُ ٱلسَّمَاءُ . وَجُنَّتُهُمُ ٱلسُّيُوفُ وَعُدَّتُهُمُ ٱلصَّبْرُ . إِذْ غَيْرُهَا مِنَ ٱلْأُمَمِ إِنَّمَا عِزُّهَا ٱلْحِجَارَةُ وَٱلطِّينُ وَجَزَائِرُ ٱلْبُحُورِ . وَأَمَّا (حُسْنُ وُجُوهِهَا وَأَلْوَانِهَا) فَقَدْ يُعْرَفُ فَضْلُهُمْ فِي

ذٰلِكَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْهِنْدِ ٱلْمُنْخَرِقَةِ. وَٱلصِّينِ ٱلْمُنْخَفَةِ. وَٱلتُّرْكِ ٱلْمُشَوَّهَةِ. وَٱلرُّومِ ٱلْمُقَشَّرَةِ. وَأَمَّا (أَنْسَابُهَا وَأَحْسَابُهَا) فَلَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا وَقَدْ جَهِلَتْ آبَاءَهَا وَأُصُولَهَا وَكَثِيرًا مِنْ أَوَّلِهَا. حَتَّى أَنَّ أَحَدَهُمْ يُسْأَلُ عَمَّنْ وَرَاءَ أَبِيهِ دُنْيَا فَلَا يَنْسُبُهُ وَلَا يَعْرِفُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ إِلَّا يُسَمِّي آبَاءَهُ أَبًا فَأَبًا. أَحَاطُوا بِذٰلِكَ أَحْسَابَهُمْ. وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ. فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ. وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ. وَأَمَّا سَخَاؤُهَا فَإِنَّ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ٱلَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ ٱلْبَكْرَةُ وَٱلنَّابُ. عَلَيْهَا بُلُوغُهُ فِي حُمُولِهِ وَشِبَعِهِ وَرِيِّهِ. فَيَطْرُقُهُ ٱلطَّارِقُ ٱلَّذِي يَكْتَفِي بِٱلْفِلْذَةِ وَيَجْتَرِي بِٱلشَّرْبَةِ. فَيَعْقِرُهَا لَهُ وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حُسْنَ ٱلْأُحْدُوثَةِ وَطِيبَ ٱلذِّكْرِ. وَأَمَّا (حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ) فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ وَحُسْنِهِ وَوَزْنِهِ وَقَوَافِيهِ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِٱلْأَشْيَاءِ وَضَرْبِهِمْ لِلْأَمْثَالِ وَإِبْلَاغِهِمْ فِي ٱلصِّفَاتِ مَا لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْ أَلْسِنَةِ ٱلْأَجْنَاسِ. ثُمَّ خَيْلُهُمْ أَفْضَلُ ٱلْخَيْلِ وَنِسَاؤُهُمْ أَعَفُّ ٱلنِّسَاءِ. وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ ٱللِّبَاسِ. وَمَعَادِنُهُمُ ٱلذَّهَبُ وَٱلْفِضَّةُ. وَحِجَارَةُ جِبَالِهِمِ ٱلْجَزْعُ. وَمَطَايَاهُمُ ٱلَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ وَلَا يُقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفْرٌ. وَأَمَّا (دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا) فَإِنَّهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نُسُكِهِ بِدِينِهِ أَنَّ لَهُمْ أَشْهُرًا حُرُمًا وَبَلَدًا مُحَرَّمًا وَبَيْتًا مَحْجُوجًا. يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذَبَائِحَهُمْ. فَيَلْقَى ٱلرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَخْذِ ثَأْرِهِ وَإِدْرَاكِ رَغْمِهِ مِنْهُ

يحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . وأما (وفاؤها) فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولث وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه. وإن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته . وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب . فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره . وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك (يئدون أولادهم) فإنما يفعله بعض جهلتهم بالإناث أنفة من العار . وأما قولك (إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها) فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له . فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم . مع أنها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما . وأرقها ألبانا وأقلها غائلة . وأحلاها مضغة . وإنه لا شيء من اللحمان يعالج بما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه . وأما (تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم) . فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف . وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمتهم . وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا

أَجْمَعِينَ مع أَنَفَتِهِمْ مِنْ أَدَاءِ الْخَرَاجِ وَالْوَصْفِ بِالْعَسْفِ . أَمَّا الْيَمَنُ الَّتِي وَصَفَهَا الْمَلِكُ فَلَمَّا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهَا الَّذِي أَتَاهُ عِنْدَ غَلَبَةِ الْحَبَشِ لَهُ عَلَى مُلْكٍ مُتَّسِقٍ وَأَمْرٍ مُجْتَمِعٍ فَأَتَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَصْرِخًا . قَدْ تَقَاصَرَ عَنْ إِيوَانِهِ . وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ مَا شُيِّدَ مِنْ بِنَائِهِ . وَلَوْلَا مَا وُتِرَ بِهِ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ لَمَالَ إِلَى مَجَالٍ . وَلَوَجَدَ مَنْ يُجِيدُ الطِّعَانَ وَيَغْضَبُ لِلْأَحْرَارِ مِنْ غَلَبَةِ الْعَبِيدِ الْأَشْرَارِ . (قَالَ) فَعَجِبَ كِسْرَى لِمَا أَجَابَهُ النُّعْمَانُ بِهِ وَقَالَ : إِنَّكَ لَأَهْلٌ لِمَوْضِعِكَ مِنَ الرِّيَاسَةِ فِي أَهْلِ إِقْلِيمِكَ وَلِمَا هُوَ أَفْضَلُ . ثُمَّ كَسَاهُ مِنْ كُسْوَتِهِ وَسَرَّحَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِيرَةِ

فَلَمَّا قَدِمَ النُّعْمَانُ الْحِيرَةَ وَفِي نَفْسِهِ مَا فِيهَا مِمَّا سَمِعَ مِنْ كِسْرَى مِنْ تَنَقُّصِ الْعَرَبِ وَتَهْجِينِ أَمْرِهِمْ بَعَثَ إِلَى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ وَحَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ التَّمِيمِيَّيْنِ وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ وَقَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ الْبَكْرِيَّيْنِ وَإِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ وَالْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ الْمُرِّيِّ . فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْخَوَرْنَقِ قَالَ لَهُمْ : قَدْ عَرَفْتُمْ هٰذِهِ الْأَعَاجِمَ وَقُرْبَ جِوَارِ الْعَرَبِ مِنْهَا . وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كِسْرَى مَقَالَاتٍ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ لَهَا غَوْرٌ . أَوْ يَكُونَ إِنَّمَا أَظْهَرَهَا لِأَمْرٍ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ بِهِ الْعَرَبَ خَوَلًا كَبَعْضِ طَمَاطِمَتِهِ فِي تَأْدِيَتِهِمِ الْخَرَاجَ إِلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ بِمُلُوكِ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُ . فَاقْتَصَّ عَلَيْهِمْ مَقَالَاتِ كِسْرَى وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ . فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ وَفَّقَكَ اللّٰهُ مَا أَحْسَنَ مَا رَدَدْتَ وَأَبْلَغَ مَا أَجَبْتَ بِهِ . فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ وَادْعُنَا إِلَى مَا شِئْتَ . قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ وَإِنَّمَا مَلَكْتُ

وَعَزَزْتُ بِمَكَانِكُمْ وَمَا يُتَخَوَّفُ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سَدَّدَ ٱللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ وَأَصْلَحَ بِهِ شَأْنَكُمْ وَأَدَامَ بِهِ عِزَّكُمْ. وَٱلرَّأْيُ أَنْ تَسِيرُوا بِجَمَاعَتِكُمْ أَيُّهَا ٱلرَّهْطُ وَتَنْطَلِقُوا إِلَى كِسْرَى. فَإِذَا دَخَلْتُمْ نَطَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا حَضَرَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ ٱلْعَرَبَ عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّ أَوْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ. وَلَا يَنْطِقْ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِمَا يُغْضِبُهُ فَإِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمُ ٱلسُّلْطَانِ كَثِيرُ ٱلْأَعْوَانِ مُتْرَفٌ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ. وَلَا تَنْخَزِلُوا لَهُ ٱنْخِزَالَ ٱلْخَاضِعِ ٱلذَّلِيلِ. وَلْيَكُنْ أَمْرٌ بَيْنَ ذٰلِكَ تَظْهَرُ بِهِ وَثَاقَةُ حُلُومِكُمْ وَفَضْلُ مَنْزِلَتِكُمْ وَعَظِيمُ أَخْطَارِكُمْ. وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَبْدَأُ مِنْكُمْ بِٱلْكَلَامِ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِسَنِيِّ حَالِهِ ثُمَّ تَتَابَعُوا عَلَى ٱلْأَمْرِ مِنْ مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي وَضَعْتُكُمْ بِهَا. فَإِنَّمَا دَعَانِي إِلَى ٱلتَّقْدِمَةِ إِلَيْكُمْ عِلْمِي بِمَجِيلِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَى ٱلتَّقَدُّمِ قَبْلَ صَاحِبِهِ. فَلَا يَكُونَنَّ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَيَجِدَ فِي آدَابِكُمْ مَطْعَنًا. فَإِنَّهُ مَلِكٌ مُتْرَفٌ وَقَادِرٌ مُسَلَّطٌ. ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِمَا فِي خَزَائِنِهِ مِنْ طَرَائِفِ حُلَلِ ٱلْمُلُوكِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ حُلَّةً وَعَمَّمَهُ عِمَامَةً وَخَتَّمَهُ بِيَاقُوتَةٍ. وَأَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَجِيبَةٍ مَهْرِيَّةٍ وَفَرَسٍ نَجِيبَةٍ وَكَتَبَ مَعَهُمْ كِتَابًا: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ أَلْقَى إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ ٱلْعَرَبِ مَا قَدْ عَلِمَ. وَأَجَبْتُهُ بِمَا قَدْ فَهِمَ. بِمَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ. وَلَا يَتَلَجْلَجَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ أُمَّةً مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلَّتِي ٱحْتَجَزَتْ دُونَهُ بِمَمْلَكَتِهَا وَحَمَتْ مَا يَلِيهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهَا تَبْلُغُهَا فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي يَتَعَزَّزُ بِهَا ذَوُو ٱلْحَزْمِ وَٱلْقُوَّةِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَٱلْمَكِيدَةِ. وَقَدْ أَوْفَدْتُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ رَهْطًا مِنَ ٱلْعَرَبِ لَهُمْ

الْعَرَبِ إِلَّا وَفِيهِ عِرْقٌ مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ يَنْزِعُ إِلَيْهِ (بدائع البدائه للازدي)

١١٩ رَوَى عقيلُ بنُ خالدٍ عن ابنِ شِهابٍ أَنَّ مروانَ بنَ الحكمِ وعبدَ اللهِ بنَ الزُّبيرِ اجتمعا ذاتَ يومٍ في حُجرةِ عائشةَ والحِجابُ بينهما وبينها يُحدِّثانها ويسألانها . فجرى الحديثُ بينَ مروانَ وابنِ الزُّبيرِ ساعةً وعائشةُ تسمعُ . فقال مروانُ :

فَمَنْ يَشَإِ الرَّحْمَانُ يَخْفِضْ بِقَدْرِهِ وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْفَعِ اللهُ رَافِعُ

فقال ابنُ الزُّبيرِ :

فَفَوِّضْ إِلَى اللهِ الْأُمُورَ إِذَا اعْتَرَتْ وَبِاللهِ لَا بِالْأَقْرَبِينَ أُدَافِعُ

فقال مروانُ :

وَدَاوِ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بِالْبِرِّ وَالتُّقَى فَلَا يَسْتَوِي قَلْبَانِ قَاسٍ وَخَاشِعُ

فقال ابنُ الزُّبيرِ :

وَلَا يَسْتَوِي عَبْدَانِ هٰذَا مُكَذِّبٌ عُتُلٌّ لِأَرْحَامِ الْعَشِيرَةِ قَاطِعُ

فقال مروانُ :

وَعَبْدٌ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ يَبِيتُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهْوَ رَاكِعُ

فقال ابنُ الزُّبيرِ :

وَلِلْخَيْرِ أَهْلٌ يُعْرَفُونَ بِهَدْيِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْمَجَامِعُ

فقال مروانُ :

وَلِلشَّرِّ أَهْلٌ يُعْرَفُونَ بِشَكْلِهِمْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْفُجُورِ الْأَصَابِعُ

فسكتَ ابنُ الزُّبيرِ ولم يُجِبْ فقالتْ عائشةُ : يا عبدَ اللهِ ما لكَ

لَمْ تُجِبْ صَاحِبَكَ. فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُ تَجَاوُلًا فِي نَحْوٍ مَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ تَجَاوُلِكُمَا. فَقَالَ ٱبْنُ ٱلزُّبَيْرِ: إِنِّي خِفْتُ عَوَارَ ٱلْقَوْلِ فَكَفَفْتُ

١٢٠ جَلَسَ أَبُو إِسْحَاقَ ٱلنَّجِيرَمِيُّ عِنْدَ كَافُورٍ ٱلْإِخْشِيدِيِّ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامِ مَوْلَانَا (وَكَسَرَ مِيمَ أَيَّامِ) فَتَبَسَّمَ كَافُورٌ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ. فَفَطِنَ لِذٰلِكَ فَقَالَ ٱرْتِجَالًا:

لَا غَرْوَ أَنْ لَحَنَ ٱلدَّاعِي لِسَيِّدِنَا ... وَغَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِٱلرِّيقِ وَٱلْبَهَرِ
فَمِثْلُ سَيِّدِنَا حَالَتْ مَهَابَتُهُ ... بَيْنَ ٱلْأَدِيبِ وَبَيْنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْحَصَرِ
وَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ ٱلْأَيَّامَ مِنْ دَهَشٍ ... فِي مَوْضِعِ ٱلنَّصْبِ لَا مِنْ قِلَّةِ ٱلْبَصَرِ
فَإِنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلَا نَصَبٍ ... وَإِنَّ دَوْلَتَهُ صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ وَلِلنَّجِيرَمِيِّ بِمِائَتَيْنِ

١٢١ أَخْبَرَ ٱلشَّيْخُ تَاجُ ٱلدِّينِ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو ٱلْيُمْنِ ٱلْكِنْدِيُّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ ٱلْعَلِيمِيَّ لَمَّا قَصَدَ بَدْرًا ٱلْجَمَالِيَّ بِمِصْرَ رَأَى عَلَى بَابِهِ أَشْرَافَ ٱلنَّاسِ وَكُبَرَاءَهُمْ وَشُعَرَاءَهُمْ. فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ فَكُلٌّ أَخْبَرَهُ عَنْ طُولِ مُقَامِهِ بِبَابِهِ وَتَعَذُّرِ لِقَائِهِ لَهُ. وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِهِ قَاصِدًا لَهُ. فَكُلٌّ أَيَّسَهُ مِنْ لِقَائِهِ. فَبَيْنَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ خَرَجَ بَدْرٌ يُرِيدُ ٱلصَّيْدَ. فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا عَلَا نَشَزًا مِنَ ٱلْأَرْضِ ثُمَّ جَعَلَ فِي عِمَامَتِهِ رِيشَةَ نَعَامٍ يُشَهِّرُ بِهَا نَفْسَهُ. فَلَمَّا قَرُبَ إِلَيْهِ أَوْمَأَ بِرُقْعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

نَحْنُ ٱلتِّجَارُ وَهٰذِهِ أَعْلَاقُنَا ... دُرَرٌ وَجُودُ يَمِينِكَ ٱلْمُبْتَاعُ

قَلِّبْ وَفَتِّشْهَا بِسَمْعِكَ إِنَّمَا هِيَ جَوْهَرٌ تَخْتَارُهُ ٱلْأَسْمَاعُ
كَسَدَتْ عَلَيْنَا بِٱلشَّآمِ وَكُلَّمَا قَلَّ ٱلنَّفَاقُ تَعَطَّلَ ٱلصُّنَّاعُ
فَأَتَاكَ يَحْمِلُهَا إِلَيْكَ تِجَارُهَا وَمَطِيُّهَا ٱلْآمَالُ وَٱلْأَطْمَاعُ
حَتَّى أَنَاخُوهَا بِبَابِكَ وَٱلرَّجَا مِنْ دُونِهَا ٱلسِّمْسَارُ وَٱلْبَيَّاعُ
فَوَهَبْتَ مَا لَمْ يُعْطِهِ فِي دَهْرِهِ هَرِمٌ وَلَا كَعْبٌ وَلَا ٱلْقَعْقَاعُ
وَسَبَقْتَ هٰذَا ٱلنَّاسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا فَٱلنَّاسُ بَعْدَكَ كُلُّهُمْ أَتْبَاعُ
يَا بَدْرُ أُقْسِمُ لَوْ بِكَ ٱعْتَصَمَ ٱلْوَرَى وَلَجُوا إِلَيْكَ جَمِيعُهُمْ مَا ضَاعُوا

(قَالَ) وَكَانَ عَلَى يَدِ بَدْرٍ بَازٌ فَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْبَازْدَارِ فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ وَٱنْفَرَدَ بِهِ عَنِ ٱلْجَيْشِ وَجَعَلَ يَسْتَعِيدُهُ ٱلْأَبْيَاتَ وَهُوَ يُنْشِدُهَا إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى جَمَاعَةِ غِلْمَانِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَقَالَ: مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَخْلَعْ عَلَى هٰذَا ٱلشَّاعِرِ. قَالَ عَلْقَمَةُ: فَوَٱللهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَعِي سَبْعُونَ بَغْلًا تَحْمِلُ ٱلْخِلَعَ (الاغاني)

١٢٢ أَهْدَى ٱبْنُ عَبَّادٍ إِلَى فَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ بُوَيْهِ دِينَارًا وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ. وَكَانَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ مَكْتُوبًا:

وَأَحْمَرَ يَحْكِي ٱلشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً فَأَوْصَافُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ
فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ ٱسْمُهُ وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ
بَدِيعٌ وَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى ٱلدَّهْرِ مِثْلُهُ وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسَرَاتِهِ
فَقَدْ أَبْرَزَتْهُ دَوْلَةٌ فَلَكِيَّةٌ أَقَامَ بِهَا ٱلْإِقْبَالُ صَدْرَ قَنَاتِهِ
وَصَارَ إِلَى شَاهِنْشَاهَ ٱنْتِسَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَصْغَرٌ لِعُفَاتِهِ

يُخَيَّرُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ ... لِتَسْتَبْشِرَ ٱلدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ
تَأَنَّقَ فِيهِ عَبْدُهُ وَٱبْنُ عَبْدِهِ ... وَغَرْسُ أَيَادِيهِ وَكَافِي كُفَاتِهِ

وَكَانَ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ سُورَةُ ٱلْإِخْلَاصِ. وَلَقَبُ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلطَّائِعِ لِلّٰهِ وَلَقَبُ فَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ وَٱسْمُ جُرْجَانَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِهَا

١٢٣ كَتَبَ ٱلْبَهَاءُ زُهَيْرٌ إِلَى نَجْمِ ٱلدِّينِ ٱلْبَارِزَانِيِّ رَسُولِ ٱلدِّيوَانِ يَعْتَذِرُ لِتَأْخِيرِهِ عَنْ لِقَائِهِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

عَلَى ٱلطَّائِرِ ٱلْمَأْمُونِ تَأْخِيرُ قَادِمِ ... وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِٱلْعُلَا وَٱلْمَكَارِمِ
قَدِمْتَ بِحَمْدِ ٱللهِ أَكْرَمَ مَقْدَمٍ ... مَدَى ٱلدَّهْرِ يَبْقَى ذِكْرُهُ فِي ٱلْمَوَاسِمِ
قُدُومًا بِهِ ٱلدُّنْيَا أَضَاءَتْ وَأَشْرَقَتْ ... بِبِشْرِ وُجُوهٍ أَوْ بِضَوْءِ مَبَاسِمِ
فَيَا حُسْنَ رَكْبٍ جِئْتُ فِيهِ مُسَلِّمًا ... وَيَا طِيبَ مَا أَهْدَتْهُ أَيْدِي ٱلرَّوَاسِمِ
أَمَوْلَايَ سَامِحْنِي فَإِنَّكَ أَهْلُهُ ... وَإِنْ لَمْ تُسَامِحْنِي فَمَا أَنْتَ ظَالِمِي
وَوَٱللهِ مَا حَالَتْ عُهُودُ مَوَدَّتِي ... وَتِلْكَ يَمِينٌ لَسْتُ فِيهَا بِآثِمِ
مُقِيمٌ وَقَلْبِي فِي رِحَالِكَ سَائِرٌ ... لَعَلَّكَ تَرْضَاهُ لِبَعْضِ ٱلْمَوَاسِمِ
وَلَوْ كُنْتَ عَنْهُ سَائِلًا لَوَجَدْتَهُ ... عَلَى بَابِكَ ٱلْمَيْمُونِ أَوَّلَ قَادِمِ
وَإِلَّا فَسَلْ عَنْهُ رِكَابَكَ فِي ٱلدُّجَا ... لَقَدْ بَرِئَتْ مِنْ لَثْمِهِ لِلْمَيَاسِمِ

البندنيجي والحمامة

ٱجْتَازَ ٱلْمَنَارِيُّ ٱلْبَنْدَنِيجِيُّ ٱلشَّاعِرُ (وَبَنْدَنِيجُ قَصْرٌ بِٱلرَّافِقَانِ بَيْنَ بَغْدَادَ وَحُلْوَانَ) بِسُوقِ بَابِ ٱلطَّاقِ بِبَغْدَادَ حَيْثُ تُبَاعُ ٱلطَّيْرُ. فَسَمِعَ حَمَامَةً تَلْحَنُ فِي قَفَصٍ فَٱشْتَرَاهَا وَأَرْسَلَهَا وَقَالَ :

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ الطَّاقِ ... فَجَرَى سَوَابِقُ مَدْمَعِي الْمُهْرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ ... تُشْجِي فُؤَادَ الْهَائِمِ الْمُشْتَاقِ
إِنَّ الْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا ... قِدَماً تُبَكِّي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي الْأَرَاكِ وَرُبَّمَا ... كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
تَعِسَ الْفِرَاقُ وَجُذَّ حَبْلُ وَتِينِهِ ... وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ سَاقِي
يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ قُمْرِيَّةً ... لَمْ تَدْرِ مَا بَغْدَادُ فِي الْآفَاقِ
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ ... بَعْدَ الْأَرَاكِ تَنُوحُ فِي الْأَسْوَاقِ
فَشَرَيْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَنِينَهَا ... وَعَلَى الْحَمَامَةِ عُدْتُ بِالْإِطْلَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكِ يَا حَمَامَةُ فَاسْأَلِي ... مَنْ فَكَّ أَسْرَكِ أَنْ يَحُلَّ وِثَاقِي

(نثار الازهار لابن منظور)

الفرزدق والاسير

١٢٤ حُكِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ الْفَرَزْدَقَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ أَسَارَى مِنَ الرُّومِ فَاسْتَعْفَاهُ الْفَرَزْدَقُ فَلَمْ يَفْعَلْ. فَقَامَ فَضَرَبَ عُنُقَ رُومِيٍّ مِنْهُمْ فَنَبَا السَّيْفُ عَنْهُ. فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

أَيَعْجَبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ ... خَلِيفَةَ اللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
لَمْ يَنْبُ سَيْفِي مِنْ رُعْبٍ وَلَا دَهَشٍ ... عَنِ الْأَسِيرِ وَلٰكِنْ أَخَّرَ الْقَدَرُ
وَلَنْ يُقَدِّمَ نَفْساً قَبْلَ مِيتَتِهَا ... جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ

ثُمَّ أَغْمَدَ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا حَبَا وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ
وَلَنْ نَقْتُلَ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَخًا مِثْلَ دَارِمِ

فَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرَزْدَقِ بِهَذَا حَتَّى حُكِيَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ أَتَى بِأَسْرَى مِنَ الرُّومِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَكَانَ عِنْدَهُ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ فَقَالَ لَهُ : اضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْعِلْجِ فَقَالَ : يَا أَمِيرُ قَدْ عَلِمْتَ مَا ابْتُلِيَ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَعَيَّرَهُ بِهِ قَوْمٌ إِلَى الْيَوْمِ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَكَانَ أَبُو الْهَوْلِ الشَّاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :

جَزِعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهُوَ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَاقَيْتَهُ وَهُوَ مُطْلَقُ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ فَكَادَ شَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُ
فَنَحِّ شَبِيبًا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَدْنِ شَبِيبًا مِنْ كَلَامٍ يُلَفَّقُ

(ادب الدنيا والدين للماوردي)

١٢٥ كتاب ابن التعاويذي الشاعر الى الامام الناصر لدين الله
يسألهُ ان يجدد لهُ راتبًا لمعاشهِ :

خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا وَأَمْرِ الْإِسْلَامِ مُضْطَلِعُ
أَنْتَ لِمَا سَنَّهُ الْأَئِمَّةُ أَعْلَامُ الْهُدَى مُقْتَفٍ وَمُتَّبِعُ

فَٱلنَّاسُ فِي ٱلشَّرْعِ وَٱلسِّيَاسَةِ وَٱلْ ... إِحْسَانِ وَٱلْعَدْلِ كُلُّهُمْ شَرَعُ
يَا مَلِكًا يَرْدَعُ ٱلْحَوَادِثَ وَٱلْ ... أَيَّامَ عَنْ ظُلْمِهَا فَتَرْتَدِعُ
أَرْضِي قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِمَنْ ... أَجْدَبَ يَوْمًا سِوَاكَ مُنْتَجَعُ
وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَّ دَرُّهُمُ ... قَدْ أَكَلُوا أَدْهُرَهُمْ وَمَا شَبِعُوا
إِذَا رَأَوْنِي ذَا ثَرْوَةٍ جَلَسُوا ... حَوْلِي وَمَالُوا إِلَيَّ وَٱجْتَمَعُوا
وَطَالَمَا قَطَعُوا حِبَالِيَ إِعْ ... رَاضًا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِي قِطَعُ
يَمْشُونَ حَوْلِي شَتَّى كَأَنَّهُمُ ... عَقَارِبٌ كُلَّمَا سَعَوْا لَسَعُوا
فَمِنْهُمُ ٱلطِّفْلُ وَٱلْمُرَاهِقُ وَٱلرَّ ... ضِيعُ يَحْبُو وَٱلْكَهْلُ وَٱلْيَفَعُ
لَا قَارِحٌ مِنْهُمُ أُؤَمِّلُ أَنْ ... يَنَالَنِي خَيْرُهُ وَلَا جَذَعُ
لَهُمْ حُلُوقٌ تُفْضِي إِلَى مِعَدٍ ... تَحْمِلُ فِي ٱلْأَكْلِ فَوْقَ مَا تَسَعُ
مِنْ كُلِّ رَحْبِ ٱلْمِعَى وَأَجْوَفِهِ ... نَادِي ٱلْحَشَا لَا يَمَسُّهُ ٱلشِّبَعُ
لَا يُحْسِنُ ٱلْمَضْغَ فَهْوَ يَتْرُكُ فِي ... فِيهِ بِلَا كُلْفَةٍ وَيَبْتَلِعُ
فَٱسْتَأْنِفُوا لِي رَسْمًا أَعُودُ بِهِ ... عَلَى ضَنْكِ مَعَاشِي بِهِ فَيَتَّسِعُ
وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا ... خَدِيعَةً فَٱلْكَرِيمُ يَنْخَدِعُ
حَاشَا ٱلرَّسْمَ ٱلْكَرِيمِ يُنْسَخُ مِنْ ... نَسْخِ دَوَاوِينِكُمْ فَيَنْقَطِعُ
فَوَقِّعُوا لِي بِمَا سَأَلْتُ فَقَدْ ... أَطْمَعْتُ نَفْسِي وَٱسْتَحْكَمَ ٱلطَّمَعُ
وَلَا تُطِيلُوا مَعِي فَلَسْتُ وَلَوْ ... دَفَعْتُمُونِي بِٱلرَّاحِ أَنْدَفِعُ

اَلْبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

بغلة ابي دلامة

١٢٦ كَانَ أَبُو دُلَامَةَ كُوفِيًّا أَسْوَدَ مَوْلًى لِبَنِي أَسَدٍ أَدْرَكَ آخِرَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَنَبَغَ فِي أَيَّامِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ وَمَدَحَ ٱلسَّفَّاحَ وَٱلْمَنْصُورَ وَٱلْمَهْدِيَّ. وَكَانَ صَاحِبَ نَوَادِرَ وَمُلَحٍ. وَأَمَّا بَغْلَتُهُ فَكَانَتْ جَامِعَةً لِعُيُوبِ ٱلدَّوَابِّ كُلِّهَا. وَكَانَتْ أَشْوَهَ ٱلدَّوَابِّ خَلْقًا فِي مَنْظَرِ ٱلْعَيْنِ وَأَسْوَأَهَا خُلُقًا فِي مَخْبَرِهَا. فَكَانَ إِذَا رَكِبَهَا تَبِعَهُ ٱلصِّبْيَانُ يَتَضَاحَكُونَ بِهِ. وَكَانَ يَقْصِدُ رُكُوبَهَا فِي مَوَاكِبِ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْكُبَرَاءِ لِيُضْحِكَهُمْ بِشِمَاسِهَا حَتَّى نَظَمَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ ٱلْمَشْهُورَةَ وَهِيَ:

أَبَعْدَ ٱلْخَيْلِ أَرْكَبُهَا كِرَامًا ... وَبَعْدَ ٱلْفُرْهِ مِنْ حُضُرِ ٱلْبِغَالِ
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فِيهَا وِكَالٌ ... وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ ٱلْوِكَالِ
رَأَيْتُ عُيُوبَهَا كَثُرَتْ وَلَيْسَتْ ... وَإِنْ أَكْثَرْتُ ثَمَّ مِنَ ٱلْمَقَالِ
لِيُحْصِيَ مَنْطِقِي وَكَلَامُ غَيْرِي ... عَشِيرَ خِصَالِهَا شَرَّ ٱلْخِصَالِ
فَأَهْوَنُ عَيْبِهَا أَنِّي إِذَا مَا ... نَزَلْتُ وَقُلْتُ إِمْشِي لَا تُبَالِي
تَقُومُ فَمَا تَبِتُّ هُنَاكَ شِبْرًا ... وَتَرْمَحُنِي وَتَأْخُذُ فِي قِتَالِي
وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ أَذَيْتُ نَفْسِي ... بِضَرْبٍ بِٱلْيَمِينِ وَبِٱلشِّمَالِ
وَبِٱلرِّجْلَيْنِ أَرْكُضُهَا جَمِيعًا ... فَيَا لَكَ فِي ٱلشَّقَاءِ وَفِي ٱلْكَلَالِ

أَتَانِي خَائِبٌ يَسْتَامُ مِنِّي ... عَرِيقٌ فِي ٱلْخَسَارَةِ وَٱلضَّلَالِ
وَقَالَ تَبِيعُهَا قُلْتُ ٱرْتَبِطْهَا ... بِحُكْمِكَ إِنَّ بَيْعِي غَيْرُ غَالِ
فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا ... وَقَالَ أَرَاكَ سَهْلًا ذَا جَمَالِ
هَلُمَّ إِلَيَّ يَخْلُو بِي خِدَاعًا ... وَمَا يَدْرِي ٱلشَّقِيُّ بِمَنْ يُخَالِي
فَقُلْتُ بِأَرْبَعِينَ فَقَالَ أَحْسِنْ ... إِلَيَّ فَإِنَّ مِثْلَكَ ذُو سِجَالِ
فَأَتْرُكُ خَمْسَةً مِنْهَا لِعِلْمِي ... بِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ ٱلْخَبَالِ
فَلَمَّا ٱبْتَاعَهَا مِنِّي وَبَتَّتْ ... لَهُ فِي ٱلْبَيْعِ غَيْرِ ٱلْمُسْتَقَالِ
أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ أَبْرَأْتُ مِمَّا ... أُعَدُّ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلْخِلَالِ
بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَشْيٍ يَدَيْهَا ... وَمِنْ جَرَدٍ وَمِنْ بَلَلِ ٱلْمَخَالِي
وَمِنْ فَتْقٍ بِهَا فِي ٱلْبَطْنِ ضَخْمٍ ... وَمِنْ عُقَّالِهَا وَمِنِ ٱنْفِتَالِ
وَمِنْ قَطْعِ ٱللِّسَانِ وَمِنْ بَيَاضٍ ... بِعَيْنَيْهَا وَمِنْ قَرْضِ ٱلْحِبَالِ
وَمِنْ عَضِّ ٱلْغُلَامِ وَمِنْ خِرَاطٍ ... إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِٱرْتِحَالِ
وَأَقْطَى مِنْ فُرَيْخِ ٱلذَّرِّ مَشْيًا ... بِهَا عَرَنٌ وَدَاءٌ مِنْ سُلَالِ
وَتَكْسِرُ سَرْجَهَا أَبَدًا شِمَاسًا ... وَتَقْمُصُ لِلْإِكَافِ عَلَى ٱغْتِيَالِ
وَيَدْبَرُ ظَهْرُهَا مِنْ مَسِّ كَفٍّ ... وَتَهْزِمُ فِي ٱلْجِمَالِ وَفِي ٱلْجِلَالِ
تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيذًا ... يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ ٱلطِّحَالِ
وَمُشْغَارٌ تُقَدِّمُ كُلَّ سَرْجٍ ... تُصَيِّرُ دَفَّتَيْهِ عَلَى ٱلْقَذَالِ
وَتَحْفَى لَوْ تَسِيرُ عَلَى ٱلْحَشَايَا ... وَلَوْ تَمْشِي عَلَى دَمِثِ ٱلرِّمَالِ
وَتَرْمَحُ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا ... عَلَى أَهْلِ ٱلْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ

فَتَقْطَعُ مَنْطِقِي وَتَحُولُ بَيْنِي ... وَبَيْنَ حَدِيثِهِمْ فِيمَا تُوَالِي
وَتُذْعَرُ لِلدَّجَاجَةِ إِذْ تَرَاهَا ... وَتَنْفِرُ لِلصَّغِيرِ وَلِلْخَيَالِ
فَأَمَّا ٱلْإِعْتِلَافُ فَأَدْنِ مِنْهَا ... مِنَ ٱلْأَتْبَانِ أَمْثَالَ ٱلْجِبَالِ
وَأَمَّا ٱلْقَتُّ فَأْتِ بِأَلْفِ وِقْرٍ ... بِأَعْظَمِ حِمْلِ أَحْمَالِ ٱلْجِمَالِ
فَلَسْتَ بِآلِفٍ مِنْهَا ثَلَاثًا ... وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُودٌ لِلْخِلَالِ
وَإِنْ عَطِشَتْ فَأَوْرِدْهَا دُجَيْلًا ... إِذَا أَوْرَدْتَ أَوْ نَهْرَيْ بِلَالِ
فَذَاكَ لِرِيِّهَا سُقِيَتْ جَمِيعًا ... وَإِنْ مُدَّ ٱلْفُرَاتُ فَلِلنِّهَالِ
وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى ... وَتَذْكُرُ تُبَّعًا عِنْدَ ٱلْفِصَالِ
وَقَدْ دَبَرَتْ وَنُعْمَانٌ صَبِيٌّ ... وَقَبْلَ فِصَالِهِ تِلْكَ ٱللَّيَالِي
وَتَذْكُرُ إِذْ نَشَا بَهْرَامُ جُورٍ ... وَعَامِلُهُ عَلَى خَرْجِ ٱلْجَوَالِي
وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ ... وَآخِرُ عَهْدِهَا لِهَلَاكِ مَالِي
فَأَبْدِلْنِي بِهَا يَا رَبِّ طِرْفًا ... يَزِينُ جَمَالُ مِشْيَتِهِ جَمَالِي

وَأَنْشَدَهَا ٱلْمَهْدِيَّ فَقَالَ: لَقَدْ أُقِلْتَ مِنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ. فَقَالَ: وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَكَثْتُ شَهْرًا أَتَوَقَّعُ صَاحِبَهَا أَنْ يَرُدَّهَا. فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ لِصَاحِبِ دَوَابِّهِ: خَيِّرْهُ بَيْنَ مَرْكَبَيْنِ فِي ٱلْإِصْطَبْلِ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ ٱلِاخْتِيَارُ إِلَيَّ فَقَدْ وَقَعْتُ فِي شَرٍّ مِنَ ٱلْبَغْلَةِ وَلَكِنْ مُرْهُ يَخْتَرْ لِي. فَفَعَلَ

(للشريشي)

الخليفة والاصمعي

١٢٧ مِنْ أَلْطَفِ مَا ٱتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْخُلَفَاءِ كَانَ يَحْفَظُ ٱلشِّعْرَ مِنْ

مَرَّةٍ . وَعِنْدَهُ مَمْلُوكٌ يَحْفَظُهُ مِنْ مَرَّتَيْنِ وَجَارِيَةٌ مِنْ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ . وَكَانَ بَخِيلًا جِدًّا فَكَانَ ٱلشَّاعِرُ إِذَا أَتَاهُ بِقَصِيدَةٍ قَالَ لَهُ : إِنْ كَانَتْ مَطْرُوقَةً بِأَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنَّا يَحْفَظُهَا نَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ فَلَا نُعْطِيكَ لَهَا جَائِزَةً . وَإِنْ لَمْ نَكُنْ نَحْفَظُهَا فَنُعْطِيكَ وَزْنَ مَا هِيَ فِيهِ مَكْتُوبَةٌ . فَيَقْرَأُ ٱلشَّاعِرُ ٱلْقَصِيدَةَ فَيَحْفَظُهَا ٱلْخَلِيفَةُ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ وَلَوْ كَانَتْ أَلْفَ بَيْتٍ . وَيَقُولُ لِلشَّاعِرِ : ٱسْمَعْهَا عَلَيَّ فَإِنِّي أَحْفَظُهَا وَيُنْشِدُهَا بِكَمَالِهَا . ثُمَّ يَقُولُ : وَهٰذَا ٱلْمَمْلُوكُ أَيْضًا يَحْفَظُهَا . وَقَدْ سَمِعَهَا ٱلْمَمْلُوكُ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً مِنَ ٱلشَّاعِرِ وَمَرَّةً مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ فَيَحْفَظُهَا وَيَقْرَأُهَا . ثُمَّ يَقُولُ ٱلْخَلِيفَةُ : وَهٰذِهِ ٱلْجَارِيَةُ ٱلَّتِي وَرَاءَ ٱلسِّتْرِ تَحْفَظُهَا أَيْضًا . وَقَدْ سَمِعَتْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَرَّةً مِنَ ٱلشَّاعِرِ وَمَرَّةً مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ وَمَرَّةً مِنَ ٱلْمَمْلُوكِ فَتَقْرَأُهَا بِحُرُوفِهَا . فَيَخْرُجُ ٱلشَّاعِرُ صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ . وَكَانَ ٱلْأَصْمَعِيُّ مِنْ جُلَسَائِهِ وَنُدَمَائِهِ . فَنَظَمَ أَبْيَاتًا مُسْتَصْعَبَةً وَنَقَشَهَا فِي أُسْطُوَانَةٍ وَلَفَّهَا فِي مُلَاءَةٍ وَجَعَلَهَا عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ . وَلَبِسَ جُوخَةً بَدَوِيَّةً مُفَرَّجَةً مِنْ وَرَاءٍ وَمِنْ قُدَّامٍ . وَضَرَبَ لَهُ لِثَامًا لَمْ يُبَيِّنْ مِنْهُ غَيْرَ عَيْنَيْهِ وَجَاءَ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنِّي ٱمْتَدَحْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِقَصِيدَةٍ . فَقَالَ : يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ إِنْ كَانَتْ لِغَيْرِكَ فَلَا نُعْطِيكَ لَهَا جَائِزَةً . وَإِنْ كَانَتْ لَكَ نُعْطِيكَ زِنَةَ مَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِيهِ . قَالَ : قَدْ رَضِيتُ وَأَنْشَدَ :

صَوْتُ صَفِيرِ ٱلْبُلْبُلِ   هَيَّجَ قَلْبَ ٱلثَّمِلِ
ٱلْمَاءُ وَٱلزَّهْرُ مَعًا   مَعْ حُسْنِ لَحْظِ ٱلْمُقَلِ

وَأَنْتَ حَقّاً سَيِّدِي ... وَسُؤْدُدِي وَمَوْلَلِي

وَطَابَ لِي نَوْحُ ٱلْحَمَا ... مِ قُوقُقُو بِٱلزَّجَلِ

قَدْ فَاحَ مِنْ لَحَظَاتِهَا ... عَبِيرُ وَرْدِ ٱلْخَجَلِ

وَقُلْتُ وَصُوص وَصُوصْ ... فَجَاءَ صَوْتٌ مِنْ عَلِ

وَقَالَ لَا لَا لَا لَلَا ... وَقَدْ غَدَا مُهَرْوِلِي

وَفِتْيَةٍ يَسْقُونَنِي ... قُهَيْوَةً كَٱلْعَسَلِ

شَمَمْتُهَا فِي أَنْفَفِ ... أَذْكَى مِنَ ٱلْقَرَنْفُلِ

فِي بُسْتَانٍ حَسَنٍ ... بِٱلزَّهْرِ وَٱلسَّرْوَلَلِ

وَٱلْعُودُ دَنْدَنْ دَنْدَنٌ ... وَٱلطَّبْلُ طَبْطَبْ طَبْطَلِي

وَٱلرَّقْصُ أَرْطَبْ طَبْطَبٌ ... وَٱلسَّقْفُ سَقْفٌ بَعْسَلِ

شَوَوْا شَوَوْا شَوَوْا شَوَوْا ... مِنْ وَرَقِ ٱلسَّفَرْجَلِ

وَغَرَّدَ ٱلْقُمْرِي يَصِيحُ ... مِنْ مَلَلٍ مِنْ مَلَلِي

فَلَوْ تَرَانِي رَاكِباً ... عَلَى حِمَارٍ أَعْزَلِ

أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةٍ ... كَمِشْيَةِ ٱلْعَرَنْجَلِ

وَٱلنَّاسُ قَدْ تَرْجُمُنِي ... فِي ٱلسُّوقِ بِٱلْقُبَعْلَلِ

وَٱلْكُلُّ كَلِعْ كَعْكَعٍ ... خَلْفِي وَمِنْ حُوَيْلَلِي

لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِبًا ... مِنْ خَشْيَةٍ فِي عَقْلَلِي

إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ ... مُعَظَّمٍ مُبَجَّلِ

يَأْمُرُ لِي بِخِلْعَةٍ ... حَمْرَاءَ كَالدَّمَلْمَلِ

أَجُرُّ فِيهَا مَآرِبًا بِبَغْدَادٍ كَالذَّلْذَلِ

(قَالَ) فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهَا بُهِتَ ٱلْمَلِكُ فِيهَا وَلَمْ يَحْفَظْهَا ٱلْخَلِيفَةُ لِصُعُوبَتِهَا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ٱلْمَمْلُوكِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَا حَفِظَ مِنْهَا شَيْئًا. وَفَهِمَ مِنَ ٱلْجَارِيَةِ أَنَّهَا مَا حَفِظَتْ مِنْهَا شَيْئًا. فَقَالَ ٱلْخَلِيفَةُ: يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ إِنَّكَ صَادِقٌ وَهِيَ لَكَ بِلَا شَكٍّ فَإِنِّي مَا سَمِعْتُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ. فَهَاتِ ٱلرُّقْعَةَ ٱلَّتِي هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا حَتَّى نُعْطِيَكَ زِنَتَهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ إِنِّي لَمْ أَجِدْ وَرَقًا أَكْتُبُ فِيهِ. وَكَانَ عِنْدِي قِطْعَةُ عَمُودِ رُخَامٍ مِنْ عَهْدِ أَبِي وَهِيَ مُلْقَاةٌ فِي ٱلدَّارِ لَيْسَ لِي بِهَا حَاجَةٌ فَنَقَشْتُهَا فِيهَا. وَلَمْ يَسَعِ ٱلْخَلِيفَةَ إِلَّا أَنْ أَعْطَاهُ زِنَتَهَا ذَهَبًا. فَنَفِدَ جَمِيعُ مَا فِي خِزَانَةِ ٱلْمَلِكِ مِنَ ٱلْمَالِ فَأَخَذَ ٱلْأَصْمَعِيُّ ذٰلِكَ وَٱنْصَرَفَ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ هٰذَا ٱلْأَعْرَابِيَّ هُوَ ٱلْأَصْمَعِيُّ. فَأَحْضَرَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ ٱلْأَصْمَعِيُّ. فَتَعَجَّبَ مِنْ صَنِيعِهِ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يُعَامِلُ بِهِ ٱلشُّعَرَاءَ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِ ٱلْمُلُوكِ (حلبة الكميت للنواجي)

١٢٨ قَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ كُشَاجِمُ يَرْثِي سِكِّينًا سُرِقَتْ لَهُ فِي قَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ مِنْهَا:

يَا قَاتَلَ ٱللّٰهُ كُتَّابَ ٱلدَّوَاوِينِ	مَا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ أَخْذِ ٱلسَّكَاكِينِ
لَقَدْ دَهَانِي لَطِيفٌ مِنْهُمُ خَتِلٌ	فِي ذَاتِ حَدٍّ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ مَسْنُونِ
فَأَقْفَرَتْ بَعْدَ عُمْرَانٍ بِمَوْقِفِهَا	مِنْهَا دَوَاةُ فَتًى بِٱلْكُتْبِ مَفْتُونِ
تُبْكِي عَلَى مُدْيَةٍ أَوْدَى ٱلزَّمَانُ بِهَا	كَانَتْ عَلَى جَائِرِ ٱلْأَقْلَامِ تُفْرِينِي

كَانَتْ تُقَوِّمُ أَقْلَامِي وَتُغْنِمُهَا   نَحْتاً وَتُسْخِطُهَا بَرْياً فَتُرْضِينِي
وَأُضْحِكُ ٱلطِّرْسَ وَٱلْقِرْطَاسَ عَنْ خَلَلٍ   يَنُوبُ لِلْعَيْنِ عَنْ نَوْرِ ٱلْبَسَاتِينِ
لٰكِنْ مِقَطِّي أَمْسَى شَامِتاً جَذِلاً   وَكَانَ فِي ذِلَّةٍ مِنْهَا وَفِي هُونِ
قَصِينَ حَتَّى يُضَاهِي فِي صِيَانَتِهِ   جَاهِي لِصَوْنِيهِ عَمَّنْ لَا يُدَانِينِي
وَلَسْتُ عَنْهَا بِسَالٍ مَا حَيِيتُ وَلَا   بِوَاجِدٍ عِوَضاً مِنْهَا يُسَلِّينِي
وَلَوْ يُرِيدُ فِدَاءً مَا جُعِلْتُ بِهِ   مِنْهَا فَدَيْنَاهُ بِٱلدُّنْيَا وَبِٱلدِّينِ

رثاء هرّ لابن العلاف

١٢٩ قَالَ ٱلصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : أَنْشَدَنِي أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْعَلَّافُ ٱلْبَغْدَادِيُّ ٱلْمُقْرِيُّ ٱلْأَدِيبُ قَصِيدَةَ وَالِدِهِ فِي ٱلْهِرِّ كَنَى بِهِ عَنِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ حِينَ قَتَلَهُ ٱلْمُقْتَدِرُ. فَخَشِيَ مِنَ ٱلْمُقْتَدِرِ وَنَسَبَهَا إِلَى ٱلْهِرِّ وَعَرَّضَ بِهِ فِي أَبْيَاتٍ مِنْهَا . وَقِيلَ إِنَّمَا كَنَى بِٱلْهِرِّ عَنِ ٱلْمُحَسِّنِ ٱبْنِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْفُرَاتِ أَيَّامَ مِحْنَتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَرْثِيَهُ . وَقِيلَ كَانَ لَهُ هِرٌّ يَأْنَسُ بِهِ فَكَانَ يَدْخُلُ أَبْرَاجَ ٱلْحَمَامِ ٱلَّتِي لِجِيرَانِهِ وَيَأْكُلُ فِرَاخَهَا . فَأَمْسَكَهُ أَرْبَابُهَا فَذَبَحُوهُ فَرَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ . وَقَالَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ : وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلشِّعْرِ وَأَبْدَعِهِ وَعَدَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ بَيْتاً. وَطُولُهَا يَمْنَعُ مِنَ ٱلْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا فَنَأْتِي بِمَحَاسِنِهَا فِيهَا أَبْيَاتٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكَمٍ أَوَّلُهَا :

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ   وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ ٱلْوَلَدِ
فَكَيْفَ نَنْفَكُّ عَنْ هَوَاكَ وَقَدْ   كُنْتَ لَنَا عُدَّةً مِنَ ٱلْعُدَدِ

تَطْرُدُ عَنَّا ٱلْأَذَى وَتَحْرُسُنَا   بِٱلْغَيْبِ مِنْ حَيَّةٍ وَمِنْ جُرَذِ
وَتُخْرِجُ ٱلْفَأْرَ مِنْ مَكَامِنِهَا   مَا بَيْنَ مَفْتُوحِهَا إِلَى ٱلسُّدَدِ
يَلْقَاكَ فِي ٱلْبَيْتِ مِنْهُمُ مَدَدٌ   وَأَنْتَ تَلْقَاهُمُ بِلَا مَدَدِ
لَا عَدَدٌ كَانَ مِنْكَ مُنْفَلِتًا   مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ مِنَ ٱلْعَدَدِ
لَا تَرْهَبُ ٱلصَّيْفَ عِنْدَ هَاجِرَةٍ   وَلَا تَهَابُ ٱلشِّتَاءَ فِي ٱلْجَمَدِ
وَكَانَ يَجْرِي وَلَا سَدَادَ لَهُمْ   أَمْرُكَ فِي بَيْتِنَا عَلَى سَدَدِ
حَتَّى أعْتَقَدْتَ ٱلْأَذَى لِجِيرَتِنَا   وَلَمْ تَكُنْ لِلْأَذَى بِمُعْتَقِدِ
وَحُمْتَ حَوْلَ ٱلرَّدَى لِظُلْمِهِمِ   وَمَنْ يَحُمْ حَوْلَ حَوْضِهِ يَرِدِ
وَكَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ مُرْتَعِدًا   وَأَنْتَ تَنْسَابُ غَيْرَ مُرْتَعِدِ
تَدْخُلُ بُرْجَ ٱلْحَمَامِ مُتَّئِدًا   وَتَبْلَعُ ٱلْفَرْخَ غَيْرَ مُتَّئِدِ
وَتَطْرَحُ ٱلرِّيشَ فِي ٱلطَّرِيقِ لَهُمْ   وَتَبْلَعُ ٱللَّحْمَ بَلْعَ مُزْدَرِدِ
أَطْعَمَكَ ٱلْغَيُّ لَحْمَهَا فَرَأَى   قَتْلَكَ أَرْبَابُهَا مِنَ ٱلرَّشَدِ
حَتَّى إِذَا دَاوَمُوكَ وَٱجْتَهَدُوا   وَسَاعَدَ ٱلنَّصْرُ كَيْدَ مُجْتَهِدِ
كَادُوكَ دَهْرًا فَمَا وَقَعْتَ وَكَمْ   أَفْلَتَّ مِنْ كَيْدِهِمْ وَلَمْ تُكَدِ
فَحِينَ أَخْفَرْتَ وَٱنْهَمَكْتَ وَكَا   شَفْتَ وَأَسْرَفْتَ غَيْرَ مُقْتَصِدِ
صَادُوكَ غَيْظًا عَلَيْكَ وَٱنْتَقَمُوا   مِنْكَ وَزَادُوا وَمَنْ يَصِدْ يُصَدِ
ثُمَّ شَفَوْا بِٱلْحَدِيدِ أَنْفُسَهُمْ   مِنْكَ وَلَمْ يَرْعَوُوا عَلَى أَحَدِ
فَلَمْ تَزَلْ لِلْحَمَامِ مُرْتَصِدًا   حَتَّى سُقِيتَ ٱلْحِمَامَ بِٱلرَّصَدِ
لَمْ يَرْحَمُوا صَوْتَكَ ٱلضَّعِيفَ كَمَا   لَمْ تَرْثِ مِنْهَا لِصَوْتِهَا ٱلْغَرِدِ

أَذَاقَكَ ٱلْمَوْتَ رَبُّهُنَّ كَمَا أَذَقْتَ أَفْرَاخَهُ يَدًا بِيَدِ
كَأَنَّ حَبْلًا حَوَى بِجُودَتِهِ جِيدَكَ لِلْخَنْقِ كَانَ مِنْ مَسَدِ
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَاكَ مُضْطَرِبًا فِيهِ وَفِي فِيكَ رَغْوَةُ ٱلزَّبَدِ
وَقَدْ طَلَبْتَ ٱلْخَلَاصَ مِنْهُ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ تَجِدِ
فَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَوْتِكَ إِذْ مُتَّ وَلَا مِثْلِ عَيْشِكَ ٱلنَّكِدِ
فُجِدْتَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْبَخِيلُ بِهَا . أَنْتَ وَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِهَا يَجُدِ
عِشْتَ حَرِيصًا يَقُودُهُ طَمَعٌ وَمُتَّ ذَا قَاتِلٍ بِلَا قَوَدِ
يَا مَنْ لَذِيذُ ٱلْفِرَاخِ أَوْقَعَهُ وَيْحَكَ هَلَّا قَنِعْتَ بِٱلْغُدَدِ
أَلَمْ تَخَفْ وَثْبَةَ ٱلزَّمَانِ كَمَا وَثَبْتَ فِي ٱلْبُرْجِ وَثْبَةَ ٱلْأَسَدِ
أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْفِرَاخَ وَلَا يَأْكُلَكَ ٱلدَّهْرُ أَكْلَ مُضْطَهَدِ
هٰذَا بَعِيدٌ مِنَ ٱلْقِيَاسِ وَمَا أَعَزَّهُ فِي ٱلدُّنُوِّ وَٱلْبُعُدِ
لَا بَارَكَ ٱللهُ فِي ٱلطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَلَاكُ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلْمِعَدِ
كَمْ دَخَلَتْ لُقْمَةٌ حَشَا شَرِهٍ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ ٱلْجَسَدِ
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَسَوُّرِكَ ٱلْـ بُرْجَ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ ٱلْخُلُدِ
قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَةٍ مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلصَّمَدِ
تَأْكُلُ مِنْ فَأْرِ بَيْتِنَا رَغَدًا فَأَيْنَ بِٱلشَّاكِرِينَ لِلرَّغَدِ
وَكُنْتَ بَدَّدْتَ شَمْلَهُمْ زَمَنًا فَٱجْتَمَعُوا بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْبَدَدِ
فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ فِي جَوْفِ أَبْيَاتِهَا وَلَا لَبَدِ
وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا وَمَا تَرَكُوا مَا عَلَّقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ

وَفَتُّوا ٱلْخُبْزَ فِي ٱلسِّلَالِ وَكَمْ تَفَتَّتَتْ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِدِ
وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا فَكُلُّنَا فِي ٱلْمَصَائِبِ ٱلْجُدُدِ

وَكَانَتْ وَفَاةُ ٱبْنِ ٱلْعَلَّافِ سَنَةَ ٣١٨ وَعُمْرُهُ مِائَةُ سَنَةٍ (للدميري)

١٣٠ رثاء ديكٍ لابن معمعة الحمصيّ

يَا ٱبْنَ أَقْيَالِ وَائِلٍ وَٱلْكِرَامِ ٱلْـ ـصِّيدِ مِنْ تَغْلِبٍ قُرُومِ ٱلْقُرُومِ
وَٱلْأَمِيرُ ٱلَّذِي عَلَيْهِ أَمَارَا تُ ٱلْمَعَالِي مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
قَدْ مَدَحْتُ ٱلْأَمِيرَ بِٱلْأَمْسِ مَنْثُو رًا وَجِئْتُ ٱلْغَدَاةَ بِٱلْمَنْظُومِ
فَٱسْتَمِعْ قِصَّتِي وَفَرِّجْ بِإِحْسَا نِكَ مَا بِي مِنْ طَارِقَاتِ ٱلْهُمُومِ
لِيَ دِيكٌ حَضَنْتُهُ وَهُوَ فِي ٱلْبَيْـ ـضَةِ مِنْ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ ٱلْخِيمِ
ثُمَّ رَبَّيْتُهُ كَتَرْبِيَةِ ٱلطِّـ ـفْلِ رَضِيعًا وَعِنْدَ حَالِ ٱلْفَطِيمِ
يَأْكُلُ ٱلْعَفْوَ كَيْفَ مَا شَاءَ مِنْ مَا لِيَ أَكْلَ ٱلْوَلِيِّ مَالَ ٱلْيَتِيمِ
هُوَ عِنْدِي بِصُورَةِ ٱلْوَلَدِ ٱلْبَرِّ وَفِي صُورَةِ ٱلصَّدِيقِ ٱلْحَمِيمِ
أَبْيَضُ ٱللَّوْنِ أَفْرَقُ ٱلْعُرْفِ نَظَّا رٌ بِعَيْنٍ كَأَنَّهَا عَيْنُ رِيمِ
وَعَلَى نَحْرِهِ وِشَامَانِ مِنْ شَذْ رٍ بَدِيعٍ وَلُؤْلُؤٍ مَنْظُومِ
رَافِعٌ رَايَةً مِنَ ٱلذَّنَبِ ٱلْمُشْـ ـرِفِ يَسْعَى بِهَا كَسَعْيِ ٱلظَّلِيمِ
وَإِذَا مَا مَشَى تَبَخْتَرَ مَشْيَ ٱلسَّـ ـطْرِبِ ٱلْمُنْتَشِي مِنَ ٱلْخُرْطُومِ
وَسَمَ ٱلْأَرْضَ وَسْمَ طِينِ كِتَابٍ بِخَوَاتِيمِ كَاتِبٍ مَخْتُومِ
وَلَهُ خِنْجَرَانِ فِي قَصَبِ ٱلسَّا قَيْنِ قَدْ رُكِّبَا لِحِفْظِ ٱلْحَرِيمِ
وَعَلَيْهِ مِنْ رِيشِهِ طَيْلَسَانٌ صِيغَ مِنْ صِبْغَةِ ٱللَّطِيفِ ٱلْحَكِيمِ

وَجَمِيعُ ٱلدُّيُوكِ تَشْهَدُ فِي خِمْصٍ لَهُ بِٱلْجَلَالِ وَٱلتَّعْظِيمِ
يَتَجَاوَبْنَ بِٱلصِّيَاحِ مُشِيرَا تٍ إِلَيْهِ فِي ذَاكَ بِٱلتَّسْلِيمِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتَهُ بَيْنَ خَمْسٍ مِنْ دَجَاجَاتِهِ كِبَارِ ٱلْجُسُومِ
قُلْتَ مَلْكٌ يَخْدُمْنَهُ فَتَيَاتٌ يَتَهَادَيْنَ بَيْنَ زَنْجٍ وَرُومِ
وَتَرَى عُرْفَهُ فَتَحْسَبُهُ ٱلتَّا جَ عَلَى رَأْسِ كِسْرَوِيٍّ كَرِيمِ
ثَاقِبِ ٱلْعِلْمِ بِٱلْمَوَاقِيتِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَحَاذِقٍ بِٱلنُّجُومِ
وَيَحُثُّ ٱلْجِيرَانَ حَوْلِي عَلَى ٱلْبِرِّ مِ كَحَثِّ ٱلْمُدِيرِ كَأْسَ ٱلنَّدِيمِ
وَلَهُ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ عَلَيَّ ٱلْـعَهْدُ فِي سَالِفِ ٱلزَّمَانِ ٱلْقَدِيمِ
إِنَّهُ آمِنٌ مِنَ ٱلشَّرِّ عِنْدِي غَيْرَ يَوْمِ ٱلْمَشِيئَةِ ٱلْمَحْتُومِ
وَقَدِ ٱحْتَجْتُ أَنْ أُضَحِّيَ فِي ٱلْعِيدِ بِهِ حَاجَةَ ٱلْأَدِيبِ ٱلْعَدِيمِ
وَبَنَاتِي يَقُلْنَ يَا أَبَتَانَا أَنْتَ فِي ذَاكَ بَيْنَ عُذْرٍ وَلَوْمِ
وَتَرَاهُنَّ حَوْلَهُ يَتَبَاكَيْنَ م بِدَمْعٍ لِفَقْدِهِ مَسْجُومِ
وَعَزِيزٌ سِوَاكَ مَنْ يَفْتَدِيهِ فَٱفْدِهِ سَيِّدِي بِذَبْحٍ عَظِيمِ
تَبْقَ فِي ذَاكَ سُنَّةٌ لَكَ يُبْقِي ذِكْرَهَا ذِكْرُ كَبْشِ إِبْرٰهِيمِ

١٣١ قصيدة مساور الورّاق في وصف وليمة

إِسْمَعْ بِنَعْتِي لِلْمُلُوكِ وَلَا تَرَى فِيمَا سَمِعْتَ كَمَيِّتِ ٱلْأَحْيَاءِ
إِنَّ ٱلْمُلُوكَ لَهُمْ طَعَامٌ طَيِّبٌ يَسْتَأْثِرُونَ بِهِ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ
إِنِّي نَعَتُّ لَذِيذَ عَيْشِي كُلَّهُ وَٱلْعَيْشُ لَيْسَ لَذِيذُهُ بِسَوَاءِ
ثُمَّ ٱخْتَصَصْتُ مِنَ ٱللَّذِيذِ وَعَيْشِهِ صِفَةَ ٱلطَّعَامِ بِشَهْوَةِ ٱلْحَلْوَاءِ

فَبَدَأْتُ بِٱلعَسَلِ ٱلشَّدِيدِ بَيَاضُهُ شَهْدٌ تُبَاكِرُهُ بِمَاءِ سَمَاءِ
إِنِّي سَمِعْتُ لِقَوْلِ رَبِّكَ فِيهِمَا فَجَمَعْتُ بَيْنَ مُبَارَكٍ وَشِفَاءِ
أَيَّامَ أَنْتَ هُنَاكَ بَيْنَ عِصَابَةٍ حَضَرُوا لِيَوْمِ تَنَعُّمِ ٱلْأَكْفَاءِ
لَا يَنْطِقُونَ إِذَا جَلَسْتُ إِلَيْهِمِ فِيمَا يَكُونُ بِلَفْظَةٍ عَوْرَاءِ
مُتَنَسِّمِينَ رِيَاحَ كُلِّ هَبُوبَةٍ بَيْنَ ٱلنَّخِيلِ بِفُرْقَةٍ فَيْحَاءِ
فَقَعَدْتُ ثُمَّ دَعَوْتُ لِي بِمُبَذْرِقٍ مُتَشَمِّرًا يَسْعَى بِغَيْرِ رِدَاءِ
قَدْ لَفَّ كُمَّيْهِ عَلَى عَضَلَاتِهِ قَلِصِ ٱلْقَمِيصِ مُشَمِّرٍ سَعَّاءِ
فَأَتَى بِخُبْزٍ كَٱلْمُلَاءِ مُنَقَّطٍ فَبَنَاهُ فَوْقَ أَخَاوِنِ ٱلسِّيرَاءِ
حَتَّى مَلَاهَا ثُمَّ تَرْجَمَ عِنْدَهَا بِٱلْفَارِسِيَّةِ دَاعِيًا بِوِجَاءِ
فَإِذَا ٱلْقِصَاعُ مِنَ ٱلْخَلَنْجِ لَدَيْهِمِ تَبْدُو جَوَانِبُهَا مَعَ ٱلرُّصَفَاءِ
إِرْفَعْ وَضَعْ وَهُنَا وَهَاكَ وَهٰهُنَا قَصْفُ ٱلْمُلُوكِ وَنَهْمَةُ ٱلْغَرَّاءِ
يَأْتُونَ ثُمَّ يَلُونَ كُلَّ ظَرِيفَةٍ قَدْ خَالَفَتْهُ مَوَائِدُ ٱلْخُلَفَاءِ
مِنْ كُلِّ ذِي قَرْنٍ وَجَدْيٍ رَاضِعٍ وَدَجَاجَةٍ مَرْبُوبَةٍ عَشْوَاءِ
وَثَرِيدَةٍ مَلْمُومَةٍ قَدْ صُفِّفَتْ مِنْ فَوْقِهَا بِأَطَايِبِ ٱلْأَعْضَاءِ
هٰذَا ٱلثَّرِيدُ وَمَا سِوَاهُ تَعَلُّلٌ ذَهَبَ ٱلثَّرِيدُ بِنَهْمَتِي وَهَوَائِي
وَلَقَدْ كَلِفْتُ بِنَعْتِ جَدْيٍ رَاضِعٍ قَدْ مَنَّتْهُ شَهْرَيْنِ بَيْنَ رِعَاءِ
قَدْ نَالَ مِنْ لَبَنٍ كَثِيرٍ طَيِّبٍ حَتَّى تَفَتَّقَ مِنْ رِضَاعِ ٱلشَّاءِ
مِنْ كُلِّ أَحْمَرَ لَا يَقِرُّ إِذَا ٱرْتَوَى مِنْ بَيْنِ رَقْصٍ دَائِمٍ وَثُغَاءِ
مُتَمَكِّنِ ٱلْجَنْبَيْنِ صَافٍ لَوْنُهُ عَبِلِ ٱلْقَوَائِمِ مِنْ غِذَاءِ رِضَاءِ

فَإِذَا مَرِضْتُ فَدَاوِنِي بِلُحُومِهَا ... إِنِّي وَجَدْتُ لُحُومَهُنَّ دَوَائِي
وَدَعِ الطَّبِيبَ وَلَا تَثِقْ بِدَوَائِهِ ... مَا خَالَفَتْكَ رَوَاضِعُ الأَجْدَاءِ
إِنَّ الطَّبِيبَ إِذَا حَبَاكَ بِشَرْبَةٍ ... تَرَكَتْكَ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءِ
وَإِذَا تَطَلَّعَ فِي دَوَاءِ صَدِيقِهِ ... لَمْ يَعْدُ مَا فِي جُونَةِ الرَّقَّاءِ
نَعَتَ الطَّبِيبُ هَلِيلَجًا وَبَلِيلَجًا ... وَنَعَتُّ غَيْرَهُمَا مِنَ الأَدْوَاءِ
رُطَبَ المُشَاشِ مُجَزَّعًا يُوقَى بِهِ ... وَالرَّازِقِيُّ فَمَا هُمَا بِسَوَاءِ
وَضَآنِيًا زُرْقًا كَأَنَّ بُطُونَهَا ... قِطَعُ الثُّلُوجِ بِقُبَّةِ الأَمْعَاءِ

محمد بن بشير والشاة

١٣٢ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأُدَبَائِهِمْ وَهُوَ مِنْ خَثْعَمٍ وَكَانَ مِنْ بُخَلَاءِ النَّاسِ . وَكَانَ لَهُ فِي دَارِهِ بُسْتَانٌ قَدْرُهُ أَرْبَعُ طَوَابِيقَ قَلَعَهَا مِنْ دَارِهِ فَغَرَسَ فِيهِ أَصْلَ رُمَّانٍ وَفَسِيلَةً لَطِيفَةً وَزَرَعَ حَوَالَيْهِ بَقْلًا . فَأَفْلَتَتْ شَاةٌ لِجَارٍ لَهُ مَنِيعٍ . فَأَكَلَتِ الْبَقْلَ وَمَضَغَتِ الْخُوصَ وَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ إِلَّا الْقَرَاطِيسَ فِيهَا شِعْرُهُ وَأَشْيَاءُ مِنْ سَمَاعَاتِهِ فَأَكَلَتْهَا . وَخَرَجَتْ فَعَدَا إِلَى الْجِيرَانِ فِي الْمَسْجِدِ يَشْكُو مَا جَرَى عَلَيْهِ وَعَادَ فَزَرَعَ الْبُسْتَانَ . وَقَالَ يَهْجُو شَاةَ مَنِيعٍ :

لِي بُسْتَانٌ أَنِيقٌ زَاهِرٌ ... نَاضِرُ الْخُضْرَةِ رَيَّانٌ تَرِفْ
رَاسِخُ الأَعْرَاقِ رَيَّانُ الثَّرَى ... غَدِقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفْ
مُشْرِقُ الأَنْوَارِ مَيَّادُ النَّدَى ... مُنْثَنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفْ
تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ... فَإِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الرِّيحَ وَقَفْ

يَكْتَسِي فِي ٱلشَّرْقِ ثَوْبَيْ يُمْنِهِ ‏ وَمَعَ ٱللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَحِفْ
يَنْطَوِي ٱللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا ‏ وَاجَهَ ٱلشَّرْقَ تَجَلَّى وَٱنْكَشَفْ
صَابِرٌ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةً ‏ خَزَّ بِٱلْمِنْجَلِ أَوْ مِنْهُ نُتِفْ
لَا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أَثَرًا ‏ فِيهِ بَلْ يَنْمِي عَلَى مَسِّ ٱلْأَكُفْ
فَتَرَى ٱلْأَطْبَاقَ لَا تُمْهِلُهُ ‏ صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفْ
فِيهِ لِلْخَارِفِ مِنْ جِيرَانِهِ ‏ كُلَّمَا ٱحْتَاجَ إِلَيْهِ مُخْتَرَفْ
أُقْحُوَانٌ وَبَهَارٌ مُونِقٌ ‏ وَسِوَى ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ ٱلطُّرَفْ
وَهْوَ زَهْرٌ لِلنَّدَامَى أُصُلًا ‏ بِرِضَى قَاطِفِهِمْ مِمَّا قُطِفْ
وَهْوَ فِي ٱلْأَيْدِي يُحَيُّونَ بِهِ ‏ وَعَلَى ٱلْآنَافِ طَوْرًا يُسْتَشَفْ
أَعْفِهِ يَا رَبِّ مِنْ وَاحِدَةٍ ‏ ثُمَّ لَا أَحْفِلُ أَنْوَاعَ ٱلتَّلَفْ
إِكْفِهِ شَاةَ مَنِيعٍ وَحْدَهَا ‏ يَوْمَ لَا يُصْبِحُ فِي ٱلْبَيْتِ عَلَفْ
إِكْفِهِ ذَاتَ سُعَالٍ شَهْلَةً ‏ مُتِّعَتْ فِي شَرِّ عَيْشٍ بِٱلْخَرَفْ
إِكْفِهِ يَا رَبِّ وَقْصَاءَ ٱلطُّلَى ‏ أَلْحِمِ ٱلْكَتِفَيْنِ مِنْهَا بِٱلْكَتِفْ
وَغَدَا ٱلصِّبْيَةُ مِنْ جِيرَانِهَا ‏ لِيَجُرُّوهَا إِلَى مَأْوَى ٱلْجِيَفْ
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً ‏ تَجْرُفُ ٱلتُّرْبَ بِجَنْبٍ مُنْحَرِفْ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى ٱلْمَأْوَى بِهَا ‏ أَعْمَلُوا ٱلْآجُرَّ فِيهَا وَٱلْخَزَفْ
ثُمَّ قَالُوا ذَا جَزَاءُ ٱلَّذِي ‏ تَأْكُلُ ٱلْبُسْتَانَ مِنَّا وَٱلصُّحُفْ
لَا تَلُومُونِي فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا ‏ كُلَّهُ فِيهَا إِذَنْ لَمْ أَنْتَصِفْ

ألبابُ ألثامِنُ
في ألمديحِ

١٣٣ قالَ أبُو تمّام يمدحُ أبا سعيدٍ :

أبا سعيدٍ وما وصفي بمتّهمٍ … على المعالي وما شكري بمخترمِ
لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حسنٍ … إني لفي اللؤمِ أحظى منكَ في الكرمِ
أمسى ابتسامُكَ والألوانُ كاسفةٌ … تبسُّمَ الصبحِ في داجٍ من الظُّلَمِ
كذا أخوكَ الندى لو أنّه بشرٌ … لم يلفَ طرفةَ عينٍ غيرَ مبتسمِ
رددتَ رونقَ وجهي في صحيفتهِ … ردَّ الصقالِ بهاءَ الصارمِ الخذمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقهُ … حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دمي

قصيدة خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة في قومه

عدلتُ إلى فخرِ العشيرةِ والهوى … إليهم وفي تعدادِ مجدهم شغلُ
إلى هضبةٍ من آلِ شيبانَ أشرفتْ … لها الذروةُ العلياءُ والكاهلُ العبلُ
إلى النفرِ البيضِ الألاءِ كأنّهمْ … صفائحُ يومَ الروعِ أخلصها الصقلُ
إلى معدنِ العزِّ المؤيَّدِ والندى … هناكَ هناكَ الفضلُ والخلقُ الجزلُ
أحبُّ بقاءَ القومِ للناسِ إنّهمْ … متى يظعنوا من مصرهم ساعةً يخلو
عذابٌ على الأفواهِ ما لم يذقهمُ … عدوٌّ وبالأفواهِ أسماؤهم تحلو
عليهمْ وقارُ الحلمِ حتى كأنّما … وليدهمُ من أجلِ هيبتهِ كهلُ
إذا استجهلوا لم يعزبِ الحلمُ عنهمُ … وإن آثروا أن يجهلوا عظمَ الجهلُ

هُمُ ٱلْجَبَلُ ٱلْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَاكَرَتْ   مُلُوكُ ٱلرِّجَالِ أَوْ تَخَاطَرَتِ ٱلْبُزْلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا   وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخُصَ ٱلْقَتْلُ
لَنَا فِيهِمِ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ   إِذَا حَرَّكَ ٱلنَّاسَ ٱلْمَخَاوِفُ وَٱلْأَزْلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْحَيُّ يَدْعُو صَرِيخُهُمْ   إِذَا ٱلْجَارُ وَٱلْمَأْكُولُ أَرْهَقَهُ ٱلْأَكْلُ
سُعَاةٌ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ   وَتَبْلُ أَقَاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمُ تَبْلُ
إِذَا طَلَبُوا ذَحْلًا فَلَا ٱلذَّحْلُ فَائِتٌ   وَإِنْ ظَلَمُوا أَكْفَاءَهُمْ بَطَلَ ٱلذَّحْلُ
مَوَاعِيدُهُمْ فِعْلٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا   بِتِلْكَ ٱلَّتِي إِنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ ٱلْفِعْلُ
بُحُورٌ تُلَاقِيهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ   إِذَا زَخَرَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهَا ذُهْلُ

١٣٤ قصيدة محمد بن هانىء في جعفر بن عليّ بن غلبون

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ ٱلْجِلَادِ بِعَنْبَرِ   وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ ٱلصَّبَاحِ ٱلْمُسْفِرِ
وَجَنَيْتُمُ ثَمَرَ ٱلْوَقَائِعِ يَانِعًا   بِٱلنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْأَخْضَرِ
وَضَرَبْتُمُ هَامَ ٱلْكُمَاةِ وَرُعْتُمُ   بِيضَ ٱلْخُدُورِ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرِ
أَبَنِي ٱلْعَوَالِي ٱلسَّمْهَرِيَّةِ وَٱلسُّيُو   فِ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلْأَكْثَرِ
مَنْ مِنْكُمُ ٱلْمَلِكُ ٱلْمُطَاعُ كَأَنَّهُ   تَحْتَ ٱلسَّوَابِغِ تُبَّعٌ فِي حِمْيَرِ
أَلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ شَوَازِبًا   خُزْرًا إِلَى لَحْظِ ٱلسِّنَانِ ٱلْأَخْزَرِ
شُعْثَ ٱلنَّوَاصِي حَشْرَةً آذَانُهَا   قُبَّ ٱلْأَيَاطِلِ دَامِيَاتِ ٱلْأَنْسُرِ
تَنْبُو سَنَابِكُهُنَّ عَنْ عَفَرِ ٱلثَّرَى   فَيَطَأْنَ فِي خَدِّ ٱلْعَزِيزِ ٱلْأَصْعَرِ
فِي فِتْيَةٍ صَدَأُ ٱلدُّرُوعِ عَبِيرُهُمْ   وَخَلُوقُهُمْ عَلَقُ ٱلنَّجِيعِ ٱلْأَحْمَرِ
لَا يَأْكُلُ ٱلسِّرْحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِمْ   مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْقَنَا ٱلْمُتَكَسِّرِ

أَنِسُوا بِهِجْرَانِ الأَنِيسِ كَأَنَّهُمْ ... فِي عَبْقَرِيِّ البِيدِ جِنَّةُ عَبْقَرِ
وَمَشَوْا عَلَى قِطَعِ النُّفُوسِ كَأَنَّمَا ... تَمْشِي سَنَابِكُ خَيْلِهِمْ فِي مَرْمَرِ
قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى الحَشَايَا غَيْرُهُمْ ... وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ الجِيَادِ الضُّمَّرِ
وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ قِبَابُهُمْ ... فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَبْحُرِ
فَحِيَاضُهُمْ مِنْ كُلِّ مُهْجَةِ ضَالِعٍ ... وَخِيَامُهُمْ مِنْ كُلِّ لِبْدَةِ قَسْوَرِ
وَكَفَاكَ مِنْ حُبِّ السَّمَاحَةِ أَنَّهَا ... مِنْهُمْ بِمَوْضِعِ مُقْلَةٍ مِنْ مَحْجِرِ

١٣٥ قصيدة المتنبي في شجاع بن محمد الطائي المنبجي

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... شُجَاعَ الَّذِي لِلّهِ ثُمَّ لَهُ الفَضْلُ
إِلَى الثَّمَرِ الحُلْوِ الَّذِي طَيِّئٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهَا أَصْلُ
إِلَى القَابِضِ الأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِي ... تُحَدِّثُ عَنْ وَقَفَاتِهِ الخَيْلُ وَالرَّجْلُ
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ ... تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَى شَمْلُ
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الغِمْدَ سَيْفُهُ ... وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ المَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ ... فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ
عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ المَنَايَا بِنَحْرِهِ ... غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ
وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ ... فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ
إِذَا قِيلَ رِفْقاً قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
وَلَوْلَا تَوَلِّي نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ ... عَنِ الأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الحِمْلُ
تَبَاعَدَتِ الآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ ... وَضَاقَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِهِ السُّبْلُ
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى ... فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ البُخْلُ

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ ... وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا ٱلْقَطْرُ وَٱلرَّمْلُ
وَمَا تَنْقِمُ ٱلْأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا ... لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ
وَمَا عِزُّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ ... وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
كَفَى ثُعَلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ ... وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً ... وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ ... وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ

١٣٦ جماليّة ابن نباتة في ابن الشهاب محمود

كَمْ مِنْ جَمَالٍ عِنْدَهُ ضُرُّ ٱلْفَتَى ... وَلَكَمْ جَمَالٍ عِنْدَهُ ٱلسَّرَّاءُ
كَجَمَالِ دِينِ ٱللهِ وَٱبْنِ شِهَابِهِ ... لَا ٱلظُّلْمُ حَيْثُ يُرَى وَلَا ٱلظَّلْمَاءُ
أَلْمَاجِدُ ٱلرَّاقِي مَرَاتِبَ سُؤْدُدٍ ... قَدْ رُصِّعَتْ بِجَوَارِهِ ٱلْجَوْزَاءُ
ذَاكَ ٱلَّذِي أَمْسَى ٱلسُّهَى جَارًا لَهُ ... لٰكِنَّ حَاسِدَ مَجْدِهِ ٱلْعَوَّاءُ
عَمَّتْ مَكَارِمُهُ وَسَارَ حَدِيثُهُ ... فَبِكُلِّ أَرْضٍ نِعْمَةٌ وَثَنَاءُ
وَسَعَتْ يَرَاعَتُهُ بِأَرْزَاقِ ٱلْوَرَى ... فَكَأَنَّهَا قَلْبٌ وَتِلْكَ رِشَاءُ
وَحَمَى ٱلْعَوَاصِمَ رَأْيُهُ وَلَطَالَمَا ... قَعَدَ ٱلْحُسَامُ وَقَامَتِ ٱلْآرَاءُ
عَجَبًا لِنَارِ ذَكَائِهِ مَشْبُوبَةً ... وَبِظِلِّهِ تَتَفَيَّأُ ٱلْأَفْيَاءُ
غَنَّى ٱلْيَرَاعُ بِهِ وَأَزْهَرَ طِرْسُهُ ... وَكَذَا تَكُونُ ٱلرَّوْضَةُ ٱلْغَنَّاءُ
يَا رَاكِبَ ٱلْعَزَمَاتِ غَايَاتُ ٱلْمُنَى ... مَغْنَى شِهَابِ ٱلدِّينِ وَٱلشَّهْبَاءُ
ذِي ٱلْمَجْدِ لَا فِي سَاعِدَيْهِ عَنِ ٱلْعُلَا ... قِصَرٌ وَلَا فِي عَزْمِهِ إِعْيَاءُ

وَالْعَدْلُ يَرْدَعُ قَادِرًا عَنْ عَاجِزٍ ... فَالذِّئْبُ هَاجِعَةٌ لَدَيْهِ الشَّاءُ
وَالْحِلْمُ يَرْوِي جَابِرٌ عَنْ فَضْلِهِ ... وَالْفَضْلُ يَرْوِي عَنْ يَدَيْهِ عَطَاءُ
يَا أَكْمَلَ الرُّؤَسَاءِ لَا مُسْتَثْنِيًا ... أَحَدًا إِذَا مَا عُدَّتِ الرُّؤَسَاءُ
يَا مَنْ مُلِئْتُ مِنَ الْمَعَادِ لَهُ وَمَا ... مُلِئَتْ لَدَيَّ مَعَادَهَا النَّعْمَاءُ
إِنْ لَمْ يَقُمْ بِحُقُوقِ مَا أَوْلَيْتَنِي ... مَدْحِي فَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ دُعَاءُ
شَهِدَتْ مَعَالِيكَ الرَّفِيعَةُ وَالنَّدَى ... أَنَّ الْوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ

١٣٧ من قصيدة ابن مطروح في الوزير عماد الدين

وَهَبَّتْ عَلَيْنَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... كَعَرْفِ عِمَادِ الدِّينِ حِينَ تُقَابِلُهْ
فَقُمْتُ مِنَ الْإِجْلَالِ أُنْشِدُ مَدْحَهُ ... وَقَدْ سَبَقَتْنِي قَبْلَ ذَاكَ فَوَاضِلُهْ
تَكَافَأَ فِي الْإِحْسَانِ شِعْرِي وَمَدْحُهُ ... وَلٰكِنْ بِخَصْلِ السَّبْقِ فَازَتْ أَنَامِلُهْ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الرَّوْضَ بَاكَرَهُ الْحَيَا ... فَأَيْنَعَ ذَاوِيهِ وَرَقَّتْ خَمَائِلُهْ
وَضَاعَ شَذَا أَزْهَارِهِ وَتَدَفَّقَتْ ... بِمَدْحِكَ مِنْ هٰذَا الثَّنَاءِ جَدَاوِلُهْ
تَخَافُ عِدَاهُ مِنْ تَوَقُّدِ عَزْمِهِ ... وَتَأْمَنُ إِذْ يَطْفُو وَيَطْفَحُ نَائِلُهْ
يُبَشِّرُ مِنْهُ الْبِشْرُ رَاجِي نَوَالِهِ ... كَذَا الْغَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَيْنَا مَخَايِلُهْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَرْقَ يَبْدُو أَمَامَهُ ... وَتَتْبَعُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ هَوَاطِلُهْ
أَلَمْ أَرَ غَيْثًا مِثْلَ غَيْثِ سَمَاحَةٍ ... تَيَمَّمَ مِصْرًا مِنْ ذُرَى الشَّرْقِ وَابِلُهْ
كَفَى وَالِدًا مِنْ حَمْلِ هَمٍّ لِوُلْدِهِ ... فَكُلُّ الْوَرَى أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهْ
عَلَى مَهَلٍ يَا مَنْ يُحَاوِلُ مَجْدَهُ ... فَبَيْنَ الثُّرَيَّا وَالسِّمَاكِ مَنَازِلُهْ
كَرِيمٌ لَهُ بَيْتٌ كَرِيمٌ تَقَاسَمَتْ ... أَوَاخِرُهُ إِرْثَ الْعُلَا وَأَوَائِلُهْ

لَهُ شِيَمٌ لَوْ أَنَّ فِي ٱلدَّهْرِ بَعْضَهَا   لَمَا غَالَتِ ٱلْحُرَّ ٱلْكَرِيمَ غَوَائِلُهْ
بَلِيغٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱللَّفْظَ خِلْتَهُ   عَنِ ٱلْوَحْيِ يُمْلِينَا ٱلَّذِي هُوَ قَائِلُهْ
تَحَلَّى بِهِ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي كَانَ عَاطِلًا   فَأَضْحَى مَلِيًّا بِٱلنَّبَاهَةِ خَامِلُهْ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ   وَطَابَتْ بِهِ أَسْحَارُهُ وَأَصَائِلُهْ
وَإِنِّي وَإِنْ أَتْحَفْتُهُ بِمَدَائِحٍ   هِيَ ٱلسِّحْرُ إِلَّا أَنَّ فِكْرِي بَابِلُهْ
فَمَا تَعِبَتْ لِي فِكْرَةٌ فِي مَدِيحِهِ   لِأَنِّي رَاوِي ٱلْفَضْلِ عَنْهُ وَنَاقِلُهْ
فَلَا حَمْدَ لِي فِيمَا أَقُولُ وَإِنَّمَا   كَتَبْتُ ٱلَّذِي أَمْلَتْ عَلَيَّ فَضَائِلُهْ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ   أَلَا فِي سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مَا أَنْتَ فَاعِلُهْ
إِذَا سَارَ فَوْقَ ٱلرَّاسِيَاتِ تَزَعْزَعَتْ   وَصَدَّعَتِ ٱلسَّبْعَ ٱلشِّدَادَ صَوَاهِلُهْ
وَرُبَّ خَمِيسٍ طَبَّقَ ٱلسَّهْلَ وَٱلرُّبَا   وَزَاحَمَتِ ٱلْجَوْزَاءَ مِنْهُ عَوَامِلُهْ
بِكُمْ يَا بَنِي شَيْخِ ٱلشُّيُوخِ تَأَيَّدَتْ   قَوَاعِدُ هٰذَا ٱلدِّينِ وَٱشْتَدَّ كَاهِلُهْ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلسُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ   بِأَنَّكَ كَافِيهِ وَأَنَّكَ كَافِلُهْ
وَأَخْلِقْ بِمُلْكٍ أَنْتَ حَارِسُ سَرْحِهِ   وَحَامِي حِمَاهُ أَنْ تُصَانَ مَعَاقِلُهْ

١٣٨ قصيدة ابن الحسن القاضي في الوزير الحسن بن اضحى

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَضْمُونُ لَكَ ٱلظَّفَرُ   أَبْشِرْ فَمِنْ جُنْدِكَ ٱلتَّأْيِيدُ وَٱلْقَدَرُ
وَأُبْ لَنَا سَالِمًا وَٱلسَّعْدُ مُقْتَبِلٌ   وَٱلدِّينُ مُنْتَظِمٌ وَٱلْكُفْرُ مُنْتَثِرُ
وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَى ٱلْبَيْضَاءِ مِنْ كَثَبٍ   كَمَا تَطَلَّعَ فِي جُنْحِ ٱلدُّجَا ٱلْقَمَرُ
حَلَّتْ فِي أَرْضِهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ   كَمَا يَحِلُّ بِهَا فِي ٱلْأَزْمَةِ ٱلْمَطَرُ
وَحَوْلَكَ ٱلصِّيدُ مِنْ لَمْتُونَةٍ وَهُمُ   أَبْطَالُ يَوْمِ ٱلْوَغَى وَٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهُرُ

وَٱلعُرْبُ تَرْفُلُ فَوْقَ ٱلغُرْبِ سَابِحَةً ... كَٱلأُسْدِ لَيْسَ لَهَا إِلَّا ٱلقَنَا ظُفُرُ
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ ... كَٱلبَدْرِ نَحْوَ لِقَاءِ ٱلجَيْشِ يَبْتَدِرُ
شِعَارُهُ ٱلبِرُّ وَٱلتَّقْوَى وَمُؤْنِسُهُ ... فِي لَيْلِهِ رُمْحُهُ وَٱلصَّارِمُ ٱلذَّكَرُ
ذُؤَابَةُ ٱلمَجْدِ مِنْ قَحْطَانَ كُلُّهُمُ ... أَبُوهُمُ حِمْيَرٌ ذُو ٱلمَجْدِ أَوْ مُضَرُ
وَمِنْ زَنَاتَةَ أَبْطَالٌ غَطَارِفَةٌ ... ذَوُوا تَجَارِبَ فِي يَوْمِ ٱلوَغَى صُبُرُ
وَلَمْطَةٍ وَهُمُ أَهْلُ ٱلطِّعَانِ لَدَى ٱلْـ ... ـهَيْجَاءِ فِي زُمَرٍ تَقْتَادُهَا زُمَرُ
كَأَنَّهُمْ فِي جَبِينِ ٱلمَجْدِ إِذْ رَكِبُوا ... مُصَمِّمِينَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ غُرَرُ

١٣٩ وقعت حربٌ بالجزيرة بين بني تغلب فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحتري فيما تعلّق بعضهُ بذكر الميتة:

بَنِي تَغْلِبٍ أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى ... دِيَارَكُمُ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ
خَلَتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ ... مَرَابِعُ مِنْ سِنْجَارَ يَهْمِي بِهَا ٱلوَبْلُ
إِذَا مَا ٱلتَقَوْا يَوْمَ ٱلهِيَاجِ تَحَاجَزُوا ... وَلِلْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
كَفِيٌّ مِنَ ٱلأَحْيَاءِ لَاقَى كَفِيَّهُ ... وَمِثْلٌ مِنَ ٱلأَقْوَامِ رَاجَعَهُ مِثْلُ
إِذَا مَا أَخٌ جَرَّ ٱلرِّمَاحَ ٱنْتَهَى لَهُ ... أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي ٱلطِّعَانِ وَلَا وَغْلُ
تَحُوطُهُمُ ٱلبِيضُ ٱلرِّقَاقُ وَضُمَّرٌ ... عِتَاقٌ وَأَنْسَابٌ بِهَا يُدْرَكُ ٱلتَّبْلُ
بِطَعْنٍ يَكُبُّ ٱلدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ ... وَضَرْبٍ كَمَا تَرْغُو ٱلمُخَزَّمَةُ ٱلبُزْلُ
تَجَافَى أَمِيرُ ٱلمُؤْمِنِينَ عَنِ ٱلَّتِي ... عَلِمْتُمْ وَلِلْجَانِينَ فِي مِثْلِهَا ٱلثُّكْلُ
وَكَانَتْ يَدُ ٱلفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عِنْدَكُمْ ... يَدَ ٱلغَيْثِ عِنْدَ ٱلأَرْضِ أَجْدَبَهَا ٱلمَحْلُ
وَلَوْلَاهُ طُلَّتْ بِٱلعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ ... فَلَا قَوَدٌ يُعْطَى ٱلأَذَلَّ وَلَا عَقْلُ

تَلَافَيْتَ يَا فَتْحُ ٱلْأَرَاقِمَ بَعْدَ مَا ... سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ ٱلْأَرْقَمُ ٱلصِّلُّ
وَهَبْتَ لَهُمْ بِٱلسِّلْمِ بَاقِي نُفُوسِهِمْ ... وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَتِمَّهُمُ ٱلْقَتْلُ
أَتَاكَ وُفُودُ ٱلشُّكْرِ يُثْنُونَ بِٱلَّذِي ... تَقَدَّمَ مِنْ نُعْمَاكَ عِنْدَهُمُ قَبْلُ
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُؤْدُدًا ... مِنَ ٱلْيَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إِلَى بَابِكَ ٱلسُّبْلُ
تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى ٱلسِّمَاطِ فَقَصَّرُوا ... خُطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا ٱلسُّتُورَ وَهُمْ عُجْلُ
وَلَمَّا قَضَوْا صَدْرَ ٱلسَّلَامِ تَهَافَتُوا ... عَلَى يَدِ بَسَّامٍ سَجِيَّتُهُ ٱلْبَذْلُ
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَّعَتْهُمُ ... جَلَالَةُ طَلْقِ ٱلْوَجْهِ جَانِبُهُ سَهْلُ
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ ... وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ
نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا مَدِيدًا وَمَنْطِقًا ... سَدِيدًا وَرَأْيًا مِثْلَ مَا ٱنْتُضِيَ ٱلنَّصْلُ
وَسَلَّتْ سَخِيمَاتِ ٱلصُّدُورِ فِعَالُكَ ٱلْـ ... كَرِيمُ وَأَبْرَى غِلَّهَا قَوْلُكَ ٱلْفَصْلُ
بِكَ ٱلْتَأَمَ ٱلشَّعْبُ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ ... عَلَى حِينِ بُعْدٍ مِنْهُ وَٱجْتَمَعَ ٱلشَّمْلُ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاطَتْ أَكُفُّهُمْ ... قِرَاكَ فَلَا ضِغْنٌ لَدَيْهِمْ وَلَا ذَحْلُ
وَجَرُّوا ذُيُولَ ٱلْعَصْبِ تَضْفُو ذُيُولُهَا ... عَطَاءَ كَرِيمٍ مَا تَكَاءَدَهُ بُخْلُ
وَمَا عَمَّهُمْ عَمْرُو بْنُ غَنْمٍ بِنِسْبَةٍ ... كَمَا عَمَّهُمْ بِٱلْأَمْسِ نَائِلُكَ ٱلْجَزْلُ
فَمَهْمَا رَأَوْا مِنْ غِبْطَةٍ فِي ٱصْطِلَاحِهِمْ ... فَمِنْكَ بِهَا ٱلنُّعْمَى جَرَتْ وَلَكَ ٱلْفَضْلُ

١٤٠ من قصيدة لابرهيم بن العباس في الفضل بن سهل

يُمْضِي ٱلْأُمُورَ عَلَى بَدِيهَتِهِ ... وَتُرِيهِ فِكْرَتُهُ عَوَاقِبَهَا
فَيَظَلُّ يُصْدِرُهَا وَيُورِدُهَا ... فَيَعُمُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَّتْ صَعْبَةٌ عَظُمَتْ ... فِيهَا ٱلرَّزِيَّةُ كَانَ صَاحِبَهَا

أَٱلْمُسْتَقِلُّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَوَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ جَانِبَهَا

وَعَدَلْتَهَا بِٱلْحَقِّ فَٱعْتَدَلَتْ وَوَسِعْتَ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا

وَإِذَا ٱلْحُرُوبُ بَدَتْ بَعَثْتَ لَهَا رَأْيًا تَفُلُّ بِهَا كَتَائِبَهَا

رَأْيًا إِذَا نَبَتِ ٱلسُّيُوفُ مَضَى عَزْمٌ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا

وَإِذَا ٱلْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ هَدَّتْ فَوَاضِلُهُ نَوَائِبَهَا

وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ أَبْدَتْ بِهِ ٱلدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

١٤١ قصيدة عمرو بن مسعدة في ابي محمد عبد الله بن ايوب التيمي

غَرِيبٌ يَحِنُّ لِأَوْطَانِهِ وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ ٱلذَّاهِبِ

كَفَاكَ أَبُو ٱلْفَضْلِ عَمْرُو ٱلنَّدَى مُطَالَعَةَ ٱلْأَمَلِ ٱلْكَاذِبِ

وَصِدْقُ ٱلرَّجَاءِ وَحُسْنُ ٱلْوَفَاءِ لِعَمْرِو بْنِ مُسْعَدَ ٱلْكَاتِبِ

عَرِيضُ ٱلْفِنَاءِ طَوِيلُ ٱلْبِنَاءِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ ٱلثَّاقِبِ

هُوَ ٱلْمُرْتَجَى بِصُرُوفِ ٱلزَّمَانِ وَمُعْتَصَمُ ٱلرَّاغِبِ ٱلرَّاهِبِ

جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ عَلَى ٱلضَّيْفِ وَٱلْجَارِ وَٱلصَّاحِبِ

نُؤَمِّلُهُ لِجِسَامِ ٱلْأُمُورِ وَنَرْجُوهُ لِلْجَلَلِ ٱلْكَارِبِ

خَصِيبُ ٱلْجَنَابِ مَطِيرُ ٱلسَّحَابِ بِشِيمَتِهِ لَيِّنُ ٱلْجَانِبِ

يُرَوِّي ٱلْقَنَا مِنْ نُحُورِ ٱلْعِدَا وَيَغْرَقُ فِي ٱلْجُودِ كَٱللَّاعِبِ

إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا حَرَاجِيجُ فِي مَهْمَهٍ لَاحِبِ

كَأَنَّ نَعَامًا تُبَارِي بِنَا بِوَابِلَ مِنْ بَرَدٍ عَاصِبِ

يَرِدْنَ نَدَى كَفِّكَ ٱلْمُرْتَجَى وَيَقْضِينَ مِنْ حَقِّكَ ٱلْوَاجِبِ

وَلِلّٰهِ مَا أَنتَ مِنْ خَابِرٍ ... بِسَجْلٍ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبِ

فَتَسْقِي ٱلْعِدَا بِكُؤُسِ ٱلرَّدَى ... وَتَسْبِقُ مَسْأَلَةَ ٱلطَّالِبِ

وَكَمْ رَاغِبٍ نِلْتَهُ بِٱلْعَطَا ... وَكَمْ نِلْتَ بِٱلْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ

وَتِلْكَ ٱلْخَلَائِقُ أُعْطِيتَهَا ... وَفَضْلٌ مِنَ ٱلْمَانِعِ ٱلْوَاهِبِ

كَسَبْتَ ٱلثَّنَا وَكَسْبُ ٱلثَّنَا ... ءِ أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ ٱلْكَاسِبِ

يَقِينُكَ يَجْلُو سُتُورَ ٱلدُّجَا ... وَظَنُّكَ يُخْبِرُ بِٱلْغَائِبِ

وَهٰذَا ٱلشِّعْرُ يَتَدَفَّقُ طَبْعًا وَسَلَاسَةً (العقد الفريد)

١٤٢ لَمَّا خلَّص محمد بن عبد الله بن طاهر إبرهيم بن المُدبّر وجوَّد المسألة في أمرهِ ولم يلتفت الى عُبَيد الله وبذل أن يُحتَمَل في مالهِ كل ما يطالب بهِ . فأعفاهُ المتوكل من ذلك ووهبهُ لهُ وكان ابرهيم استغاث بهِ ومدحهُ بقولهِ :

دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ وَلَبَّيْتَ دَعْوَتِي ... وَلَمْ يَعْتَرِضْنِي إِذْ دَعَوْتَ ٱلْمَعَاذِرُ

إِلَيْكَ وَقَدْ جَلَّيْتُ أَوْرَدْتُ هِمَّتِي ... وَقَدْ أَعْجَزَتْنِي عَنْ هُمُومِي ٱلْمَصَادِرُ

نَمَى بِكَ عَبْدُ ٱللّٰهِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلْعُلَا ... وَحَازَ لَكَ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ طَاهِرُ

فَأَنْتُمْ بَنُو ٱلدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوِّهَا ... وَسَاسَتُهَا وَٱلْأَعْظَمُونَ ٱلْأَكَابِرُ

مَآثِرُ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُصْعَبٍ ... وَطَلْحَةَ لَا تَحْوِي مَدَاهَا ٱلْمَفَاخِرُ

إِذَا بَذَلُوا قِيلَ ٱلْغُيُوثُ ٱلْبَوَاكِرُ ... وَإِنْ غَضِبُوا قِيلَ ٱللُّيُوثُ ٱلْهَوَاصِرُ

تُطِيعُكُمُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ ٱلْبَوَاتِرُ ... وَتَزْهُو بِكُمْ يَوْمَ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَنَابِرُ

وَمَا لَكُمُ غَيْرَ ٱلْأَسِرَّةِ مَجْلِسٌ ... وَلَا لَكُمُ غَيْرَ ٱلسُّيُوفِ مَخَاصِرُ

وَلِي حَاجَةٌ إِنْ شِئْتَ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا ... وَسَرَّكَ مِنْهَا أَوَّلٌ ثُمَّ آخِرُ

كَلَامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَطْفُهُ ... فَمَا لِيَ بَعْدَ ٱللّٰهِ غَيْرُكَ نَاصِرُ

وَإِنْ سَاعَدَ ٱلْمَقْدُورُ فَٱنْجُ وَاقِعٌ ... وَإِلَّا فَإِنِّي مُخْلِصُ ٱلْوِدِّ شَاكِرُ

١٤٣ قال عنتر بن شداد يمدح الملك كسرى انوشروان

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي رَاحَاتُهُ ... قَامَتْ مَقَامَ ٱلْغَيْثِ فِي أَزْمَانِهِ

يَا قِبْلَةَ ٱلْقُصَّادِ يَا تَاجَ ٱلْعُلَا ... يَا بَدْرَ هٰذَا ٱلْعَصْرِ فِي كِيوَانِهِ

يَا مُخْجِلًا نَوْءَ ٱلسَّمَاءِ بِجُودِهِ ... يَا مُنْقِذَ ٱلْمَحْزُونِ مِنْ أَحْزَانِهِ

يَا سَاكِنِينَ دِيَارَ عَبْسٍ إِنَّنِي ... لَاقَيْتُ مِنْ كِسْرَى وَمِنْ إِحْسَانِهِ

مَا لَيْسَ يُوصَفُ أَوْ يُقَدَّرُ أَوْ يَفِي ... أَوْصَافَهُ أَحَدٌ بِوَصْفِ لِسَانِهِ

مَلِكٌ حَوَى رُتَبَ ٱلْمَعَالِي كُلَّهَا ... بِسُمُوِّ مَجْدٍ حَلَّ فِي إِيوَانِهِ

مَوْلًى بِهِ شَرَفُ ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... وَٱلدَّهْرُ نَالَ ٱلْفَخْرَ مِنْ تِيجَانِهِ

وَإِذَا سَطَا خَافَ ٱلْأَنَامُ جَمِيعُهُمْ ... مِنْ بَأْسِهِ وَٱللَّيْثُ عِنْدَ عِيَانِهِ

أَلْمُظْهِرُ ٱلْإِنْصَافَ فِي أَيَّامِهِ ... بِخِصَالِهِ وَٱلْعَدْلَ فِي بُلْدَانِهِ

أَمْسَيْتُ فِي رَبْعٍ خَصِيبٍ عِنْدَهُ ... مُتَنَزِّهًا فِيهِ وَفِي بُسْتَانِهِ

وَنَظَرْتُ بِرْكَتَهُ تَفِيضُ وَمَاؤُهَا ... يَحْكِي مَوَاهِبَهُ وَجُودَ بَنَانِهِ

فِي مَرْبَعٍ جَمَعَ ٱلرَّبِيعَ بِرَبْعِهِ ... مِنْ كُلِّ فَنٍّ لَاحَ فِي أَفْنَانِهِ

وَطُيُورُهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَنْشَدَتْ ... جَهْرًا بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ طَوْعُ عِنَانِهِ

مَلِكٌ إِذَا مَا جَالَ فِي يَوْمِ ٱللِّقَا ... وَقَفَ ٱلْعَدُوُّ مُحَيَّرًا فِي شَانِهِ

وَٱلنَّصْرُ مِنْ جُلَسَائِهِ دُونَ ٱلْوَرَى ... وَٱلسَّعْدُ وَٱلْإِقْبَالُ مِنْ أَعْوَانِهِ

فَلَأَشْكُرَنَّ صَنِيعَهُ بَيْنَ ٱلْمَلَا ... وَأَطَا عِنَ ٱلْفُرْسَانَ فِي مَيْدَانِهِ

قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي ٱلْبَرَامِكَةِ :

إِنَّ ٱلْبَرَامِكَةَ ٱلْكِرَامَ تَعَلَّمُوا فِعْلَ ٱلْجَمِيلِ وَعَلَّمُوهُ ٱلنَّاسَا
كَانُوا إِذَا غَرَسُوا سَقَوْا وَإِذَا بَنَوْا لَا يَهْدِمُونَ لِمَا بَنَوْهُ أَسَاسَا
وَإِذَا هُمُ صَنَعُوا ٱلصَّنَائِعَ فِي ٱلْوَرَى جَعَلُوا لَهَا طِيبَ ٱلْبَقَاءِ لِبَاسَا

١٤٤ لشمس الدين القادري الشاعر المفلق في جلال الدين السيوطي

إِمَامُ ٱجْتِهَادٍ عَالِمُ ٱلْعَصْرِ عَامِلٌ بِجَامِعِ فَضْلٍ نَاسِكٌ مُتَهَجِّدُ
وَيَحْسُدُ طَرْفُ ٱلنَّجْمِ بِٱلْعِلْمِ طَرْفَهُ إِذَا بَاتَ لَيْلًا فِيهِ وَهُوَ مُسَهَّدُ
وَيَقْدَحُ زَنْدَ ٱلْعَزْمِ زَنْدُ ذَكَائِهِ فَيُصْبِحُ مِنْهُ فِكْرُهُ يَتَوَقَّدُ
وَمِنْ مَدَدِ ٱلْمَوْلَى وَعَيْنِ عِنَايَةٍ وَتَوْفِيقِهِ يُحْيِي وَيُحْمَى وَيُحْمَدُ
وَمُجْتَهِدٌ قَدْ طَالَ فِي ٱلْعِلْمِ مُدْرَكًا وَبَاعًا فَفِي كُلِّ ٱلْعُلُومِ لَهُ يَدُ
فَحَقَّ لَهُ دَعْوَى ٱجْتِهَادٍ لِأَنَّهُ هُوَ ٱلْبَحْرُ عِلْمًا زَاخِرُ ٱللُّجِّ مُزْبِدُ
فَمِنْ ذَاكَ عِلْمٌ بِٱلْكِتَابِ وَسُنَّةٍ تَبَيَّنُ مَا فِي بَحْرِهِ فَهُوَ مَوْرِدُ
وَفَحْوَى خِطَابٍ ثُمَّ مَفْهُومُ مَا بِهِ يَدُلُّ عَلَى مَفْهُومِهِ حَيْثُ يُوجَدُ
وَمَعْرِفَةُ ٱلْأَخْبَارِ ثُمَّ رُوَاتِهَا عُدُولًا وَمَنْ بِٱلطَّعْنِ فِيهِ تَرَدَّدُ
وَفِي ٱلنَّحْوِ وَٱلتَّصْرِيفِ لِلْمَرْءِ عِصْمَةٌ مِنَ ٱللَّحْنِ فَٱللَّحَّانُ بِٱللَّحْنِ مُكْمَدُ
وَمَعْرِفَةُ ٱلْإِعْرَابِ أَرْفَعُ مُرْتَقًى فَطُوبَى لِمَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ وَيَصْعَدُ
وَعِلْمُ ٱلْمَعَانِي وَٱلْبَيَانِ كِلَاهُمَا مَرَاقٍ إِلَى عِلْمِ ٱلْبَدِيعِ وَمَصْعَدُ
وَسُلْطَانُ مَنْقُولِ ٱلْفَقِيهِ مَتَى يَجِدْ وَزِيرًا مِنَ ٱلْمَعْقُولِ فَهُوَ مُؤَيَّدُ
وَإِنَّ ٱلْجَلَالَ ٱلسُّيُوطِيَّ لِلْهُدَى كَكَوْكَبِ عِلْمٍ بِٱلضِّيَا يَتَوَقَّدُ
وَقَدْ جَادَ طِيبُ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةَ أَصْلِهِ فَطَابَ لَهُ بِٱلْعِلْمِ فَرْعٌ وَمَحْتِدُ

وَذِي مُسْنَدٍ مُغْرًى بِتَعْدَادِ فَضْلِهِ   عَلَى نَفْسِهِ يَبْكِي أَسًى وَيُعَدِّدُ

فَلَوْ أَبْصَرَ ٱلْكُفَّارُ فِي ٱلْعِلْمِ دَرْسَهُ   وَقَدْ شَاهَدُوا تَقْرِيرَهُ لَتَشَهَّدُوا

فَخُذْهَا جَلَالَ ٱلدِّينِ فِي ٱلْمَدْحِ كَاعِبًا   لَهَا جِيدُ حُسْنٍ بِٱلنُّجُومِ مُقَلَّدُ

وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ قَوْلِ وَاشٍ وَحَاسِدٍ   فَمَا بَرِحَتْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ تُحْسَدُ

وَمَنْ لَحَظَتْ مَسْعَاهُ عَيْنُ عِنَايَةٍ   فَطَرْفُ أَعَادِيهِ مَدَى ٱلدَّهْرِ أَرْمَدُ

بِإِخْلَاصِهِمْ لَا ٱلْهَجْوُ يَوْمًا يَسُوؤُهُمْ   وَلَا سَرَّهُمْ مَدْحُ ٱلَّذِي رَاحَ يَحْمَدُ

وَإِنَّ جَلَالَ ٱلدِّينِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ   بِيُمْنَى عُلُومِ ٱلدِّينِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ

وَإِنَّ ٱلْقَوَافِي ضِقْنَ ذَرْعًا عَنِ ٱلَّذِي   لَهُ مِنْ تَصَانِيفٍ فَلَيْسَتْ تَعَدَّدُ

وَإِنَّ ٱلْفَقِيرَ ٱلْقَادِرِيَّ لَعَاجِزٌ   عَنِ ٱلْمَدْحِ فِي عَلْيَاهُ إِذْ يَتَقَصَّدُ

وَقَاهُ إِلٰهُ ٱلْعَرْشِ مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ   وَمَا أَضْمَرَتْ يَوْمًا عِدَاهُ وَحُسَّدُ

مديح الخلفاء

١٤٥ مديح معاوية لابن ارطاة

وَإِنِّي ٱمْرُؤٌ أُنْمَى إِلَى أَفْضَلِ ٱلْوَرَى   عَدِيدًا إِذَا ٱرْفَضَّتْ عَصَا ٱلْمُتَحَلِّفِ

إِلَى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ   هِضَابُ أَجَا أَرْكَانُهَا لَمْ تَقَصَّفِ

مَيَامِينَ يَرْضَوْنَ ٱلْكِفَايَةَ إِنْ كُفُوا   وَيَكْفُونَ مَا وُلُّوا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

غَطَارِفَةٌ سَاسُوا ٱلْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا   سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفِ

فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِرًا يَفْشُ فَضْلُهُ   وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِرًا يَتَعَفَّفِ

وَإِنْ تَبْسُطِ ٱلنُّعْمَى لَهُمْ يَبْسُطُوا بِهَا   أَكُفًّا سِبَاطًا نَفْعُهَا غَيْرُ مُقْرِفِ

وَإِنْ تَزْوِ عَنْهُمْ لَا يَضِجُّوا وَتُلْفِهِمْ   قَلِيلِي ٱلتَّشَكِّي عِنْدَهَا وَٱلتَّكَلُّفِ

إِذَا انْصَرَفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا … إِذَا الْجَاهِلُ الْحَيْرَانُ لَمْ يَتَصَرَّفِ
سَمَوْا فَعَلَوْا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا … بِبُنْيَانِ عَالٍ مِنْ مُنِيفٍ وَمُشْرِفِ

١٤٦ دخل كُثَيِّر ابو صخر والأحوص على عُمَر بن عبد العزيز فانشده كُثَيِّر :

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ … بَرِيًّا وَلَمْ تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي … فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ … مِنَ الْأَوَدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ
لَقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الْمُلُوكِ ثِيَابَهَا … وَأَبْدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ … وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا … سَقَتْكَ مَدُوفًا مِنْ سِمَامٍ وَعَلْقَمِ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُمَنَّعٍ … وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزْبِدِ الْمَوْجِ مُفْعَمِ
وَمَا زِلْتَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ … صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمُلْكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ … لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقًا … وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي … أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلِمِ
وَمَا لَكَ إِنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ … سِوَى اللهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمِ
سَمَا لَكَ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ … صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلَّمِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ تَقَسَّمُوا … لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ
فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبٌ … مُغِذٌّ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْزَمِ
فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ … وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ

فقال له يا كُثيّر إنّ الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال:
قُل ولا تقُل إلّا حقًّا فانّ الله سائلك فأنشده :

وَمَا ٱلشِّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ ... بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلِ
فَلَا تَقْبَلَنْ إِلَّا ٱلَّذِي وَافَقَ ٱلرِّضَا ... وَلَا تُرْجِعَنَّا كَٱلنِّسَاءِ ٱلْأَرَامِلِ
رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ ٱلْحَقِّ يَمْنَةً ... وَلَا يَسْرَةً فِعْلَ ٱلظَّلُومِ ٱلْمُجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ ٱلْقَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... وَتَقْفُو مِثَالَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَا لَنَا ... وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ مِنْ قَوْلِ عَاذِلِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلسَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ ... عَلَى فُوقِهِ إِنْ عَادَ مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
وَلَوْلَا ٱلَّذِي قَدْ عَوَّدَتْنَا خَلَائِفٌ ... غَطَارِيفُ كَانَتْ كَٱللُّيُوثِ ٱلْبَوَاسِلِ
لَمَا وَخَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةٌ ... تُقَلُّ مُتُونَ ٱلْبِيدِ بَيْنَ ٱلرَّوَاحِلِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ ٱلَّذِي بِهِ ... صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ ٱلْأَفَاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وَإِنْ كَانَ مِثْلَ ٱلدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعِيبُهُ ... سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِنَاءَ ٱلْمَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ ... وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِٱلْمَنَاصِلِ
فَذَادُوا عَدُوَّ ٱلسِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ ... وَأَرْسَوْا عَمُودَ ٱلدِّينِ بَعْدَ تَمَايُلِ
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى ٱلْهُنَيْدَةَ جُلَّةً ... عَلَى ٱلشِّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ
فَكُلُّ ٱلَّذِي عَدَّدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ... وَنَيْلُكَ خَيْرٌ مِنْ بُحُورٍ سَوَائِلِ

١٠٧ أخبر عليُّ بن سليمان الأخفش قال : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدّوس وعليَّ بن الخليل في الزندقة وكان عليّ بن الخليل استأذن آبا نُواسٍ في الشعر فانشده عليّ بن الخليل قصيدةً منها :

خَيْرُ ٱلْـبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمِ ... فِي يَوْمِكَ ٱلْغَادِي وَفِي أَمْسِ
وَكَذَاكَ لَنْ تَنْفَـكَّ خَيْرَهُمُ ... تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لِلّٰهِ مَا هَارُونُ مِنْ مَلِكٍ ... بَرِّ ٱلسَّرِيرَةِ طَاهِرِ ٱلنَّفْسِ
مَلِكٌ عَلَيْـهِ لِرَبِّهِ نِعَـمٌ ... تَزْدَادُ جِدَّتُهَـا عَلَى ٱللُّبْسِ
تَحْكِي خِلَافَتُهُ بِبَهْجَتِهَـا ... أُنُقَ ٱلسُّرُورِ صَبِيحَـةَ ٱلْعُرْسِ
مِنْ عِتْرَةٍ طَابَتْ أَرُومَتُهَـا ... أَهْلِ ٱلْعَفَافِ وَمُنْتَهَى ٱلْقُدْسِ
نُطُقٍ إِذَا ٱحْتُضِرَتْ مَجَالِسُهُمْ ... وَعَنِ ٱلسَّفَاهَةِ وَٱلْخَنَـا خُرْسِ
إِنِّي إِلَيْكَ لَجَأْتُ مِنْ هَرَبٍ ... قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
وَٱخْتَرْتُ حُكْمَكَ لَا أُجَاوِزُهُ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي ثَرَى رَمْسِي
لَمَّا ٱسْتَخَرْتُ ٱللهَ فِي مَهَلٍ ... يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَـةَ ٱلْعَنْسِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ مُدَّرِعًا ... لَيْلًا بَهِيمَ ٱللَّوْنِ كَـٱلنِّقْسِ
إِنْ هَاجَنِي مِنْ هَاجِسٍ جَزَعٌ ... كَـانَ ٱلتَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي

فأطلقهُ الرشيد وقتل صالح بن عبد القدّوس واحتجَّ عليهِ في أنهُ لا يقبل لهُ توبةً بقولهِ:

والشيخُ لا يترك أخلاقـهُ ... حتى يُوارى في ثرى رمسهِ

١٤٨ أخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدَّثني عمّي إسماعيل وأخي أحمد قالا: لمّا بلغ المأمون وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل لهُ خطبةً يقوم بها يوم الجمعة. فعملنا لهُ خطبتهُ المشهورة وكان جهير الصوت حسن اللهجة. فلماً خطب بها رقّت لهُ قلوب الناس وابكى مَن سمعهُ. فقال أبو محمد اليزيديّ يمدح المأمون:

لِيَهْنِ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةٌ ... عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ ٱلْإِلٰهِ وُجُوبُ
بِأَنَّ وَلِيَّ ٱلْعَـهْدِ مَأْمُونَ هَاشِمٍ ... بَدَا فَضْـلُهُ إِذْ قَامَ وَهْوَ خَطِيبُ
وَلَمَّا رَمَاهُ ٱلنَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... بِأَبْصَارِهِمْ وَٱلْعُودُ مِنْـهُ صَلِيبُ

وَمَاهُمْ بِقَوْلٍ أَنْصَتُوا عَجَباً لَهُ   وَفِي دُونِهِ لِلسَّامِعِينَ عَجِيبُ
وَلَمَّا وَعَتْ آذَانُهُمْ مَا أَتَى بِهِ   أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَاكَ قُلُوبُ
فَأَبْكَى عُيُونَ النَّاسِ أَبْلَغُ وَاعِظٍ   أَغَرُّ بِطَاحِيٌّ النِّجَارِ نَجِيبُ
مَهِيبٌ عَلَيْهِ لِلْوَقَارِ سَكِينَةٌ   جَرِيءُ جَنَانٍ لَا أَكَعُّ هَيُوبُ
وَلَا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَلْبُهُ   إِذَا مَا اعْتَرَى قَلْبَ النَّجِيبِ وَجِيبُ
إِذَا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مِنْبَرٍ   فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ
تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهْوَ حَدِيثُهُمْ   تَحَدَّثَ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبُ
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً   إِذَا وَرَدَتْ يَوْماً عَلَيْهِ خُطُوبُ
إِذَا طَابَ أَصْلٌ فِي عُرُوقِ مَشَاجِهِ   فَأَغْصَانُهُ مِنْ طِيبِهِ سَتَطِيبُ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ   يُقَدَّمُ عَبْدُ اللهِ فَهْوَ أَدِيبُ
كَأَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَلْدَةٍ كَانَ وَالِيَا   عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
تَتَبَّعَ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ   فَسِيرَتُهُ تَشْخَصُ إِلَيْكَ حَبِيبُ
وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ   فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي التُّرَاثِ نَصِيبُ

فلما وصلت هذه الأبيات الى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين الف درهم ولابنه محمد بن أبي محمد بمثله

(الاغاني)

١٤٩   انشد حسين بن الضحاك يوم بويع بالخلافة للمعتصم

خَيْرُ الْوُفُودِ مُبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ   خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ
وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً   مِنْ كُلِّ مُشْكِلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ
أَعْطَتْهُ صَفْقَتَهَا الضَّمَائِرُ طَاعَةً   قَبْلَ الْأَكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِيثَاقِ

سكَنَ ٱلْأَنَامُ إِلَى إِمَامِ سَلَامَةٍ عَفِّ ٱلضَّمِيرِ مُهَذَّبِ ٱلْأَخْلَاقِ
فَحَمَى رَعِيَّتَهُ وَدَافَعَ دُونَهَا وَأَجَارَ مُمْلِقَهَا مِنَ ٱلْإِمْلَاقِ
قُلْ لِلْأُولَى صَرَفُوا ٱلْوُجُوهَ عَنِ ٱلْهُدَى مُتَعَسِّفِينَ تَعَسُّفَ ٱلْمُرَّاقِ
إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ بَوَادِرَ ضَيْغَمٍ دَرِبٍ بِحَطْمِ حَوَائِلِ ٱلْأَعْنَاقِ
مُتَأَهِّبٍ لَا يَسْتَفِزُّ جَنَانَهُ زَجَلُ ٱلرُّعُودِ وَلَامِعُ ٱلْإِبْرَاقِ
لَمْ يُبْقِ مِنْ مُتَعَزِّمِينَ تَوَثَّبُوا بِٱلشَّأْمِ غَيْرَ جَمَاجِمٍ أَفْلَاقِ
مِنْ بَيْنِ مُنْجَدِلٍ تَمُجُّ عُرُوقُهُ عَلَقَ ٱلْأَخَادِعِ أَوْ أَسِيرِ وِثَاقِ
وَثَنَى ٱلْخُيُولَ إِلَى مَعَاقِلِ قَيْصَرٍ تَخْتَالُ بَيْنَ أَجِرَّةٍ وَدِقَاقِ
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُشَمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ لَيْثٍ هِزَبْرٍ أَهْرَتِ ٱلْأَشْدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ ٱلْحُصُونَ مُنَازِلًا وَٱلْمَوْتُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ
هَرَّتْ بِطَارِقُهَا هَرِيرَ قَسَاوِرٍ بُدِهَتْ بِأَكْرَهِ مَنْظَرٍ وَمَذَاقِ
ثُمَّ ٱسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مُلُوكُهَا ذُلًّا وَنَاطَ حُلُوقَهَا بِخِنَاقِ
هَرَبَتْ وَأَسْلَمَتِ ٱللِّوَاءَ عَشِيَّةً لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةِ ٱلْأَرْمَاقِ

حتى أتمها فقال له المعتصم: ادنُ مني. فدنا منهُ فملأَ فمهُ جوهرًا من جوهرٍ كان بين يديهِ. ثمَّ أمرهُ بان يُخرجهُ من فيهِ فاخرجهُ وأمر بان يُنظَم ويدفع اليهِ. ويخرج الى الناس وهو في يدهِ ليعلموا موقعهُ من رأيهِ ويعرفوا فضلهُ فكان أحسن ما مدح بهِ يومئذٍ (الاغاني)

١٥٠ أخبر إبرهيم بن حسن بن سهلٍ قال: كنَّا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيَّد فصاد صيدًا حسنًا وهو في الزوِّ من الأوزّ والدرَّاج وطير الماء وغير ذلك. ثمَّ رجع فتغدَّى ودعا بالجلساء والمغنّين وطرب وقال: مَن يُنشد. فقام الحسين بن الضحَّاك فانشده:

سَقَى ٱللهُ بِٱلْقَاطُولِ مَسْرَحَ طَرْفِكَا وَخَصَّ بِسُقْيَاهُ مَنَاكِبَ قَصْرِكَا

حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

تحنّ للدرّاج في جنباته وللغُرّ آجالٌ قُدِرن بكفّكا
مُتونًا إذا وجّهتهنّ قواضبًا عجالًا إذا أغريتهنّ بزجركا
أسبحت حمامًا مصعدًا ومصوّبًا وما رمتَ في حاليك مجلسَ لهوكا
تصرّف فيه بين نايٍ ومسمعٍ ومشمولةٍ من كفّ ظبيٍ لسقيكا
قضيتَ لُباناتٍ وأنت مخيّمٌ مريحٌ وإن شطّت مسافةُ عزمكا
وما نال طيبَ العيشِ إلّا مودّعٌ وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا

فقال الواثق: ما يعدل الراحة ولذّة الدعة شيءٌ. فلمّا انتهى الى قوله:

خُلقتَ أمينَ الله للخلق عصمةً وأمنًا فكلٌّ في ذَراك وظلّكا
وثقتَ بمن سمّاك بالغيبِ واثقًا وثبّت بالتأييد أركان مُلككا
فأعطاك مُعطيك الخلافةَ شكرَها وأسعدَ بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمارنا غير منّةٍ عليك بها أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ عُداةً لمن عاداك سِلمًا لسلمكا
إذا كنتُ من جدواك في كلّ نعمةٍ فلا كنتُ إن لم أُفنِ عمري بشكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخصرةٍ كانت في يده وقال: لله درّك يا حُسين ما أقرب قلبك من لسانك. فقال: يا أمير المؤمنين جودك يُنطق المفحَم بالشعر والجاحد بالشكر. فقال لهُ: لن تنصرف إلّا مسرورًا ثمّ أمر لهُ بخمسين الف درهمٍ

١٥١ قصيدة ابي بكر بن عمار في الخليفة المعتضد بالله

ملكٌ إذا ازدحم الملوكُ بموردٍ ونحاهُ لا يردون حتّى يصدرا
أندى على الأكبادِ من قطرِ الندى وألذُّ في الأجفانِ من سِنةِ الكرى
قدّاحُ زندِ المجدِ لا ينفكُّ عن نارِ الوغى إلّا إلى نارِ القِرى

لَا خَلْقَ أَقْرَأُ مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ ... إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ ٱلْمَوَاكِبَ أَسْطُرَا
أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنْ ذُرَاهُ بِجَنَّةٍ ... لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ ٱلْكَوْثَرَا
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبْعِيَ مُخْصِبٌ ... لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ ٱلْغَمَامَ ٱلْمُمْطِرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ ٱلْجِبَالُ إِذَا ٱحْتَبَى ... مَنْ لَا تُسَابِقُهُ ٱلرِّيَاحُ إِذَا جَرَى
مَاضٍ وَصَدْرُ ٱلرُّمْحِ يَكْهَمُ وَٱلظُّبَى ... تَنْبُو وَأَيْدِي ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ فِي ٱلْبُرَى
فَإِذَا ٱلْكَتَائِبُ كَٱلْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ ... مِنْ لَأْمِهِمْ مِثْلُ ٱلسَّحَابِ كَنَهْوَرَا
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَبْيَضًا ... عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَأَبَّطَ أَسْمَرَا
مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلْقُهُ ... كَٱلرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرَا
أَقْسَمْتُ بِٱسْمِ ٱلْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ ... فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرَا
وَجَهِلْتُ مَعْنَى ٱلْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ ... فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرَا
فَاحَ ٱلثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ ... حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبَرَا
وَتَتَوَّجَتْ بِٱلزَّهْرِ صُلْعُ هِضَابِهِ ... حَتَّى ظَنَنَّا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرَا
هَصَرَتْ يَدِي غُصْنَ ٱلنَّدَى مِنْ كَفِّهِ ... وَجَنَتْ بِهِ رَوْضَ ٱلسُّرُورِ مُنَوِّرَا
حَسْبِي عَلَى ٱلصُّنْعِ ٱلَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ ... أَسْعَى بِجِدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي حَازَ ٱلْمُنَى ... وَصَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنْوَرَا
أَلسَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً ... فِي ٱلْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرَا
مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ عَنَى لَكَ رَاجِيًا ... نَيْلًا وَتُفْنِي مَنْ عَتَا وَتَجَبَّرَا
حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ ٱلرِّيَاسَةِ مَحْجِرًا ... رَحْبًا وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرَا
شَقِيَتْ بِسَيْفِكَ أُمَّةٌ لَمْ تَعْتَقِدْ ... إِلَّا ٱلْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرْبَرَا

أَثْمَرَتَ رُمْحَكَ مِنْ رُؤُوسِ كُمَاتِهِمْ   لَمَّا رَأَيْتَ ٱلْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرَا
وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ   لَمَّا عَلِمْتَ ٱلْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَا
نَمَّقْتَهَا وَشْيًا بِذِكْرِكَ مَذْهَبًا   وَفَتَقْتَهَا مِسْكًا بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
مَنْ ذَا يُنَافِحُنِي وَذِكْرُكَ صَنْدَلٌ   أَوْرَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرَا
فَلَئِنْ وَجَدْتَ نَسِيمَ حَمْدِي عَاطِرًا   فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بِرِّكَ أَعْطَرَا
وَإِلَيْكَهَا كَٱلرَّوْضِ زَارَتْهُ ٱلصَّبَا   وَحَنَا عَلَيْهِ ٱلنَّوْرُ حَتَّى نَوَّرَا

١٥٢ لمّا عقد المتوكل لولاة العهود من وُلده ركب بسُرَّ مَن رأى ركبةً لم يُرَ أحسن منها وركب وُلاة العهود بين يديه والأتراك بين أيديهم الطبرزينات المحلاة بالذهب . ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معهُ في الجوانحيات وسائر السفن . وجاء حتى نزل في القصر الذي يُقال لهُ العروس وأَذن للناس فدخلوا اليه . فلماَّ تكاملوا بين يديه مثل ابرهيم بن العباس بين الصفَّين فاستأذن في الإنشاد فأذن لهُ فأنشد :

وَلَمَّا بَدَا جَعْفَرٌ فِي ٱلْخَمِيسِ م بَيْنَ ٱلْمُطَلِّ وَبَيْنَ ٱلْعَرُوسِ
بَدَا لَابِسًا بِهِمَا حُلَّةً   أُزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ ٱلنُّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَا بَيْنَ أَحْبَابِهِ   وُلَاةِ ٱلْعُهُودِ وَعِزِّ ٱلنُّفُوسِ
غَدَا قَمَرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ   وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِٱلشُّمُوسِ
لِإِيقَادِ نَارٍ وَإِطْفَائِهَا   وَيَوْمٍ أَنِيقٍ وَيَوْمٍ عَبُوسِ

ثم أقبل على وُلاة العهود فقال :

أَضْحَتْ عُرَى ٱلْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ   بِٱلنَّصْرِ وَٱلْإِعْزَازِ وَٱلتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ   كَنَفُوا ٱلْخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ   فَحَفَفْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسُعُودِ
رَفَعَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ وَٱرْتَفَعُوا بِهَا   فَسَمَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ

فأمر لهُ المتوكل بمائة الف درهم وأمر لهُ وُلاة العهود بمثلها .

١٥٣ قصيدة البحتريّ في الخليفة المتوكل لما دخل الموصل يوم الفطر

أَللهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ   مُلْكاً يُحَسِّنُهُ ٱلْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ

نُعْمَى مِنَ ٱللهِ ٱصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا   وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

فَٱسْلَمْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَزَلْ   تُعْطَى ٱلزِّيَادَةَ فِي ٱلْبَقَاءِ وَتُشْكَرُ

عَمَّتْ فَوَاضِلُكَ ٱلْبَرِيَّةَ فَٱلْتَقَى   فِيهَا ٱلْمُقِلُّ عَلَى ٱلْغِنَى وَٱلْمُكْثِرُ

بِٱلْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ   وَبِسُنَّةِ ٱللهِ ٱلرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ

فَٱنْعَمْ بِيَوْمِ ٱلْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ   يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلزَّمَانِ مُشَهَّرُ

أَظْهَرْتَ عِزَّ ٱلْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ   لَجِبٍ يُحَاطُ ٱلدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ

خِلْنَا ٱلْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ   عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا ٱلْعَدِيدُ ٱلْأَكْثَرُ

فَٱلْخَيْلُ تَصْهَلُ وَٱلْفَوَارِسُ تَدَّعِي   وَٱلْبِيضُ تَلْمَعُ وَٱلْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ

وَٱلْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقْلِهَا   وَٱلْجَوُّ مُعْتَكِرُ ٱلْجَوَانِبِ أَغْبَرُ

وَٱلشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي ٱلضُّحَى   طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا ٱلْعَجَاجُ ٱلْأَكْدَرُ

حَتَّى طَلَعْتَ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَٱنْجَلَى   ذَاكَ ٱلدُّجَى وَٱنْجَابَ ذَاكَ ٱلْعِثْيَرُ

وَٱفْتَنَّ فِيكَ ٱلنَّاظِرُونَ فَإِصْبَعٌ   يُومَى إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ

يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ ٱلَّتِي فَازُوا بِهَا   مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ٱلَّتِي لَا تُكْفَرُ

ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ ٱلرَّشِيدَ فَهَلَّلُوا   لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ ٱلصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا

حَتَّى ٱنْتَهَيْتَ إِلَى ٱلْمُصَلَّى لَابِسًا   نُورَ ٱلْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ

وَمَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ   لِلَّهِ لَا تُزْهَى وَلَا تَتَكَبَّرُ

فَلَوَانَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا ... فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ ٱلْمِنْبَرُ

أَبْدَيْتَ مِنْ فَصْلِ ٱلْخِطَابِ بِخُطْبَةٍ ... تُنْبِي عَنِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُنِيرِ وَتُخْبِرُ

وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ ٱلْخَطِيبِ مُذَكِّرًا ... بِٱللّٰهِ تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ

صَلَّوْا وَرَاءَكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ ... مِنْ رَبِّهِمْ وَبِذِمَّةٍ لَا تُخْفَرُ

وَمَوَاعِظٍ شَفَتِ ٱلصُّدُورَ مِنَ ٱلَّذِي ... يَعْتَادُهَا وَشِفَاؤُهَا مُتَعَذِّرُ

حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ ٱلْجَهُولُ وَأَخْلَصَتْ ... نَفْسُ ٱلْمُرَوِّي وَٱهْتَدَى ٱلْمُتَحَيِّرُ

فَأَسْعَدْ بِمَغْفِرَةِ ٱلْإِلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ ... يَهَبُ ٱلذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ

أَللّٰهُ أَعْطَاكَ ٱلْمَحَبَّةَ فِي ٱلْوَرَى ... وَحَبَاكَ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَا يُنْكَرُ

وَلَأَنْتَ أَمْلَا لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمِ ... وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي ٱلصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

١٥٤ قصيدة كمال الدين المعروف بابن النبيه في الناصر احمد امير المومنين

إِمَامُ عَدْلٍ لِتَقْوَى ٱللّٰهِ بَاطِنُهُ ... وَلِلْجَلَالَةِ وَٱلْإِحْسَانِ ظَاهِرُهُ

تَجَسَّدَ ٱلْحَقُّ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ ... وَتُوِّجَتْ بِٱسْمِهِ ٱلْعَالِي مَنَابِرُهُ

لَهُ عَلَى سَتْرِ سِرِّ ٱلْغَيْبِ مُطَّلَعٌ ... فَمَا مَوَارِدُهُ إِلَّا مَصَادِرُهُ

رَاعٍ بِطَرْفٍ حَمَى ٱلْإِيمَانَ سَاهِرُهُ ... سَاطٍ بِسَيْفٍ أَبَادَ ٱلْجَوْرَ شَاهِرُهُ

فِي صَدْرِهِ ٱلْبَحْرُ أَوْفِي بَطْنِ رَاحَتِهِ ... كِلَاهُمَا يَغْمُرُ ٱلسُّؤَّالَ زَاخِرُهُ

مُحَجَّبٌ فِي سُجُوفِ ٱلْعِزِّ لَوْ فُرِجَتْ ... عَنْ نُورِ وَجْهٍ يُبَاهِي ٱلصُّبْحَ بَاهِرُهُ

نَضَاهُ سَيْفًا عَلَى أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِ ... مَا كُلُّ سَيْفٍ لَهُ تُثْنَى خَنَاصِرُهُ

فَضْلُ ٱصْطِفَاهُ أَتَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ... يُغْنَى بِهِ عَنْ أَخٍ بَرٍّ يُؤَازِرُهُ

تَهَنَّ نُعْمَى أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَدُمْ ... يَا أَيُّهَا ٱلْأَشْرَفُ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ

بِجَدِّ سَيفِكَ آيَاتُ ٱلْعِصِي نُسِخَتْ إِذَا تَفرعَن يَوْمَ ٱلرَّوْعِ كَافِرُهُ
سَلِ ٱلْكُلَى وَٱلطُّلَى يَا مَنْ يُسَاجِلُهُ فَٱلرُّمْحُ نَاظِمُهُ وَٱلسَّيْفُ نَاثِرُهُ
تَنَجَّسَتْ بِدَمِ ٱلْقَتْلَى صَوَارِمُهُ وَطُهِّرَتْ بِيَدِ ٱلتَّقْوَى مَآزِرُهُ
جَمُّ ٱلنَّوَالِ سَرِيعُ ٱلْبَطْشِ مُتَّئِدٌ كَالدَّهْرِ يُرْجَى كَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
إِذَا حَبَا أَغْنَتِ ٱلْأَيْدِي مَوَاهِبُهُ وَإِنْ سَطَا سَدَّتِ ٱلدُّنْيَا عَسَاكِرُهُ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ لِمَنْ عَادَاهُ مِنْ يَدِهِ وَٱلْوَحْشُ وَٱلطَّيْرُ أَتْبَاعٌ تُسَايِرُهُ
إِنْ يَصْعَدِ ٱلْجَوَّ نَاشَتْهُ خَوَاطِفُهُ أَوْ يَهْبِطِ ٱلْأَرْضَ غَالَتْهُ كَوَاسِرُهُ
يَا جَامِعًا بِٱلْعَطَايَا شَمْلَ عِتْرَتِهِ كَٱلْقُطْبِ لَوْلَاهُ مَا صَحَّتْ دَوَائِرُهُ
إِنْ جَادَ شِعْرِي فَهٰذَا ٱلْفَضْلُ عَلَّمَنِي مَنْ غَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ جَاءَتْهُ جَوَاهِرُهُ

١٥٥ وقال ايضاً يمدح السلطان موسى الاشرف

يَسْتَوْجِبُ ٱلنَّصْرَ مَنْ صَحَّتْ عَزَائِمُهُ وَيَقْتَنِي ٱلشُّكْرَ مَنْ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ
بِٱلْمَالِ وَٱلنَّفْسِ نَالَ ٱلْمَجْدَ طَالِبُهُ إِنَّ ٱلْعَظِيمَ لَمَنْ هَانَتْ عَظَائِمُهُ
فَٱلْيَوْمَ كُلُّ إِمَامِيٍّ يُوَافِقُنَا بِأَنَّ شَاهَ أَرْمَنَ ٱلْمَهْدِيُّ قَائِمُهُ
مَنْ يَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَتَكْشِفُ غُمَّاهَا صَوَارِمُهُ
يَا يَوْمَ دِمْيَاطَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ شَرَفٍ لِمَنْ تَقَدَّمَ إِلَّا أَنْتَ هَادِمُهُ
عَذْرَاهُ نَادَتْ عَلَى بُعْدٍ فَأَنْقَذَهَا مَلْكٌ غَيُورٌ مَصُونَاتٌ كَرَائِمُهُ
رَأَتْ بَنُو ٱلْأَصْفَرِ ٱلْأَعْلَامَ طَالِعَةً وَٱلنَّقْعُ يُرْمِدُ عَيْنَ ٱلشَّمْسِ فَاحِمُهُ
وَٱلْجَيْشُ يَلْتَفُّ مِرْطَاهُ عَلَى مَلِكٍ كَٱللَّيْثِ تَزْأَرُ حَوْلَيْهِ ضَرَاغِمُهُ
وَٱلْجَوُّ يَبْكِي سِهَامًا كُلَّمَا ضَحِكَتْ عَنْ كُلِّ بَرْقٍ يَمَانِيٍّ غَمَائِمُهُ

وَكُلُّ طِرْفٍ إِذَا طَالَ ٱلطِّرَادُ بِهِ ... يَطِيرُ مِنْ حِدَّةٍ لَوْلَا شَكَائِمُهُ
وَدُونَ دِمْيَاطَ بَحْرٌ حَالَ بَيْنَهُمُ ... مِنَ ٱلظُّبَا لَيْسَ يَنْجُو مِنْهُ عَائِمُهُ
ذَلُّوا لِمَلْكٍ أَعَانَ ٱللّٰهُ صَاحِبَهُ ... مُوسَى سُلَيْمَانُهُ وَٱلسَّيْفُ خَاتِمُهُ
وَسَلَّمُوهَا وَرَدُّوا أَهْلَهَا وَمَضَوْا ... وَٱلثَّغْرُ مِنْ فَرَحٍ يَفْتَرُّ بَاسِمُهُ
كَأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا مَا قَدْ مَضَى زَمَنًا ... كَمَا يَرَى مُزْعِجَ ٱلْأَحْلَامِ نَائِمُهُ
أَشْبَهْتَ جَدَّكَ إِبْرٰهِيمَ وَٱتَّفَقَتْ ... عَلَى عَزَائِمِكَ ٱلْعُلْيَا عَزَائِمُهُ
قُلْ لِلْكُمَاةِ وَسَرَّتْهُ سَلَامَتُهُ ... هٰذَا هُوَ ٱلْمَوْتُ فَٱحْذَرْ أَنْ تُلَاثِمَهُ
عَادُوا بِحُزْنٍ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَمَضَوْا ... وَكُلُّ بَيْتٍ بَقَاهُمْ فِيهِ مَأْتَمُهُ
تَبْكِي ٱلنِّسَاءُ عَلَى أَسْرَى مُلُوكِهِمِ ... وَذَاكَ أَمْرٌ قَضَى بِٱلْعَدْلِ حَاكِمُهُ
يَا بَاذِلًا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ مُهْجَتَهُ ... لِلّٰهِ لَا لِلَّذِي جَادَتْ مَعَالِمُهُ
لَوْلَاكَ زُلْزِلَ دِينُ ٱلْمُصْطَفَى وَوَهَى ... وَأَصْبَحَ ٱلْبَيْتُ قَدْ حُلَّتْ مَحَارِمُهُ
أَقُولُ لِلْحَاسِدِ ٱلْمَحْزُونِ ذَا مَلِكٌ ... وَٱلنَّجْمُ وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ خَادِمُهُ
هٰذَا ٱخْتِصَاصٌ إِلٰهِيٌّ وَمَرْتَبَةٌ ... مَا فِي ٱلْمُلُوكِ عَلَيْهَا مَنْ يُزَاحِمُهُ
لَا فَارَقَتْ أَلْسُنَ ٱلْمُدَّاحِ دَوْلَتَهُ ... فَأَحْسَنُ ٱلرَّوْضِ مَا غَنَّتْ حَمَائِمُهُ

١٥٦ وله في الملك الاشرف السلطان مظفر الدين أبي الفتح موسى

حَظِّي مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْقَلِيلُ وَهٰذِهِ ... نَفَثَاتُ فِيَّ وَهٰذِهِ كَلِمَاتِي
أَشْكُو إِلَى شَاهِ أَرْمَنَ مُوسَى ٱلْمَلِـ ... ـكِ ٱلْأَشْرَفِ ٱلسَّبَّاقِ لِلْغَايَاتِ
مَلِكٌ إِذَا ٱعْتَكَرَ ٱلْعَجَاجُ رَأَيْتَهُ ... طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا وَاضِحَ ٱلْقَسَمَاتِ
لَوْ كَانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ جَبِينُهُ ... أَوْلَى مِنَ ٱلتَّشْبِيهِ بِٱلْمِشْكَاةِ

جَرَّارُ أَذْيَالِ ٱلْجُيُوشِ يَحُفُّهَا ۞ طَيْرُ ٱلسَّمَاءِ وَكَاسِرُ ٱلْفَلَوَاتِ

ضَمِنَتْ لَهَا عَادَاتُ نَصْرِ ٱللهِ أَنْ ۞ تَجْرِي جَرَايَتُهَا عَلَى ٱلْعَادَاتِ

أُسُدٌ بَرَاثِنُهَا ٱلنِّصَالُ تَقَحَّمَتْ ۞ أَجَمَ ٱلْوَشِيجِ فَهُنَّ فِي غَابَاتِ

طَلَعَتْ مِنَ ٱلْخُوذِ ٱلْحَدِيدِ وُجُوهُهُمْ ۞ فَكَأَنَّهَا ٱلْأَقْمَارُ فِي ٱلْهَالَاتِ

وَٱسْتَلْأَمَتْ حَلَقَ ٱلدُّرُوعِ عَلَيْهِمِ ۞ فَكَأَنَّهَا لُجَجٌ عَلَى هَضَبَاتِ

يَرْمِي بِهَا سُبُلَ ٱلْمَهَالِكِ مَاجِدٌ ۞ كَمْ خَاضَ دُونَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمَرَاتِ

كَمْ رَكْعَةٍ لِقَنَاهُ فِي ثُغَرِ ٱلْعِدَى ۞ وَلِسَيْفِهِ فِي ٱلْهَامِ مِنْ سَجَدَاتِ

سُمْرٌ ذَوَابِلُ لَا يَبُلُّ غَلِيلَهَا ۞ إِلَّا إِذَا سُقِيَتْ دَمَ ٱلْمُهَجَاتِ

يُلْهِي مَسَامِعَهُ ٱلصَّلِيلُ وَأَيْنَ مِنْ ۞ طَبْعِ ٱلْقُيُونِ تَطَبُّعُ ٱلْقَيْنَاتِ

ظِلُّ ٱلْبُنُودِ مَقِيلُهُ وَمِهَادُهُ ۞ جُرْدٌ تَطِيرُ بِهِ إِلَى ٱلْغَايَاتِ

دُهْمٌ تُخَيِّرُهَا ٱلصَّبَاحُ عَلَى ٱلدُّجَى ۞ فَغَدَا وَمَطْلَعُهُ مِنَ ٱلْجَبَهَاتِ

حُمْرٌ تَرَبَّتْ بَيْنَ مُشْتَجَرِ ٱلْقَنَا ۞ لَا بُدَّ دُونَ ٱلْوَرْدِ مِنْ شَوْكَاتِ

شُهُبٌ بِهَا قُذِفَتْ شَيَاطِينُ ٱلْعِدَى ۞ فَجَرَتْ كَجَرْيِ ٱلشُّهْبِ مُشْتَعِلَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي أَرْضَى ٱلْعِبَادَ وَرَبَّهُمْ ۞ بِغَرَائِبِ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْحَسَنَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْوُزَرَاءِ فِي ۞ تَدْبِيرِ عَقْدِ ٱلرَّأْيِ وَٱلرَّايَاتِ

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ ٱلْمَكَارِمَ عِنْدَهُ ۞ وَقَضَى عَلَى أَمْوَالِهِ بِشَتَاتِ

١٥٧ وقال ايضاً يمدحهُ

قَدْ مَسَّنِي ٱلضُّرُّ وَمَا لِي سِوَى ۞ مَنْ يَمْنَعُ ٱلْجَارَ وَلَا يَمْنَعُ

ٱلْمَلِكُ ٱلْأَشْرَفُ شَاهَ أَرْمَنٍ ۞ مُظَفَّرُ ٱلدِّينِ ٱلْفَتَى ٱلْأَرْوَعُ

إنْ غاضَ ماءُ الرِّزقِ موسى وإنْ ... شمسي تغربْ إنَّهُ يوشعُ
لَهُ يدٌ ظاهِرُها كعبةٌ ... وفي النَّدى باطِنُها مشرعُ
بيضاءُ في السِّلمِ ولكنَّها ... حمراءُ إذْ سِنُّ القَنا يَقرعُ
إذا دجى النَّقعُ وصلَتْ بِهِ ... بِيضٌ سُجودٌ وقَنًى رُكَّعُ
سلَّ حُساماً وامتطى أشقراً ... فأيُّ برقَيْهِ بِهِ أسرعُ
طِرْفٌ مِنَ الصُّبحِ لَهُ غُرَّةٌ ... ومِنْ رِياحٍ أربعٍ أربعُ
في جحفلٍ يحمَدُ يومَ الوغى ... في جمعِهِ تفريقُ ما يجمعُ
بحرُ حديدٍ موجُ أبطالِهِ ... يزيدُ بيضاً وقناً يلمعُ
ملكٌ لَهُ الأملاكُ مِنْ رهبةٍ ... ورغبةٍ أعناقُها خُضَّعُ
يخيفُها السَّطوةُ مِنْ بأسِهِ ... لكنَّها في جودِهِ تطمعُ
لا ترتضي هِمَّتُهُ غايةً ... مِنْ رُتَبِ المجدِ ولا تقنعُ
مبتكرٌ للمجدِ مدّاحُهُ ... تبتكرُ المدحَ الَّذي يصنعُ
تنزَّهتْ أفعالُهُ فهوَ عنْ ... ما تمدحُ النّاسُ بِهِ أرفعُ
يا ابنَ الَّذي لوْ كادَهُ تُبَّعٌ ... لكانَ كالعبدِ لَهُ يتبعُ
كفاهُ فخراً أنْ تكونَ ابنَهُ ... وأنتَ في أولادِهِ إنْ دُعوا
بقيتَ للإيمانِ ما غرَّدتْ ... قُمريَّةٌ في دوحِها تسجعُ

١٥٨ وقال يمدحهُ ويستعطفهُ

أللهُ أبدى البدرَ مِنْ أزرارِهِ ... والشَّمسَ مِنْ قسماتِ موسى أطلعا
الأشرفُ الملكُ الَّذي سادَ الورى ... كهلاً ومكتملَ الشَّبابِ ومُرضَعا

رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ ٱلسَّمَاحِ عَلَى ٱلْوَرَى فَٱسْتَبْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَى يُوشَعَا
سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ ٱلصَّفَا سَالَ ٱلنَّدَى صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ ٱلْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
دَانٍ وَلٰكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ سَامٍ عَلَى سَمْكِ ٱلسَّمَاءِ تَرَفُّعَا
يَا بَرْقُ هٰذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شِيمَةً يَا غَيْثُ هٰذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا رَوْضُ هٰذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَرًا يَا بَحْرُ هٰذَا مِنْكَ أَعْذَبُ مَشْرَعَا
يَا سَهْمُ هٰذَا مِنْكَ أَصْوَبُ مَقْصَدًا يَا سَيْفُ هٰذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا صُبْحُ هٰذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غُرَّةً يَا نَجْمُ هٰذَا مِنْكَ أَهْدَى مَطْلَعَا
حَمَلَتْ أَنَامِلُهُ ٱلسُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ شُكْرًا لِذٰلِكَ سُجَّدًا أَوْ رُكَّعَا
حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَانًا لَمْ يَزَلْ مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ ٱلْمُلُوكِ مُرَصَّعَا
أَمُظَفَّرَ ٱلدِّينِ ٱسْتَمِعْ قَوْلِي وَقُلْ لِعِثَارِ عَبْدِ أَنْتَ مَالِكُهُ لَعَا
أَيَضِيقُ بِي حَرَمُ ٱصْطِنَاعِكَ بَعْدَمَا قَدْ كَانَ مُنْفَرِجًا عَلَيَّ مُوَسَّعَا
وَعَلَى كِلَا ٱلْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ دَاعٍ لِأَنَّ ٱللّٰهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

١٥٩ وقال يمدحهُ وهي من القصائد المرقصة

وَٱللّٰهِ لَوْ قِيسَ بِهِ حَاتِمٌ لَقَالَ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ وَهَانْ
ذَا يَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ بِإِحْسَانِهِ وَذَاكَ يَمْتَنُّ بِمِلْءِ ٱلْجِفَانْ
يَرْوِي ٱلْعُلَا عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبٍ عَالٍ فَمَا فِي نَصِّهِ عَنْ فُلَانْ
قَدْ نَظَّمَ ٱلْمَجْدُ لَهُ نِسْبَةً كَٱلدُّرِّ تَجْلُوهُ وُجُوهُ ٱلْحِسَانْ
طَلْقُ ٱلنَّدَى طَلْقُ ٱلْحَيَا طَلْقُ نَصْـ لِ ٱلسَّيْفِ طَلْقُ ٱلْأَمْرِ طَلْقُ ٱللِّسَانْ
يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ أَلْفَاظَهُ هٰذَا جَنِيٌّ يَانِعٌ أَمْ جِنَانْ

لَهُ عَلَى وَقْعِ ٱلظُّبَى هِزَّةٌ   إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ يَوْمَ ٱلرِّهَانْ
صَالَتْ وَصَلَّتْ فِي رُؤُسِ ٱلْعِدَى   كَأَنَّ فِي ٱلْآذَانِ مِنْهَا أَذَانْ
مَوْلَايَ جُدْ وَٱنْعَمْ وَصِلْ وَٱقْتَدِرْ   وَٱفْتِكْ فَمَا تَفْرَحُ أُمُّ ٱلْجَبَانْ
وَٱرْكَبْ جَوَادَ ٱلدَّهْرِ وَٱسْبِقْ إِلَى   مَا تَشْتَهِيهِ قَدْ مَلَكْتَ ٱلْعِنَانْ
دُمْتُمْ بَنِي أَيُّوبَ فِي نِعْمَةٍ   تَجُوزُ فِي ٱلتَّخْلِيدِ حَدَّ ٱلزَّمَانْ
وَٱللهِ مَا زِلْتُمْ مُلُوكَ ٱلْوَرَى   شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَيَّ ٱلضَّمَانْ

١٦٠ قال ابن عُنينٍ في الملك العادل وفي اولاده

وَلَهُ ٱلْبَنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ مِنْهُمُ   مَلِكٌ يَقُودُ إِلَى ٱلْأَعَادِي عَسْكَرَا
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ تَخَالُهُ   بَدْرًا وَإِنْ شَهِدَ ٱلْوَغَى فَغَضَنْفَرَا
مُتَقَدِّمٌ حَتَّى إِذَا ٱلنَّقْعُ ٱنْجَلَى   بِٱلْبِيضِ عَنْ سَبْيِ ٱلْحَرِيمِ تَأَخَّرَا
قَوْمٌ زَكَوْا أَصْلًا وَطَابُوا مَحْتِدًا   وَتَدَفَّقُوا جُودًا وَرَاقُوا مَنْظَرَا
وَتَعَافُ خَيْلُهُمُ ٱلْوُرُودَ بِمَنْهَلٍ   مَا لَمْ يَكُنْ بِدَمِ ٱلْوَقَائِعِ أَحْمَرَا
يَعْشُو إِلَى نَارِ ٱلْوَغَى شَغَفًا بِهَا   وَيَجِلُّ أَنْ يَعْشُو إِلَى نَارِ ٱلْقِرَى
أَلْعَادِلُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَسْمَاؤُهُ   فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُشَرِّفُ مِنْبَرَا
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَنَّةٌ مِنْ عَدْلِهِ ٱلصَّافِي أَسَالَ نَدَاهُ فِيهَا كَوْثَرَا
عَدْلٌ يَبِيتُ ٱلذِّئْبُ مِنْهُ عَلَى ٱلطَّوَى   غَرْثَانَ وَهْوَ يَرَى ٱلْغَزَالَ ٱلْأَعْفَرَا
مَا فِي أَبِي بَكْرٍ لِمُعْتَقِدِ ٱلْهُدَى   شَكٌّ مُرِيبٌ أَنَّهُ خَيْرُ ٱلْوَرَى
سَيْفٌ صِقَالُ ٱلْمَجْدِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ   وَأَبَانَ طِيبُ ٱلْأَصْلِ مِنْهُ ٱلْجَوْهَرَا
مَا مَدْحُهُ بِٱلْمُسْتَعَارِ لَهُ وَلَا   آيَاتُ سُؤْدُدِهِ حَدِيثٌ يُفْتَرَى

بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ ... فِي ٱلْفَضْلِ مَا بَيْنَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلثَّرَى
نَسَخَتْ خَلَائِقُهُ ٱلْحَمِيدَةُ مَا أَتَى ... فِي ٱلْكُتُبِ عَنْ كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ وَقَيْصَرَا
مَلِكٌ إِذَا خَفَّتْ حُلُومُ ذَوِي ٱلنُّهَى ... فِي ٱلرَّوْعِ زَادَ رَصَانَةً وَتَوَقُّرَا
ثَبْتُ ٱلْجَنَانِ تُرَاعُ مِنْ وَثَبَاتِهِ ... وَثَبَاتِهِ يَوْمَ ٱلْوَغَى أُسْدُ ٱلشَّرَى
يَقِظٌ يَكَادُ يَقُولُ عَمَّا فِي غَدٍ ... بِبَدِيهَةٍ أَغْنَتْهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا
حِلْمٌ تَخِفُّ لَهُ ٱلْحُلُومُ وَرَاءَهُ ... رَأْيٌ وَعَزْمٌ يَحْقِرُ ٱلْإِسْكَنْدَرَا
يَعْفُو عَنِ ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ تَكَرُّمًا ... وَيَصُدُّ عَنْ قَوْلِ ٱلْخَنَا مُتَكَبِّرَا
لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلْكٍ غَيْرِهِ ... يُرْوَى فَكُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

١٦١ قال الصاحب جمال الدين يحيي بن مطروح يمدح المستنصر بالله

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ وَنَتْ بِي هِمَّةٌ ... عَنْ قَصْدِ دَارٍ ظِلُّهَا لَا يَبْرَحُ
بَغْدَادُ أَيَّتُهَا ٱلْمَذَاكِي إِنَّهَا ... أَنْجَى وَأَنْجَعُ لِلشُّؤُونِ وَأَنْجَحُ
خَبَبًا وَتَقْرِيبًا وَإِنْضَاءً فَبِي ... شَوْقٌ إِلَى ذَاكَ ٱلْجَنَابِ مُبَرِّحُ
هٰذَا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي لَا يَنْبَغِي ... لِسِوَاكَ وَٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يُرْجَحُ
مُسْتَنْصِرًا بِٱللّٰهِ يُمْسِي دَائِبًا ... فِيمَا يَعِزُّ بِهِ لَدَيْهِ وَيُصْبِحُ
تَعْرُو ٱلْمَنَابِرَ حِينَ يُذْكَرُ هَيْبَةٌ ... حَتَّى ٱلْجَمَادُ لِذِكْرِهِ يَتَرَنَّحُ
تُغْشِي ٱلنَّوَاظِرَ إِنْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ ... فَٱلطَّرْفُ يَطْرِفُ وَٱلْجَوَانِحُ تَجْنَحُ
يَعْفُو وَيَصْفَحُ قَادِرًا عَمَّنْ جَنَى ... عَمَلًا بِقَوْلِ ٱللّٰهِ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا
مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمًا بِمِصْرَ تَرَكْتُهُمْ ... فِرَقًا وَأَعْيُنُهُمْ لِعَوْدِي تَطْمَحُ
مَا نِلْتُ مِنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ بَاذِخٍ ... وَغَدَا بِنَا فَوْقَ ٱلْكَوَاكِبِ مَطْرَحُ

فَبِذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ ... وَبِحُسْنِ مُنْقَلَبِي إِذًا فَلْيَفْرَحُوا

إِنِّي لَأَرْبَحُ مَتْجَرًا مِنْ مَعْشَرٍ ... أَضْحَتْ بِضَائِعُهُمْ تُذَالُ وَتُطْرَحُ

جَلَبُوا ٱلَّذِي يَفْنَى وَيَنْفَدُ عَاجِلًا ... وَجَلَبْتُ مَا يَبْقَى فَمَنْ هُوَ أَرْبَحُ

ٱللهُ حَسْبُكَ يَا ٱبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... فَٱسْمِطْ مَدْحَكَ ذِي ٱللَّآلِي تَصْلُحُ

لَا ثُلَّ عَرْشُ خِلَافَةٍ مُذْ حُطْتَهَا ... قَرَأَتْ عَلَى أَعْدَائِهَا لَنْ تُفْلِحُوا

وَقَدِ ٱسْتَقَرَّ ٱلْمُلْكُ فَوْقَ سَرِيرِهَا ... وَٱلْعِزُّ تَحْتَ لِوَائِهَا لَا يَبْرَحُ

فِي ظِلِّهِ لِلَّائِذِينَ فَلُذْ بِهِ ... إِنْ كُنْتَ تَقْبَلُ مِنْ نَصِيحٍ يَنْصَحُ

مَا لَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ بِهِ ... أُذُنٌ وَلَا أَمْسَى بِبَالٍ يَسْنَحُ

إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لَكُمْ ... مِنْ آدَمٍ وَهَلُمَّ جَرًّا تَصْلُحُ

١٦٢ وقال يمدح الملك الاشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى اخا الملك الناصر يوسف

لَا شَيْءَ يُطْرِبُ سَامِعًا كَحَدِيثِهِ ... إِلَّا ٱلثَّنَاءُ عَلَى عَلَاشَاهَ أَرْمَنِ

ٱلْأَشْرَفِ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمُجْتَبَى ... مُوسَى وَتَمِّمْ بِٱلرَّحِيمِ ٱلْمُحْسِنِ

مَلِكٌ إِذَا أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فِي نَظْرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ لَمْ تُغْبَنِ

وَإِذَا ٱنْتَخَبْتَ لَهُ دُعَاءً صَالِحًا ... لَمْ تَلْقَ غَيْرَ مُشَارِكٍ وَمُؤَمِّنِ

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي مَنْ فَاتَهُ ... نَظَرٌ إِلَيْكَ فَمَا أَرَاهُ بِمُؤْمِنِ

أَفْنَيْتَ خَيْلَكَ وَٱلصَّوَارِمَ وَٱلْقَنَا ... وَعِدَاكَ وَٱلْأَمْوَالَ مَاذَا تَقْتَنِي

أَبْقَتْ لَكَ ٱلذِّكْرَ ٱلْجَمِيلَ مُخَلَّدًا ... شِيَمٌ لَهَا ٱلْأَمْلَاكُ لَمْ تَتَفَطَّنِ

وَشَجَاعَةٌ رَجَفَ ٱلْعِرَاقُ لِذِكْرِهَا ... وَتِهَامَةٌ وَبِلَادُ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ

وَلَّى ٱلْخُوَارَزْمِيُّ مِنْهَا هَارِبًا ... وَهَلُمَّ جَرًّا قَلْبُهُ لَمْ يَسْكُنِ

وَدُعَاؤُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ... يَا رَبِّ مِنْ سَطَوَاتِ مُوسَى نَجِّنِي

مَا كَانَ أَشْوَقَنِي لِلَثْمِ بَنَانِهِ ... وَلَقَدْ ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَلْيَهْنِنِي

وَدَخَلْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ ... يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنَّنِي

يَا مُكْثِرِي الدَّعْوَى اخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ ... مَا كُلُّ رَافِعِ صَوْتِهِ بِمُؤَذِّنِ

أَنَا مَنْ يُحَدِّثُ عَنْهُ فِي أَقْطَارِهَا ... مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ بِهِ فَلْيُوقِنِ

هٰذَا مَقَامٌ لَا الْفَرَزْدَقُ مَاهِرٌ ... فِيهِ وَلَا نُظَرَاؤُهُ أَكْفَنِي

مَلِكَ الْمُلُوكِ إِلَيْكَهَا مِنْ نَاظِمٍ ... مُتَرَسِّلٍ مُتَنَوِّعٍ مُتَفَنِّنِ

إِنْ شِئْتَ نَظْمًا فَالَّذِي أَمْلَيْتُهُ ... أَوْ شِئْتَ نَثْرًا فَاقْتَرِحْ وَاسْتَحْسِنِ

لَا تُخْدَعَنَّ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ ... قَدْ يُظْهِرُ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يُبْطِنِ

وَالسَّبْعَةُ الْأَفْلَاكُ مَا حَرَكَاتُهَا ... إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ تَقُولَ لَهَا اسْكُنِي

عَاشَتْ عِدَاكَ وَلَا أَشَحَّ عَلَيْهِمِ ... عُمْيَ النَّوَاظِرِ عَنْكَ خُرْسَ الْأَلْسُنِ

١٦٣ حدَّث العلامة لسان الدين بن الخطيب قال: نظمتُ للسلطان الظافر وأنا بمدينة سلا لمَّا انفصل طالبًا حقَّهُ بالأندلس قصيدةً كان صُنع الله مطابقًا لاستهلالها. ووجهتُها إلى رندة قبل الفتح. ثمَّ لمَّا قدمتُ أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاءً بنذري. وسمَّيتها الفتح الغريب في الفتح القريب:

الْحَقُّ يَعْلُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ ... وَالْحَقُّ عَنْ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ

فَإِذَا اسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ ... فَاللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ

وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ ... وَالصَّبْرُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ مُوَكَّلُ

وَالْمُسْتَعِدُّ بِمَا يُؤَمِّلُ ظَافِرٌ ... وَكَفَاكَ شَاهِدُ قَيِّدُوا وَتَوَكَّلُوا

أَمُحَمَّدٌ وَالْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... بِحُلِيِّهَا بَيْنَ الْوَرَى يَتَجَمَّلُ

أَمَّا سُعُودُكَ فَهُوَ دُونَ مُنَازِعٍ   عَقْدٌ بِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ يُسَجَّلُ

وَلَكَ السَّجَايَا الْغُرُّ وَالشِّيَمُ الَّتِي   بِغَرِيبِهَا يَتَمَثَّلُ الْمُتَمَثِّلُ

وَلَكَ الْوَقَارُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى الْبَرَا   وَهَفَتْ مِنَ الرَّوْعِ الْهِضَابُ الْمُثَّلُ

عَوِّذْ كَمَالَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ   قَدْ تَنْقُصُ الْأَشْيَاءُ مِمَّا تَكْمُلُ

إِنْ كَانَ مَاضٍ مِنْ زَمَانِكَ قَدْ مَضَى   بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ الْمُسْتَقْبَلُ

هٰذَا بِذَاكَ فَشَفِّعِ الثَّانِي الَّذِي   أَرْضَاكَ فِيمَا قَدْ جَنَاهُ الْأَوَّلُ

وَاللّٰهُ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ   لَمَّا ارْتَضَاكَ وِلَايَةً لَا تُعْزَلُ

وَإِذَا تَعَمَّدَكَ الْإِلٰهُ بِنَصْرِهِ   وَقَضَى لَكَ الْحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذُلُ

وَظَعَنْتَ عَنْ أَوْطَانِ مُلْكِكَ رَاكِبًا   مَتْنَ الْعُبَابِ فَأَيُّ صَبْرٍ يَحْمِلُ

وَالْبَحْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَيْكَ ضُلُوعُهُ   وَالرِّيحُ تَبْتَلِعُ الزَّفِيرَ وَتُرْسِلُ

وَلَكَ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ قَدِ اغْتَدَتْ   تَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ وَتَرْفُلُ

غَرِقَتْ بِصَفْحَتِهِ النِّمَالُ وَأَوْشَكَتْ   تَبْغِي النَّجَاةَ فَأَوْثَقَتْهَا الْأَرْجُلُ

فَالصَّرْحُ مِنْهُ مُمَرَّدٌ وَالصَّفْحُ مِنْهُ   مُوَرَّدٌ وَالشَّطُّ مِنْهُ مُهَدَّلُ

وَبِكُلِّ أَزْرَقَ إِنْ شَكَتْ أَلْحَاظُهُ   مَرَهَ الْعُيُونِ فَبِالْعَجَاجَةِ يُكْحَلُ

مُتَأَوِّدًا أَعْطَافُهُ فِي نَشْوَةٍ   مِمَّا يُعَلُّ مِنَ الدِّمَاءِ وَيُنْهَلُ

عَجَبًا لَهُ إِنَّ النَّجِيعَ بِطَرْفِهِ   رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقْتَلُ

لِلّٰهِ مَوْقِفُكَ الَّذِي وَثَبَاتُهُ   وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ

وَالْخَيْلُ خَطٌّ وَالْمَجَالُ صَحِيفَةٌ   وَالسُّمْرُ تَنْقُطُ وَالصَّوَارِمُ تَشْكُلُ

وَالْبِيضُ قَدْ كُسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا   وَعَوَامِلُ الْأَسَلِ الْمُثَقَّفِ تَعْمَلُ

دَرَارِيُّ مِنْ نُورِ ٱلْهُدَى تَتَوَقَّدُ مَطَالِعُهَا فَوْقَ ٱلْمَجَرَّةِ أَسْعَدُ
وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ ٱلْحَيَا يُمِدُّ بِهَا طَامِي ٱلْغَوَارِبِ مُزْبِدُ
وَآسَادُ حَرْبٍ غَابُهَا شَجَرُ ٱلْقَنَا وَلَا لَبَدٌ إِلَّا ٱلْعَجَاجُ ٱلْمُلَبَّدُ
مَسَاعِيرُ فِي ٱلْهَيْجَا مَسَاعِيرُ لِلنَّدَى بِأَيْدِيهِمِ يَحْمَى ٱلْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ
تُشَبُّ بِهِمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَٱلْقِرَى وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٌ وَعَسْجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ ٱلْبَرْقَ وَٱلْبَرْقُ عِنْدَهُمْ سُيُوفٌ عَلَى أُفْقِ ٱلْعُدَاةِ تُجَرَّدُ
سَلَامٌ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ أَمَّا قَضَاؤُهُ فَحَتْمٌ وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمُؤَكَّدُ
إِمَامُ ٱلْوَرَى عَمَّ ٱلْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ عَلَى حِينِ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ بِٱلْجَوْرِ أَرْبَدُ
بَصِيرٌ رَأَى ٱلدُّنْيَا بِعَيْنٍ جَلِيلَةٍ فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا ٱلْمَقَامُ ٱلْمُمَجَّدُ
وَلَمَّا مَضَى وَٱلْأَمْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَبُلِّغَ مَأْمُولٌ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ
تَرَدَّى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ وَقَامَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ وَٱلنَّاسُ هُجَّدُ
بِعَزْمَةِ شَيْحَانِ ٱلْفُؤَادِ مُصَمِّمٍ يَقُومُ بِهِ أَقْصَى ٱلْوُجُودِ وَيَقْعُدُ
مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ ٱللَّهُ إِنَّهُ إِذَا هَمَّ فَٱلْحُكْمُ ٱلْإِلٰهِيُّ يُسْعِدُ
كَتَائِبُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكٍ تُرَادُ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفَدُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَى ٱللَّهِ مَقْصِدُ
إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسْطَ مَحْفِلٍ تَرَى قِمَمَ ٱلْأَعْدَاءِ فِي ٱلتُّرْبِ تَسْجُدُ
إِذَا نَطَقَتْ بِٱلْفَصْلِ فِيهِمْ سُيُوفُهُ أَقَرَّ بِأَمْرِ ٱللَّهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
مُعِيدُ عُلُومِ ٱلدِّينِ بَعْدَ ٱرْتِفَاعِهَا وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُعْهَدُ

جَزَى ٱللهُ عَنْ هٰذَا ٱلْأَنَامِ خَلِيفَةً ... بِهِ شَرِبُوا مَاءَ ٱلْحَيَاةِ فَخَلَّدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ ... عَلَى مَدْرَجِ ٱلْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ
فَدُمْ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً ... فَقُرْبُكَ فِي ٱلدَّارَيْنِ مَنْحٌ وَمَسْعَدُ
وَزَادَتْ بِكَ ٱلْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً ... كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مُجَدَّدُ
وَلَا زِلْتَ ٱلْأَيَّامَ تُبْلِي جَدِيدَهَا ... وَعُمْرُكَ فِي رَيْعَانِهِ لَيْسَ يَنْفَدُ

١٦٥ قال ابن صرذر يمدح السلطان ملكشاه

قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ... وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ... ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا ... رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ
أَكْرِمْ بِهَا وِزَارَةً مَا سُلِّمَتْ ... مَا ٱسْتُودِعَتْ إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ
مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ مُذْ فَارَقْتَهَا ... شَوْقَ أَخِي ٱلشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
مِثْلُكَ مَحْسُودٌ وَلٰكِنْ مُعْجِزٌ ... أَنْ يُدْرَكَ ٱلْبَارِقُ فِي سَحَابِهِ
حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي ... يُخْرِجُ لَيْثًا خَادِرًا مِنْ غَابِهِ
يُدْمِي أَبُو ٱلْأَشْبَالِ مَنْ زَاحَمَهُ ... فِي جَيْشِهِ بِظُفْرِهِ وَنَابِهِ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ لَابِسًا ... مَا خَلَعَ ٱلْأَرْقَمُ مِنْ إِهَابِهِ
تَيَقَّنُوا لَمَّا رَأَوْهَا ضَيْعَةً ... أَنْ لَيْسَ لِلْجَوِّ سِوَى عُقَابِهِ
إِنَّ ٱلْهِلَالَ يُرْتَجَى طُلُوعُهُ ... بَعْدَ ٱلسِّرَارِ لَيْلَةَ ٱحْتِجَابِهِ
وَٱلشَّمْسُ لَا يُؤْيَسُ مِنْ طُلُوعِهَا ... وَإِنْ طَوَاهَا ٱللَّيْلُ فِي جِنَابِهِ
مَا أَطْيَبَ ٱلْأَوْطَانَ إِلَّا أَنَّهَا ... لِلْمَرْءِ أَحْلَى إِثْرَ إِغْتِرَابِهِ

كَمْ عَوْدَةٍ دَلَّتْ عَلَى مَآبِهَا وَٱلْخُلْدُ لِلْإِنْسَانِ فِي مَآبِهِ
لَوْ قَرُبَ ٱلدُّرُّ عَلَى جَالِبِهِ مَا لَجَّجَ ٱلْغَائِصُ فِي طِلَابِهِ
وَلَوْ أَقَامَ لَازِمًا أَصْدَافَهُ لَمْ تَكُنِ ٱلتِّيجَانُ فِي حِسَابِهِ
مَا لُؤْلُؤُ ٱلْبَحْرِ وَلَا مَنْ صَانَهُ إِلَّا وَرَاءَ ٱلْهَوْلِ مِنْ عُبَابِهِ

١٦٦ قال أحمد بن ابي القاسم الخلوف في الملك المسعود

وَٱفْتَرَّ ثَغْرُ ٱلزَّهْرِ بِشْرًا إِذْ رَأَى وَجْهَ ٱلْمَلِيكِ تَحُفُّهُ ٱلْبُشَرَاءُ
سَاسَ ٱلْخِلَافَةَ بِٱلْمَكَارِمِ وَٱلْحِجَى إِذْ لَمْ يَسُسْهَا مِثْلَهُ ٱلْخُلَفَاءُ
تَعْلُو ٱلسَّمَاءَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَرْضِهِ أَلْفَضْلُ وَٱلْإِفْضَالُ وَٱلنَّعْمَاءُ
وَثَلَاثَةٌ تَغْشَاكَ أَنَّى زُرْتَهُ أَلْبِرُّ وَٱلْإِفْرَادُ وَٱلسَّرَّاءُ
وَثَلَاثَةٌ قَدْ جُنِّبَتْ أَخْلَاقَهُ أَلْخُلْقُ وَٱلْآثَامُ وَٱلشَّحْنَاءُ
وَثَلَاثَةٌ فِي ٱلْعَزْمِ مِنْ أَفْعَالِهِ أَلنَّقْضُ وَٱلْإِبْرَامُ وَٱلْآرَاءُ
وَٱلْمَجْدُ وَهُوَ ٱثْنَانِ أَحْرَزَ وَاحِدًا أَعْمَامُهُ وَٱلْآخَرَ ٱلْآبَاءُ
يَقْظَانُهُ وَٱللَّيْلُ مُرْخٍ سَجْفَهُ تَرَكَتْ عُيُونًا مَا لَهَا إِغْفَاءُ
بَحْرٌ لِكَفِّي تَجْرِهِ نَعْمَاؤُهُ بَدْرٌ لِعَيْنِي تُبْدِهِ ٱلْأَضْوَاءُ
لَوْ عَايَنَتْ مِنْهُ ٱلسَّحَائِبُ مَا أَرَى حَارَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ ٱلْأَنْوَاءُ
وَإِذَا ٱخْتَفَى عَنْ مُنْكِرِيهِ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَاهُ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
هٰذِي ٱلْمَآثِرُ لَيْسَ يُنْشِي مِثْلَهَا بَانٍ وَلَمْ يَسْمُو بِهَا ٱلنُّظَرَاءُ
تَتَحَيَّرُ ٱلشُّعَرَاءُ فِيهَا إِذْ تَذِلُّ م بِبَحْرِهَا ٱلْكُبَرَاءُ وَٱلْعُظَمَاءُ
لَمْ يَثْنِ فِي طَلَبٍ أَعِنَّةَ خَيْلِهِ لَمَّا ٱعْتَرَتْ مَهْزُومَهَا ٱلنَّكْبَاءُ

أَوَمَا سَمِعْتَ بِيَوْمِهِ ٱلْمَشْهُودِ فِي ... سُرَّاطَ إِذْ سَارَتْ بِهِ ٱلْأَنْبَاءُ
مَلَكَ ٱلْعِبَادَ فَأَظْهَرَتْ آرَاؤُهُ ... عَفْوًا فَتَمَّمَ فَضْلَهُ ٱلْإِبْدَاءُ
فَضْلٌ أَقَرَّ بِهِ ٱلْعُدَاةُ وَلَمْ أَجِدْ ... كَٱلْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ بِهِ ٱلْأَعْدَاءُ
لَا يَعْدَمَنْكَ ٱلسَّائِلُونَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ظِلِّ عِزٍّ أَدْرَكُوا مَا شَاءُوا
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ أَسِرْ إِلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أَهْدَى إِلَيْكَ وَلِمْ وَأَنْتَ ذُكَاءُ
فَنَظَمْتُ فِيكَ بَدِيعَ شِعْرٍ فَاتَ أَنْ ... تَرْقَى إِلَى حُجُرَاتِهِ ٱلشُّعَرَاءُ

١٦٧ وقال ايضًا فيه

مَلِيكٌ تَصَدَّى يَنْصُرُ ٱلْحَقَّ فِي ٱلْوَرَى ... إِذَا عُصْبَةٌ مِنْهُمْ لِظُلْمٍ تَصَدَّتِ
زَعِيمٌ بِهِ أَيْدِي ٱلْمَكَارِمِ أُيِّدَتْ ... وَلَيْثٌ بِهِ كَفُّ ٱلْمَظَالِمِ كُفَّتِ
أَخُو ٱلْبَأْسِ وَٱلنُّعْمَى يُرَجَّى وَيُخْتَشَى ... لِأَيَّامِ سِلْمٍ أَوْ لِأَيَّامِ فِتْنَةِ
رَؤُوفٌ عَلَى ٱلْعَانِي إِذَا ٱلدَّهْرُ خَانَهُ ... صَفُوحٌ عَنِ ٱلْجَانِي إِذَا ٱلرِّجْلُ زَلَّتِ
هَجُومٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... شَفُوقٌ عَلَى ٱلْأَصْحَابِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
مُدَبِّرُ أَمْرٍ لَيْسَ يُصْدِرُ رَأْيَهُ ... فَيَقْرَعُ فِي إِصْدَارِهِ سِنَّ غَفْلَةِ
حَلِيفُ نَدًى يَأْوِي إِلَى بَيْتِ سُؤْدُدٍ ... دَعَائِمُهُ مِثْلُ ٱلسِّمَاكِ تَعَلَّتِ
تَرَقَّى مَحَلًّا لَوْ تَرَقَّتْ لِبَابِهِ ... بُدُورُ ٱلدَّيَاجِي رِفْعَةً مَا تَهَدَّتِ
جَوَادٌ يُعِيدُ ٱلْجَدْبَ خِصْبًا كَأَنَّمَا ... أَيَادِيهِ بِٱلْغَيْثِ ٱلسَّكُوبِ ٱسْتَهَلَّتِ
وَلَا عَيْبَ فِي نَعْمَائِهِ غَيْرَ أَنَّهَا ... لِسَائِلِهِ قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ أُعِدَّتِ
لَهُ هِمَّةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ ... بِدَوْلَةِ مُلْكٍ أَخْجَلَتْ كُلَّ دَوْلَةِ
هَنِيئًا لِوَفْدٍ سَائِرِينَ لِبَابِهِ ... لَقَدْ حَمِدُوا ٱلْمَسْرَى بِصُبْحِ ٱلْمَسَرَّةِ

أَمَوْلاَيَ إِنَّ ٱلْقَصْدَ آلَ مَآلُهُ إِلَيْكَ وَأَيْدِي ٱلْحَالِ نَحْوَكَ مُدَّتِ
فَجُدْ لِلْخَلُوفِ ٱلنَّازِحِ ٱلدَّارِ بِٱلرِّضَا عَلَى مُهْجَةٍ لِلْهُلْكِ فِيكَ ٱسْتَعَدَّتِ
فَأَنْتَ مَلاَذِي وَٱعْتِمَادِي وَغَايَتِي وَعِزِّي وَسُلْطَانِي وَذُخْرِي وَعُمْدَتِي
وَلاَ زِلْتَ فِي أَمْنٍ وَيُمْنٍ وَبَهْجَةٍ وَيُسْرٍ وَخَيْرٍ وَٱرْتِقَاءٍ وَعِزَّةِ
وَجَاهٍ وَنَصْرٍ وَٱعْتِلاَءٍ وَسُؤْدُدٍ وَفَخْرٍ وَمَجْدٍ وَٱقْتِدَارٍ وَرِفْعَةِ

١٦٨ وله فيه ايضاً

مَلِكٌ سَمَتْ أَخْلاَقُهُ فَتَرَفَّعَتْ عَنْ رُتْبَةِ ٱلْأَشْبَاهِ وَٱلْأَمْثَالِ
قَمَرٌ جَلاَ ظُلَمَ ٱلْخُطُوبِ ضِيَاؤُهُ عَنَّا وَبَدْرٌ كَامِلُ ٱلْإِجْلاَلِ
إِنْ كَانَ عَالٍ فِي ٱلْخِلاَفَةِ قَدْرُهُ فَأَبُوهُ مِنْهَا فِي مَحَلٍّ عَالِ
ذُو هِمَّةٍ رَفَعَتْ عَوَامِلَ نَصْبِهَا فَقَضَتْ بِجَزْمِ ٱلْخَفْضِ لِلْأَفْعَالِ
وَعَوَامِلٍ حُدَّتْ لِقَطْعِ مَكِيدِهَا فَهِيَ ٱلْقَوَاضِبُ فِي مَضاً وَصِقَالِ
لاَ عَيْبَ فِي نُعْمَاهُ إِلاَّ أَنَّهَا تُوفِيكَ مَا وَعَدَتْ بِغَيْرِ مِطَالِ
عَجَباً لَهَا وَهِيَ ٱلَّتِي مَعَ عَدْلِهَا ظَلاَّمَةٌ فِي بَذْلِهَا لِلْمَالِ
تُولِي ٱلْعَطَايَا بِغَيْرِ مَنٍّ مُتْبَعٍ وَتُجِيبُ رَاجِيهَا بِغَيْرِ سُؤَالِ
حَسُنَتْ مَعَالِيهِ فَلَيْسَ لِلُطْفِهَا حَدٌّ فَيُعْرِبَهُ لِسَانُ مَقَالِ
هٰذَا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي قَدْ جَلَّ أَنْ تُطْرَى لَدَيْهِ غَرَائِبُ ٱلْأَمْثَالِ
مِنْ مَعْشَرٍ هُمْ فِي ٱلنَّدَى سُحُبٌ وَفِي نَقْعِ ٱلْحُرُوبِ هُمُ حِمَى ٱلْأَبْطَالِ
فَهُمُ هُمُ ٱلْآسَادُ فِي يَوْمِ ٱلْوَغَى وَهُمُ هُمُ ٱلْأَقْيَالُ يَوْمَ سِجَالِ
شَادُوا حِمَى ٱلْإِسْلاَمِ بِٱلْبِيضِ ٱلَّتِي مِنْهَا تَهِلُّ سَحَائِبُ ٱلْآجَالِ

أَللهُ أَعْلَى قَدْرَهُمْ وَأَحَلَّهُمْ رُتَبَ ٱلْوَفَا وَٱلْجُودِ وَٱلْإِفْضَالِ
يَا مَالِكًا عَوَّذْتُ طَلْعَتَهُ وَجُو دَ بَنَانِهِ بِٱلشَّمْسِ وَٱلْأَنْفَالِ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ رَاحَ يُنْكِرُ أَنَّنِي فِي ٱلنَّظْمِ غَيْرُ مُصَدَّقِ ٱلْأَقْوَالِ
قَامَ ٱلدَّلِيلُ عَلَى ٱفْتِرَاهُ وَقَدْ مَحَا فَلَقُ ٱلْبَيَانِ غَيَاهِبَ ٱلْإِشْكَالِ
فَدَعِ ٱسْتِمَاعَ مَقَالِ حَاسِدِ نِعْمَةٍ يَسْعَى لَعَمْرُ أَبِيكَ سَعْيَ ضَلَالِ
فَهُوَ ٱلْحَسُودُ وَهَلْ سَمِعْتُمْ حَاسِدًا قَدْ سَادَ فِي حَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ
وَهُوَ ٱلْكَذُوبُ تَعَرُّضًا وَخِيَانَةً صَبَّ ٱلْإِلٰهُ عَلَيْهِ صَوْبَ نَكَالِ
وَٱلْبَدْرُ مَا أَبْدَى لِعَيْنِكَ عَاطِلًا إِلَّا لِتَعْلَمَ قَدْرَ قَدْرِ ٱلْحَالِ
فَأَنَا ٱلَّذِي أَوْضَحْتُ غَيْرَ مُدَافَعٍ سُبُلَ ٱلظَّلَامِ لِغَازِلِ ٱلْأَغْزَالِ
وَشُهِرْتُ فِي شَرْقِ ٱلْبِلَادِ وَغَرْبِهَا بِعُلُومِ آدَابِ ٱلْقَرِيضِ ٱلْعَالِي
فَٱحْفَظْ نَفِيسَ عُقُودِ نَظْمِي إِنَّهُ نِعْمَ ٱلنَّفِيسُ وَأَنْتَ نِعْمَ ٱلْكَالِي
وَٱسْتَجْلِ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَاتٍ غَدَتْ تَفْتَرُّ عَنْ وَصْفِ ٱلسَّنَاءِ ٱلْعَالِي
وَتَلَقَّهَا بِٱلرَّحْبِ مِنْكَ فَإِنَّمَا قَدْ قَابَلَتْكَ بِأَوْجُهِ ٱلْإِقْبَالِ
لِمَ لَا وَمَدْحُكَ قَدْ كَفَاهَا حُلَّةً فَاقَتْ بِهَا فَخْرًا عَلَى ٱلْأَمْثَالِ
فَلَكَ ٱلسَّلَامَةُ وَٱلْهَنَا مَا أَنْشَدَتْ سَفَرَتْ وُجُوهُ ٱلْحُسْنِ عَنْ تِمْثَالِ

١٦٩ قصيدة خطيب مكة الشيخ محيي الدين الشهاب العايف في السلطان بايزيد

فَيَا رَاكِبًا يَسْرِي عَلَى ظَهْرِ ضَامِرٍ إِلَى ٱلرُّومِ يَهْدِي نَحْوَهَا طَيِّبَ ٱلنَّشْرِ
لَكَ ٱلْخَيْرُ إِنْ وَافَيْتَ بُرْسَا فَسِرْ بِهَا رُوَيْدًا لِإِسْطَنْبُولَ سَامِيَةِ ٱلذِّكْرِ
لَدَى مَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ٱلْوَصْفُ كُنْهَهُ شَرِيفِ ٱلْمَسَاعِي نَافِذِ ٱلنَّهْيِ وَٱلْأَمْرِ

إِلَى بَايَزِيدَ ٱلْخَيْرِ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي حَمَى بَيْضَةَ ٱلْإِسْلَامِ بِٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْرِ
وَجَرَّدَ لِلدِّينِ ٱلْحَنِيفِيِّ صَارِمًا أَبَادَ بِهِ جَمْعَ ٱلطَّوَاغِيتِ وَٱلْكُفْرِ
وَجَاهَدَهُمْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ رَجَاءً بِمَا يَبْغِي مِنَ ٱلْفَوْزِ وَٱلْأَجْرِ
لَهُ هَيْبَةٌ مِلْءُ ٱلصُّدُورِ وَصَوْلَةٌ مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ ٱلْمَخَافَةِ وَٱلذُّعْرِ
أَطَاعَ لَهُ مَا بَيْنَ رُومٍ وَفَارِسٍ وَدَانَ لَهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى إِلَى مِصْرِ
هُوَ ٱلْبَحْرُ إِلَّا أَنَّهُ دَائِمُ ٱلْعَطَا وَذٰلِكَ لَا يَخْلُو مِنَ ٱلْمَدِّ وَٱلْجَزْرِ
هُوَ ٱلْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ كَامِلُ ٱلضِّيَا وَذَاكَ حَلِيفُ ٱلنَّقْصِ فِي مُعْظَمِ ٱلشَّهْرِ
هُوَ ٱلْغَيْثُ إِلَّا أَنَّ لِلْغَيْثِ مُسْكَةً وَذَا لَا يَزَالُ ٱلدَّهْرَ يَنْهَلُّ بِٱلْقَطْرِ
هُوَ ٱلسَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَفَلًّا وَذَا مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ فِي ٱلْأَمْرِ
سَلِيلُ بَنِي عُثْمَانَ وَٱلسَّادَةِ ٱلْأُلَى عَلَا مَجْدُهُمْ فَوْقَ ٱلسِّمَاكَيْنِ وَٱلنَّسْرِ
مُلُوكٌ كِرَامُ ٱلْأَصْلِ طَابَتْ فُرُوعُهُمْ وَهَلْ يُنْسَبُ ٱلدِّينَارُ إِلَّا إِلَى ٱلتِّبْرِ
مَحَوْا أَثَرَ ٱلْأَعْدَاءِ بِٱلسَّيْفِ فَٱغْتَدَتْ بِهِمْ حَوْزَةُ ٱلْإِسْلَامِ سَامِيَةَ ٱلْقَدْرِ
فَيَا مَلِكًا فَاقَ ٱلْمُلُوكَ مَكَارِمًا فَكُلٌّ إِلَى أَدْنَى مَكَارِمِهِ يَجْرِي
فَدَتْكَ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ طُرًّا لِأَنَّهَا سِرَارٌ وَأَنْتَ ٱلْبَدْرُ فِي غُرَّةِ ٱلشَّهْرِ
تَعَالَيْتَ عَنْهُمْ رِفْعَةً وَمَكَانَةً وَذَاتًا وَأَوْصَافًا تَجِلُّ عَنِ ٱلْحَصْرِ
لَكَ ٱلْعِزَّةُ ٱلْقَعْسَاءُ وَٱلرُّتْبَةُ ٱلَّتِي قَوَاعِدُهَا تَسْمُو عَلَى مَنْكِبِ ٱلنَّسْرِ
سَمَوْتَ عُلُوًّا إِذْ دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وَقُمْتَ بِحَقِّ ٱللهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ
غَدَتْ بِكَ أَرْضُ ٱلرُّومِ تَزْهُو مَلَاحَةً وَتَرْفُلُ فِي ثَوْبِ ٱلْجَلَالَةِ وَٱلْفَخْرِ
أَلَسْتَ ٱبْنَ عُثْمَانَ ٱلَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ مَسِيرَ ضِيَاءِ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

يَمِينُكَ تَرْوِي عَنْ يَسَارٍ وَنَائِلٍ ... وَوَجْهُكَ يَرْوِي فِي ٱلْبَشَاشَةِ عَنْ بِشْرِ
وَإِنِّي لَصَوَّانٌ لِدُرِّ قَلَائِدِي ... عَنِ ٱلْمَدْحِ إِلَّا فِيكَ يَا مَلِكَ ٱلْعَصْرِ
فَقَابِلْ رَعَاكَ ٱللهُ شُكْرِي بِمِثْلِهِ ... فَإِنَّكَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْ أَكْرَمِ ٱلذُّخْرِ
فَلَا زِلْتَ مَحْرُوسَ ٱلْجَنَابِ مُؤَيَّدًا ... مِنَ ٱللهِ بِٱلتَّوْفِيقِ وَٱلْعِزِّ وَٱلنَّصْرِ

١٧٠ قصيدة الشيخ قطب الدين النهروالي في السلطان سليم خان

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ ... عَلَى عِزَّةِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْفَتْحِ وَٱلنَّصْرِ
كَذَا فَلْيَكُنْ فَتْحُ ٱلْبِلَادِ إِذَا سَعَتْ ... لَهُ ٱلْهِمَمُ ٱلْعُلْيَا إِلَى أَشْرَفِ ٱلذِّكْرِ
جُنُودٌ رَمَتْ فِي كَوْكَبَانَ خِيَامَهَا ... وَآخِرُهَا بِٱلنِّيلِ مِنْ شَاطِئَيْ مِصْرِ
مُجَرٌّ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلَّ غَضَنْفَرٍ ... بِصَارِمِهِ يَسْطُو عَلَى مَفْرِقِ ٱلدَّهْرِ
عَسَاكِرُ سُلْطَانِ ٱلزَّمَانِ مَلِيكِنَا ... خَلِيفَةِ هٰذَا ٱلْعَصْرِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
حَمَى حَوْزَةَ ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِيِّ بِٱلْقَنَا ... وَبِيضِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ
لَهُ فِي سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ أَصْلٌ مُؤَثَّلٌ ... تَلَقَّاهُ عَنْ أَسْلَافِهِ ٱلسَّادَةِ ٱلْغُرِّ
مُلُوكٌ تَسَامَوْا لِلْعُلَا وَخَلَائِفٌ ... أُولُوا ٱلْعَزْمِ فِي أَزْمَانِهِمْ وَأُولُوا ٱلْأَمْرِ
شُمُوسٌ بِفَيْضِ ٱلنُّورِ تَمْحُو غَيَاهِبًا ... مِنَ ٱلْكُفْرِ مِنْهُمْ يُسْتَمَدُّ ضِيَا ٱلْبَدْرِ
هُمُ مَلَؤُوا عَيْنَ ٱلزَّمَانِ وَقَلْبَهُ ... فَقَرَّتْ عُيُونُ ٱلْعَالَمِينَ مِنَ ٱلْبِشْرِ
هُمُ ٱلْعِقْدُ مِنْ أَعْلَى ٱللَّيَالِي مُنَظَّمًا ... وَسُلْطَانُنَا فِي ٱلْمُلْكِ وَاسِطَةُ ٱلدُّرِّ
شَهَنْشَاهُ سُلْطَانُ ٱلْمُلُوكِ جَمِيعِهِمْ ... سَلِيمٌ كَرِيمٌ أَصْلُهُ أَطْيَبُ ٱلنَّجْرِ
عِمَادٌ يَلُوذُ ٱلْمُسْلِمُونَ بِظِلِّهِ ... وَسَدٌّ مَنِيعٌ لِلْأَنَامِ مِنَ ٱلْكُفْرِ
وَحِينَ أَتَاهُ أَنْ قَدِ ٱحْتَلَّ جَانِبٌ ... مِنَ ٱلْيَمَنِ ٱلْأَقْصَى أَصَرَّ عَلَى ٱلْقَهْرِ

وَسَاقَ لَهَا جَيْشاً خَمِيساً عَرَمْرَماً … يَدُكُّ فِجَاجَ الأَرْضِ فِي السَّهْلِ وَالوَعْرِ

لَهُمْ أَسَدٌ شَاكِي السِّلَاحِ عَرِينُهُ … طِوَالُ الرِّمَاحِ السَّمْهَرِيَّةِ وَالبُتْرِ

وَزِيرٌ عَظِيمُ الشَّانِ ثَاقِبُ رَأْيِهِ … يُجَهِّزُ فِي آنٍ جُيُوشاً مِنَ الفِكْرِ

يَقُومُ بِأَعْبَاءِ الوِزَارَةِ قَوْمَةً … يَشُدُّ جُيُوشَ الدِّينِ بِالأَيْدِ وَالأَزْرِ

أَيَادٍ لَهُ بِالبَأْسِ كَاسِرَةُ العِدَا … وَلَكِنَّهَا بِالجُودِ جَابِرَةُ الكَسْرِ

بِهِ أَمَّنَ اللهُ البِلَادَ وَطَمَّنَ الْ … عِبَادَ وَأَضْحَى الدِّينُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ

سِنَانٌ عَزِيزُ القَدْرِ يُوسُفُ عَصْرِهِ … أَلَمْ تَرَهُ فِي مِصْرَ أَحْكَامُهُ تَجْرِي

تَدَلَّى إِلَى أَقْصَى البِلَادِ بِجَيْشِهِ … وَمَهَّدَ مُلْكاً قَدْ تَمَزَّقَ بِالشَّرِّ

وَقَطَّعَ رُؤْساً مِنْ كِبَارِ رُؤُوسِهِمْ … لَهُمْ بَاطِنُ السِّرْحَانِ وَالطَّيْرِ كَالقَبْرِ

وَكَانَ عَصَى مُوسَى تَلَقَّفُ كُلَّمَا … بَدَا مِنْ صَنِيعِ المُلْحِدِينَ مِنَ السِّحْرِ

وَلَا زَالَ فِيهِمْ عَامِلُ الرُّمْحِ عَامِلاً … وَلَا بَرِحُوا فِي الذُّلِّ بِالقَتْلِ وَالأَسْرِ

وَمَا يَمَنٌ إِلَّا مَمَالِكُ تُبَّعٍ … وَنَاهِيكَ مِنْ مُلْكٍ قَدِيمٍ وَمِنْ فَخْرِ

وَقَدْ مَلَكَتْهَا آلُ عُثْمَانَ إِذْ مَضَتْ … بَنُو طَاهِرٍ أَهْلُ الشَّهَامَةِ وَالذِّكْرِ

فَهَلْ يَطْمَعُ الزَّيْدِيُّ فِي مُلْكِ تُبَّعٍ … وَيَأْخُذُهُ مِنْ آلِ عُثْمَانَ بِالمَكْرِ

إِلَى اللهِ وَالإِسْلَامِ وَالسَّيْفِ وَالقَنَا … وَسِرِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرِ



أَلْبَابُ ٱلتَّاسِعُ
فِي ٱلْهَجْوِ

١٧١ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي عَذُولٍ :

وَقَالُوا فُلَانٌ فِي ٱلْوَرَى لَكَ شَاتِمٌ ... وَأَنْتَ لَهُ دُونَ ٱلْخَلَائِقِ تَمْدَحُ
فَقُلْتُ ذَرُوهُ مَا بِهِ وَطِبَاعِهِ ... فَكُلُّ إِنَاءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
إِذَا ٱلْكَلْبُ لَا يُؤْذِيكَ عِنْدَ نُبَاحِهِ ... فَذَرْهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ يَنْبَحُ

١٧٢ قَالَ آخَرُ فِي طَبِيبٍ :

يَا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ وَٱبْنَ زُهْرٍ ... جَاوَزْتُمَا ٱلْحَدَّ وَٱلنِّهَايَهْ
تَرَفَّقَا بِٱلْوَرَى قَلِيلًا ... فِي وَاحِدٍ مِنْكُمَا ٱلْكِفَايَهْ

١٧٣ قَالَ غَيْرُهُ فِي قَاضٍ يُحِبُّ ٱلرَّشْوَةَ :

رَأَيْتُ شَاةً وَذِئْبًا وَهْيَ مَاسِكَةٌ ... بِأُذْنِهِ وَهْوَ مُنْقَادٌ لَهَا سَارِي
فَقُلْتُ أُعْجُوبَةٌ ثُمَّ ٱلْتَفَتُّ أَرَى ... مَا بَيْنَ نَابَيْهِ مُلْقًى نِصْفُ دِينَارِ
فَقُلْتُ لِلشَّاةِ مَا ذَا ٱلْأُلْفُ بَيْنَكُمَا ... وَٱلذِّئْبُ يَسْطُو بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
تَبَسَّمَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْيَ ضَاحِكَةٌ ... بِٱلتِّبْرِ يُكْسَرُ ذَاكَ ٱلضَّيْغَمُ ٱلضَّارِي

١٧٤ قال خفاف بن ندبة يهجو العباس بن مرداس

أَرَى ٱلْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلًا يَزِيدُ
فَلَوْ نَقَصَتْ عَزَائِمُهُ وَبَادَتْ ... سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يُرِيدُ
وَلٰكِنَّ ٱلْمَصَائِبَ أَفْسَدَتْهُ ... وَكِذْبُ ٱلْمَرْءِ أَقْبَحُ مَا يُفِيدُ

فَأَبْشِرْ إِنْ بَقِيتَ بِيَوْمِ سُوءٍ   يَشِيبُ لَهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلْوَلِيدُ
وَدَعْ قَوْلَ ٱلسَّفَاهَةِ لَا تَقُلْهُ   فَقَدْ طَالَ ٱلتَّهَدُّدُ وَٱلْوَعِيدُ

وَقَالَ أَيْضًا:

أَعَبَّاسُ إِنَّا وَمَا بَيْنَنَا   كَصَدْعِ ٱلزُّجَاجَةِ لَا يُجْبَرُ
فَلَسْتَ بِكُفْوٍ لِأَمْثَالِنَا   وَشَتْمُكَ أَنْتَ بِهِ أَجْدَرُ
وَلَسْنَا بِأَهْلٍ لِمَا قُلْتَهُ   وَنَحْنُ بِشَتْمِكُمُ نُعْذَرُ
فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ ٱلذُّبَا   بِ عَضْبٌ كَرِيهَتُهُ تُحْذَرُ
وَأَزْرَقُ فِي رَأْسِ خَطِّيَّةٍ   إِذَا هُزَّ كَعْبٌ لَهَا تَخْطِرُ
يَلُوحُ ٱلسِّنَانُ عَلَى مَتْنِهَا   كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسْعَرُ

فأجابهُ العباس

خَفَافُ أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنَنَا   يَزِيدُ ٱسْتِعَارًا إِذَا يُسْعَرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُهِينُ ٱلْبِلَا   دَ لِلسَّائِلِينَ وَمَا نَغْدِرُ
لَنَا شِيَمٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ   تَوَارَثَهَا ٱلْأَكْبَرُ ٱلْأَكْبَرُ
فَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلصَّبَا   حِ أَنَّ ٱلْعَقِيلَةَ بِي تُسْتَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلرِّهَا   نِ أَنِّي أَنَا ٱلشَّامِخُ ٱلْمُخْطِرُ
فَأَنَّى تُعَيِّرُنِي بِٱلْفَخَارِ   أَرَى أَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْمُنْكَرُ

١٧٥ لابي المصبح اعشى همدان يهجو مدينة مكران وكان الحجاج أتى به اليها اسيرًا

وَلَمْ تَكُ مِنْ حَاجَتِي مُكْرَانُ   وَلَا ٱلْغَزْوُ فِيهَا وَلَا ٱلْمَتْجَرُ
وَخُبِّرْتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِهَا   فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أُذْعَرُ

بِأَنَّ ٱلْكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ وَأَنَّ ٱلْقَلِيلَ بِهَا مُقْتِرُ
وَأَنَّ لِحَى ٱلنَّاسِ مِنْ حَرِّهَا تَطُولُ فَتَجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ
وَيَزْعُمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا بِأَنَّا سَنُسْهَمُ أَوْ نُنْحَرُ
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ ٱلْمُخْزِيَا تِ فِيمَا أُسِرُّ وَمَا أَجْهَرُ
وَحُدِّثْتُ أَنْ مَا لَنَا رَجْعَةٌ سِنِينَ وَمِنْ بَعْدِهَا أَشْهُرُ
إِلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤُنَا وَبَادَ ٱلْأَخِلَّاءُ وَٱلْمَعْشَرُ
وَمَا كَانَ بِي مِنْ نَشَاطٍ لَهَا وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلٰكِنْ بُعِثْتُ لَهَا كَارِهًا وَقِيلَ ٱنْطَلِقْ كَٱلَّذِي يُؤْمَرُ
فَكَانَ ٱلنَّجَاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَشَرُّهُمُ مُنْكَرُ
هُوَ ٱلسَّيْفُ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ ٱلسَّيْفِ مُسْتَأْخَرُ
وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ مُسْتَأْنِسٍ يَظَلُّ بِهِ ٱلدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُوَدِّعُنِي أَنْتَحِبْ عَبْرَةً لَهُ كَٱلْجَدَاوِلِ أَوْ أَغْزَرُ
فَلَسْتُ بِلَاقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا يَدَ ٱلدَّهْرِ مَا هَبَّتِ ٱلصَّرْصَرُ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمُ عَابِرُو نَ بَحْرًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى ٱلسِّنْدِ وَٱلْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ ٱلْجِنُّ لٰكِنَّهُمْ أَنْكَرُ
وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلَنَا أَكَابِرُ عَادٍ وَلَا حِمْيَرُ
وَلَا رَامَ سَابُورُ غَزْوًا لَهَا وَلَا ٱلشَّيْخُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُؤْجَرُ

هجو طيلسان ابن حرب

١٧٦ كان أحمد بن حرب المهلّبيّ من المنعمين على الحمدوني الشاعر والمحسنين اليه وله فيه مدائح كثيرة . فوهب له طيلساناً أخضر لم يرضه . قال أبو العبّاس المبرّد : فأنشد فيه عشر مقطعات فاستحلينا مذهبه فيه فجعلها فوق الخمسين فطارت كلّ مطار وسارت كل مسار فمنها :

يَا ٱبْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا ... مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ ٱلزَّمَانِ وَصَدَّا
فَحَسِبْنَا نَسْجَ ٱلْعَنَاكِبِ قَدْ حِيـ ... ـلَ إِلَى ضُعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَّا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى ٱلرَّفْوِ حَتَّى ... لَوْ بَعَثْنَاهُ وَحْدَهُ لَتَهَدَّى

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ٱبْنِ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بِأَنْ ... تُودِي بِجِسْمِي كَمَا أَوْدَى بِكَ ٱلزَّمَنُ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يُغْنِي وَلَا ثَمَنٍ ... قَدْ أَوْهَنَتْ حِيلَتِي أَرْكَانُكَ ٱلْوُهُنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى ٱلرَّفَّاءِ مُرْتَبِطًا ... كَأَنَّنِي فِي يَدَيْهِ ٱلدَّهْرَ مُرْتَهَنُ
أَقُولُ حِينَ رَآنِي ٱلنَّاسُ أَلْزَمُهُ ... كَأَنَّمَا لِي فِي حَانُوتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا ... فَٱلْأُقْحُوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَمِنُ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُـلْ لِٱبْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا ... نُكَ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحْدَثْ
أَفْنَى ٱلْقُرُونَ وَلَمْ يَزَلْ ... عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلُ يُورَثْ
وَإِذَا ٱلْعُيُونُ لَحَظْنَهُ ... فَكَأَنَّهُ بِٱللَّحْظِ يُحْرَثْ
يُودَى إِذَا لَمْ أَرْفُهُ ... فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ
كَٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْـ ... ـهِ ٱلدَّهْرَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُكَ قَدْ أَوْهَى قُوَايَ بِكَثْرَةِ الْغُرَمِ
مُتَبَيِّنٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ آثَارُ رَفْوِ أَوَائِلِ الْأُمَمِ
وَكَأَنَّهُ الْخَمْرُ الَّتِي وُصِفَتْ فِي يَا شَقِيقَ الرُّوحِ مِنْ حَكَمِ
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقِيلَ لَنَا قَدْ صَحَّ قَالَ لَهُ الْبِلَى انْهَدِمِ
مِثْلُ السَّقِيمِ بَرَا فَرَاجَعَهُ نُكْسٌ فَأَسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتُ حِينَ طَغَى فَأَعْجَزَنِي وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ

وَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ أَيْضًا :

طَيْلَسَانٌ لِابْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرْ
فَإِذَا مَا صِحْتُ فِيهِ صَيْحَةً تَرَكَتْهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرْ
وَإِذَا مَا الرِّيحُ هَبَّتْ نَحْوَهُ طَيَّرَتْهُ كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرْ
مُهْطِعُ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا مَا رَآهُ قَالَ ذَا شَيْءٌ نُكُرْ
وَإِذَا رَفَّاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ يَتَلَافَاهُ تَعَاطَى فَعَقَرْ

١٧٧ قال الفرزدق يهجو إبليس

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي فَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامِ
أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِ
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ الَّتِي كُنْتُ خَائِفًا وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِزَامِ
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لَأَجْتَهِدَنَّهَا عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ
أَلَا طَالَمَا قَدْ بِتُّ يُوضِعُ نَاقَتِي أَبُو الْجِنِّ إِبْلِيسٌ بِغَيْرِ خِطَامِ

يَظَلُّ يُمَنِّينِي عَلَى الرَّحْلِ وَارِكًا ... يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي

يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّهُ ... سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامِ

فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أُخَيَّكَ أَخْرَجَتْ ... يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ الْبُحُورِ طَوَامِي

رَمَيْتُ بِهِ فِي الْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ ... كَفِرْقَةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَمَامِ

فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِيًا ... نَكَصْتَ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامِ

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْحِجْرِ وَالْحِجْرُ أَهْلُهُ ... بِأَنْعَمِ عَيْشٍ فِي بُيُوتِ رُخَامِ

فَقُلْتَ اعْقِرُوا هٰذِي اللَّقُوحَ فَإِنَّهَا ... لَكُمْ أَوْ تُنِيخُوهَا لَقُوحُ غَرَامِ

فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّأْتَ مِنْهُمُ ... وَكُنْتَ نَكُوصًا عِنْدَ كُلِّ ذِمَامِ

وَآدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَزَوْجَتَهُ مِنْ خَيْرِ دَارِ مُقَامِ

وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... لَهُ وَلَهَا إِقْسَامَ غَيْرِ أَثَامِ

فَظَلَّا يَخِيطَانِ الْوِرَاقَ عَلَيْهِمَا ... بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ

وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا ... أَحَادِيثَ كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامِ

وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ أَبْتَغِي ... رِضَاهُ وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامِ

سَأَجْزِيكَ مِنْ سَوْآتِ مَا كُنْتَ سُقْتَنِي ... إِلَيْهِ جُرُوحًا فِيكَ ذَاتَ كِلَامِ

تُعَيِّرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَقِي ... عَلَيْكَ بِزَقُّومٍ لَهَا وَضِرَامِ

وَإِنَّ ابْنَ إِبْلِيسٍ وَإِبْلِيسَ أَلْبَنَا ... لَهُمْ بِعَذَابِ النَّاسِ كُلَّ غُلَامِ

هُمَا تَفَلَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا ... عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ

١٧٨ من مليح شعر الخطيب الحصكفي في هجو مغنٍّ ردي الصوت

وَمُسْمِعٍ غِنَاؤُهُ ... يُبْدِلُ بِالْفَقْرِ الْغِنَى

أَبْصَرْتُهُ فَلَمْ تَخِبْ فِرَاسَتِي لَمَّا دَنَا
وَرُمْتُ أَنْ أَرُوحَ لِلظَّنِّ بِهِ مُمْتَحِنَا
فَقُلْتُ مِنْ بَيْنِهِمِ هَاتِ أَخِي غَنِّ لَنَا
فَانْشَالَ مِنْهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ مِنْهُ انْحَنَى
وَامْتَلَأَ الْمَجْلِسُ مِنْ فِيهِ نَسِيمًا مُنْتِنَا
أَوْقَعَ إِذْ وَقَّعَ فِي مِ الْأَنْفُسِ أَسْبَابَ الْعَنَا
وَمَا اكْتَفَى بِاللَّحْنِ وَالتَّخْلِيطِ حَتَّى لَحَنَا
يُوهِمُ زَمْرًا أَنَّهُ قَطَّعَهُ وَدَنْدَنَا
وَصَاحَ صَوْتًا نَافِرًا يَخْرُجُ مِنْ حَدِّ الْبِنَا
وَمَا دَرَى مَحْضَرُهُ مَاذَا عَلَى الْقَوْمِ جَنَى
فَذَا يَسُدُّ أَنْفَهُ وَذَا يَسُدُّ الْأُذُنَا
وَمِنْهُمُ جَمَاعَةٌ تَسْتُرُ عَنْهُ الْأَعْيُنَا
فَاغْتَظْتُ حَتَّى كِدْتُ مِنْ غَيْظِي أَبُثُّ الشَّجَنَا
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ اسْمَعُوا إِمَّا الْمُغَنِّي أَوْ أَنَا
أَقْسَمْتُ لَا أَجْلِسُ أَوْ يَخْرُجَ هٰذَا مِنْ هُنَا
قَالُوا لَقَدْ رَحِمْتَنَا وَزِلْتَ عَنَّا الْمِحَنَا
فَحُزْتُ فِي إِخْرَاجِهِ رَاحَةَ نَفْسٍ وَالثَّنَا
وَحِينَ وَلَّى شَخْصُهُ قَرَأْتُ فِيهِمْ مُعْلِنَا
أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَا

١٧٩ قال الاديب كمال الدين عليّ بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذمّ دارٍ كان يسكنها

دَارٌ سَكَنْتُ بِهَا أَقَلُّ صِفَاتِهَا ... أَنْ تَكْثُرَ ٱلْحَشَرَاتُ فِي جَنَبَاتِهَا
أَلْخَيْرُ عَنْهَا نَازِحٌ مُتَبَاعِدٌ ... وَٱلشَّرُّ دَانٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا
مِنْ بَعْضِ مَا فِيهَا ٱلْبَعُوضُ عَدِمْتُهُ ... كَمْ أَعْدَمَ ٱلْأَجْفَانَ طِيبَ سُبَاتِهَا
وَتَبِيتُ تُسْعِدُهَا بَرَاغِيثٌ مَتَى ... غَنَّتْ لَهَا رَقَصَتْ عَلَى نَغَمَاتِهَا
رَقْصٌ بِتَنْقِيطٍ وَلٰكِنْ قَافُهُ ... قَدْ قُدِّمَتْ فِيهِ عَلَى أَخَوَاتِهَا
وَبِهَا ذُبَابٌ كَٱلضَّبَابِ يَسُدُّ عَيْـنَ ٱلشَّمْسِ مَا طَرَبِي سِوَى غَنَّاتِهَا
أَيْنَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا مِنْ فَتْكِهَا ... فِينَا وَأَيْنَ ٱلْأُسْدُ مِنْ وَثَبَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلْخُطَّافِ مَا هُوَ مُعْجِزٌ ... أَبْصَارَنَا عَنْ وَصْفِ كَيْفِيَّاتِهَا
وَبِهَا خَفَافِيشٌ تَطِيرُ نَهَارَهَا ... مَعَ لَيْلِهَا لَيْسَتْ عَلَى عَادَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلْجِرْذَانِ مَا قَدْ قَصَّرَتْ ... عَنْهُ ٱلْعِتَاقُ ٱلْجُرْدُ فِي حَمَلَاتِهَا
وَبِهَا خَنَافِسُ كَٱلطَّنَافِسِ أُفْرِشَتْ ... فِي أَرْضِهَا وَعَلَتْ عَلَى جَنَبَاتِهَا
وَبَنَاتُ وِرْدَانٍ وَأَشْكَالٌ لَهَا ... مِمَّا يَفُوتُ ٱلْعَيْنَ كُنْهُ ذَوَاتِهَا
أَبَدًا تَمُصُّ دِمَاءَنَا فَكَأَنَّهَا ... حَجَّامَةٌ لَبَدَتْ عَلَى كَاسَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلنَّمْلِ ٱلسُّلَيْمَانِيِّ مَا ... قَدْ قَلَّ ذَرُّ ٱلشَّمْسِ عَنْ ذَرَّاتِهَا
مَا رَاعَنِي شَيْءٌ سِوَى وَزَغَاتِهَا ... فَتَعَوَّذُوا بِٱللهِ مِنْ ذَرَّاتِهَا
سَجَعَتْ عَلَى أَوْكَارِهَا فَظَنَنْتُهَا ... وُرْقَ ٱلْحَمَامِ سَجَعْنَ فِي شَجَرَاتِهَا
وَبِهَا زَنَابِيرٌ تُظَنُّ عَقَارِبًا ... حَرُّ ٱلسَّمُومِ أَخَفُّ مِنْ زَفَرَاتِهَا

وَبِهَا عَقَارِبُ كَالأَقَارِبِ رُتَّعٌ   فِينَا حَمَانَا ٱللهُ لَدْغَ حُمَاتِهَا
كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَلَا نَجَا   ةَ وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ رَأَى حَيَّاتِهَا
مَنْسُوجَةٌ بِٱلْعَنْكَبُوتِ سَمَاؤُهَا   وَٱلْأَرْضُ قَدْ نُسِجَتْ عَلَى آفَاتِهَا
فَضَجِيجُهَا كَٱلرَّعْدِ فِي جَنَبَاتِهَا   وَتُرَابُهَا كَٱلرَّمْلِ فِي خَشَنَاتِهَا
وَٱلْبُومُ عَاكِفَةٌ عَلَى أَرْجَائِهَا   وَٱلدُّودُ تَبْحَثُ فِي ثَرَى عَرَصَاتِهَا
وَٱلْجِنُّ تَأْتِيهَا إِذَا جَنَّ ٱلدُّجَى   يَحْكِي ٱلْخُيُولَ ٱلْجُرْدَ فِي حَمَلَاتِهَا
وَٱلنَّارُ جُزْءٌ مِنْ تَلَهُّبِ حَرِّهَا   وَجَهَنَّمٌ تُعْزَى إِلَى لَفَحَاتِهَا
شَاهَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى أَرْجَائِهَا   وَرَأَيْتُ مَسْطُورًا عَلَى جَنَبَاتِهَا
لَا تَقْرَبُوا مِنْهَا وَخَافُوهَا وَلَا   تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى هَلَكَاتِهَا
أَبَدًا يَقُولُ ٱلدَّاخِلُونَ بِبَابِهَا   يَا رَبُّ نَجِّ ٱلنَّاسَ مِنْ آفَاتِهَا
قَالُوا إِذَا نَدَبَ ٱلْغُرَابُ مَنَازِلًا   يَتَفَرَّقُ ٱلسُّكَّانُ مِنْ سَاحَاتِهَا
وَبِدَارِنَا أَلْفَا غُرَابٍ نَاعِقٍ   كَذِبَ ٱلرُّوَاةُ فَأَيْنَ صِدْقُ رُوَاتِهَا
صَبْرًا لَعَلَّ ٱللهَ يُعْقِبُ رَاحَةً   لِلنَّفْسِ إِذْ غَلَبَتْ عَلَى شَهَوَاتِهَا
دَارٌ تَبِيتُ ٱلْجِنُّ تَحْرِسُ نَفْسَهَا   فِيهَا وَتَنْدُبُ بِٱخْتِلَافِ لُغَاتِهَا
كَمْ بِتُّ فِيهَا مُفْرَدًا وَٱلْعَيْنُ مِنْ   شَوْقِ ٱلصَّبَاحِ تَسُحُّ مِنْ عَبَرَاتِهَا
وَأَقُولُ يَا رَبَّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعُلَى   يَا رَازِقًا لِلْوَحْشِ فِي فَلَوَاتِهَا
أَسْكَنْتَنِي بِجَهَنَّمِ ٱلدُّنْيَا فَفِي   أُخْرَايَ هَبْ لِي ٱلْخُلْدَ فِي جَنَّاتِهَا
وَٱجْمَعْ بِمَنْ أَهْوَاهُ شَمْلِي عَاجِلًا   يَا جَامِعَ ٱلْأَرْوَاحِ بَعْدَ شَتَاتِهَا

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلزَّهْرِيَّاتِ

١٨٠ زهرية بديع الزمان الهمذاني

بَرَزَ ٱلرَّبِيعُ لَنَا بِرَوْنَقِ مَائِهِ ... فَٱنْظُرْ لِرَوْعَةِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَٱلتُّرْبُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُعَنْبَرٍ ... مِنْ نَوْرِهِ بَلْ مَائِهِ وَرُوَائِهِ
وَٱلْمَاءُ بَيْنَ مُصَنْدَلٍ وَمُكَفَّرٍ ... فِي حُسْنِ كُدْرَتِهِ وَلَوْنِ صَفَائِهِ
وَٱلطَّيْرُ مِثْلُ ٱلْمُحْصَنَاتِ صَوَادِحٌ ... مِثْلُ ٱلْمُغَنِّي شَادِيًا بِغِنَائِهِ
وَٱلْوَرْدُ لَيْسَ بِمُمْسِكٍ رَيَّاهُ إِذْ ... يُهْدِي لَنَا نَفَحَاتِهِ مِنْ مَائِهِ
زَمَنَ ٱلرَّبِيعِ جَلَبْتَ أَزْكَى مَتْجَرٍ ... وَجَلَوْتَ لِلرَّائِينَ خَيْرَ جَلَائِهِ
فَكَأَنَّهُ هٰذَا ٱلرَّئِيسُ إِذَا بَدَا ... فِي خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَطَائِهِ
يَحْمِي أَعَزَّ مُحَجَّرٍ وَنَدَى أَغَرَّ ... مُحَجَّلٍ فِي خَلْقِهِ وَوَفَائِهِ
يَعْشُو إِلَيْهِ ٱلْمُخْتَوِي وَٱلْمُجْتَدِي ... وَٱلْمُجْتَوِي هُوَ هَارِبٌ بِذِمَائِهِ
مَا ٱلْبَحْرُ فِي تَزْخَارِهِ وَٱلْغَيْثُ فِي ... أَمْطَارِهِ وَٱلْجَوُّ فِي أَنْوَائِهِ
بِأَجَلَّ مِنْهُ مَوَاهِبًا وَرَغَائِبًا ... لَا زَالَ هٰذَا ٱلْمَجْدُ حَلْفَ فِنَائِهِ
وَٱلسَّادَةُ ٱلْبَاقُونَ سَادَةُ عَصْرِهِمْ ... مُتَمَدِّحُونَ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ

١٨١ زهرية عنتر بن شدّاد العبسي

زَارَ ٱلرَّبِيعُ رِيَاضَنَا وَزَهَا بِهَا ... فَنَبَاتُهَا حُلِيَتْ بِأَنْوَاعِ ٱلْحُلِي
فَٱلرَّوْضُ بَيْنَ تَأَلُّفٍ وَتَهَفْهُفٍ ... وَتَعَطُّفٍ وَتَصَرُّفٍ وَتَمَلْمُلِ

بِمُنَوَّرٍ فِي أَصْفَرٍ وَمُعَصْفَرٍ ... وَمُعَنْبَرٍ وَمُكَوَّفٍ وَمُصَنْدَلِ
وَمُذَهَّبٍ وَمُكَتَّبٍ وَمُقَطَّبٍ ... وَمُقَمَّعٍ وَمُرَصَّعٍ وَمُجَلَّلِ
وَالْجَوُّ بَيْنَ مُقَلِّسٍ وَمُغَلِّسٍ ... بِتَغَزُّلٍ وَتَبَرُّقٍ وَتَسَلْسُلِ
وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُفَرِّدٍ وَمُغَرِّدٍ ... وَمُرَنِّمٍ وَمُرَخِّمٍ وَمُكَلِّلِ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَتَّحٍ وَمُطَرَّحٍ ... وَمُفَوَّحٍ وَمُلَوَّحٍ لَمْ يُكْمَلِ
مَا بَيْنَ مَنْشُورٍ كَثَوْبٍ مُعْلَمٍ ... وَمُفَوَّفٍ وَمُزَوَّقٍ وَمُمَلْمَلِ
وَالْوَرْدُ بَيْنَ مُبَهَّجٍ وَمُفَوَّجٍ ... وَمُبَهْرَجٍ وَمُرَهَّجٍ وَمُجَلَّلِ
يَزْهُو بِأَحْمَرَ كَالْعَقِيقِ وَأَصْفَرٍ ... كَالزَّعْفَرَانِ وَأَبْيَضٍ كَالسَّنْجَلِ
وَبَنَفْسَجٍ يَزْهُو إِذَا عَايَنْتَهُ ... آثَارَ نَقْشٍ فِي ذِرَاعٍ مُمْتَلِي
وَكَأَنَّمَا الشِّيحُ الذَّكِيُّ إِذَا نَمَا ... يُحْيِي النُّفُوسَ إِذَا بَدَتْ فِي الشَّمْأَلِ
وَكَأَنَّمَا نَارَنْجُهَا فِي دَوْحِهِ ... أَقْدَاحُ تِبْرٍ زَهْرُهَا لَمْ يَمْثُلِ
وَكَأَنَّمَا شَجَرُ النَّخِيلِ عَرَائِسًا ... يَجْلُونَ فِي حُلَلِ الشُّعُورِ الْمُسْبَلِ
وَكَأَنَّمَا أُتْرُنْجُهَا فِي غُصْنِهَا ... صُفْرُ النَّمَارِقِ كَالثُّرَيَّا يَنْجَلِي
وَكَأَنَّمَا السَّرْوُ الطَّوِيلُ إِذَا بَدَتْ ... يَلْعَبْنَ بَيْنَ تَقَوُّمٍ وَتَأَمُّلِ
وَكَأَنَّ تَرْدِيدَ الْمِيَاهِ إِذَا جَرَتْ ... مِنْ جَدْوَلٍ وَتَحَدَّرَتْ فِي جَدْوَلِ
حَيَّاتُ شَيْتٍ خِفْنَ مِنْ مُسْتَطْلِبٍ ... يَسْعَيْنَ سَعْيَ الْخَائِفِ الْمُسْتَعْجِلِ
مَا الدَّهْرُ إِلَّا هٰكَذَا فَانْعَمْ بِهِ ... وَاصْرِفْ زَمَانَكَ بِالْأَعَزِّ الْأَفْضَلِ
وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا ... وَنَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا ... وَإِذَا حَكَمْنَا فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلِ

وَنُحَاوِلُ ٱلْأَمْرَ ٱلْمُهِمَّ خِطَابَهُ ‏ فِيهِمْ وَنَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلِ
وَرِمَاحُنَا تَكِفُ ٱلنَّجِيعَ صُدُورُهَا ‏ وَسُيُوفُنَا تَخْلِي ٱلرِّقَابَ فَتَخْتَلِي
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا ‏ شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِٱلْمُنْصُلِ
وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى ٱلْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ ‏ بَعْدَ ٱلْكَرِيهَةِ لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

١٨٢ ‏ زهريّة مقري الوحش

أَلْغَيْمُ يَبْكِي فِي ٱلسَّمَاءِ وَيَهْتَدِي ‏ بِمَدَامِعٍ تَنْهَلُّ مِنْ قَطْرٍ نَدِي
وَٱلزَّهْرُ يَبْسِمُ فِي ٱلرِّيَاضِ كَأَنَّهُ ‏ بُسُطٌ زَهَتْ أَلْوَانُهَا كَزَبَرْجَدِ
أَتْقَنَهَا ذُو ٱلْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ ‏ سُبْحَانَهُ مِنْ وَاحِدٍ مُتَفَرِّدِ
وَكَذَا تَكُونُ ٱلشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ‏ يُضْحِي ٱلضِّيَاءُ بِحُمْرَةٍ وَتَوَقُّدِ
بِمُفَضَّضٍ وَمُذَهَّبٍ وَمُطَرَّزٍ ‏ وَمُجَوْهَرٍ وَمُعَنْبَرٍ وَمُوَرَّدِ
وَٱلْآسُ بَيْنَ شَقَائِقٍ وَحَدَائِقٍ ‏ وَٱلْغُصْنُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمُقَلَّدِ
وَٱلطَّيْرُ بَيْنَ تَسَبُّحٍ وَتَقَدُّسٍ ‏ وَتَهَلُّلٍ وَتَشَكُّرٍ وَتَمَجُّدِ
وَٱلْمَاءُ بَيْنَ تَدَفُّقٍ وَتَرَقْرُقٍ ‏ وَتَفَنُّدٍ وَتَسَلْسُلٍ وَتَجَعُّدِ
وَٱلدَّوْحُ يَرْقُصُ وَٱلنَّسِيمُ مُشَبِّبٌ ‏ وَٱلنَّهْرُ بَيْنَ تَصَفُّقٍ وَتَفَنُّدِ
وَٱلْوَرْدُ يَحْكِي بِٱلْغُصُونِ مَجَامِرًا ‏ نَارٌ عَلَى مَاءِ ٱلْحَيَا لَمْ تَخْمُدِ
وَٱلْيَاسَمِينُ مُفَتَّحًا وَمُغَلَّقًا ‏ يَحْكِي بِخِفَّتِهِ عُقُولَ ٱلْحُسَّدِ
وَكَذٰلِكَ ٱلنَّسْرِينُ أَصْبَحَ بَاسِمًا ‏ فِي ثَغْرِهِ تِبْرٌ بِرَائِحَةٍ نَدِي
وَٱلْأُقْحُوَانُ بِسَيْفِهِ وَبِتُرْسِهِ ‏ مُذْ لَاحَ يَزْهُو كَٱلْحُسَامِ ٱلْأَجْرَدِ
وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْعَطْشَانُ أَصْبَحَ مَائِلًا ‏ شِبْهَ ٱلْحَزِينِ مُفَارِقًا لَمْ يَهْتَدِ

وَٱلرَّنْدُ وَٱلسُّوسَانُ مَعْ رَيْحَانِهَا ... مَا بَيْنَهَا شَيْءٌ يُعَابُ مِنَ ٱلرَّدِي
وَٱلرَّوْضُ جَامِعٌ وَٱلْأَزَاهِرُ بُسْطُهُ ... وَقَنَادِلُ ٱلْأُتْرُنْجِ لَاحَتْ فِي ٱلْغَدِ
وَٱلطَّيْرُ يَخْطُبُ وَٱلْغُصُونُ مَنَابِرٌ ... وَٱلْعِرْقُ أَضْحَى رَاكِعًا بِتَهَجُّدِ
صَاحَ ٱلْهَزَارُ مُسَبِّحًا وَمُمَجِّدًا ... وَمُقَدِّسًا يَشْدُو بِصَوْتٍ مُغَرِّدِ
مِنْ بَعْدِ هٰذَا قَدْ رَأَيْتُ عَجَائِبًا ... وَٱلصُّبْحُ يَطْرُدُ لِلظَّلَامِ ٱلْأَسْوَدِ
هٰذَا صَنِيعُ ٱللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... قَدْ أَتْقَنَ ٱلْأَشْيَاءَ حَتَّى نَهْتَدِي

١٨٣ زهريّة ابن الوكيع

أَلَسْتَ تَرَى وَشْيَ ٱلرَّبِيعِ تَنَمْنَمَا ... وَمَا صَنَعَ ٱلرَّبْعِيُّ فِيهِ وَنَظَّمَا
وَقَدْ حَكَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ بِنُورِهَا ... فَلَمْ أَرَ فِي ٱلتَّشْبِيهِ أَيُّهُمَا سَمَا
فَخُضْرَتُهَا كَٱلْجَوِّ فِي حُسْنِ لَوْنِهِ ... وَأَنْوَارُهَا تَحْكِي لِعَيْنَيْكَ أَنْجُمَا
فَمِنْ نَرْجِسٍ لَمَّا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ ... تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
وَأَبْدَى عَلَى ٱلْوَرْدِ ٱلْجَنِيِّ تَطَاوُلًا ... وَأَظْهَرَ غَيْظَ ٱلْوَرْدِ فِي خَدِّهِ دَمَا
وَزَهْرِ شَقِيقٍ نَازَعَ ٱلْوَرْدَ فَضْلَهُ ... فَزَادَ عَلَيْهِ ٱلْوَرْدُ فَضْلًا وَقُدِّمَا
فَظَلَّ لِفَرْطِ ٱلْحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ ... فَأَظْهَرَ فِيهِ ٱللَّطْمُ جَمْرًا مُضَرَّمَا
وَمِنْ سُوسَنٍ لَمَّا رَأَى ٱلصِّبْغَ دُونَهُ ... عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ ٱلرِّيَاضِ تَقَسَّمَا
تَجَلْبَبَ مِنْ زُرْقِ ٱلْيَوَاقِيتِ حُلَّةً ... فَأَغْرَبَ فِي ٱلْمَلْبُوسِ فِيهَا وَأَحْكَمَا
وَأَنْوَارَ مَنْثُورٍ يُخَالِفُ شَكْلَهَا ... فَصَارَ بِهَا شَكْلُ ٱلرَّبِيعِ مُنَمْنَمَا
جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِيهَا حَيَاتُهَا ... رَأَيْتَ بِهَا كُلَّ ٱلْمُلُوكِ مُخَتَّمَا

أَلْبَابُ ٱلْحَادِي عَشَرَ
فِي ٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ

وصف السيف

١٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٱلْحَلَبِيُّ يَصِفُ سَيْفًا ٱسْتَوْهَبَهُ: وَقَلَّدْتَنِي مِنَنًا سَيْفًا تَلْمَعُ مَخَايِلُ ٱلنَّصْرِ مِنْ غِمْدِهِ. وَتُشْرِقُ جَوَاهِرُ ٱلْفَتْحِ فِي فِرِنْدِهِ. وَإِذَا سَابَقَ ٱلْأَجَلَ إِلَى قَبْضِ ٱلنُّفُوسِ عَرَفَ ٱلْأَجَلُ قَدْرَهُ فَوَقَفَ عِنْدَ حَدِّهِ. وَمَتَى جَرَّدَهُ عَلَى مَالِكٍ مِنْ مُلُوكِ ٱلْعِدَى وَهَتْ عَزَائِمُهُ وَعَجَزَ جَنَاحُ جَيْشِهِ. قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ سِنَانَهُ ... شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ سَاطِعُ
تَقَاصَرَتِ ٱلْآجَالُ فِي طُولِ مَتْنِهِ ... وَعَادَتْ بِهِ ٱلْآمَالُ وَهْيَ فَجَائِعُ
وَسَاءَتْ ظُنُونُ ٱلْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ ... فَهُنَّ لِحَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ قَوَارِعُ
وَذِي شُطَبٍ تَقْضِي ٱلْمَنَايَا لِحُكْمِهِ ... وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي ٱلْمَنِيَّةُ دَافِعُ
فِرِنْدٌ إِذَا مَا ٱعْتَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ ... وَبَرْقٌ إِذَا مَا ٱهْتَزَّ بِٱلْكَفِّ لَامِعُ
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ ٱلْكُمَاةِ ٱنْسِلَالُهُ ... وَيَرْتَاعُ مِنْهُ ٱلْمَوْتُ وَٱلْمَوْتُ رَائِعُ
إِذَا مَا ٱلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ ... هُنَالِكَ ظَنُّ ٱلنَّفْسِ بِٱلنَّفْسِ وَاقِعُ

وصف سيف عمرو بن معدي كرب

١٨٥ وَلَمَّا صَارَ سَيْفُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ وَكَانَ يُسَمَّى ٱلصَّمْصَامَةَ إِلَى ٱلْهَادِي. وَكَانَ عَمْرٌو وَهَبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ فَتَوَارَثَهُ وَلَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ

ٱلْمَهْدِيُّ فَٱشْتَرَاهُ مُوسَى ٱلْهَادِي بِمَالٍ جَلِيلٍ . وَكَانَ أَوْسَعَ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ كَفًّا وَأَكْثَرَهُمْ عَطَاءً . وَدَعَا بِٱلشُّعَرَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِكْتَلٌ فِيهِ بَدْرَةٌ . فَقَالَ : قُولُوا فِي هٰذَا ٱلسَّيْفِ . فَبَدَرَ ٱبْنُ يَامِينَ ٱلْبَصْرِيُّ فَقَالَ :

حَازَ صَمْصَامَةَ ٱلزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْـ ... ـنِ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ مُوسَى ٱلْأَمِينُ

سَيْفُ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا ... خَيْرَ مَا أُغْمِدَتْ عَلَيْهِ ٱلْجُفُونُ

أَخْضَرُ ٱللَّوْنِ بَيْنَ خَدَّيْهِ بُرْدٌ ... مِنْ ذُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ ٱلْمَنُونُ

أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ ٱلصَّوَاعِقُ نَارًا ... ثُمَّ شَابَتْ بِهِ ٱلذُّعَافَ ٱلْقُيُونُ

فَإِذَا مَا سَلَلْتَهُ بَهَرَ ٱلشَّمْـ ... ـسَ ضِيَاءً فَلَمْ تَكَدْ تَسْتَبِينُ

مَا يُبَالِي مَنِ ٱنْتَضَاهُ لِحَرْبٍ ... أَشِمَالٌ سَطَتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ

يَسْتَطِيرُ ٱلْأَبْصَارَ كَٱلْقَبَسِ ٱلْمُشْـ ... ـعَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ ٱلْعُيُونُ

وَكَأَنَّ ٱلْفِرِنْدَ وَٱلْجَوْهَرَ ٱلْجَا ... رِي عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ

نِعْمَ مِخْرَاقُ ذَا ٱلْخَلِيفَةِ فِي ٱلْهَيْـ ... ـجَاءِ يُقْضَى بِهِ وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ

قَالَ مُوسَى : لَمْ يَتَعَدَّ مَا فِي نَفْسِي وَٱسْتَحَقَّهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِٱلْمِكْتَلِ وَٱلسَّيْفِ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِلشُّعَرَاءِ إِنَّمَا حُرِمْتُمْ بِي مِنْ أَجْلِي فَشَأْنُكُمُ ٱلْمِكْتَلُ وَفِي ٱلسَّيْفِ غَنَائِي (زهر الآداب للقيرواني)

١٨٦ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ سَيْفًا :

قَدْ جُدْتَ بِٱلطِّرْفِ ٱلْجَوَادِ فَثَنِّهِ ... لِأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمُفْصِلِ

يَتَنَاوَلُ ٱلرُّوحَ ٱلْبَعِيدَ مَنَالُهُ ... عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْفَلِ

بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ ... وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ

يَغْشَى ٱلْوَغَى فَٱلتِّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ ... مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ ... بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ ٱلرَّدَى فَإِذَا مَضَى ... لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ ... مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَذْبُلِ
وَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا ٱسْتَغْنَى بِهِ ٱلْـ ... زَحْفَانِ يَعْصِي بِٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ ... وَإِذَا أُصِيبَ فَمَالَهُ مِنْ مَقْتَلِ

وصف القلم

١٨٧ أَلْقَلَمُ هُوَ ٱلْيَرَاعُ ٱلَّذِي نُفِثَتِ ٱلْفَصَاحَةُ فِي رُوعِهِ . وَكُمِنَتِ ٱلشَّجَاعَةُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ . فَإِذَا قَالَ أَرَاكَ كَيْفَ نَسَقُ ٱلْفَرِيدِ فِي ٱلْأَجْيَادِ . وَإِذَا صَالَ أَرَاكَ كَيْفَ ٱلِٱخْتِلَافُ بَيْنَ ٱلْآسَادِ . وَلَهُ خَصَائِصُ أُخْرَى يُبْدِعُهَا إِبْدَاعًا . فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تَصَنُّعًا أَتَى هُوَ بِهَا صَنَاعًا . فَطَوْرًا يُرَى نَحْلَةً تَجْنِي عَسَلًا . وَطَوْرًا يُرَى إِمَامًا يُلْقِي دَرْسًا . وَطَوْرًا يُرَى وَرْقَاءَ تَصْدَحُ بَيْنَ ٱلْأَوْرَاقِ . وَطَوْرًا يُرَى جَوَادًا مُخَلَّقًا بِخَلُوقِ ٱلسِّبَاقِ . وَطَوْرًا يُرَى أُغْعُوَانًا مُطْرِقًا وَٱلْعَجَبُ أَنَّهُ لَا يُزْهَى إِلَّا عِنْدَ ٱلْإِطْرَاقِ . وَلَطَالَمَا نَفَثَ سِحْرًا وَجَلَبَ عِطْرًا . وَأَدَارَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ خَمْرًا . وَتَصَرَّفَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَعَانِي . فَلَا تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إِلَّا فَخَرَتْ عَلَى ٱلدُّوَلِ . وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْخَوَلِ . وَقَالَتْ : أَعْلَى ٱلْمَمَالِكِ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ لَا عَلَى ٱلْأَسَلِ . وَلَرُبَّمَا لُقِيَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ بِإِعْظَامِ ٱلنَّكِيرِ . وَقَالُوا : مِنْ أَيْنَ لِلْقَصَبَةِ ٱلضَّعِيفَةِ هٰذَا ٱلْخَطَرُ ٱلْكَبِيرُ . وَلِلْبَهَائِمِ عُذْرٌ أَنْ

لَا تَعْرِفُ مِنْ مَلَاذِّ الْأَطْعِمَةِ غَيْرَ الشَّعِيرِ وَلَوْ أَنْصَفَ هٰؤُلَاءِ لَعَلِمُوا أَنَّ الْقَلَمَ هُوَ مِزْمَارُ الْمَعَانِي . كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي النَّسَبِ مِزْمَارُ الْأَغَانِي . فَهٰذَا يَأْتِي بِغَرَائِبِ الْحِكَمِ . كَمَا يَأْتِي ذٰلِكَ بِغَرَائِبِ النَّغَمِ . وَكِلَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي الْإِطْرَابِ . غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَلْعَبُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْآخَرَ يَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ (*)

١٨٨ (قَالَ) وَقَدْ أَوْرَدْتُ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ فَصْلًا آخَرَ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ : وَقَلَمُهُ هُوَ الْقَلَمُ الَّذِي إِذَا قَذَفَ بِشُهُبِ بَيَانِهِ رَأَيْتَ نُجُومًا . وَإِذَا ضَرَبَ بِشَبَا حَدِّهِ رَأَيْتَ كُلُومًا . فَإِذَا صَوَّرَ الْمَعَانِيَ فِي أَلْفَاظِهَا رَأَيْتَ أَرْوَاحًا وَجُسُومًا . وَقَدْ شَرَّفَ اللّٰهُ دَوْلَةً يَجْلِسُ فِي حَفْلِهَا . وَيَخْطُبُ عَنْ أَهْلِهَا . فَهُوَ لَهَا فِي الْحُسْنِ طِرَازٌ . وَفِي الذَّبِّ عَضْبٌ جُرَازٌ . وَلَطَالَمَا قَالَ فَاسْتَخَفَّ مُوَقَّرًا وَكَسَا وَقَارًا . وَأَطَالَ

(*) قال ابن الأثير: في هذا الكلام معانٍ مأخوذةٌ من الشعر ومعانٍ مُبتَدَعَةٌ لم يسبقني اليها شاعرٌ ولا كاتبٌ . فأمَّا التي في الشعر . فمنها قول أبي عبادة البحتريّ وهو:

في نظامٍ من البلاغة ما شكَّ م امرؤٌ أنَّهُ نظامٌ فريدُ

ومنها قولهُ أيضًا :

طِعانٌ بأطراف القوافي كأنَّهُ طعانٌ بأطراف القنا المُتكسِّرِ

ومنها قول أبي الطيب المتنبي :

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسَلِ والطعنُ عندَ مُحبّيهنَّ كالقُبَلِ

وأمَّا الذي ابتدعتهُ ولم أُسبَق اليهِ فهو اني جعلت القلم مِزمار المعاني كما أن أخاهُ في النسب مِزمارُ الأغاني وذاك ان كليهما قصبة . ولهذا جعلتُ المِزمار الموضوع للقتال أخا القلم في النسب وجعلت معاني هذا كنَغَم هذا. وأمَّا الأوصاف الباقية التي ذكرتها في كونهِ نحلةً وشَفَةً وإماماً فاني لم اسمعها وإن كنت قد سُبقت اليها وهذه الأوصاف المجموعة ههنا في ذكر القلم لا تجدها في كلام آخر غير هذا الكلام

فَوَجَدتَ إِطَالَتَهُ لِحَلاوَتِهَا إِقصَارًا . وَادَّعى ٱلِانْفِرَادَ بِهٰذِهِ ٱلْمَزِيَّةِ فَأَقَرَّتْ لَهُ ٱلْأَعْدَاءُ إِقرَارًا . وَكُلُّ هٰذَا فَضْلٌ لِقَلَمِهِ غَيْرُ مَدْفُوعٍ . وَشَاهِدُهُ مَرْئِيٌّ لَدَيْهِ وَإِنَّ غَدًا قَبْلَهُ وَهُوَ مَسْمُوعٌ . وَفِي طَلْعَةِ ٱلْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلَ . فَأَقْوَالُ غَيْرِهِ مُنْتَقَلَةٌ عَنْ أَوَّلٍ إِلَى آخِرٍ وَٱلَّذِي يَقُولُهُ لَمْ يُقَلْ . فَهُوَ رَبُّ ٱلْمَعَانِي ٱلْمُخْتَرَعَةِ يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ قَلْبِهَا . وَيُبْرِزُهَا مِنْ ثَوْبِهَا ٱلْقَشِيبِ وَلَيْسَ خَالِقُ ٱلْأَثْوَابِ كَقَشِيبِهَا . وَقَدْ أَمْسَكَ ٱلْقَلَمَ قَوْمٌ رَضُوا مِنَ ٱلْكِتَابَةِ بِتَحْسِينِ ٱلسُّطُورِ . وَإِذَا أَتَى أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلسَّجْعِ فَذٰلِكَ هُوَ ٱلْكَاتِبُ ٱلْمَشْهُورُ . وَهٰؤُلَاءِ قَصَرُوا هِمَمَهُمْ عَلَى ٱلزَّيْفِ دُونَ ٱللُّبَابِ . وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْقِشْرَ لِذَوِي ٱلْقُشُورِ وَٱللُّبَّ لِذَوِي ٱلْأَلْبَابِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مِنَ ٱلْأَقْلَامِ رَحْمَةً فِي كَفِّ رَحْمَةٍ وَعِقَابًا فِي كَفِّ عُقَابٍ (هٰذَا فَصْلٌ مِنَ ٱلْكَلَامِ قَدِ ٱغْتَرَفَتْ مَعَانِيهِ مِنْ بَحْرٍ . وَنُحِتَتْ أَلْفَاظُهُ مِنْ صَخْرٍ . فَتَقَتْ مَعَانِيهِ مِنْ صِوَارِ مِسْكٍ . وَأَخَذَتْ أَلْفَاظُهُ مِنْ فَرِيدِ سِلْكٍ . بَلْ جُنِيَتْ مَعَانِيهِ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفٍ طَعْمُهَا . وَنُسِجَتْ أَلْفَاظُهُ مِنْ دَبَابِيجَ مُؤْتَلِفٍ رَقْمُهَا فَٱنْظُرْ أَيُّهَا ٱلْمُتَأَمِّلُ إِلَيْهَا نَظَرَ ٱلْمُتَعَجِّبِ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْإِعْجَابِ . وَٱسْجُدْ لَهَا فَلِلْبَلَاغَةِ سُجُودٌ كَسُجُودِ ٱلْكِتَابِ) (الوشي المرقوم لابن الأثير)

١٨٩ قال بعض الكتاب يصف محبرة

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى ٱلْمُحَدِّثِ آنِفًا وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِبَاءٌ رُتَّعٌ وَإِذَا ظِبَاءُ ٱلْإِنْسِ تَكْتُبُ كُلَّ مَا يُمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ

يَتَجَاذَبُونَ ٱلْخَبَرَ مِنْ مَلْمُومَةٍ بَيْضَاءَ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعُ
مِنْ خَالِصِ ٱلْبِلَّوْرِ غَيَّرَ لَوْنَهَا فَكَأَنَّهَا سَبَجٌ يَلُوحُ وَيَلْمَعُ
إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِيكُهَا فِيمَا حَوَتْهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرَشْفِ رُضَابِهَا أَدَّاهُ فُوهَا وَهْيَ لَا تَتَمَنَّعُ
وَكَأَنَّهَا قَلْبِي يَضَنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْدَعُ
يَمْتَاحُهَا مَاضِي ٱلشَّبَابِ مُذَلَّقٌ يَجْرِي بِمَيْدَانِ ٱلطُّرُوسِ فَيُسْرِعُ
رِجْلَاهُ رَأْسٌ عِنْدَهُ لَكِنَّهُ يَلْقَاهُ بَرْدُ حَفَاهُ سَاعَةَ يُقْطَعُ
لِمْ لَا أُلَاحِظُهُ بِعَيْنِ جَلَالَةٍ وَبِهِ إِلَى ٱللهِ ٱلصَّحَائِفُ تُرْفَعُ

وصف الشعر لعبد الله الناشيء

١٩٠ قَالَ ٱلنَّاشِئُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي ٱلشِّعْرِ: أَلشِّعْرُ قَيْدُ ٱلْكَلَامِ وَعِقَالُ ٱلْآدَابِ. وَسُورُ ٱلْبَلَاغَةِ. وَمَعْدِنُ ٱلْبَرَاعَةِ. وَمَجَالُ ٱلْجَنَانِ. وَمَسْرَحُ ٱلْبَيَانِ. وَذَرِيعَةُ ٱلْمُتَوَسِّلِ. وَوَسِيلَةُ ٱلْمُتَوَصِّلِ. وَذِمَامُ ٱلْغَرِيبِ. وَحُرْمَةُ ٱلْأَدِيبِ. وَعِصْمَةُ ٱلْهَارِبِ. وَعُدَّةُ ٱلرَّاهِبِ. وَرِحْلَةُ ٱلدَّانِي. وَدَوْحَةُ ٱلْمُتَمَثِّلِ. وَمِنْحَةُ ٱلْمُتَجَمِّلِ. وَحَاكِمُ ٱلْإِعْرَابِ. وَشَاهِدُ ٱلصَّوَابِ. (ثُمَّ قَالَ): أَلشِّعْرُ مَا كَانَ سَهْلَ ٱلْمَطَالِعِ. فَصْلَ ٱلْمَقَاطِعِ. فَحْلَ ٱلْمَدِيحِ جَزْلَ ٱلْافْتِخَارِ. رَقِيقَ ٱلنَّسِيبِ سَائِرَ ٱلْمَثَلِ. سَلِيمَ ٱلزَّلَلِ. عَدِيمَ ٱلْخَلَلِ. رَائِعَ ٱلْهِجَاءِ. مُوجِبَ ٱلْمَعْذِرَةِ. مُحِبَّ ٱلْمَعْتَبَةِ. مُطْمِعَ ٱلْمَسَالِكِ. فَائِتَ ٱلْمَدَارِكِ. قَرِيبَ ٱلْبَيَانِ. بَعِيدَ ٱلْمَعَانِي. نَائِيَ ٱلْأَغْوَارِ. ضَاحِيَ ٱلْقَرَارِ. نَقِيَّ ٱلْمُسْتَشَفِّ. قَدْ

هُرِيقَ فِيهِ مَاءُ ٱلْفَصَاحَةِ . وَأَضَاءَ لَهُ نُورُ ٱلزُّجَاجَةِ . فَأَنْهَلَّ فِي صَادِي ٱلْفَهْمِ . وَأَضَاءَ فِي بُهَمِ ٱلْمَرَانِي لِمُتَأَمِّلِهِ مِنْ فَرْقٍ وَلِمُسْتَشِفِّهِ تَأَلُّقَ بُرُوقِ ٱلْمُتَوَسِّمِ . وَيَسُرُّ ٱلْمُتَبَرِّسِمَ . قَدْ أَيَّدَتْ صُدُورُهُ مُتُونَهُ . وَزَهَتْ فِي وُجُوهِهِ عُيُونُهُ . وَٱنْقَادَتْ كَوَاهِلُهُ لِهَوَادِيهِ . وَطَابَقَتْ آثَارُهُ لِمُسْتَوْضِحِهِ . وَأَشْبَهَ ٱلرَّوْضَ فِي وَشْيِ أَلْوَانِهِ . وَتَعَمُّمِ أَفْنَانِهِ . وَإِشْرَاقِ أَنْوَارِهِ . وَٱبْتِهَاجِ أَنْجَادِهِ وَأَغْوَارِهِ . وَأَشْبَهَ ٱلْوَشْيَ فِي ٱتِّفَاقِ رُقُومِهِ . وَٱتِّسَاقِ رُسُومِهِ . وَتَسْطِيرِ كُفُوفِهِ . وَتَحْبِيرِ حُرُوفِهِ . وَحَكَى ٱلْعِقْدَ فِي ٱلْتِئَامِ فُصُولِهِ . وَٱنْتِظَامِ وُصُولِهِ . وَٱزْدِيَانِ يَاقُوتِهِ بِدُرِّهِ . وَفَرِيدِهِ بِشَذْرِهِ . قَدْ كَشَفَ ٱلْإِيجَازُ مَوَارِدَهُ . وَصَقَلَتْ مَدَاوِسُ ٱلذَّرْبِ مَنَاصِلَهُ . وَشَحَذَتْ مَدَارِسُ ٱلْأَدَبِ فَوَاصِلَهُ . فَجَاءَ سَلِيمًا مِنَ ٱلْمَعَايِبِ مُهَذَّبًا مِنَ ٱلْأَدْنَاسِ يَتَحَاشَاهُ ٱلْأَبَنُ . وَتَتَحَاشَاهُ ٱلْهُجْنُ . مُهْدِيًا إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ بَهْجَتَهُ . وَإِلَى ٱلْعُقُولِ حِكْمَتَهُ . وَقَدْ قُلْتُ فِي ٱلشِّعْرِ قَوْلًا جَعَلْتُهُ مَثَلًا لِقَائِلِيهِ . وَأُسْلُوبًا لِسَالِكِيهِ . وَهُوَ :

أَلشِّعْرُ مَا قَوَّمْتَ زَيْغَ صُدُورِهِ ... وَشَدَدْتَ بِٱلتَّهْذِيبِ أَسْرَ مُتُونِهِ
وَرَأَبْتَ بِٱلْإِطْنَابِ شَعْبَ صُدُوعِهِ ... وَفَتَحْتَ بِٱلْإِيجَازِ عُورَ عُيُونِهِ
وَجَمَعْتَ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ ... وَوَصَلْتَ بَيْنَ مُجَمِّهِ وَمَعِينِهِ
وَعَهِدْتَ مِنْهُ لِكُلِّ أَمْرٍ يَقْتَضِي ... شَبَهًا بِهِ فَقَرَنْتَهُ بِقَرِينِهِ
فَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ ٱلدِّيَارَ وَأَهْلَهَا ... أَجْرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شُئُونِهِ
وَوَكَلْتَهُ بِهُمُومِهِ وَغُمُومِهِ ... دَهْرًا وَلَمْ يَسْرِ ٱلْكَرَى بِجُفُونِهِ

وَإِذَا مَدَحتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا ... وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ
أَصْفَيْتَهُ بِنَفِيسِهِ وَرَصِينِهِ ... وَمَنَحْتَهُ بِخَطِيرِهِ وَثَمِينِهِ
فَيَكُونُ جَزْلًا فِي ٱتِّفَاقِ صُنُوفِهِ ... وَيَكُونُ سَهْلًا فِي ٱتِّسَاقِ فُنُونِهِ
وَإِذَا أَرَدتَّ كِنَايَةً عَنْ رِيبَةٍ ... بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ
فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ ... بِبَيَانِهِ وَظُنُونَهُ بِيَقِينِهِ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ ... أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنِسًا بِدَمَاثَةٍ ... مُسْتَيْئِسًا لِرُعُونِهِ وَحُزُونِهِ
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى ٱلَّذِي عُلِّقْتَهُ ... إِنْ صَدَّ عَنْكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤُونِهِ
تَيَّمْتَهُ بِلَطِيفِهِ وَدَقِيقِهِ ... وَشَغَفْتَهُ بِخَبِيئِهِ وَكَمِينِهِ
وَإِذَا ٱعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ ... وَاشَكَلْتَ بَيْنَ مُحِيلِهِ وَمُبِينِهِ
فَيَحُولُ ذَنْبُكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُّهُ ... عَتَبًا عَلَيْهِ مُطَالَعًا بِيَمِينِهِ
وَٱلْقَوْلُ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَنْثُورِهِ ... مَا لَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَوْزُونِهِ

١٩١ قال ابن الرشيق يصف الصناعة الشعريّة

لَعَنَ ٱللّٰهُ صَنْعَةَ ٱلشِّعْرِ مَاذَا ... مِنْ صُنُوفِ ٱلْجُهَّالِ فِيهَا لَقِينَا
يُؤْثِرُونَ ٱلْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا ... كَانَ سَهْلًا لِلسَّامِعِينَ مُبِينَا
وَيَرَوْنَ ٱلْمُحَالَ مَعْنًى صَحِيحًا ... وَخَسِيسَ ٱلْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينَا
يَجْهَلُونَ ٱلصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْ ... رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا
فَهُمُ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُو ... نَ وَفِي ٱلْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا
إِنَّمَا ٱلشِّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي ٱلنَّظْـ ... ـمِ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلصِّفَاتِ فُنُونَا

فَأَتى بَعْضُهُ يُشاكِلُ بَعْضاً وَأَقامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتُونَا
كُلُّ مَعْنًى أَتاكَ مِنْهُ عَلى ما تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونا
فَتَناهى مِنَ الْبَيانِ إِلى أَنْ كادَ حُسْناً يَبِينُ لِلنّاظِرِينا
فَكَأَنَّ الأَلْفاظَ مِنْهُ وُجُوهٌ وَالْمَعانِي رُكِّبْنَ فِيهِ عُيُونا
فَإِنَّما فِي الْمَرامِ حَسْبَ الأَمانِي يَتَحَلّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشِدُونا
فَإِذا ما مَدَحْتَ بِالشِّعْرِ حُرًّا رُمْتَ فِيهِ مَذاهِبَ الْمُسْهِبِينا
فَجَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلاً قَرِيباً وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقاً مُبِينا
وَتَنَكَّبْتَ ما تُهَجِّنُ فِي السَّمْعِ وَإِنْ كانَ لَفْظُهُ مَوْزُونا
وَإِذا ما قَرَضْتَهُ بِهِجاءٍ عِبْتَ فِيهِ مَذاهِبَ الْمُرْفِثِينا
فَجَعَلْتَ التَّصْرِيحَ مِنْهُ دَواءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيضَ داءً دَفِينا
وَإِذا ما بَكَيْتَ فِيهِ عَلى الْغا دِينَ يَوْماً لِلْبَيْنِ وَالظّاعِنِينا
حُلْتَ دُونَ الأَسى وَذَلَّلْتَ ما كا نَ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعُيُونِ مَصُونا
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عاتِباً شُبْتَ بِالْوَعْـ ـدِ وَعِيداً وَبِالصُّعُوبَةِ لِينا
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ حَذِراً آمِناً عَزِيزاً مَهِينا
وَأَصَحُّ الْقَرِيضِ ما فاتَ فِي النَّظْـ ـمِ وَإِنْ كانَ واضِحاً مُسْتَبِينا
فَإِذا قِيلَ أَطْمَعَ النّاسَ طُرًّا وَإِذا رِيمَ أَعْجَزَ الْمُعْجِزِينا

جرير والفرزدق والأخطل

١٩٣ قالَ هِشامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِخالِدِ بْنِ صَفْوانَ صِفْ لِي جَرِيراً وَالْفَرَزْدَقَ وَالأَخْطَلَ فَقالَ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمّا أَعْظَمُهُمْ فَخْراً .

وَأَبعدهم ذِكرًا . وَأَحسنهم عذرًا . وَأَيسرهم مثلًا . وَأَحلاهم عِللًا .
ٱلبحرُ الطَّامِي إِذَا زَخرَ . وَٱلحَامِي إِذَا ذعِرَ . وَٱلسَّامِي إِذَا خطرَ . ٱلَّذِي
إِذَا هدرَ قَالَ . وَإِذَا خطرَ صَالَ . ٱلفَصِيحُ ٱللِّسَانِ . ٱلطَّوِيلُ ٱلعِنَانِ .
فَٱلفَرَزْدَقُ . وَأَمَّا أَحسَنُهم نعتًا . وَأَمدحهم بيتًا . وَأَقلهم فوتًا . ٱلَّذِي
إِذَا هجا وضعَ . وَإِذَا مدحَ رفعَ . فَٱلأَخطَلُ . وَأَمَّا أَغزرهم بحرًا .
وَأَفهمهم شِعرًا . وَأَكثرهم ذِكرًا . ٱلأَغَرُّ ٱلأَبلَقُ . ٱلَّذِي إِن طَلَبَ لَمْ
يُسبَقْ . وَإِن طُلِبَ لَمْ يُلحَقْ . فَجَرِيرٌ . وَكُلُّهم ذَكِيُّ ٱلفُؤَادِ . رَفِيعُ ٱلعِمَادِ .
وَارِي ٱلزِّنَادِ . قَالَ مَسلَمَةُ بنُ عَبدِ ٱلمَلِكِ وَكَانَ حَاضِرًا : مَا سَمِعنَا بِمِثلِكَ
يَا ٱبنَ صَفوَانَ فِي ٱلأَوَّلِينَ . وَلَا فِي ٱلآخِرِينَ . أَشهَدُ أَنَّكَ أَحسَنُهم
وَصفًا . وَأَلينُهم عِطفًا . وَأَخفُّهم مقَالًا . وَأَكرَمُهم فِعَالًا . فَقَالَ خَالِدٌ :
أَتَمَّ ٱللهُ عَلَيكَ نِعمَتَهُ . وَأَجزَلَ لَكَ قِسمَتَهُ . أَنتَ وَٱللهِ أَيُّهَا ٱلأَمِيرُ مَا
عَلِمتُ كَرِيمُ ٱلغِرَاسِ . عَالِمٌ بِٱلنَّاسِ . جَوَادٌ فِي ٱلمَحلِ . بَسَّامٌ عِندَ ٱلبَذلِ .
حَلِيمٌ عِندَ ٱلطَّيشِ . فِي ٱلذِّروَةِ مِن قُرَيشٍ . مِن أَشرَافِ عَبدِ شَمسٍ .
وَيَومُكَ خَيرٌ مِنَ ٱلأَمسِ . فَضَحِكَ هِشَامٌ وَقَالَ : مَا رَأَيتُ يَا ٱبنَ
صَفوَانَ لِتَخَلُّصِكَ فِي مَدحِ هٰؤُلَاءِ وَوَصفِهِم حَتَّى أَرضَيتَهُم جَمِيعًا
وَسَلِمتَ مِنهُم (زهر الآداب للقيرواني)

وصف التاريخ

١٩٣ أَلتَّأرِيخُ مَعَادٌ مَعنَوِيٌّ يُعِيدُ ٱلأَعصَارَ وَقَد سَلَفَت . وَيَنشُرُ
أَهلَهَا وَقَد ذَهَبَت آثَارُهُم وَعَفَت . وَبِهِ يَستَفِيدُ عُقُولَ ٱلتَّجَارِبِ مَن

كَانَ غُرًّا . وَيلْقَى مَن بَعْدَهُ مِنَ الأُمَمِ وَهَلُمَّ جرًّا . فَهُمْ لَدَيهِ أَحْيَاءٌ وَقَدْ تَضَمَّنَتْهُمْ بُطُونُ القُبُورِ . وَعَنْهُ غَيبٌ وَقَدْ جَعَلَتْهُمُ الأَخْبَارُ فِي عِدَادِ الحُضُورِ . وَلَوْلَا التَّارِيخُ لَجُهِلَتِ الأَنْسَابُ . وَنُسِيَتِ الأَحْسَابُ وَلَمْ يَعْلَمِ الإِنْسَانُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تُرَابٍ . وَكَذَلِكَ لَوْلَاهُ لَمَاتَتِ الدُّوَلُ بِمَوْتِ زُعَمَائِهَا . وَعَمِيَ عَلَى الأَوَاخِرِ حَالُ قُدَمَائِهَا . وَلَمْ يُحَطْ عِلْمًا بِمَا تَدَاوَلَتْهُ الأَرْضُ مِنْ حَوَادِثِ سَمَائِهَا . وَلِمَكَانِ العِنَايَةِ بِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ اللهِ المُنَزَّلَةِ . فَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ المُجْمَلَةِ . وَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ المُفَصَّلَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوْرَاةِ مُفْرَدًا فِي سِفْرٍ مِنْ أَسْفَارِهَا . وَتَضَمَّنَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ وَمُدَدَ أَعْمَارِهَا . وَقَدْ كَانَتِ العَرَبُ عَلَى جَهْلِهَا بِالقَلَمِ وَخَطِّهِ . وَالكِتَابِ وَضَبْطِهِ . تَصْرِفُ إِلَى التَّوَارِيخِ جُلَّ دَوَاعِيهَا . وَتَجْعَلُ لَهَا أَوَّلَ حَظٍّ مِنْ مَسَاعِيهَا . فَتَسْتَغْنِي بِحِفْظِ قُلُوبِهَا . عَنْ حِفْظِ مَكْتُوبِهَا . وَتَعْتَاضُ بِرَقْمِ صُدُورِهَا . عَنْ رَقْمِ سُطُورِهَا . كُلُّ ذَلِكَ عِنَايَةٌ مِنْهَا بِأَخْبَارِ أَوَائِلِهَا . وَأَيَّامِ فَضَائِلِهَا . وَهَلِ الإِنْسَانُ إِلَّا مَا أَسَّسَهُ ذِكْرُهُ وَبَنَاهُ . وَهَلِ البَقَاءُ لِصُورَةِ لَحْمِهِ وَدَمِهِ لَوْلَا بَقَاءُ مَعْنَاهُ (*) (لابن الأثير)

(*) وفي هذا الكلام شيء من شعر الحماسة وهو:

وإذا الفتى لاقى الحِمامَ وجدتَهُ ... لولا الثناءُ كأنَّهُ لم يُولَدِ . اه

وما أحسن ما قيل في التأريخ:

ليس بإنسانٍ ولا عاقلٍ ... مَن لا يَعي التاريخَ في صَدْرِهِ

ومَن درى أخبارَ مَن قبلَهُ ... أضاف أعمارًا الى عمرِهِ

ٱلْبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلْوَصْفِ

وصف نزهة

١٩٤ حَكَى عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْمُطَّوِّعِيُّ قَالَ: رَأَى ٱلْأَمِيرُ ٱلسَّيِّدُ أَبُو ٱلْفَضْلِ عُبَيْدُ ٱللّٰهِ بْنُ أَحْمَدَ أَدَامَ ٱللّٰهُ عِزَّهُ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِجُوَيْنَ أَنْ يُطَالِعَ قَرْيَةً مِنْ قُرَى ضِيَاعِهِ تُدْعَى بُجَابَ عَلَى سَبِيلِ ٱلتَّنَزُّهِ وَٱلتَّفَرُّجِ. فَكُنْتُ فِي جُمْلَةِ مَنِ ٱسْتَصْحَبَهُ إِلَيْهَا مِنْ أَصْحَابِهِ. وَٱتَّفَقَ أَنَّا وَصَلْنَا وَٱلسَّمَاءُ مُصْحِيَةٌ وَٱلْجَوُّ صَافٍ لَمْ يُطَرِّزْ ثَوْبَهُ بِعَلَمِ ٱلْغَمَامِ. وَٱلْأُفُقُ فَيْرُوزَجٌ لَمْ يَعْبَقْ بِهِ كَافُورُ ٱلسَّحَابِ. فَوَقَعَ ٱلِٱخْتِيَارُ عَلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ بَاسِقَةِ ٱلْفُرُوعِ مُتَّسِقَةِ ٱلْأَوْرَاقِ وَٱلْغُصُونِ. قَدْ سَتَرَتْ مَا حَوَالَيْهَا مِنَ ٱلْأَرْضِ طُولًا وَعَرْضًا. فَنَزَلْنَا تَحْتَهَا مُسْتَظِلِّينَ بِسَمَاوَةِ أَفْنَانِهَا. مُسْتَتِرِينَ مِنْ وَهَجِ ٱلشَّمْسِ بِسِتَارَةِ أَغْصَانِهَا. وَأَخَذْنَا نَتَجَاذَبُ أَذْيَالَ ٱلْمُذَاكَرَةِ. وَنَتَسَالَبُ أَهْدَابَ ٱلْمُنَاشَدَةِ وَٱلْمُحَاوَرَةِ. فَمَا شَعَرْنَا بِٱلسَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ أَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ. وَأَظْلَمَتْ بَعْدَ مَا أَشْرَقَتْ. ثُمَّ جَادَتْ بِمَطَرٍ كَأَفْوَاهِ ٱلْقِرَبِ فَأَجَادَتْ. بَلْ أَوْفَتْ عَلَيْهَا وَزَادَتْ. حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْثًا. وَهَمَّ وَبْلُهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيْلًا. فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا وَقُلْنَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تُقْشَعُ. فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرَتْنَا بَرَدًا كَٱلثُّغُورِ. لٰكِنَّهَا مِنْ ثُغُورِ ٱلْعَذَابِ. لَا مِنَ ٱلثُّغُورِ ٱلْعِذَابِ. فَأَيْقَنَّا بِٱلْبَلَاءِ. وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ ٱلْقَضَاءِ. فَمَا مَرَّتْ

إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ. حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ. وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَا. وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقِيعَانَ وَالرُّبَا. فَبَادَرْنَا إِلَى حِصْنِ الْقَرْيَةِ لَائِذِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَتِهَا. وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَتِهَا. وَأَثْوَابُنَا قَدْ صَنْدَلَ كَافُورِيَّهَا مَاءُ الْوَبْلِ. وَغَلَّفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ. وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ. وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكْمَامِ وَالْأَرْدَانِ. فَلَمَّا سُلَّ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ. وَصُرِفَ بِوَالِي الصَّحْوِ عَامِلُ الْغَمَامِ. رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا رَفْضًا. وَنَتَّخِذَ الْاِرْتِحَالَ عَنْهَا فَرْضًا. فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارِيَ أَرْضًا فَأَرْضًا. إِلَى أَنْ وَافَيْنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكْضًا. فَلَمَّا نَفَضْنَا غُبَارَ ذٰلِكَ الْمَسِيرِ. الَّذِي جَمَعَنَا فِي رِبْقَةِ الْأَسِيرِ. وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ. بَعْدَ مَا أُصِبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ. وَتَذَاكَرْنَا مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ. فِي قَطْعِ ذٰلِكَ الطَّرِيقِ وَطَيِّ تِلْكَ الشُّقَّةِ. أَخَذَ الْأَمِيرُ السَّيِّدُ الْقَلَمَ فَعَلَّقَ هٰذِهِ الْأَبْيَاتَ ارْتِجَالًا:

دَهَتْنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ ... بِغَيْثٍ عَلَى أُفْقِهِ مُسْبِلِ

وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ ... عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضِلِ

فَمِنْ لَائِذٍ بِفِنَاءِ الْجِدَارِ ... وَآوٍ إِلَى نَفَقٍ مُهْمَلِ

وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي الْغَرِيقَ ... هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلِ

وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ ... بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يُهْمَلِ

كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى ... يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ

وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ ... فَأَدْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْمُقْبِلِ

فَيَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَ مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ
فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمِنْ مَعْلَمٍ عَادَ كَالْمَجْهَلِ
كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ

١٩٥ لابن حجة الحموي يصف حماة ويتشوق اليها

يَا صَادِقَ الْأَنْفَاسِ يَا أَهْلَ الذَّكَا يَا طَاهِرَ الْأَذْيَالِ كَمْ لَكَ مِنْ نَبَا
يَا نَسْمَةَ الْخَيْرِ الَّذِي مِنْ طِيبِهِ نَتَنَشَّقُ الْأَخْبَارَ عَنْ تِلْكَ الرُّبَا
وَإِذَا تَنَسَّمْتَ الشَّذَا وَتَعَطَّرَتْ مِنْكَ الذُّيُولُ وَطِبْتَ يَا رِيحَ الصَّبَا
عَرِّجْ عَلَى وَادِي حَمَاةَ بِسُحْرَةٍ مُتَيَمِّمًا مِنْهُ صَعِيدًا طَيِّبَا
وَاحْمِلْ لَنَا فِي طَيِّ بُرْدِكَ نَشْرَهُ فَبِغَيْرِ ذَاكَ الطِّيبِ لَنْ نَتَطَيَّبَا
وَأَسْرِعْ إِلَيَّ وَدَاوِ فِي مِصْرٍ بِهِ قَلْبًا عَلَى نَارِ الْبِعَادِ مُقَلَّبَا
لِلَّهِ ذَاكَ السَّفْحُ وَالْوَادِي الَّذِي مَا زَالَ رَوْضُ الْأُنْسِ فِيهِ مُخْصِبَا
وَأَنْعَمْ بِمِصْرٍ نِسْبَةً لٰكِنْ أَرَى وَادِي حَمَاةَ وَلُطْفَهُ لِي أَنْسَبَا
أَرْضٌ رَضِعْتُ بِهَا ثُدِيَّ شَبِيبَتِي وَمَزَجْتُ لَذَّاتِي بِكَاسَاتِ الصِّبَا
يَا سَاكِنِي مَغْنَى حَمَاةَ وَحَقِّكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا ذُقْتُ عَيْشًا طَيِّبَا
وَمَهَالِكُ الْحِرْمَانِ تَمْنَعُ عَبْدَكُمْ مِنْ أَنْ يَنَالَ مِنَ التَّلَاقِي مَطْلَبَا
وَإِذَا اشْتَهَيْتُ السَّيْرَ نَحْوَ دِيَارِكُمْ قَرَأَ النَّوَى لِي فِي الْأَوَاخِرِ مِنْ سَبَا
وَقَدِ الْتَفَتُّ إِلَيْكَ يَا دَهْرِي بِطُو لِ تَعَتُّبِي وَيَحِقُّ لِي أَنْ أَعْتَبَا
قَرَّرْتَ لِي طُولَ الشَّتَاتِ وَظِيفَةً وَجَعَلْتَ دَمْعِي فِي الْخُدُودِ مُرَتَّبَا
وَأَسَرْتَنِي لٰكِنْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ يَا دَهْرُ كُنْ فِي مَخْلَصِي مُتَسَبِّبَا

فَمُحَمَّدٌ وَمَدِينَةٌ قَدْ حَلَّهَا لَمْ أَلْقَ غَيْرَهُمَا لِقَلْبِي مَطْلَبَا

وصف الخيل

١٩٦ أَهْدَى عَبْدُ ٱللهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ فَرَسًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَرَسٍ يَلْحَقُ ٱلْأَرَانِبَ فِي ٱلصَّعْدَاءِ. وَيُجَاوِزُ ٱلظِّبَاءَ فِي ٱلِٱسْتِوَاءِ. وَيَسْبِقُ فِي ٱلْحُدُورِ جَرْيَ ٱلْمَاءِ كَمَا قَالَ تَأَبَّطَ شَرًّا:

وَيَسْبِقُ وَفْدَ ٱلرِّيحِ مِنْ حَيْثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شِدَّةِ ٱلْمُتَدَارَكِ

جَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْكَلَامَيْنِ وَزَادَ فِيهِ فَقَالَ يَصِفُ فَرَسًا: هُوَ حَسَنُ ٱلْقَمِيصِ. جَيِّدُ ٱلْفُصُوصِ. وَثِيقُ ٱلْقَصَبِ. نَقِيُّ ٱلْعَصَبِ. يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ. وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ. وَيُدَاخِلُ بِرِجْلَيْهِ. كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ يُنَاهِبُ ٱلْمَشْيَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ. وَيَلْحَقُ ٱلْأَرَانِبَ فِي ٱلصَّعْدَاءِ. وَيُجَاوِزُ جَوَارِيَ ٱلظِّبَاءِ فِي ٱلِٱسْتِوَاءِ. وَيَسْبِقُ فِي ٱلْحُدُورِ جَرْيَ ٱلْمَاءِ. إِنْ عَطَفَ جَارَ. وَإِنْ أُرْسِلَ طَارَ. وَإِنْ كُلِّفَ ٱلسَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ. وَإِنْ حُبِسَ صَفَنَ. وَإِنِ ٱسْتُوقِفَ قَطَنَ. وَإِنْ رُعِيَ أَبَنَّ. قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

مَا مُقْرَبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلْآنَ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ
بِحَوَافِرٍ حُفْرٍ وَصُلْبٍ أَصْلَتٍ وَأَشَاعِرٍ شُعْرٍ وَخَلْقٍ أَخْلَقِ
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ ٱلْأَوْلَقِ
صَافِي ٱلْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ لَوْ عُلِّقَتْ فِي صَهْوَتَيْهِ ٱلْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ

مُسْوَدُّ شَطْرٍ مِثْلَ مَا ٱسْوَدَّ ٱلدُّجَى ... مُبْيَضُّ شَطْرٍ كَٱبْيِضَاضِ ٱلْمُهْرَقِ

١٩٧ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ ٱلنَّهْرَوَانِيُّ لِأَبِي دُلَفَ وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يُسَمِّيهِ غُرَابًا :

كَمْ كَمْ تُجَرِّعُهُ ٱلْمَنُونَ وَيَسْلَمُ ... لَمْ يَسْتَطِعْ شَكْوًا إِلَيْكَ لَهُ ٱلْفَمُ

مِنْ كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ ... خَطٌّ يُنَمِّقُهُ ٱلْحُسَامُ ٱلْمِخْذَمُ

مَا تُدْرِكُ ٱلْأَرْوَاحُ أَدْنَى جَرْيِهِ ... حَتَّى يَفُوتَ ٱلرِّيحَ وَهْوَ مُقَدَّمُ

رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ ٱلْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا ... وَٱللَّوْنُ أَدْهَمُ حِينَ ضَرَّجَهُ ٱلدَّمُ

وَكَأَنَّمَا عَقَدَ ٱلنُّجُومَ بِطَرْفِهِ ... وَكَأَنَّمَا بِعُرَى ٱلْمَجَرَّةِ مُلْجَمُ

١٩٨ قال أبو نصر بن مُرّ التميميّ السعديّ وكان شاعرًا مُجيدًا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ولهُ في سيف الدولة بن حمدان غُرَر القصائد ونُخَب المدائح وكان قد أعطاهُ فرسًا أدهم أغرّ محجّلًا فكتب اليهِ:

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَخْلَاقُهُ ... مِنْ خَلْقِهِ وَرُوَاؤُهُ مِنْ رَأْيِهِ

قَدْ جَاءَنَا ٱلطِّرْفُ ٱلَّذِي أَهْدَيْتَهُ ... هَادِيهِ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ

يَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... مَاءُ ٱلدَّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ ٱلصَّبَاحُ جَبِينَهُ ... فَٱقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

مُتَمَهِّلًا وَٱلْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... مُتَبَرِّقِعًا وَٱلْحُسْنُ مِنْ أَكْفَائِهِ

مَا كَانَتِ ٱلنِّيرَانُ تَكْمُنُ حَرَّهَا ... لَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ

لَا تَعْلَقُ ٱلْأَلْحَاظُ فِي أَعْطَافِهِ ... إِلَّا إِذَا كَفْكَفْتَ مِنْ غُلَوَائِهِ

لَا يُكْمِلُ ٱلطِّرْفُ ٱلْمَحَاسِنَ كُلَّهَا ... حَتَّى يَكُونَ ٱلطِّرْفُ مِنْ أُسَرَائِهِ

١٩٩ قَالَ آخَرُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

لَهُ زَهْوُ طَاوُوسٍ وَخَطْرُ حَمَامَةٍ وَتَدْوِيمُ بَازٍ وَٱنْقِضَاضُ عُقَابِ
وَوَثْبُ ظُبِيٍّ وَٱنْجِفَالُ نَعَامَةٍ وَإِهْذَابُ سِيدٍ وَٱنْسِيَابُ حُبَابِ
وَصَوْلَةُ ضِرْغَامٍ وَرَوْغُ ثُعَالَةٍ وَلَحْظُ قَطَامِيٍّ وَحَذْرُ غُرَابِ
وَجَدْلُ عِنَانٍ وَٱنْثِنَاءُ وَبَالَةٍ وَوَقْدُ ضِرَامٍ وَٱنْصِيَاعُ شِهَابِ
وَهَيْجُ أَخِي شَوْلٍ وَتَدْفِيقُ خَيْلٍ وَإِيمَاضُ بَرْقٍ وَٱلْتِمَاعُ سَرَابِ
وَإِعْصَافُ رِيحٍ وَٱهْتِزَازُ يَرَاعَةٍ وَدَرَّةُ نَوْءٍ وَٱنْجِيَابُ سَحَابِ

٢٠٠ وصف بركار لابي الفتح كشاجم وكان استهداهُ من صاحبٍ

جُدْ لِي بِبِرْكَارِكَ ٱلَّذِي صَنَعَتْ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ ٱلْأَعَاجِيبَا
مُلْتَئِمُ ٱلشُّعْبَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيبَا
أُوثِقَ مِسْمَارُهُ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاظِرِ ٱلنَّاقِدِينَ تَغْيِيبَا
فَعَيْنُ مَنْ يَجْتَلِيهِ يَحْسَبُهُ فِي قَالَبِ ٱلِٱعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
قَدْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ مُحْكَمًا لَهُمَا ضَمَّ مُحِبٍّ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ مَا زَادَهُ بِٱلْبَنَانِ تَقْلِيبَا
ذُو مُقْلَةٍ بَصَّرَتْهُ مُنْسَبَةً لَمْ تَأْلُهُ رِقَّةً وَتَهْذِيبَا
يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى ٱلصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ ٱلصَّوَابُ مَطْلُوبَا
لَوْلَاهُ مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةٍ وَلَا وَجَدْنَا ٱلْحِسَابَ مَحْسُوبَا
أَلْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتَ إِلَى سِوَاهُ كَانَ ٱلْحِسَابُ تَقْرِيبَا
لَوْ عَيْنُ أُقْلِيدُسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِٱلسُّجُودِ مَكْبُوبَا
فَٱبْعَثْهُ وَٱجْنِبْهُ لِي بِمِسْطَرَةٍ تَلُفُّ ٱلْهَوَى بِٱلثَّنَاءِ مَجْنُوبَا

٢٠١ ولابي الفتح يصف أسطرلابا

وَمُسْتَدِيرٍ كَجِرْمِ ٱلْبَدْرِ مَسْطُوحٍ عَنْ كُلِّ رَافِعَةٍ ٱلْأَشْكَالِ مَصْفُوحِ
صُلْبٍ يُدَارُ عَلَى قُطْبٍ يُثَبِّتُهُ تِمْثَالُ طِرْفٍ بِشَكْمِ ٱلْحِذْقِ مَكْبُوحِ
مِلْءِ ٱلْبَنَانِ وَقَدْ أَوْفَتْ صَفَائِحُهُ عَلَى ٱلْأَقَالِيمِ مِنْ أَقْطَارِهَا ٱلْفِيحِ
تُلْفِي بِهِ ٱلسَّبْعَةَ ٱلْأَفْلَاكَ مُحْدِقَةً بِٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ وَٱلْأَرْضِينَ وَٱلرِّيحِ
تُنْبِيكَ مِنْ طَالِعِ ٱلْأَبْرَاجِ هَيْئَتُهُ بِٱلشَّمْسِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِٱلْمَصَابِيحِ
وَإِنْ مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ عَرَفْتَ ذَاكَ بِعِلْمٍ فِيهِ مَشْرُوحِ
وَإِنْ تَعَرَّضَ فِي وَقْتٍ يُقَدِّرُهُ لَكَ ٱلتَّشَكُّكُ جَلَّاهُ بِتَصْحِيحِ
مُمَيِّزٌ فِي قِيَاسَاتِ ٱلضُّلُوعِ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَشَائِمِ مِنْهَا وَٱلْمَنَاجِيحِ
لَهُ عَلَى ٱلظَّهْرِ عَيْنًا حِكْمَةٍ بِهِمَا يَحْوِي ٱلضِّيَاءَ وَتَحْنِيهِ مِنَ ٱللَّوْحِ
وَفِي ٱلدَّوَاوِينِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكَمٌ تُنَقِّحُ ٱلْعَقْلَ فِيهَا أَيَّ تَنْقِيحِ
لَا يَسْتَقِلُّ لِمَا فِيهِ بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا ٱلْحَصِيفُ ٱللَّطِيفُ ٱلْحِسِّ وَٱلرُّوحِ
حَتَّى تَرَى ٱلْغَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مُنْغَلِقُ ٱلْـ أَبْوَابِ عَمَّنْ سِوَاهُ حَدَّ مَفْتُوحِ
نَتِيجَةُ ٱلذِّهْنِ وَٱلتَّفْكِيرِ صَوَّرَهُ ذَوُو ٱلْعُقُولِ ٱلصَّحِيحَاتِ ٱلْمَرَاجِيحِ

٢٠٢ قال احمد صفيّ الدين بن صالح بن ابي الرجال يصف روضة صنعاء

رَوْضَةٌ قَدْ صَبَا لَهَا ٱلصَّغْدُ شَوْقًا قَدْ صَفَا لَيْلُهَا وَطَابَ ٱلْمَقِيلُ
جَوُّهَا سَجْسَجٌ وَفِيهَا نَسِيمٌ كُلُّ غُصْنٍ إِلَى لِقَاهُ يَمِيلُ
صَحَّ سُكَّانُهَا جَمِيعًا مِنَ ٱلدَّا ءِ وَجِسْمُ ٱلنَّسِيمِ فِيهَا عَلِيلُ
إِيهِ يَا مَاءَ نَهْرِهَا ٱلْعَذْبَ صَلْصِلْ حَبَّذَا يَا زُلَالُ مِنْكَ ٱلصَّلِيلُ

إِيهِ يَاوُرْقَهَا ٱلْمُرِنَّةَ غَنِّي فَحَيَاةُ ٱلنُّفُوسِ مِنْكِ ٱلْهَدِيلُ
رَوْضَ صَنْعَاءَ فُقْتَ طَبْعًا وَوَصْفًا فَكَثِيرُ ٱلثَّنَاءِ فِيكَ قَلِيلُ
تِهْ عَلَى ٱلشِّعْبِ شِعْبِ بَوَّانَ وَٱفْخَرْ فَعَلَى مَا تَقُولُ قَامَ ٱلدَّلِيلُ
نَهَرٌ دَافِقٌ وَجَوٌّ فَتِيقٌ زَهَرٌ فَائِقٌ وَظِلٌّ ظَلِيلُ
وَثِمَارٌ قِطَافُهَا دَانِيَاتٌ يَجْتَنِيهَا قَصِيرُنَا وَٱلطَّوِيلُ
لَسْتُ أَنْسَى ٱنْتِعَاشَ شُحْرُورِ غُصْنٍ طَرَبًا وَٱلْقَضِيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
وَعَلَى رَأْسِ دَوْحَةٍ خَاطِبُ ٱلْوُرْ قِ وَدَمْعُ ٱلْغُصُونِ طَلًّا يَسِيلُ
وَلِسَانُ ٱلرُّعُودِ يَهْتِفُ بِٱلسُّحْبِ فَكَانَ ٱلْخَفِيفَ مِنْهَا ٱلثَّقِيلُ
وَفَمُ ٱلسُّحْبِ بَاسِمٌ عَنْ بُرُوقٍ مُسْتَطِيرٌ شُعَاعُهَا مُسْتَطِيلُ
وَزُهُورُ ٱلرُّبَى تَعَجَّبُ مِنْ ذَا شَاخِصًا طَرْفُهَا ٱلْمَلِيحُ ٱلْجَمِيلُ
فِيهِ لِي رِفْقَةٌ رِقَاقُ ٱلْحَوَاشِي كَادَ لِينُ ٱلطِّبَاعِ مِنْهُمْ يَسِيلُ
أَرْيَحِيُّونَ لَوْ بِسُوحِهِمِ ٱلنَّفْسُ لَجَادُوا فَلَيْسَ مِنْهُمْ بَخِيلُ
تَتَهَادَى مِنَ ٱلْعُلُومِ كُؤُوسًا طَيِّبَاتٍ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلُ
طَابَ لِي رَأْدُهَا وَطَابَ ضُحَاهَا كَيْفَ أَسْحَارُهَا وَكَيْفَ ٱلْأَصِيلُ

٢٠٣ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ عِزِّ ٱلْقُضَاةِ يَصِفُ شُمُوعًا:

وَزُهْرِ شُمُوعٍ إِنْ مَدَدْنَ بَنَانَهَا لِتَمْحُو سُطُورَ ٱللَّيْلِ نَابَتْ عَنِ ٱلْبَدْرِ
وَفِيهِنَّ كَافُورِيَّةٌ خِلْتُ أَنَّهَا عَمُودُ صَبَاحٍ فَوْقَهُ كَوْكَبُ ٱلْفَجْرِ
وَصَفْرَاءُ تَحْكِي شَاحِبًا شَابَ رَأْسُهُ فَأَدْمُعُهَا تَجْرِي عَلَى ضَيْعَةِ ٱلْعُمْرِ
وَخَضْرَاءُ يَبْدُو وَقْدُهَا فَوْقَ خَدِّهَا كَنَرْجِسَةٍ تَزْهُو عَلَى ٱلْغُصُنِ ٱلنَّضْرِ

فَلاَ غَرْوَ أَنْ تَحْكِي ٱلْأَزَاهِرُ حُسْنَهَا   أَلَيْسَ جَنَاهَا ٱلنَّحْلُ قِدْمًا مِنَ ٱلزَّهْرِ

٢٠٤ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَرَّجَانِيُّ يَصِفُ ٱلشَّمْعَةَ وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ ٱلْإِحْسَانِ وَٱسْتَغْرَقَ كُلَّ ٱلصِّفَاتِ:

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا   وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا

قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرُعْنَا وَهْوَ مُكْتَمِنٌ   أَلَا تَرَى فِيهِ نَارًا مِنْ تَرَاقِيهَا

غَرِيقَةٌ فِي دُمُوعٍ وَهْيَ تُحْرِقُهَا   أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلَظِّيهَا

تَنَفَّسَتْ نَفَسَ ٱلْمَهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ   عَهْدَ ٱلْخَلِيطِ فَبَاتَ ٱلْوَجْدُ يُذْكِيهَا

يُخْشَى عَلَيْهَا ٱلرَّدَى مَهْمَا أَلَمَّ بِهَا   نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُحَيِّيهَا

قَدْ أَثْمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاءَ طَالِعَةً   تَجْنِي عَلَى ٱلْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَجْنِيهَا

وَرْدٌ تُشَاكُ بِهِ ٱلْأَيْدِي إِذَا قُطِفَتْ   وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوَقِّيهَا

صُفْرٌ غَلَائِلُهَا حُمْرٌ عَمَائِمُهَا   سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ لَيَالِيهَا

صفة نزهة على نهر سرقسطة

٢٠٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: ذَكَرَ صَاحِبُ قَلَائِدِ ٱلْعِقْيَانِ مَا هٰذَا مَعْنَاهُ:
إِنَّ ٱلْمُسْتَعِينَ بِٱللّٰهِ أَحْمَدَ بْنَ ٱلْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُودٍ ٱلْجُذَامِيَّ صَاحِبَ سَرَقُسْطَةَ وَٱلثُّغُورِ رَكِبَ نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمًا لِتَفَقُّدِ بَعْضِ مَعَاقِلِهِ ٱلْمُنْتَظِمَةِ بِجِيدِ سَاحِلِهِ. وَهُوَ نَهْرٌ رَقَّ مَاؤُهُ وَرَاقَ. وَأَزْرَى عَلَى نِيلِ مِصْرَ وَدِجْلَةَ وَٱلْعِرَاقِ. وَقَدِ ٱكْتَنَفَتْهُ ٱلْبَسَاتِينُ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأَلْقَتْ ظِلَالَهَا عَلَيْهِ. فَمَا تَكَادُ عَيْنُ ٱلشَّمْسِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ. هٰذَا عَلَى ٱتِّسَاعِ عَرْضِهِ. وَبُعْدِ سَطْحِ ٱلْمَاءِ مِنْ أَرْضِهِ. وَقَدْ تَوَسَّطَ زَوْرَقُهُ زَوَارِقَ حَاشِيَتِهِ تَوَسُّطَ ٱلْبَدْرِ لِلْهَالَةِ.

وَأَحَاطَتْ بِهِ إِحَاطَةَ ٱلطُّفَاوَةِ لِلْغَزَالَةِ . وَقَدْ أَعَدُّوا مِنْ مَكَايِدِ ٱلصَّيْدِ مَا ٱسْتَخْرَجَ ذَخَائِرَ ٱلْمَاءِ . وَلَخَافَ حَتَّى صَوْتَ ٱلسَّمَاءِ . وَأَهِلَّةُ ٱلْهَالَاتِ طَالِعَةٌ مِنَ ٱلْمَوْجِ فِي سَحَابٍ . وَقَانِصَةٌ مِنْ بَنَاتِ ٱلْمَاءِ كُلَّ طَائِرَةٍ كَٱلشِّهَابِ . فَلَا تَرَى إِلَّا صُيُودًا كَصَيْدِ ٱلصَّوَارِمِ . وَقُدُودِ ٱللَّهَاذِمِ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ حِدَاءِي وَٱلطَّرَبُ قَدِ ٱسْتَهْوَاهُ . وَبَدِيعُ ذٰلِكَ ٱلْمَرْأَى ٱسْتَرَقَّ هَوَاهُ:

لِلّٰهِ يَوْمٌ أَنِيقٌ وَاضِحُ ٱلْغُرَرِ ... مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ ٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَرِ
كَأَنَّمَا ٱلدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبَنَا ... فِيهِ بِعُتْبَى وَأَبْدَى صَفْحَ مُعْتَذِرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ ٱلسَّفِينُ بِهِ ... مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُنْتَثِرِ
مَدَّ ٱلشِّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ ... بَذَّ ٱلْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ ٱلْأُخَرِ
هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْهُمَامُ ٱلْمُسْتَعِينُ حَوَى ... عَلْيَاءَ مُؤْتَمِنٍ فِي هَدْيِ مُقْتَدِرِ
تَحْوِي ٱلسَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا ... بَحْرٌ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي نَهَرِ
تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ ٱلنِّينَانُ مُصْعِدَةً ... صَيْدًا كَمَا ظَفِرَ ٱلْغَوَّاصُ بِٱلدُّرَرِ

صفة الليل

٢٠٦ قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ لِٱبْنِهِ يَا بُنَيَّ ٱجْعَلْ نَظَرَكَ فِي ٱلْعِلْمِ لَيْلًا . فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ فِي ٱلصَّدْرِ كَٱلطَّيْرِ يَنْتَشِرُ بِٱلنَّهَارِ وَيَعُودُ إِلَى وَكْرِهِ فِي ٱللَّيْلِ . فَهُوَ فِي ٱللَّيْلِ سَاكِنٌ مَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ وَعَاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ٱللَّيْلِ: يُجِمُّ ٱلْأَذْهَانَ وَتَنْقَطِعُ ٱلْأَشْغَالُ . وَيَصِحُّ ٱلنَّظَرُ وَيُؤَلَّفُ ٱلْحِكْمَةَ وَيُدِرُّ ٱلْخَوَاطِرَ . وَيَتَّسِعُ مَجَالُ ٱلْقَلْبِ . وَٱللَّيْلُ أَحْرَى فِي

مَذهبِ الفكرِ. وأخفى لعملِ البرِّ. وأعونُ على صدقةِ السرِّ. وأصحُّ لتلاوةِ الذكرِ. وأربابُ الأمرِ يختارون الليلَ على النهارِ لرياضةِ النفوسِ. وسياسةِ التقديرِ في دفعِ الملمِّ. وإمضاءِ المهمِّ. وإنشاءِ الكتبِ ونظمِ الشعرِ وتصحيحِ المعاني. وإظهارِ الحججِ وإصابةِ غرضِ الكلامِ. وتقريبِه من الأفهامِ. وفي الليلِ تتزاورُ الأحبابُ. لا يطرقُكَ فيه خبرٌ قاطعٌ. ولا شغلٌ مانعٌ

٢٠٧ سألَ هشامُ بنُ عبدِ اللهِ خالدَ بنَ صفوانَ كيفَ كانَ سيرُكَ فقالَ: بينا أنا أسيرُ ذاتَ ليلةٍ إذ عصفتْ ريحٌ شديدٌ ظلماؤها. أطبقَ سماؤها وطبّقَ سحابُها. وتعلّقَ ربّانُها. فبقيتُ محرنجمًا كالأشقرِ إن تقدّمَ نُحِرَ. وإنْ تأخّرَ عُقِرَ. لا أسمعُ لواطىءٍ همسًا. ولا لنابحٍ جرسًا. تدلّتْ عليَّ غيومُها. وتوارتْ عنّي نجومُها. فلا أهتدي بنجمٍ طالعٍ. ولا بعلمٍ لامعٍ. أقطعُ محجّةً. وأهبطُ بلجّةٍ. في ديمومةٍ قفرٍ. بعيدةِ القعرِ. فالريحُ تخطفُني. والشوكُ يخبطُني في ريحٍ عاصفٍ. وبرقٍ خاطفٍ. قد أوحشني آكامُها. وقطعني سلامُها. فبينا أنا كذلكَ قد ضاقتْ عليَّ معارجي. وسُدّتْ مخارجي. إذ بدا نجمٌ لائحٌ. وبياضٌ واضحٌ. عرجتُ إلى أكامٍ محرّ ذيلِهِ فإذا أنا بمصابيحِكمْ هذهِ فقرّتِ العينُ. وانكشفَ الرينُ. فقالَ هشامٌ: للهِ درُّكَ. ما أحسنَ وصفَكَ (سرّ الليال لابن منظور)

صفة عاصفة

٢٠٨ ذكرَ السيوطيُّ عاصفةً حدثتْ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ قالَ: كانَ

فِي لَيْلَةِ ٱلْجُمُعَةِ ٱلتَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ أَتَى عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ مُتَكَاثِفَةٌ . وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ . وَرِيَاحٌ عَاصِفَةٌ . فَقَوِيَ أَهْوِيتُهَا . وَٱشْتَدَّ هُبُوبُهَا . فَتَدَافَعَتْ لَهَا أَعِنَّةٌ مُطْلَقَاتٌ . وَٱرْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُصْعِقَاتٌ . فَرَجَفَتْ لَهَا ٱلْجُدْرَانُ وَٱصْطَفَقَتْ . وَتَلَاقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَٱعْتَنَقَتْ . وَثَارَ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ : لَعَلَّ هٰذِهِ عَلَى هٰذِهِ أَطْبَقَتْ . وَتَحْسَبُ أَنَّ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَادٍ . وَعَدَا مِنْهَا عَادٍ . وَزَادَ عَصْفُ ٱلرِّيَاحِ إِلَى أَنِ ٱنْطَفَأَتْ سُرُجُ ٱلنُّجُومِ . وَمَزَّقَتْ أَدِيمَ ٱلسَّمَاءِ وَمَحَتْ مَا فَوْقَهُ مِنَ ٱلرُّقُومِ . لَا عَاصِمَ مِنَ ٱلْخَطْفِ لِلْأَبْصَارِ . وَلَا مَلْجَأَ مِنَ ٱلْخَطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ ٱلِاسْتِغْفَارِ . وَفَرَّ ٱلنَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا . وَنَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا . لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَٱعْتَصَمُوا بِٱلْمَسَاجِدِ ٱلْجَامِعَةِ . وَأَذْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْنَاقٍ خَاضِعَةٍ . وَوُجُوهٍ عَانِيَةٍ . وَنُفُوسٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ سَالِيَةٍ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ . وَيَتَوَقَّعُونَ أَيَّ خَطْبٍ جَلِيٍّ . قَدِ ٱنْقَطَعَتْ مِنَ ٱلْحَيَاةِ عُلَقُهُمْ . وَعَمِيَتْ عَنِ ٱلنَّجَاةِ طُرُقُهُمْ . وَوَقَعَتِ ٱلْفِكْرَةُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ . وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ . إِلَى أَنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلرُّكُودِ . وَأَسْعَفَ ٱلْهَاجِدِينَ بِٱلْهُجُودِ . وَأَصْبَحَ كُلٌّ يُسَلِّمُ عَلَى رَفِيقِهِ . وَيُهَنِّيهِ بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ . وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ ٱلنَّفْخَةِ . وَأَفَاقَ بَعْدَ ٱلصَّيْحَةِ وَٱلصَّرْخَةِ . وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ رَدَّ لَهُ ٱلْكَرَّةَ . وَأَدَّبَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى ٱلْغِرَّةِ . وَوَرَدَتِ ٱلْأَخْبَارُ . بِأَنَّهَا كَسَرَتِ ٱلْمَرَاكِبَ فِي ٱلْبِحَارِ . وَٱلْأَشْجَارَ

فِي ٱلْقِفَارِ . وَأَتْلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ ٱلسُّفَّارِ . وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنْفَعْهُ ٱلْفِرَارُ

(حسن المحاضرة للسيوطي)

صفة انكسار العدو

٢٠٩ وَصَفَ سُلَيْمَانُ ٱلْحَلَبِيُّ ٱلْعَدُوَّ بِٱلْخَوَرِ وَٱلْوَهْنِ فِي قِتَالِهِ وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ ٱلرَّهَجِ بِٱلْحَرَكَةِ وَإِعْدَادِ ٱلْأُهْبَةِ وَٱلِٱحْتِشَادِ . قَالَ : وَأَمَّا رَهَجُ ٱلْعَدُوِّ ٱلْمَخْذُولِ بِٱلْحَرَكَةِ وَرَمْيُ ٱلصِّيتِ بِهَا فَإِنَّ عُدَّتَهُ ٱلصِّيَاحُ . وَقُوَّةُ ٱلْجَبَانِ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْقَوْلُ يَذْهَبُ فِي ٱلرِّيَاحِ . وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سِلَاحِهِمِ ٱلْهَرَبَ وَلَا طَمِعُوا فِي ٱلنَّجَاحِ . فَكَانَ لَهُمْ فِي غَيْرِ ٱلنَّجَاةِ أَرَبٌ يُبَالِغُونَ فِي ٱلِٱحْتِشَادِ . وَٱلْجَازِرُ لَا يَهُولُهُ كَثْرَةُ ٱلْغَنَمِ وَيَسْتَكْثِرُونَ مِنَ ٱلسَّوَادِ . وَجُنُودُ مَنْ لَا يَنْفَعُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِٱلْعَدَمِ . فَقُوَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ . وَوَطْأَتُهُمْ خَفِيفَةٌ . وَثَبَاتُهُمْ أَقْصَرُ مِنْ حَلِّ ٱلْعِقَالِ . وَصَبْرُهُمْ أَسْرَعُ مِنَ ٱلظِّلِّ فِي ٱلِٱنْتِقَالِ . وَخُيُولُهُمْ لَا تُطِيعُ أَمْرَ أَعِنَّتِهَا إِلَّا فِي ٱلْفِرَارِ . وَإِنْ أَطْمَعَهُمْ فِي ٱللِّقَاءِ فَسَتَرُدُّهُمْ كِلَامُ سُيُوفِنَا كَأَقْسَامِ ٱلْكَلَامِ ٱلثَّلَاثَةِ هَزِيمًا وَأَسِيرًا وَصَرِيعًا

وصف ابن سليمان الحلبي غلبةً على التتار

٢١٠ (قَالَ :) إِنَّ ٱلتَّتَارَ ٱسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ وَأَقْدَمُوا عَلَى ٱلْبِلَادِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ بِنُفُوسٍ طَامِعَةٍ . وَقُلُوبٍ خَائِفَةٍ . وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامُوا مُدَّةً يَشْتَرُونَ ٱلْمُخَادَعَةَ بِٱلْمُوَادَعَةِ . وَيُسِرُّونَ ٱلْمُصَارَمَةَ . فِي ٱلْمُسَالَمَةِ . وَحِينَ تَيَسَّرَ مُرَادُهُمْ . وَتَكَمَّلَ ٱحْتِشَادُهُمْ . ٱسْتَدْرَجْنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ .

وَٱسْتَجْرَيْنَاهُمْ لِيَقْرُبُوا فِي ٱلْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ • وَيَبْعُدُوا فِي ٱلْهَرَبِ
عَنْ مَوَاضِعِهِمْ • وَصَدَمْنَاهُمْ بِقُوَّةِ ٱللهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهَا قِبَلٌ •
وَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً أَلْجَأَهُمْ طُوفَانُهَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ • وَهَلْ يَعْصِمُ مِنْ
أَمْرِ ٱللهِ جَبَلٌ • فَحَصَرْنَاهُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْفَضَاءِ ٱلْمُتَّسِعِ • وَضَايَقْنَاهُمْ
كَمَا قَدْ رَأَى وَمَزَّقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ • وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ ٱلسَّيْفِ
ٱلَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوِيَ وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ •
وَتَبِعَتْهُمْ جُيُوشُنَا ٱلْمَنْصُورَةُ تَتَخَطَّفُهُمْ رِمَاحُهَا • وَتَتَلَقَّفُهُمْ صِفَاحُهَا •
وَيُبَدِّدُهُمْ فِي ٱلْفَلَوَاتِ رُعْبُهَا • وَيُفَرِّقُهُمْ فِي ٱلْقِفَارِ طَعْنُهَا ٱلْمُتَدَارِكُ
وَضَرْبُهَا • وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ ٱلسُّيُوفَ مِنْهُمُ ٱلْعَطَشُ وَٱلْجُوعُ • وَيُخَيَّلُ
لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنَّ وَطَنَهُ كَالدُّنْيَا ٱلَّتِي لَيْسَ لِلْمَيِّتِ إِلَيْهَا رُجُوعٌ • وَلَعَلَّهُ
قَدْ رَأَى مِنْ ذٰلِكَ فَوْقَ مَا وَصَفَ عِيَانًا • وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا
وَنَصَرَنَا ٱللهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ • وَمَا سَاقَتْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فِي
وَقْتٍ مَا إِلَّا إِلَى حُتُوفِهِمْ • وَلَا عَادَ مِنْهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا آحَادٌ تُخْبِرُ
عَنْ مَصَارِعِ أُلُوفِهِمْ • وَلَقَدْ أَضَاعَ ٱلْحَزْمَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمْ نِعَمَ ٱللهِ
عَلَيْهِ بِطَاعَتِنَا ٱلَّتِي كَانَ فِي مِهَادِ أَمْنِهَا وَوِهَادِ يُمْنِهَا • وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا وَبَرْدِ
رَأْفَتِهَا ٱلَّتِي كَدَّرَهَا بِٱلْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا • يَصُونُ رَعَايَاهُ بِٱلطَّاعَةِ
عَنِ ٱلْقَتْلِ وَٱلْأَسْرِ • وَيَحْمِي أَهْلَ مِلَّتِهِ بِٱلْحَذَرِ عَنِ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلَّتِي مَا
نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُّوا ذُيُولَ ٱلْخَسَارِ • وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ
لِسُيُوفِنَا ٱلَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ • وَوَثِقَ بِمَا ضَمِنَ لَهُ ٱلتَّتَارُ مِنْ

نَصْرِهِ . وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ ذَٰلِكَ الضَّمَانِ . وَجَرَّ بِنَفْسِهِ بِمُوَالَاةِ التَّتَارِ عَنَاءً كَانَ عَنْهُ فِي غِنًى . وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَاهَرَةِ الْمُغُولِ فِي حَوْمَةِ السُّيُوفِ الَّتِي تَخَطَّفَتْ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا . وَاقْتَحَمَ بِنَفْسِهِ مَوَارِدَ هَلَاكٍ سَلَبَتْ رِدَاءَ الْأَمْنِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . وَاغْتَرَّ هُوَ وَقَوْمُهُ بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ غُرُورِهِ . لَقَدِ اعْتَرَضَ بَيْنَ السَّهْمِ وَالْهَدَفِ بِنَحْرِهِ . وَتَعَرَّضَ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ نَابِ الْأَسَدِ وَظُفْرِهِ . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّا نَامَعَ ذَٰلِكَ نَرْعَى لَهُ حُقُوقَ طَاعَةِ أَسْلَافِهِ الَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا . وَنَحْفَظُ لَهُ خِدْمَةَ آبَائِهِ الَّتِي بَذَلُوا نُفُوسَهُمْ وَنَفَائِسَهُمْ فِي التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا . وَالسُّيُوفُ الْآنَ مُصْغِيَةٌ إِلَى جَوَابِهِ لِتَكُفَّ إِنْ أَبْصَرَ سُبُلَ الرَّشَادِ . أَوْ تَتَعَرَّضَ بِرُؤُوسِ حُمَاتِهِ وَكُمَاتِهِ عَنِ الْأَغْمَادِ . إِنْ أَصَرَّ عَلَى الْعِنَادِ وَالْخَيْرُ يَكُونُ (حسن التوسل الى صناعة الترسل)

ذكر دار الوزير الصاحب بن عباد باصبهان

٢١١ جَرَى الشُّعَرَاءُ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي مَيْدَانِ اقْتِرَاحِهِ فِي ذِكْرِ الدَّارِ الَّتِي بَنَاهَا بِأَصْبَهَانَ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا . وَاقْتَرَحَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَصْفَهَا فَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْعَبَّاسِ :

دَارُ الْوِزَارَةِ مَمْدُودٌ سُرَادِقُهَا ... وَلَاحِقٌ بِذُرَى الْجَوْزَاءِ لَاحِقُهَا
وَالْأَرْضُ قَدْ أَوْصَلَتْ غَيْظًا السَّمَاءَ بِهَا ... فَقَطْرُهَا أَدْمُعٌ تَجْرِي سَوَابِقُهَا
تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا مِنْ أَرْضِ عَرْصَتِهَا ... وَأَنَّ أَنْجُمَهَا فِيهَا طَوَابِقُهَا
تَفَرَّعَتْ شُرُفَاتٌ فِي مَنَاكِبِهَا ... يَرْتَدُّ عَنْهَا كَلِيلَ الْعَيْنِ رَامِقُهَا

مِثْلُ ٱلْعَذَارَى وَقَدْ شُدَّتْ مَنَاطِقُهَا ... وَتُوِّجَتْ بِأَكَالِيلٍ مَفَارِقُهَا
دَارُ ٱلْأَمِيرِ ٱلَّتِي هٰذِي وَزِيرَتُهَا ... أَهْدَتْ لَهَا وُشُحًا رَاقَتْ نَمَارِقُهَا
تُزْهَى بِهَا مِثْلَ مَا تُزْهَى بِسَيِّدِنَا ... مُؤَيِّدِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَيْمُونِ طَارِقُهَا
هٰذِي ٱلْمَعَالِي ٱلَّتِي غِيظَ ٱلزَّمَانُ بِهَا ... وَافَتْكَ مَنْسُوقَةً وَٱللّٰهُ نَاسِقُهَا
إِنَّ ٱلْغَمَائِمَ قَدْ آلَتْ مُعَاهِدَةً ... لَا زَايَلَتْهَا وَلَا زَالَتْ تُعَانِقُهَا
لِأَرْضِهَا كُلُّ مَا جَادَتْ مَوَاهِبُهَا ... وَفِي دِيَارِ أَعَادِيهَا صَوَاعِقُهَا

٢١٢ وَمِنْهَا قَصِيدَةُ ٱلشَّيْخِ أَبِي ٱلْحَسَنِ صَاحِبِ ٱلْبَرِيدِ أَوَّلُهَا :

دَارٌ عَلَى ٱلْعِزِّ وَٱلتَّأْيِيدِ مَبْنَاهَا ... وَلِلْمَكَارِمِ وَٱلْعَلْيَاءِ مَعْنَاهَا
دَارٌ تَبَاهَى بِهَا ٱلدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا ... هٰذَا وَكَمْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تَمَنَّاهَا
فَٱلْيُمْنُ أَقْبَلَ مَقْرُونًا بِيُمْنَاهَا ... وَٱلْيُسْرُ أَصْبَحَ مَقْرُونًا بِيُسْرَاهَا
مِنْ فَوْقِهَا شُرُفَاتٌ طَالَ أَدْنَاهَا ... يَدُ ٱلثُّرَيَّا فَقُلْ لِي كَيْفَ أَقْصَاهَا
كَأَنَّهَا غِلْمَةٌ مُصْطَفَّةٌ لَبِسَتْ ... بِيضَ ٱلْغَلَائِلِ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
أُنْظُرْ إِلَى ٱلْقُبَّةِ ٱلْغَرَّاءِ مُذْهَبَةً ... كَأَنَّمَا ٱلشَّمْسُ أَعْطَتْهَا مُحَيَّاهَا
لَمَّا بَنَى ٱلنَّاسُ فِي دُنْيَاكَ دُورَهُمُ ... بَنَيْتَ فِي دَارِكَ ٱلْغَرَّاءِ دُنْيَاهَا

٢١٣ وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْقَاسِمِ بْنُ ٱلْمُنَجِّمِ :

هِيَ ٱلدَّارُ قَدْ عَمَّ ٱلْأَقَالِيمَ نُورُهَا ... فَلَوْ قَدَرَتْ بَغْدَادُ كَانَتْ تَزُورُهَا
وَلَوْ خُيِّرَتْ دَارُ ٱلْخِلَافَةِ بَادَرَتْ ... إِلَيْهَا وَفِيهَا تَاجُهَا وَسَرِيرُهَا
لِتَسْعَدَ فِيهَا يَوْمَ حَانَ حُضُورُهَا ... وَتَشْهَدَ دُنْيَا لَا يُخَافُ غُرُورُهَا
فَمَا جُمِلَتْ عَيْنُ ٱلزَّمَانِ بِمِثْلِهَا ... وَلَا خَالَ رَاءٍ أَنْ يَجِيءَ نَظِيرُهَا

يَقُولُ ٱلْأُولَى قَدْ فُوجِئُوا بِدُخُولِهَا ... وَخَبَّرَهُمْ تَخْبِيرُهَا وَحَبِيرُهَا

أَفِي كُلِّ قَصْرٍ غَادَةٌ وَحَبِيبُهَا ... وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

وَقَالَ لَهَا ٱللهُ ٱلْعَلِيُّ صِفَاتُهُ ... سَأُسْمِيكِ مَا عَمَّ ٱللَّيَالِي كُرُورُهَا

أُهَنِّيكِ بِٱلْعُمْرَانِ وَٱلْعُمْرُ دَائِمٌ ... لِبَانِيكِ مَا أَفْنَى ٱلدُّهُورَ مُرُورُهَا

وَدَارَتْ لَهَا ٱلْأَفْلَاكُ كَيْفَ أَدَرْتَهَا ... وَدَانَتْ إِلَى أَنْ قِيلَ أَنْتَ مُدِيرُهَا

فَإِنْ كَانَ لِلدَّارِ ٱلَّتِي قَدْ بَنَيْتَهَا ... نَظِيرٌ فَفِي عَرْضِ ٱلْقَرِيضِ نَظِيرُهَا

وَإِلَّا جَرَرْتُ ٱلذَّيْلَ فِي سَاحَةِ ٱلْعُلَا ... وَقُلْتُ ٱلْقَوَافِي قَدْ أُعِيدَ جَرِيرُهَا

(يتيمة الدهر للامام عبد الملك الثعالبي)

ذكر عبد الرحمان وغزواته

٢١٤ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: تَوَلَّى عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقَمَرُ ٱلْأَزْهَرُ. ٱلْأَسَدُ ٱلْغَضَنْفَرُ. ٱلْمَيْمُونُ ٱلنَّقِيبَةِ. ٱلْمَحْمُودُ ٱلضَّرِيبَةِ. سَيِّدُ ٱلْخُلَفَاءِ وَأَنْجَبُ ٱلنُّجَبَاءِ صَبِيحَةَ هِلَالِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِ مِائَةٍ (فَقُلْتُ فِيهِ:)

بَدَا ٱلْهِلَالُ جَدِيدًا ... وَٱلْمُلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ

يَا نِعْمَةَ ٱللهِ زِيدِي ... مَا كَانَ فِيهِ مَزِيدُ

فَتَوَلَّى ٱلْمُلْكَ وَهِيَ جَمْرَةٌ تَحْتَدِمُ. وَنَارٌ تَضْطَرِمُ. وَشِقَاقٌ وَنِفَاقٌ فَأَخْمَدَ نِيرَانَهَا. وَسَكَّنَ زَلَازِلَهَا. وَٱفْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا ٱفْتَتَحَهَا بَدْءًا سَمِيُّهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْعَارِ غَزَوَاتِهِ كُلُّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ فِي ٱلْأَمْصَارِ. وَشَرَدَتْ فِي ٱلْبُلْدَانِ حَتَّى أَتْهَمَتْ وَأَنْجَدَتْ وَأَعْرَقَتْ.

وَكَانَ أَوَّلَ غَزَاةٍ غَزَاهَا ٱلْغَزَاةُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ ٱلْمُنْتَلُونِ ٱفْتَتَحَ بِهَا سَبْعِينَ حِصْنًا قَدْ نَكَبَتْ عَنْهَا ٱلطَّوَائِفُ. وَأَعْيَتْ عَلَى ٱلْخَلَائِفِ. (وَفِيهَا أَقُولُ:)

قَدْ أَوْضَحَ ٱللهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَاجَا ... وَٱلنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي ٱلدِّينِ أَفْوَاجَا

وَقَدْ تَزَيَّنَتِ ٱلدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا ... كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ وَشْيًا وَدِيبَاجَا

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ إِنَّ ٱلْمُزْنَ لَوْ عَلِمَتْ ... نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ ثَجَّاجَا

وَٱلْحَرْبُ لَوْ عَلِمَتْ بَأْسًا تَصُولُ بِهِ ... مَا هَيَّجَتْ مِنْ جِبَالِ ٱلدِّينِ أَهْيَاجَا

وَأَصْبَحَ ٱلنَّصْرُ مَعْقُودًا بِأَلْوِيَةٍ ... تَطْوِي ٱلْمَرَاحِلَ تَهْجِيرًا وَإِدْلَاجَا

أَدْخَلْتَ فِي قُبَّةِ ٱلْإِسْلَامِ مَارِقَةً ... أَخْرَجْتَهَا مِنْ دِيَارِ ٱلْجَوْرِ إِخْرَاجَا

بِجَحْفَلٍ تَشْرَقُ ٱلْأَرْضُ ٱلْفَضَاءُ بِهِ ... كَٱلْبَحْرِ يَقْذِفُ بِٱلْأَمْوَاجِ أَمْوَاجَا

يَقُودُهُ ٱلْبَدْرُ يَسْرِي فِي كَوَاكِبِهِ ... عَرَمْرَمًا كَسَوَادِ ٱللَّيْلِ رَجْرَاجَا

تَرُوقُ فِيهِ بُرُوقُ ٱلْمَوْتِ لَامِعَةً ... وَيَسْمَعُونَ بِهِ لِلرَّعْدِ أَهْزَاجَا

غَادَرْتَ فِي عَقْرَتَيْ جَيَّانَ مَلْحَمَةً ... أَبْكَيْتَ مِنْهَا بِأَرْضِ ٱلْغَدْرِ أَعْلَاجَا

فِي نِصْفِ شَهْرٍ تَرَكْتَ ٱلْأَرْضَ سَاكِنَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِيهَا ٱلطَّيْرُ قَدْ مَاجَا

تَمْلَا بِكَ ٱلْأَرْضُ عَدْلًا مِثْلَ مَا مُلِئَتْ ... جَوْرًا وَتُوضِحُ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهَاجَا

يَا بَدْرَ ظُلْمَتِهَا يَا شَمْسَ صُبْحَتِهَا ... يَا لَيْثَ حَوْمَتِهَا إِنْ هَائِجٌ هَاجَا

إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ لَنْ تَرْضَى وَلَا رَضِيَتْ ... حَتَّى عَقَدْتَ لَهَا فِي رَأْسِكَ ٱلتَّاجَا

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ هٰذِهِ ٱلْغَزَاةِ لِمَلِكٍ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ وَلَهُ غَزَاةُ مَارِتَشَ أُخْتِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ وَلَهُ غَزَاةُ جَيَّانَ وَفِيهَا قُلْتُ فِي أُرْجُوزَتِي:

ثُمَّ ٱنْتَحَى جَيَّانَ فِي غَزَوَاتِهِ ... بِعَسْكَرٍ يَسْعَدُ مِنْ حُمَاتِهِ

وَٱفْتَتَحَ ٱلْحُصُونَ حِصْنًا حِصْنَا وَأَوْسَعَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا أَمْنَا
وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى ٱنْتَحَى جَيَّانَا فَلَمْ يَدَعْ بِأَرْضِهَا شَيْطَانَا
فَأَصْبَحَ ٱلنَّاسُ جَمِيعًا أُمَّهْ قَدْ عَقَدَ ٱلْإِلَّ لَهُمْ وَٱلذِّمَّهْ
وَلَمْ يَدَعْ مِنْ جِنِّهَا مَرِيدَا بِهَا وَلَا مِنْ إِنْسِهَا عَنِيدَا
إِلَّا كَسَاهُ ٱلذُّلَّ وَٱلصَّغَارَا وَعَمَّهُ وَأَهْلَهُ دَمَارَا
فَأَقْبَلَ ٱلْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيثَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ مُسْرِعًا حَثِيثَا
بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلرَّجْلُ وَٱلْفَوَارِسُ وَحَوْلَهُ ٱلصُّلْبَانُ وَٱلنَّوَاقِسُ
وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُزِيلَ ٱلْعَسْكَرَا عَنْ جَانِبِ ٱلْحِصْنِ ٱلَّذِي قَدْ دُمِّرَا
فَٱعْتَاقَهُ بَدْرٌ بِمَنْ لَدَيْهِ مُسْتَبْصِرًا فِي زَحْفِهِ إِلَيْهِ
حَتَّى ٱلْتَقَتْ مَيْمَنَةٌ بِمَيْسَرَهْ وَٱعْتَلَّتِ ٱلْأَرْوَاحُ عِنْدَ ٱلْحَنْجَرَهْ
فَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ ٱلْعِلْجُ ذَمِيمًا خَاسِيَا
فَأَشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ ٱلرِّمَاحُ وَقَدْ عَلَا ٱلتَّكْبِيرُ وَٱلصِّيَاحُ
وَفَارَقَتْ أَغْمَادَهَا ٱلسُّيُوفُ وَفَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا ٱلْحُتُوفُ
وَٱلْتَقَتِ ٱلرِّجَالُ بِٱلرِّجَالِ وَٱنْغَمَسُوا فِي غَمْرَةِ ٱلْقِتَالِ
فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طُولِهِ ٱلْأَعْمَارُ
فَٱنْقَضَّتِ ٱلْعِقْبَانُ وَٱلسَّلَالِقَهْ رَهْقًا عَلَى مُقَدَّمِ ٱلْجَلَالِقَهْ
عِقْبَانُ مَوْتٍ تَخْطَفُ ٱلْأَرْوَاحَا وَتُشْبِعُ ٱلسُّيُوفَ وَٱلرِّمَاحَا
فَٱنْهَزَمَ ٱلْأَعْدَاءُ عِنْدَ ذَاكَا وَٱنْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ هُنَاكَا
فَٱتَّصَلَ ٱلْفَتْحُ بِفَتْحٍ ثَانِ وَٱلنَّصْرُ بِٱلنَّصْرِ مِنَ ٱلرَّحْمَانِ

ٱلبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي ٱلرِّثَاء

٢١٥ قَالَتِ ٱلْفَارِعَةُ ٱلْمُرِّيَّةُ تَرْثِي أَخَاهَا مَسْعُودَ بْنَ شَدَّادٍ :

يَا عَيْنُ جُودِي لِمَسْعُودِ بْنِ شَدَّادِ ... بِكُلِّ ذِي عَبَرَاتٍ شَجْوُهُ بَادِي
شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ رَفَّاعُ أَبْنِيَةٍ ... شَدَّادُ أَلْوِيَةٍ فَتَّاحُ أَسْدَادِ
نَحَّارُ رَاغِيَةٍ قَتَّالُ طَاغِيَةٍ ... حَلَّالُ رَابِيَةٍ فَكَّاكُ أَقْيَادِ
قَوَّالُ مُحْكَمَةٍ نَقَّاضُ مُبْرَمَةٍ ... فَرَّاجُ مُبْهَمَةٍ حَبَّاسُ أَوْرَادِ
حَلَّالُ مُمْرِعَةٍ حَمَّالُ مُعْضِلَةٍ ... قَرَّاعُ مُقْظِعَةٍ طَلَّاعُ أَنْجَادِ
جَمَّاعُ كُلِّ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا ... زَيْنُ ٱلْقَرِينِ وَخَطْلُ ٱلظَّالِمِ ٱلْعَادِي
أَبَا ذُرَارَةَ لَا تُبْعَدْ فَكُلُّ فَتًى ... يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادِ

٢١٦ قال ابو مالكٍ يرثي ابا نضرٍ والدهُ لما قُتل

زَالَ عَنَّا ٱلسُّرُورُ إِذْ زُلْتَ عَنَّا ... وَإِذْ دَهَانَا بُكَاؤُنَا وَٱلْعَوِيلُ
وَرَأَيْنَا ٱلْقَرِيبَ مِنَّا بَعِيدًا ... وَجَفَانَا صَدِيقُنَا وَٱلْخَلِيلُ
وَرَمَانَا ٱلْعَدُوُّ فِي كُلِّ وَجْهٍ ... وَتَجَنَّى عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلذَّلِيلُ
يَا أَبَا ٱلنَّضْرِ سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا عِشْتُ سَوِيًّا وَذَاكَ مِنِّي قَلِيلُ
حَمَلَتْ نَعْشَكَ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْأَبْرَارُ إِذْ مَا لَنَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
غَيْرَ أَنِّي كَذَبْتُكَ ٱلْوُدَّ لَمْ تَقْطُرْ جُفُونِي دَمًا وَأَنْتَ قَتِيلُ
رَضِيَتْ مُقْلَتِي بِإِرْسَالِ دَمْعِي ... وَعَلَى مِثْلِكَ ٱلنُّفُوسُ تَسِيلُ

أَسِوَاكَ ٱلَّذِي أَجُودُ عَلَيْهِ بِدَمِي إِنَّنِي إِذًا لَبَخِيلُ
عَثَرَ ٱلدَّهْرُ فِيكَ عَثْرَةَ سُوءٍ لَمْ يُقِلْ مِثْلَهَا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُقِيلُ
قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بِٱلْحَيَاةِ فَإِنَّا بَعْدَهُ فِي ٱلتُّرَابِ صَرْعَى حُلُولُ
حُفْرَةٌ حَشْوُهَا وَفَاءٌ وَحِلْمٌ وَنَدًى فَاضِلٌ وَلُبٌّ أَصِيلُ
وَعَفَافٌ عَمَّا يَشِينُ وَحِلْمٌ رَاجِحُ ٱلْوَزْنِ بِٱلرَّوَاسِي يَمِيلُ
وَبَنَانٌ يَمِينُهَا غَيْرُ جَعْدٍ وَجَبِينٌ صَلْتٌ وَخَدٌّ أَسِيلُ
وَٱمْرُؤٌ أَشْرَقَتْ صَفِيحَةُ خَدَّيْهِ عَلَيْهِ بَشَاشَةٌ وَقَبُولُ

٢١٧ تُوُفِّيَ وَلَدُ اعرابيٍّ في يوم عيدٍ فقال يرثيه

لَبِسَ ٱلرِّجَالُ جَدِيدَهُمْ فِي عِيدِهِمْ وَلَبِسْتُ حُزْنَ أَبِي ٱلْحُسَيْنِ جَدِيدَا
أَيَسُرُّنِي عِيدٌ وَلَمْ أَرَ وَجْهَهُ فِيهِ أَلَا بُعْدًا لِذٰلِكَ عِيدَا
فَارَقْتُهُ وَبَقِيتُ أَخْلُدُ بَعْدَهُ لَا كَانَ ذَاكَ بَقًا وَلَا تَخْلِيدَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَعًا لِفَقْدِ حَبِيبِهِ فَهُوَ ٱلْخَؤُونُ مَوَدَّةً وَعُهُودَا
مُتْ مَعْ حَبِيبِكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَا تَعِشْ مِنْ بَعْدِهِ ذَا لَوْعَةٍ مَكْمُودَا
مَا أُمُّ خِشْفٍ قَدْ مَلَا أَحْشَاءَهَا حَذَرًا عَلَيْهِ وَجَفْنَهَا تَسْهِيدَا
إِنْ نَامَ لَمْ تَهْجَعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ فَيَبِيتُ مَكْلُوءًا بِهَا مَرْصُودَا
مِنِّي بِأَوْجَعَ إِذْ رَأَيْتُ نَوَائِحًا لِأَبِي ٱلْحُسَيْنِ وَقَدْ لَطَمْنَ خُدُودَا
وَلَقَدْ عَدِمْتُ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ جَلَادَتِي لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكَ ٱلْمَفْقُودَا
كُنْتُ ٱلْجَلِيدَ عَلَى ٱلرَّزَايَا كُلِّهَا وَعَلَى فِرَاقِكَ لَمْ أَجِدْ تَجْلِيدَا
وَلَئِنْ بَقِيتُ وَمَا هَلَكْتُ فَإِنَّ لِي أَجَلًا وَإِنْ لَمْ أُحْصِهِ مَعْدُودَا

لا مَوتَ لي إلَّا إذا ٱلأَجلُ ٱنقضَى فَهُناكَ لَا أَتجاوزُ ٱلْمحدُودَا
حُزْنِي عَلَيكَ بِقَدْرِ حُبِّكَ لا أَرَى يَوْمًا عَلَى هٰذَا وَذَاكَ مَزِيدَا
مَا هُدَّ رُكْنِي بِٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ بِٱلأَسَى مَهْدُودَا
يَا لَيتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ وَالِدًا وَكَذَاكَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَولُودَا
فَلَقَدْ شَقِيتُ وَرُبَّمَا شَقِيَ ٱلفَتَى بِفِرَاقِ مَنْ يَهْوَى وَكَانَ سَعِيدَا
مَنْ ذَمَّ جَفْنًا بَاخِلًا بِدُمُوعِهِ فَعَلَيْكَ جَفْنِي لَمْ يَزَلْ مَحْمُودَا
فَلَأَنظِمَنَّ مَرَاثِيًا مَشْهُورَةً تُنْسِي ٱلأَنَامَ كُثَيِّرًا وَلَبِيدَا
وَجَمِيعَ مَنْ نَظَمَ ٱلقَرِيضَ مُفَارِقًا وَلَدًا لَهُ أَوْ صَاحِبًا مَفْقُودَا

٢١٨ لابن حسن التهامي يرثي ولدهُ

حُكْمُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى ٱلإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبَرًا مِنَ ٱلأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ ٱلأَكْدَارِ وَٱلأَقْذَارِ
وَمُكَلِّفُ ٱلأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جُذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ ٱلْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي ٱلرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ
فَٱلعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ
وَٱلنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذٰلِكَ أَوْ أَبَتْ مُنْقَادَةٌ بِأَزِمَّةِ ٱلأَقْدَارِ
فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلأَسْفَارِ
وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ ٱلشَّبَابِ وَحَاذِرُوا أَنْ تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
فَٱلدَّهْرُ يَخْدَعُ بِٱلْمُنَى وَيُغِصُّ إِنْ هَنَّا وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ

لَيسَ ٱلزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِمًا ... خُلُقُ ٱلزَّمَانِ عَدَاوَةُ ٱلْأَحْرَارِ
يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ ... وَكَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ ٱلْأَسْحَارِ
وَهِلَالَ أَيَّامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ ... بَدْرًا وَلَمْ يُمْهَلْ لِوَقْتِ سِرَارِ
عَجِلَ ٱلْخُسُوفُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ ... فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ ٱلْإِبْدَارِ
وَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ ... فِي طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ ... وُفِّقْتَ حِينَ تَرَكْتَ أَلْأَمَ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ ... فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي ٱلْمِضْمَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي ... وَإِذَا سَكَتُّ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي

رثاء مشاهير العرب

٢١٩ قال عبد الله بن همام السلولي يرثي بعض امراء بني حرب

تَعَزَّوْا يَا بَنِي حَرْبٍ بِصَبْرٍ ... فَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي يَرْجُو ٱلْخُلُودَا
لَقَدْ وَارَى قَلِيبُكُمُ بَنَانًا ... وَحَزْمًا لَا كِفَاءَ لَهُ وَجُودَا
وَجَدْنَاهُ بَغِيضًا فِي ٱلْأَعَادِي ... حَبِيبًا فِي رَعِيَّتِهِ حَمِيدَا
أَمِينًا مُؤْمِنًا لَمْ يَقْضِ أَمْرًا ... فَيُوجَدُ غِبُّهُ إِلَّا رَشِيدَا
فَقَدْ أَضْحَى ٱلْعَدُوُّ رَخِيَّ بَالٍ ... وَقَدْ أَضْحَى ٱلتَّقِيُّ بِهِ عَمِيدَا
فَعَاضَ ٱللهُ أَهْلَ ٱلدِّينِ مِنْكُمْ ... وَرَدَّ لَكُمْ خِلَافَتَكُمْ جَدِيدَا
مُجَانِبَةَ ٱلْمُحَاقِ وَكُلِّ نَحْسٍ ... مُقَارِبَةَ ٱلْأَيَامِنِ وَٱلسُّعُودَا
خِلَافَةُ رَبِّهِمْ كُونُوا عَلَيْهَا ... كَمَا كُنْتُمْ عَنَابِسَةً أُسُودَا

يُعَلِّمُهَا ٱلْكُهُولُ ٱلْمُرْدَ حَتَّى ... تَذِلَّ بِهَا ٱلْأَكُفُّ وَتَسْتَقِيدَا
إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ بَلَوْتُمْ ... أَخَا ثِقَةٍ بِهَا صَنَعًا مُجِيدَا
تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ ... فَخُذْهَا يَا مُعَاوِيَ عَنْ يَزِيدَا
فَإِنْ دُنْيَاكُمُ بِكُمُ ٱطْمَأَنَّتْ ... فَأَوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقًا شَدِيدَا
وَإِنْ شَغِبَتْ عَلَيْكُمْ فَٱعْصِبُوهَا ... عِصَابًا يَسْتَدِرُّ بِهَا شَدِيدَا
وَإِنْ لَانَتْ لَكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا ... وَلَا تَرْمُوا بِهَا ٱلْغَرَضَ ٱلْبَعِيدَا

٢٢٠ قال اشجع بن عمرو السلمي يرثي منصور بن زياد

يَا حُفْرَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُؤَمَّلِ وَفْدُهُ ... مَا فِي ثَرَاكِ مِنَ ٱلنَّدَى وَٱلْخِيرِ
لَا زِلْتِ فِي ظِلَّيْنِ ظِلِّ سَحَابَةٍ ... وَطْفَاءَ دَانِيَةٍ وَظِلِّ حُبُورِ
وَسَقَى ٱلْوَلِيُّ عَلَى ٱلْعِهَادِ عِرَاصَ مَا ... وَالَاكِ مِنْ قَبْرٍ وَمِنْ مَقْبُورِ
يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَبَحْتَ حِمَى ٱلنَّدَى ... وَفَجَعْتَهُ بِوَلِيِّهِ ٱلْمَذْكُورِ
يَا يَوْمَهُ أَعْرَيْتَ رَاحِلَةَ ٱلنَّدَى ... مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ فَقِيرِ
ذَلَّتْ بِمَصْرَعِهِ ٱلْمَكَارِمُ وَٱلنَّدَى ... وَذُبَابُ كُلِّ مُهَنَّدٍ مَأْثُورِ
أَفَلَتْ نُجُومُ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَ مَا ... طَلَعَتْ بِنُورِ أَهِلَّةٍ وَبُدُورِ
لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ ... أَكْبَادُنَا أَسَفًا عَلَى مَنْصُورِ
أَبْقَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صِفَاتُهَا ... وَمَضَى لِوَقْتِ حِمَامِهِ ٱلْمَقْدُورِ
أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ ٱلَّتِي ... بُدِّلْتَهَا مِنْ قَصْرِكَ ٱلْمَعْمُورِ
بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَٱلصَّفَائِحُ جَدِيدَةٌ ... لَيْسَ ٱلْبِلَى لِفِعَالِكَ ٱلْمَشْهُورِ
إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَدْ تُرَى ... سَكَنًا لِعُودَيْ مِنْبَرٍ وَسَرِيرِ

يَا عَمْرُو مَالِي عَنْكَ مِنْ صَبْرِ   يَا عَمْرُو يَا أَسَفِي عَلَى عَمْرِو

لِلّٰهِ يَا عَمْرُو وَأَيَّ فَتًى   كُفِّنْتَ يَوْمَ وُضِعْتَ فِي ٱلْقَبْرِ

أَحْثُو ٱلتُّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ   وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ ٱلنَّضْرِ

حِينَ ٱسْتَوَى وَعَلَا ٱلشَّبَابُ بِهِ   وَبَدَا مُنِيرَ ٱلْوَجْهِ كَٱلْبَدْرِ

وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعَهُ   وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيِّدٍ غَمْرِ

وَأَهَمَّهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ   وَغَدَا مَعَ ٱلْغَادِينَ فِي ٱلسَّفْرِ

رَبَّيْتُهُ دَهْرًا أُفَنِّقُهُ   فِي ٱلْيُسْرِ أَغْذُوهُ وَفِي ٱلْعُسْرِ

حَتَّى إِذَا ٱلتَّأْمِيلُ أَمْكَنَنِي   فِيهِ قُبَيْلَ تَلَاصُقِ ٱلثَّغْرِ

وَجَعَلْتُ مِنْ شَغَفِي أُنَقِّلُهُ   فِي ٱلْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفٍ غُبْرِ

أَدَعُ ٱلْمَزَارِعَ وَٱلْحُصُونَ بِهِ   وَأَحِلُّهُ فِي ٱلْمَهْمَهِ ٱلْقَفْرِ

مَا زِلْتُ أُصْعِدُهُ وَأُحْدِرُهُ   مِنْ قُتْرِ مَوْمَاةٍ إِلَى قُتْرِ

هَرَبًا بِهِ وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ   حَيْثُ ٱنْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي

إِذْ رَاعَنِي صَوْتٌ هَبِبْتُ بِهِ   وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيَّمَا ذُعْرِ

وَإِذَا مَنِيَّتُهُ تُسَاوِرُهُ   قَدْ كَدَّحَتْ فِي ٱلْوَجْهِ وَٱلنَّحْرِ

وَأَذَالَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ   مِمَّا يَجِشُّ بِهِ مِنَ ٱلصَّدْرِ

وَٱلْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَبْسُطُهُ   كَٱلثَّوْبِ عِنْدَ ٱلطَّيِّ وَٱلنَّشْرِ

فَمَضَى وَأَيُّ فَتًى فُجِعْتُ بِهِ   جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ عَنِ ٱلْقَدْرِ

لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بَذَلْتُ لَهُ   مَالِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ وَفْرِ

أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمْرِي آثَرْتُهُ بِالشَّطْرِ مِنْ عُمْرِي
قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ فَعَدَا وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى فَقْرِي
لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَّعَنِي بِابْنِي وَشَدَّ بِأَزْرِهِ أَزْرِي
بُنِيَتْ عَلَيْكَ بُنَيَّ أَحْوَجَ مَا كُنَّا إِلَيْكَ صَفَائِحُ الصَّخْرِ
لَا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يَا عُمَرِي إِمَّا مَضَيْتَ فَنَحْنُ بِالْإِثْرِ
هٰذِي سَبِيلُ النَّاسِ كُلِّهِمِ لَا بُدَّ سَالِكُهَا عَلَى سَفْرِ

٢٢٢ لمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا
كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةٌ ظِلَالَا
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ نِزَارٌ تَهُدُّ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ الْجِبَالَا
وَعُطِّلَتِ الثُّغُورُ لِفَقْدِ مَعْنٍ وَقَدْ يُرْوِي بِهَا الْأَسَلَ النِّهَالَا
وَأَظْلَمَتِ الْعِرَاقُ وَأَوْرَثَتْهَا مُصِيبَتُهُ الْمُجَلَّلَةُ اخْتِلَالَا
وَظَلَّ الشَّامُ يَرْجُفُ جَانِبَاهُ لِرُكْنِ الْعِزِّ حِينَ وَهَى فَمَالَا
وَكَادَتْ مِنْ تِهَامَةَ كُلُّ أَرْضٍ وَمِنْ نَجْدٍ تَزُولُ غَدَاةَ زَالَا
فَإِنْ يَعْلُ الْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ فَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ بِهِ اخْتِيَالَا
أَصَابَ الْمَوْتُ يَوْمَ أَصَابَ مَعْنًا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعَالَا
كَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا
وَلَمْ يَكُ طَالِبٌ لِلْعُرْفِ يَنْوِي إِلَى غَيْرِ ابْنِ زَائِدَةَ ارْتِحَالَا
مَضَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلَّ عِبْءٍ وَيَسْبِقُ فَضْلُ نَائِلِهِ السُّؤَالَا

وَمَا عَمَدَ ٱلْوُفُودُ لِمِثْلِ مَعْنٍ ... وَلَا حَطُّوا بِسَاحَتِهِ ٱلرِّحَالَا
وَلَا بَلَغَتْ أَكُفُّ ذَوِي ٱلْعَطَايَا ... يَمِينًا مِنْ يَدَيْهِ وَلَا شِمَالَا
وَمَا كَانَتْ تَجِفُّ لَهُ حِيَاضٌ ... مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ مُتْرَعَةٌ سِجَالَا
فَلَيْتَ ٱلشَّامِتِينَ بِهِ فَدَوْهُ ... وَلَيْتَ ٱلْعُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالَا
وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلٰكِنْ ... سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ وَٱلسُّمْرَ ٱلصِّقَالَا
وَذُخْرًا فِي مَحَامِدَ بَاقِيَاتٍ ... وَفَضْلَ تُقًى بِهِ ٱلتَّفْضِيلَ نَالَا
مَضَى لِسَبِيلِهِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو ... بِهِ عَثَرَاتِ دَهْرِكَ أَنْ تُقَالَا
فَلَسْتُ بِمَالِكٍ عَبَرَاتِ عَيْنٍ ... أَبَتْ بِدُمُوعِهَا إِلَّا ٱنْهِمَالَا
فَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ ٱلْيَتَامَى ... غَدَوْا شُعْثًا وَقَدْ أَضْحَوْا سِلَالَا
وَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ ٱلْقَوَافِي ... لِمُمْتَدِحٍ بِهَا ذَهَبَتْ ضَلَالَا
أَقَمْنَا بِٱلْيَمَامَةِ إِذْ يَئِسْنَا ... مُقَامًا لَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَرْحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ ... وَقَدْ ذَهَبَ ٱلنَّوَالُ فَلَا نَوَالَا
سَيَذْكُرُكَ ٱلْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالٍ ... إِذَا هُوَ فِي ٱلْأُمُورِ بَلَا ٱلرِّجَالَا
وَلَا يَنْسَى وَقَائِعَكَ ٱللَّوَاتِي ... عَلَى أَعْدَائِهِ جُعِلَتْ وَبَالَا
حَبَاكَ أَخُو أُمَيَّةَ بِٱلْمَرَاثِي ... مَعَ ٱلْمَدْحِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ قَالَا
وَأَلْقَى رَحْلَهُ أَسَفًا وَآلَى ... يَمِينًا لَا يَشُدُّ لَهُ حِبَالَا

٢٢٣ رثاء بني برمك لسليمان بن برمك

أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا عُيُونًا ... بِهِمْ نُسْقَى إِذَا ٱنْقَطَعَ ٱلْغَمَامُ
فَقُلْتُ وَفِي ٱلْفُؤَادِ ضَرِيمُ نَارٍ ... وَلِلْعَبَرَاتِ مِنْ عَيْنِي ٱنْسِجَامُ

عَلَى ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلدُّنْيَا جَمِيعًا ... وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ ٱلسَّلَامُ

جَزِعْتُ عَلَيْكَ يَا فَضْلَ بْنَ يَحْيَى ... وَمَنْ يَجْزَعْ عَلَيْكَ فَلَا يُلَامُ

هَوَتْ بِكَ أَنْجُمُ ٱلْمَعْرُوفِ فِينَا ... وَعَزَّ بِفَقْدِكَ ٱلْقَوْمُ ٱللِّئَامُ

وَلَمْ أَرَ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ٱبْنَ يَحْيَى ... حُسَامًا قَدَّهُ ٱلسَّيْفُ ٱلْحُسَامُ

بَرَيْنَ ٱلْحَادِثَاتُ لَهُ سِهَامًا ... فَغَالَتْهُ ٱلْحَوَادِثُ وَٱلسِّهَامُ

لِيَهْنِ ٱلْحَاسِدِينَ بِأَنَّ يَحْيَى ... أَسِيرٌ لَا يُضِيمُ وَيُسْتَضَامُ

وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بَعْدَ رِدَاءِ عِزٍّ ... غَدَا وَرِدَاؤُهُ دَالٌ وَلَامُ

وَقَدْ آلَيْتُ مُعْتَذِرًا بِنَذْرٍ ... وَلِي فِيمَا نَذَرْتُ بِهِ ٱعْتِزَامُ

بِأَنْ لَا ذُقْتُ بَعْدَكُمُ مُدَامًا ... وَمَوْتِي أَنْ يُفَارِقَنِي ٱلْمُدَامُ

أَأَلْهُو بَعْدَكُمْ وَأَقِرُّ عَيْنًا ... عَلَيَّ ٱللَّهْوُ بَعْدَكُمُ حَرَامُ

وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَفَضْلٌ ... أَسِيرٌ دُونَهُ ٱلْبَلَدُ ٱلشَّآمُ

وَجَعْفَرُ ثَاوِيًا بِٱلْجِسْرِ أَبْلَتْ ... مَحَاسِنَهُ ٱلسَّمَائِمُ وَٱلْقَتَامُ

أَمُرُّ بِهِ فَيَغْلِبُنِي بُكَائِي ... وَلَكِنَّ ٱلْبُكَاءَ لَهُ ٱكْتِتَامُ

أَقُولُ وَقُمْتُ مُنْتَصِبًا لَدَيْهِ ... إِلَى أَنْ كَادَ يَفْضَحُنِي ٱلْقِيَامُ

أَمَا وَٱللهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ ... وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ

لَثِمْنَا رُكْنَ جِذْعِكَ وَٱسْتَلَمْنَا ... كَمَا لِلنَّاسِ بِٱلْحَجَرِ ٱسْتِلَامُ

٢٢٤ رثاء الشريف محمد بن محمد بن عيسى القوصي لابن دقيق العيد الشاعر

سَيَطُولُ بَعْدَكَ فِي ٱلطُّلُولِ وُقُوفِي ... أُرْوِي ٱلثَّرَى مِنْ مَدْمَعِي ٱلْمَذْرُوفِ

لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِيكَ حَتْفُكَ فِدْيَةً ... لَفُدِيتَ مِنْ عُلَمَائِنَا بِٱلْوُفِ

أَوْ كَانَ مِنْ حُمْرِ ٱلْمَنَايَا مَانِعٌ مَنَعَتْكَ سُمْرُ قَنًا وَبِيضُ سُيُوفِ
يَا طَالِبِي ٱلْمَعْرُوفِ أَيْنَ مَصِيرُكُمْ مَاتَ ٱلْفَتَى ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْمَعْرُوفِ
أَلْمُشْتَرِي ٱلْعُلْيَا بِأَعْلَى قِيمَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَخْسٍ وَلَا تَطْفِيفِ
مَا عَنَّفَ ٱلْجُلَسَاءَ قَطُّ وَنَفْسُهُ لَمْ يُخْلِهَا يَوْمًا مِنَ ٱلتَّعْنِيفِ
يَا مُرْشِدَ ٱلْفِتْيَانِ إِذْ مَا أَشْكَلَتْ طُرُقُ ٱلصَّوَابِ وَمُنْجِدَ ٱلْمَلْهُوفِ
مَنْ لِلضَّعِيفِ يُعِينُهُ أَنَّى أَتَى مُسْتَصْرِخًا يَا غَوْثَ كُلِّ ضَعِيفِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَٱلْأَرَامِلِ كَافِلٌ يَرْجُونَهُ فِي شَتْوَةٍ وَمَصِيفِ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي تُقًى وَعِبَادَةٍ وَإِفَادَةٍ لِلْعِلْمِ أَوْ تَصْنِيفِ
وَسَبَحْتَ فِي بَحْرِ ٱلْعُلُومِ مُكَابِدًا أَمْوَاجَهُ وَٱلنَّاسُ دُونَ سُيُوفِ
وَبَذَلْتَ سَائِرَ مَا حَوَيْتَ وَلَمْ تَدَعْ لَكَ مِنْ تَلِيدٍ فِي ٱلْعُلَا وَطَرِيفِ
يَا شَمْسُ مَا لَكِ تَطْلُعِينَ أَلَمْ تَرَيْ شَمْسَ ٱلْمَعَارِفِ غُيِّبَتْ بِكُسُوفِ
لَهْفِي عَلَى حَبْرٍ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ قَدْ كَانَ مَرْجُوًّا لِكُلِّ مُخِيفِ
كَانَ ٱلْخَفِيفَ عَلَى تَقِيٍّ مُؤْمِنٍ لَكِنْ عَلَى ٱلْفُجَّارِ غَيْرَ خَفِيفِ
عَمَّ ٱلْمُصَابُ بِهِ ٱلطَّوَائِفَ كُلَّهَا لَمَّا أَلَمَّ وَخَصَّ كُلَّ حَنِيفِ
بُشْرَاكَ يَا ٱبْنَ عَلِيٍّ ٱلْعَالِي ٱلذُّرَى إِذْ بِتَّ ضَيْفًا عِنْدَ خَيْرِ مُضِيفِ
وَلَقَدْ نَزَلْتَ عَلَى كَرِيمٍ غَافِرٍ بِٱلنَّازِلِينَ كَمَا عَلِمْتَ رَؤُوفِ

٢٢٥ للحافظ بن حجر في رثاء الحافظ الامام الكبير زين الدين العراقي

مُصَابٌ لَمْ يُنَفِّسْ لِلْخِنَاقِ أَصَارَ ٱلدَّمْعَ جَارًا لِلْمَآقِ
فَرَوْضُ ٱلْعِلْمِ بَعْدَ ٱلزَّهْوِ ذَاوٍ وَدَوْحُ ٱلْفَضْلِ قَدْ بَلَغَ ٱلتَّرَاقِي

فَطَافَ بِأَرْضِ مِصْرٍ كُلُّ عِلْمٍ ... بِكَأْسِ الْحَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ سَاقِي
فَيَا أَهْلَ الشَّآمِ وَمِصْرَ فَابْكُوا ... عَلَى عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْعِرَاقِي
عَلَى الْحَبْرِ الَّذِي شَهِدَتْ قُرُومٌ ... لَهُ بِالِانْفِرَادِ عَلَى اتِّفَاقِ
وَمَنْ فُتِحَتْ لَهُ قِدَمًا عُلُومٌ ... غَدَتْ عَنْ غَيْرِهِ ذَاتَ انْغِلَاقِ
وَمِنْ سِتِّينَ عَامًا لَمْ يُجَارَى ... وَلَا طَمِعَ الْمُجَارِي فِي اللَّحَاقِ
فَأَصْبَحَ بِالْكَرَامَةِ فِي اصْطِبَاحٍ ... وَبِالتُّحَفِ الْكَرِيمَةِ فِي اغْتِبَاقِ
فَيَا أَسَفَا وَيَا حُزْنَا عَلَيْهِ ... أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمَاتِ الرِّقَاقِ
وَيَا أَسَفَا لِتَقْيِيدَاتِ عِلْمٍ ... تَوَلَّتْ بَعْدَهُ ذَاتَ انْطِلَاقِ
عَلَيْهِ سَلَامُ رَبِّي كُلَّ حِينٍ ... يُلَاقِيهِ الرِّضَا فِيمَا يُلَاقِي
وَأَسْقَتْ لَحْدَهُ سُحْبُ الْغَوَادِي ... إِذَا انْهَمَلَتْ هَمَتْ ذَاتَ انْطِبَاقِ
وَزَانَتْ دِينَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... تَحِيَّاتٌ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِي

٢٢٦ للبرهان القيراطي يرثي جمال الدين عبد الرحيم شيخ الشافعية

نَعَمْ قُبِضَتْ رُوحُ الْعُلَا وَالْفَضَائِلِ ... بِمَوْتِ جَمَالِ الدِّينِ صَدْرِ الْأَفَاضِلِ
تَعَطَّلَ مِنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَكَانُهُ ... وَغُيِّبَ عَنْهُ فَاضِلٌ أَيُّ فَاضِلِ
أَحَقًّا وُجُوهُ الْفِقْهِ زَالَ جَمَالُهَا ... وَحُطَّتْ أَعَالِي هَضْبِهَا لِلْأَسَافِلِ
قِفُوا خَبِّرُونَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ... وَيَجْرِي فِي مَيْدَانِ كُلِّ مُنَاضِلِ
قِفُوا خَبِّرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُشَابِهٍ ... قِفُوا خَبِّرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ
فَأَعْظِمْ بِحَبْرٍ كَانَ لِلْعِلْمِ سَاعِيًا ... بِعَزْمٍ صَحِيحٍ لَيْسَ بِالْمُتَكَاسِلِ
وَأَعْظِمْ بِهِ يَوْمَ الْجِدَالِ مُنَاظِرًا ... إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَكَانًا لِقَائِلِ

وَأَسْيَافُهُ فِي ٱلْبَحْثِ قَاطِعَةُ ٱلظُّبَا ... بِجَوْهَرِهَا لَمْ يَفْتَقِـرْ لِلصَّيَاقِلِ
يَقُومُ بِإِيضَاحِ ٱلْمَسَائِلِ مُرْشِدًا ... لِمُسْتَفْهِمٍ أَوْ طَالِبٍ أَوْ مُسَائِلِ
لَهُ قَدَمٌ فِي ٱلْفِقْهِ سَابِقَــةُ ٱلْخُطَا ... يُقَصِّرُ عَنْهَا كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلِ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَاهُ فِيهِ مَرَاتِبًا ... يُقِرُّ لَهُ بِٱلْفَضْلِ كُلُّ مُجَادِلِ
فَكَمْ كَانَ يُبْدِي فِيهِ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... وَيُظْهِرُ مِنْ أَبْكَارِهِ بِٱلْعَقَائِلِ
أَحَلَّ جَمَالَ ٱلدِّينِ فِي ٱلْخُلْدِ رَبُّهُ ... لِيَحْظَى بِعَفْوٍ مِنْهُ شَافٍ وَشَامِلِ
وَحَيَّاهُ بِٱلرَّيْحَانِ وَٱلرَّوْحِ وَٱلرِّضَا ... إِلٰهُ ٱلْبَرَايَا فِي ٱلضُّحَى وَٱلْأَصَائِلِ
لَقَدْ كَانَ فِي ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْعِلْمِ مُخْلِصًا ... لِمَنْ لَمْ يُضَيِّعْ فِي غَدٍ سَعْيَ عَامِلِ
فَلَهْفِي لِأَمْدَاحٍ عَلَيْــهِ تَحَوَّلَتْ ... مَرَاثِيَ تَبْكِي بِٱلدُّمُوعِ ٱلْهَوَامِلِ
يُسَاعِدُنِي فِيــهِ ٱلْحَمَامُ بِشَجْوِهَا ... وَأَغْلَبُهَا مِنْ لَوْعَتِي بِٱلْبَــلَابِلِ
صَرَفْتُ عَلَيْهِ كَنْزَ صَبْرِي وَأَدْمُعِي ... وَأَفْنَيْتُ مِنْ هٰذَا وَهٰذَا حَوَاصِلِي
وَمَا نَحْنُ إِلَّا رَكْبُ مَوْتٍ إِلَى ٱلْبِلَى ... تُسَيِّرُنَا أَيَّامُنَــا كَٱلرَّوَاحِلِ
قَطَعْنَا إِلَى نَحْوِ ٱلْقُبُــورِ مَرَاحِلًا ... وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا أَقَلُّ ٱلْمَرَاحِلِ
وَهٰذَا سَبِيلُ ٱلْعَالَمِينَ جَمِيعِهِمْ ... فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلِ

٢٢٧ لبهاء الدين زهير يرثي فتح الدين عثمان والي الاسكندرية

عَلَيْــكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا قَبْرَ عُثْمَانِ ... وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ
وَمَا زَالَ مُنْهَلًّا عَلَى تُرْبِكَ ٱلْحَيَــا ... يُغَادِيكَ مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفَ هَتَّانِ
لَقَدْ خُنْتُهُ فِي ٱلْوُدِّ إِذْ عِشْتُ بَعْدَهُ ... وَمَا كَانَ فِي وُدِّ ٱلصَّدِيقِ بِخَوَّانِ
وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي ٱلْخُطُوبِ يُطِيعُنِي ... فَمَا لِي أَرَاهُ ٱلْيَــوْمَ أَظْهَرَ عِصْيَانِي

فيا طاوِيًا قد طيَّبَ اللهُ ذِكرَهُ ... فأضحى وطِيبُ الذكرِ عُمرٌ لهُ ثانِ
وَجدتَّ الذي أسلاكَ عنّي وإنَّني ... وحقِّك ما حدّثتُ نفسي بسُلوانِ
لَقد دفنَ الأقوامُ يومَ لِقائِهِ ... بقيّةَ معروفٍ وخيرٍ وإحسانِ
يُواجِهُني في كلِّ يومٍ خيالُهُ ... كما كنتُ أَلقاهُ قديمًا ويَلقاني
وأُقسِمُ لو نادَيتُهُ وهوَ ميِّتٌ ... لَجاوبَني تحتَ التُرابِ ونادانِي
هَنيئًا لهُ قد طابَ حيًّا ومَيِّتًا ... فما كانَ مُحتاجًا لتَطييبِ أكفانِي
صَديقيَ الذي إذ ماتَ ماتت مُهجَتي ... فمالِيَ لا أَبكيهِ والرُزءُ رُزآنِ
وكانَ أنيسي مُذ بُليتُ بقُربِهِ ... وكُنتُ كأنّي بينَ أهلي وأوطاني
وقد كانَ أسلاني منَ النَّاسِ كُلِّهِم ... ولا أحدٌ عنهُ منَ النّاسِ أسلاني
كريمُ المُحيّا باسِمٌ مُتَهلِّلٌ ... متى جِئتَهُ لم تلقَهُ غيرَ جذلانِ
يَمُنُّ لِمَن يرجوهُ من غيرِ منّةٍ ... فإنْ قُلتَ منّانٌ فقُلْ غيرُ منّانِ
فَقدتُ حبيبًا وابتُليتُ بغُربةٍ ... وحسبُكَ من هذَينِ أمرانِ مُرّانِ
هوَ الموتُ ما فيهِ وفاءٌ لِصاحِبٍ ... وهيهاتِ إنسانٌ يموتُ لإنسانِ
وما النّاسُ إلّا راحِلٌ بعدَ راحِلٍ ... إلى العالَمِ الباقي منَ العالَمِ الفاني

مرثية أبي الحسن الأنباري للوزير ابي طاهر

٢٣٨ لمّا استعرت الحرب بين عزّ الدولة بن بويه وابن عمّهِ عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عزّ الدولة ابي طاهر محمد بن بقيّة فسملهُ وشهَّرهُ وعلى راسهِ برنس . ثم طرحهُ للفيَلة فقتلتهُ . ثم صلبهُ عند دارهِ بباب الطاق وعمرهُ نيف وخمسون سنة . ولمّا صُلِب رثاهُ ابو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري احد العدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء . فلمّا وقف عليها عضد الدولة قال : وددتُ لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيَّ

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ ... لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ
كَأَنَّ ٱلنَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا ... وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ ٱلصِّلَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا ... وَكُلُّهُمُ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ ٱحْتِفَاءً ... كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِٱلْهِبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ ٱلْأَرْضِ عَنْ أَنْ ... يَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ ٱلْوَفَاةِ
أَصَارُوا ٱلْجَوَّ قَبْرَكَ وَٱسْتَعَاضُوا ... عَنِ ٱلْأَكْفَانِ ثَوْبَ ٱلسَّافِيَاتِ
لِعِظَمِكَ فِي ٱلنُّفُوسِ بَقِيتَ تُرْعَى ... بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ
وَتُوقَدُ حَوْلَكَ ٱلنِّيرَانُ لَيْلًا ... كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ ... عَلَاهَا فِي ٱلسِّنِينَ ٱلْمَاضِيَاتِ
وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأَسٍّ ... تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ ٱلْعُدَاةِ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا ... تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ ٱلْمَكْرُمَاتِ
أَسَأْتَ إِلَى ٱلنَّوَائِبِ فَٱسْتَثَارَتْ ... فَأَنْتَ قَتِيلُ ثَأْرِ ٱلنَّائِبَاتِ
وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ ٱللَّيَالِي ... فَصَارَ مُطَالِبًا لَكَ بِٱلتِّرَاتِ
وَصَيَّرَ دَهْرُكَ ٱلْإِحْسَانَ فِيهِ ... إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ ٱلسَّيِّئَاتِ
وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْدًا فَلَمَّا ... مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِٱلْمُنْحِسَاتِ
غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فُؤَادِي ... يُخَفَّفُ بِٱلدُّمُوعِ ٱلْجَارِيَاتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ ... بِفَرْضِكَ وَٱلْحُقُوقِ ٱلْوَاجِبَاتِ
مَلَأْتُ ٱلْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ ٱلْقَوَافِي ... وَنُحْتُ بِهَا خِلَافَ ٱلنَّائِحَاتِ
وَلَكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسِي ... مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ ٱلْجُنَاةِ

وَمَالَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولَ تُسْقَى لِأَنَّكَ نُصْبُ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمٰنِ تَتْرَى بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

وَقَالَ فِيهِ حِينَ أُنْزِلَ عَنِ الصَّلِيبِ :

لَمْ يُلْحِقُوا بِكَ عَارًا إِذْ صُلِبْتَ بَلَى بَاءُوا بِإِثْمِكَ ثُمَّ ٱسْتَرْجَعُوا نَدَمَا
وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِي فِعْلِهِمْ غَلِطُوا وَأَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنْ سُؤْدُدٍ عَلَمَا
فَٱسْتَرْجَعُوكَ وَوَارَوا مِنْكَ طَوْدَ عُلًا بِدَفْنِهِ دَفَنُوا ٱلْإِفْضَالَ وَٱلْكَرَمَا
لَئِنْ بَلِيتَ فَلَا يَبْلَى نَدَاكَ وَلَا تُنْسَى وَكَمْ هَالِكٍ يُنْسَى إِذَا قَدُمَا
تَقَاسَمَ ٱلنَّاسُ حُسْنَ ٱلذِّكْرِ فِيكَ كَمَا مَا زَالَ مَالُكَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مُقْتَسَمَا

٢٢٩ قَالَ ٱلْعُقَيْلِيُّ يَرْثِي صَدِيقًا لَهُ صُلِبَ :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذَّبٍ طَوِيلٍ تُسَفِّيكَ ٱلرِّيَاحُ مَعَ ٱلْقَطْرِ
لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ ٱلْيَدَيْنِ مُبَرِّزًا وَعُوفِيتَ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ ٱلْقَبْرِ
وَأَفْلَتَّ مِنْ ضِيقِ ٱلتُّرَابِ وَغَمِّهِ وَلَمْ تَفْقِدِ ٱلدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ
فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ ٱلْبُكَا عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى ٱلْحَشْرِ
فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا وَلٰكِنَّنِي أَبْكِي لِفَقْدِكَ فِي سِرِّي

٢٣٠ قال مصعبُ بن عبد الله الزبيريّ يرثي اسحاق الموصليّ

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي ٱلْعُيُونُ ٱلذَّوَارِفُ وَيَنْهَلُّ مِنْهَا وَاكِفٌ ثُمَّ وَاكِفُ
نَعَمْ لِٱمْرِئٍ لَمْ يَبْقَ فِي ٱلنَّاسِ مِثْلُهُ مُفِيدٌ لِعِلْمٍ أَوْ صَدِيقٌ مُلَاطِفُ
تَجَهَّزَ إِسْحَاقٌ إِلَى ٱللهِ غَادِيًا فَلِلّٰهِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ٱللَّفَائِفُ
وَمَا حَمَلَ ٱلنَّعْشَ ٱلْمُزَجَّى عَشِيَّةً إِلَى ٱلْقَبْرِ إِلَّا دَامِعُ ٱلْعَيْنِ لَاهِفُ

صُدُورُهُمْ مَرْضَى عَلَيْهِ عَمِيدَةٌ ... لَهَا أَزْمَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَزَفَازِفُ
تَرَى كُلَّ مَحْزُونٍ تُفِيضُ جُفُونُهُ ... دُمُوعًا عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ وَٱلْوَجْهُ شَاسِفُ
جُزِيتَ جَزَاءَ ٱلْمُحْسِنِينَ مُضَاعَفًا ... كَمَا كَانَ جَدْوَاكَ ٱلنَّدَى ٱلْمُتَضَاعِفُ
فَكَمْ لَكَ فِينَا مِنْ خَلَائِقَ جَزْلَةٍ ... سَبَقْتَ بِهَا مِنْهَا حَدِيثٌ وَسَالِفُ
هِيَ ٱلشَّهْدُ أَوْ أَحْلَى إِلَيْنَا حَلَاوَةً ... مِنَ ٱلشَّهْدِ لَمْ يَمْزُجْ بِهِ ٱلْمَاءَ غَارِفُ
ذَهَبْتَ وَخَلَّيْتَ ٱلصَّدِيقَ بِعَوْلَةٍ ... بِهِ أَسَفٌ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرَادِفُ
بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَتَنَكَّرَتْ ... مَعَالِمُ مِنْ آفَاتِهَا وَمَعَارِفُ
فَمَا ٱلدَّارُ بِٱلدَّارِ ٱلَّتِي كُنْتُ أَعْتَرِي ... وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا ٱفْتِقَادِيكَ عَارِفُ
هِيَ ٱلدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَخَشَّعَتْ ... وَأَظْلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ وَهْوَ كَاسِفُ
وَبَانَ ٱلْجَمَالُ وَٱلْفَعَالُ كِلَاهُمَا ... مِنَ ٱلدَّارِ وَٱسْتَنَّتْ عَلَيْهَا ٱلْعَوَاصِفُ
خَلَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّمَا ... بِعَاقِبَةٍ لَمْ يَغْنَ فِي ٱلدَّارِ طَارِفُ
يَسُرُّ ٱلَّذِي فِيهَا إِذَا مَا بَدَا لَهُ ... وَيَفْتَرُّ مِنْهَا ضَاحِكًا وَهْوَ وَاقِفُ
بِمَا كَانَ مَيْمُونًا عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ ... يُعِينُ عَلَى مَا نَابَهُ وَيُكَانِفُ
سَرِيعٌ إِلَى إِخْوَانِهِ بِرِضَائِهِ ... وَعَنْ كُلِّ مَا سَاءَ ٱلْأَخِلَّاءَ صَارِفُ

رثاء الخلفاء والملوك

٢٣١ للمهلبي يرثي المتوكل

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجِدُ ... وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقَدُ
هَلَّا أَتَاهُ مُعَادِيهِ مُجَاهَرَةً ... وَٱلْحَرْبُ تُسْعَرُ وَٱلْأَبْطَالُ تَطَّرِدُ
فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ مُنْجَدِلًا ... لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا ٱنْقَضَى ٱلْأَمَدُ

قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... وَلِلرَّدَى دُونَ أَرْصَادِ ٱلْفَتَى رَصَدُ

وَأَصْبَحَ ٱلنَّاسُ فَوْضَى يَعْجَبُونَ لَهُ ... لَيْثًا صَرِيعًا تَنَزَّى حَوْلَهُ ٱلنَّقَدُ

عَلَتْكَ أَسْيَافُ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ ... وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا ٱلْوَاحِدُ ٱلصَّمَدُ

ضَجَّتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ ٱلْعِزِّ حِينَ رَأَتْ ... خَدًّا كَرِيمًا عَلَيْهِ قَارِتٌ جَسِدُ

أَضْحَى شَهِيدُ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ مَوْعِظَةً ... لِكُلِّ ذِي عِزَّةٍ فِي رَأْسِهِ صَيَدُ

فَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى ٱلْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ ... حَمَتْكُمُ ٱلسَّادَةُ ٱلْمَرْكُوزَةُ ٱلْحَشَدُ

قَوْمٌ هُمُ ٱلْجِذْمُ وَٱلْأَنْسَابُ تَجْمَعُكُمْ ... وَٱلْمَجْدُ وَٱلدِّينُ وَٱلْأَرْحَامُ وَٱلْبَلَدُ

٢٣٢ من مرثية ابن عبدون الفهري للملوك بني الافطس

أَلدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ ٱلْعَيْنِ بِٱلْأَثَرِ ... فَمَا ٱلْبُكَاءُ عَلَى ٱلْأَشْبَاحِ وَٱلصُّوَرِ

فَلَا يَغُرَّنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا ... فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى ٱلسَّهَرِ

تَسُرُّ بِٱلشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَغُرَّ بِهِ ... كَٱلْأَيْمِ ثَارَ إِلَى ٱلْجَانِي مِنَ ٱلزَّهَرِ

كَمْ دَوْلَةٍ وَلِيَتْ بِٱلنَّصْرِ خِدْمَتَهَا ... لَمْ تُبْقِ مِنْهَا وَسَلْ ذِكْرَاكَ مِنْ خَبَرِ

هَوَتْ بِدَارَا وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ ... وَكَانَ عَضْبًا عَلَى ٱلْأَمْلَاكِ ذَا أَثَرِ

وَٱسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ ... وَلَمْ تَدَعْ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثَرِ

وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي ٱلْهَيْآتِ مِنْ يَمَنٍ ... وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي ٱلْغَايَاتِ مِنْ مُضَرِ

وَمَزَّقَتْ سَبَأً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ ... فَمَا ٱلْتَقَى رَائِحٌ مِنْهَا بِمُبْتَكِرِ

وَخَضَّبَتْ شَيْبَ عُثْمَانٍ دَمًا وَخَطَتْ ... إِلَى ٱلزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمَرِ

وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ ... وَأَشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرِ

وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمَنٍ ... وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ

سُحْقاً لِيَوْمِكُمُ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ   بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي سَالِفِ ٱلْعُمُرِ
مَنْ لِلْأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعِنَّةِ أَوْ   مَنْ لِلْأَسِنَّةِ يُهْدِيهَا إِلَى ٱلثُّغَرِ
مَنْ لِلْبَرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْيَرَاعَةِ أَوْ   مَنْ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَٱلضَّرَرِ
أَوْ دَفْعِ كَارِثَةٍ أَوْ قَمْعِ آزِفَةٍ   أَوْ رَدْعِ حَادِثَةٍ تُعْيِي عَلَى ٱلْقَدَرِ
وَيْبَ ٱلسَّمَاحِ وَوَيْبَ ٱلْبَأْسِ لَوْ سَلِمَا   وَاحَسْرَةَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا عَلَى عُمَرِ
سَقَتْ ثَرَى ٱلْفَضْلِ وَٱلْعَبَّاسِ هَامِيَةٌ   تُعْزِي إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى ٱلْمَطَرِ
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ   حَتَّى ٱلتَّمَتُّعُ بِٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَرِ
أَيْنَ ٱلْجَلَالُ ٱلَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ   قُلُوبَنَا وَعُيُونَ ٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهُرِ
أَيْنَ ٱلْإِبَاءُ ٱلَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ   عَلَى دَعَائِمَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ
أَيْنَ ٱلْوَفَاءُ فَقَدْ أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ   فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَدَرِ
عَلَى ٱلْفَضَائِلِ إِلَّا ٱلصَّبْرُ بَعْدَهُمُ   سَلَامُ مُرْتَقِبٍ لِلْأَجْرِ مُنْتَظِرِ
يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا طَمَعٌ   وَٱلدَّهْرُ ذُو عُقَبٍ شَتَّى وَذُو غِيَرِ

٢٣٣ لابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين

أَلنَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ ٱلطِّرَادْ   فَٱلسَّابِقُ ٱلسَّابِقُ مِنْهَا ٱلْجَوَادْ
وَٱللهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ   إِلَّا مَنِ ٱسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي ٱلْعِبَادْ
وَٱلْمَوْتُ نَقَّادٌ عَلَى كَفِّهِ   جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا ٱلْجِيَادْ
وَٱلْمَرْءُ كَٱلظِّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ   يَزُولَ ذَاكَ ٱلظِّلُّ بَعْدَ ٱمْتِدَادْ
لَا تَصْلُحُ ٱلْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا   سَرَى إِلَى ٱلْأَجْسَادِ هٰذَا ٱلْفَسَادْ
أَرْغَمْتَ يَا مَوْتُ أُنُوفَ ٱلْقَنَا   وَدُسْتَ أَعْنَاقَ ٱلسُّيُوفِ ٱلْحِدَادْ

كَيْفَ تَخَرَّمْتَ عَلِيًّا وَمَا　　أَنْجَدَهُ كُلُّ طَوِيلِ ٱلنِّجَادْ

نَجْلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي　　مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ ٱلْجَمَادْ

مُصِيبَةٌ أَذْكَتْ قُلُوبَ ٱلْوَرَى　　كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زِنَادْ

نَازِلَةٌ جَلَّتْ فَمِنْ أَجْلِهَا　　سَنَّ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ لُبْسَ ٱلسَّوَادْ

مَأْتَمَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ لٰكِنَّهَا　　عُرْسٌ عَلَى ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ ٱلشِّدَادْ

طَرَقْتَ يَا مَوْتُ كَرِيمًا فَلَمْ　　يَقْنَعْ بِغَيْرِ ٱلنَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادْ

قَصَفْتَهُ مِنْ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى　　غُصْنًا فَشُلَّتْ يَدُ أَهْلِ ٱلْفَسَادْ

يَا ثَالِثَ ٱلسِّبْطَيْنِ خَلَّفْتَنِي　　أَهِيمُ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادْ

يَا نَائِمًا فِي غَمَرَاتِ ٱلرَّدَى　　كَحَّلْتَ أَجْفَانِي بِمِيلِ ٱلسُّهَادْ

وَيَا ضَجِيعَ ٱلتُّرْبِ أَقْلَقْتَنِي　　كَأَنَّمَا فَرْشِي شَوْكُ ٱلْقَتَادْ

دُفِنْتَ فِي ٱلتُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا　　مَا كُنْتَ إِلَّا فِي صَمِيمِ ٱلْفُؤَادْ

لَوْ لَمْ تَكُنْ أَسْخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ　　مَثْوَاكَ عَيْنَايَ كَصَوْبِ ٱلْعِهَادْ

٢٣٤ لابي بكر بن عبد الصمد يرثي الخليفة المعتمد بالله

مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ أَسَامِعٌ فَأُنَادِي　　أَمْ قَدْ عَدَتْكَ عَنِ ٱلسَّمَاعِ عَوَادِ

لَمَّا خَلَتْ مِنْكَ ٱلْقُصُورُ وَلَمْ تَكُنْ　　فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْأَعْيَادِ

أَقْبَلْتُ فِي هٰذَا ٱلثَّرَى لَكَ خَاضِعًا　　وَتَخِذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ ٱلْإِنْشَادِ

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تُبَدِّدَ أَدْمُعِي　　نِيرَانَ حُزْنٍ أَضْرَمَتْ بِفُؤَادِي

فَإِذَا بِدَمْعِي كُلَّمَا أَجْرَيْتُهُ　　زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةُ ٱلْأَكْبَادِ

فَٱلْعَيْنُ فِي ٱلتَّسْكَابِ وَٱلتَّهْتَانِ وَٱلْـ　　أَحْشَاءُ فِي ٱلْإِحْرَاقِ وَٱلْإِيقَادِ

يا أيُّها القمرُ المنيرُ أهكذا ... يُمحى ضياءُ النَّيِّرِ الوقَّادِ
أفقدتَ عيني مذ فقدتَ إنارةً ... لحجابها في ظلمةٍ وسوادِ
ما كان ظنّي قبلَ موتكَ أن أرى ... قبرًا يضمُّ شوامخَ الأطوادِ
الهضبةُ الشمّاءُ تحتَ ضريحهِ ... والبحرُ ذو التيّارِ والأزبادِ
عهدي بملكٍ وهو طلقٌ ضاحكٌ ... متهلّلُ الصفحاتِ للقصّادِ
أيّامَ يخفقُ حولكَ الراياتُ فو ... قَ كتائبِ الرؤساءِ والأجنادِ
والأمرُ أمرُكَ والزمانُ مبشّرٌ ... بممالكٍ قد أذعنت وبلادِ
والخيلُ تمرحُ والفوارسُ تنحني ... بينَ الصوارمِ والقنا الميّادِ

٢٣٥ للمفتي ابي السعود يرثي السلطان سليمان

أصوتُ صاعقةٍ أم نفخةُ الصورِ ... فالأرضُ قد ملئتْ من نقرِ ناقورِ
أصابَ منها الورى دهياءُ داهيةٌ ... وذاقَ منها البرايا صعقةَ الطورِ
تصدّعت قللُ الأطوادِ وارتعدتْ ... كأنّها قلبُ مرعوبٍ ومذعورِ
أتى بوجهِ نهارٍ لا ضياءَ لهُ ... كأنّهُ غارةٌ شُنّت بديجورِ
أم ذاكَ نعيُ سليمانِ الزمانِ ومن ... قضتْ أوامرُهُ في كلِّ مأمورِ
مدارُ سلطنةِ الدنيا ومركزها ... خليفةُ اللهِ في الآفاقِ مذكورِ
معلي معالمِ دينِ اللهِ مظهرها ... في العالمينَ بسعيٍ منهُ مشكورِ
وحسنِ رأيٍ إلى الخيراتِ منصرفٍ ... وصدقِ عزمٍ على الألطافِ مقصورِ
بآيةِ العدلِ والإحسانِ ممتثلٍ ... بغايةِ القسطِ والإنصافِ موفورِ
مجاهدٍ في سبيلِ اللهِ مجتهدٍ ... مؤيّدٍ من جنابِ القدسِ منصورِ

بِرَايَةٍ رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ خَافِقَةٍ تَحْوِي عَلَى عَلَمٍ بِالنَّصْرِ مَنْشُورِ
وَعَسْكَرٍ مَلَأَ الْآفَاقَ مُحْتَشِدٍ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ مَحْشُورِ
يَا نَفْسُ مَالَكِ فِي الدُّنْيَا مُخَلَّفَةً مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ عَنْ هٰذِهِ الدُّورِ
وَكَيْفَ تَمْشِينَ فَوْقَ الْأَرْضِ غَافِلَةً أَلَيْسَ جُثْمَانُهُ فِيهَا بِمَقْبُورِ
حَقٌّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ أَسًى لٰكِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مَقْدُورِ
يَا نَفْسُ فَاتَّئِدِي لَا تَهْلِكِي أَسَفًا فَأَنْتِ مَنْظُومَةٌ فِي سِلْكِ مَعْذُورِ
إِذْ لَسْتِ مَأْمُورَةً بِالْمُسْتَحِيلِ وَلَا بِمَا سِوَى بَذْلِ مَجْهُودٍ وَمَيْسُورِ
إِنَّ الْمَنَايَا وَإِنْ عَمَّتْ مُحَرَّمَةٌ عَلَى شَهِيدٍ جَمِيلِ الْحَالِ مَبْرُورِ
إِبْتَاعَ سَلْطَنَةَ الْعُقْبَى بِسَلْطَنَةِ الدُّنْيَا فَأَعْظِمْ بِرِبْحٍ غَيْرِ مَحْصُورِ
بَلْ حَازَ كِلْتَيْهِمَا إِذْ حَلَّ مَنْزِلَةً مَنْ لَمْ يُغَايِرْهُ فِي أَمْرٍ وَمَأْمُورِ
فَإِنَّهُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَأْثُرَةٍ وَكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمِ الشَّانِ مَأْثُورِ
أَضْحَى بِقَبْضَتِهِ الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا مَا كَانَ مِنْ مَجْهَلٍ مِنْهَا وَمَعْمُورِ
سُبْحَانَ مِنْ مَلِكٍ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ الْبَيَانِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْثُورِ
لَا زَالَ أَحْكَامُهُ بِالْعَدْلِ جَارِيَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ

٢٣٦ لابي البقاء صالح بن شريف الرنديّ يرثي الاندلس

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَهٰذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخِرْصَانُ

وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ   كَانَ ٱبْنَ ذِي يَزَنٍ وَٱلْغِمْدُ غُمْدَانُ

أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ذَوُو ٱلتِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ   وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ   وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي ٱلْفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ   وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ

أَتَى عَلَى ٱلْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ   حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ ٱلْقَوْمَ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ   كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ ٱلطَّيْفِ وَسْنَانُ

دَارَ ٱلزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ   وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ

كَأَنَّمَا ٱلصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ   يَوْمًا وَلَا مَلَكَ ٱلدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

فَجَائِعُ ٱلدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ   وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ

وَلِلْحَوَادِثِ سُلْوَانٌ يُسَهِّلُهَا   وَمَا لِمَا حَلَّ بِٱلْإِسْلَامِ سُلْوَانُ

دَهَى ٱلْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ   هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَٱنْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا ٱلْعَيْنُ فِي ٱلْإِسْلَامِ فَٱرْتَزَأَتْ   حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ

فَٱسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ   وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ ٱلْعُلُومِ فَكَمْ   مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ   وَنَهْرُهَا ٱلْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْآنُ

قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ ٱلْبِلَادِ فَمَا   عَسَى ٱلْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

تَبْكِي ٱلْحَنِيفِيَّةُ ٱلْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ   كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ ٱلْإِلْفِ هَيْمَانُ

عَلَى دِيَارٍ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ   قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِٱلْكُفْرِ عُمْرَانُ

حَيْثُ ٱلْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا   فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ

حَتَّى ٱلْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةٌ ... حَتَّى ٱلْمَنَابِرُ تَرْثِي وَهْيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي ٱلدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ ... إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَٱلدَّهْرُ يَقْظَانُ
وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ ... أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ ٱلْمَرْءَ أَوْطَانُ
تِلْكَ ٱلْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا ... وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ ٱلدَّهْرِ نِسْيَانُ
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ ٱلْخَيْلِ ضَامِرَةً ... كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ ٱلسَّبْقِ عِقْبَانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ مُرْهَفَةً ... كَأَنَّهَا فِي ظَلَامِ ٱلنَّقْعِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ ٱلْبَحْرِ فِي دَعَةٍ ... لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ ... فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ ٱلْقَوْمِ رُكْبَانُ
كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا ٱلْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ ... قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
مَاذَا ٱلتَّقَاطُعُ فِي ٱلْإِسْلَامِ بَيْنَكُمُ ... وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَانُ
أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ ... أَمَا عَلَى ٱلْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمِ ... أَحَالَ حَالَهُمُ جَوْرٌ وَطُغْيَانُ
بِٱلْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ... وَٱلْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ ٱلْكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ ... عَلَيْهِمِ فِي ثِيَابِ ٱلذُّلِّ أَلْوَانُ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمِ ... لَهَالَكَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا ... كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
وَطِفْلَةٍ مِثْلِ حُسْنِ ٱلشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ ... كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
يَقُودُهَا ٱلْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً ... وَٱلْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَٱلْقَلْبُ حَيْرَانُ
لِمِثْلِ هٰذَا يَذُوبُ ٱلْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كَانَ فِي ٱلْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

ألبابُ الرَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلفَخرِ

٢٣٧ قَالَ ٱلْمُهَلْهِلُ :

إِنَّا بَنُو تَغْلِبٍ شُمٌّ مَعَاطِسُنَا ... بِيضُ ٱلْوُجُوهِ إِذَا مَا أَفْزَعَ ٱلْبَلَدُ
قَوْمٌ إِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا ... شَدُّوا وَإِنْ شَهِدُوا يَوْمَ ٱلْوَغَى ٱجْتَهَدُوا
وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ ... جَاءُوا سِرَاعًا وَإِنْ قَامَ ٱلْخَنَى قَعَدُوا
لَا يَرْقُدُونَ عَلَى وِتْرٍ يَكُونُ لَهُمْ ... وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وِتْرُ ٱلْعِدَى رَقَدُوا

٢٣٨ قَالَ ٱلْحُصَيْنُ بْنُ ٱلْحُمَامِ ٱلْمُرِّيُّ :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا
فَلَسْنَا عَلَى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ... وَلٰكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا
نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

٢٣٩ قَالَ ٱلطِّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِٱللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنِي فِعْلَ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ
أَكُلُّ ٱمْرِئٍ أَلْفَى أَبَاهُ مُقَصِّرًا ... مُعَادٍ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ ٱضْطَنَى ... وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ ٱلْفَضَائِلِ

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

٢٤٠ قَالَ ٱلْأَدِيبُ ٱلْأَبِيوَرْدِيُّ فِي ٱلْفَخْرِ:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي مَدَايَ وَقَدْ رَأَى ... مَسَاحِبَ ذَيْلِي فَوْقَ هَامِ ٱلْفَرَاقِدِ
وَلِي نَسَبٌ فِي ٱلْحَيِّ عَالٍ يَفَاعُهُ ... رَحِيبُ مَسَارِي ٱلْعِرْقِ زَاكِي ٱلْمَحَافِدِ
وَفِيَّ مِنَ ٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ ... كَفَانِي أَنْ أَزْهَى بِجَدٍّ وَوَالِدِ
وَرِثْنَا ٱلْعُلَى وَهْيَ ٱلَّتِي خُلِقَتْ لَنَا ... وَنَحْنُ خُلِقْنَا لِلْعُلَى وَٱلْمَحَامِدِ
أَبًا فَأَبًا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهٰكَذَا ... إِلَى آدَمٍ لَمْ يَنْمِنَا غَيْرُ مَاجِدِ

٢٤١ وَقَالَ أَيْضًا:

لَوَيْتُ عَلَى ٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ مِعْصَمَا ... وَزُرْتُ ٱلْعِدَى وَٱلْحَرْبُ فَاغِرَةٌ فَمَا
وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي أَلِينُ عَرِيكَتِي ... لَهُمْ إِذْ تَوَسَّطْتُ ٱلْخَصَاصَةَ مُعْدِمَا
أَمَا عَلِمُوا أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُقْتِرًا ... أُرَوِّي مِنَ ٱلْقِرْنِ ٱلْحُسَامَ ٱلْمُصَمِّمَا
وَيَشْرُقُ وَجْهِي حِينَ يُنْسَبُ وَالِدِي ... وَتُلْفِي عَلَيْهِ لِلسِّيَادَةِ مِيسَمَا
وَإِنْ ذَكَرُوا آبَاءَهُمْ فَوُجُوهُهُمْ ... تُشَبِّهُهَا قِطَعًا مِنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِمَا
وَلَلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ أَبٍ ذِي دَنَاءَةٍ ... إِذَا هُزَّ لِلْفَخْرِ ٱبْنُهُ عَادَ مُفْحَمَا
مَتَى حَصَلَتْ أَنْسَابُ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ ... فَلِي مِنْ رَوَابِيهِنَّ أَشْرَفُ مُنْتَمَى
وَإِنْ نُشِرَتْ مِنْهَا صَحِيفَةُ نَاسِبٍ ... رَأَيْتَ بُدُورًا مِنْ جُدُودِي وَأَنْجُمَا
لَهُمْ أَوْجُهٌ عِنْدَ ٱلْفَخَارِ يَزِينُهَا ... عَرَانِينُ مَا شُمَّتْ هَوَانًا وَمَرْغَمَا
لِيَقْصِدَ مَسَّ ٱلضِّغْنِ فِينَا بِذَرْعِهِ ... وَلَا يَسْتَثِرْ مِنَّا بِوَادِيهِ ضَيْغَمَا
فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا حِينَ يُضْمِرْنَ غِلَّةً ... لَيَلْعَقْنَ مِنْ أَطْرَافِ أَرْمَاحِنَا ٱلدِّمَا

٢٤٢ وَقَالَ أَيضاً مُتَحَمِّساً :

أَلنَّاسُ مِن خَوَلِي وَٱلدَّهرُ مِن خَدَمِي ... وَقِمَّةُ ٱلنَّجمِ عِندِي مَوطِئُ ٱلقَدَمِ

وَلِلبَيَانِ لِسَانِي وَٱلنَّدَى خَضِلٌ ... بِهِ يَدِي وَٱلعُلَى يَخلُقنَ مِن شِيَمِي

وَٱلنَّسرُ يَتبَعُ سَيفِي حِينَ يَلحَظُهُ ... وَٱلدَّهرُ يُنشِدُ مَا يَهمِي بِهِ قَلَمِي

فَأَينَ مِثلُ أَبِي فِي ٱلعُربِ قَاطِبَةً ... وَمَن كَخَالِي فِي صُيَّابَةِ ٱلعَجَمِ

لَو صِيغَتِ ٱلأَرضُ لِي دُونَ ٱلوَرَى ذَهَبًا ... لَم تَرضَهَا لِمُرَجِّي نَائِلٍ هِمَمِي

وَعَن قَلِيلٍ أُرَى فِي مَأزِقٍ حَرِجٍ ... بِهِ تُشَامُ ٱلسُّرَيجِيَّاتُ فِي ٱلقِمَمِ

وَٱلبِيضُ مُردَفَةٌ تَبدُو خَلَاخِلُهَا ... فِي مَسلَكٍ وَجِلٍ مِن عَبرَةٍ وَدَمِ

فَٱلمَجدُ فِي صَهَوَاتِ ٱلخَيلِ مَطلَبُهُ ... وَٱلعِزُّ فِي ظُبَةِ ٱلصَّمصَامَةِ ٱلخَذِمِ

٢٤٣ قَالَ ٱلمُتَنَبِّي فِي صِبَاهُ عَلَى لِسَانِ بَعضِ ٱلتَّنُوخِيِّينَ :

قُضَاعَةُ تَعلَمُ أَنِّي ٱلفَتَى ... ٱلَّذِي ٱدَّخَرَت لِصُرُوفِ ٱلزَّمَانِ

وَمَجدِي يَدُلُّ بَنِي خِندِفٍ ... عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِي

أَنَا ٱبنُ ٱللِّقَاءِ أَنَا ٱبنُ ٱلسَّخَاءِ ... أَنَا ٱبنُ ٱلضِّرَابِ أَنَا ٱبنُ ٱلطِّعَانِ

أَنَا ٱبنُ ٱلفَيَافِي أَنَا ٱبنُ ٱلقَوَافِي ... أَنَا ٱبنُ ٱلسُّرُوجِ أَنَا ٱبنُ ٱلرِّعَانِ

طَوِيلُ ٱلنِّجَادِ طَوِيلُ ٱلعِمَادِ ... طَوِيلُ ٱلقَنَاةِ طَوِيلُ ٱلسِّنَانِ

حَدِيدُ ٱلحِفَاظِ حَدِيدُ ٱللِّحَاظِ ... حَدِيدُ ٱلحُسَامِ حَدِيدُ ٱلجَنَانِ

يُسَابِقُ سَيفِي مَنَايَا ٱلعِبَادِ ... إِلَيهِم كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ ٱلقُلُوبِ ... إِذَا كُنتُ فِي هَبوَةٍ لَا أَرَانِي

سَأَجعَلُهُ حَكَمًا فِي ٱلنُّفُوسِ ... وَلَو نَابَ عَنهُ لِسَانِي كَفَانِي

٢٤٤ قال عنترة يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقوله :

لَا يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ ٱلرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ ٱلْغَضَبُ

لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا ... مِنَ ٱلْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنْسُلُ ٱلْعَرَبُ

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ ... وَٱلْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ ... يَوْمَ ٱلنِّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي ٱلنَّسَبُ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي ... قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَٱلْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ

إِنَّ ٱلْأَفَاعِيَ وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... عِنْدَ ٱلتَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا ٱلْعَطَبُ

أَلْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَيُّ فَتًى ... يَلْقَى أَخَاكَ ٱلَّذِي قَدْ غَرَّهُ ٱلْعُصَبُ

فَتًى يَخُوضُ غُبَارَ ٱلْحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... وَيَنْثَنِي وَسِنَانُ ٱلرُّمْحِ مُخْتَضِبُ

إِنْ سَلَّ صَارِمَهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ ... وَأَشْرَقَ ٱلْجَوُّ وَٱنْشَقَّتْ لَهُ ٱلْحُجُبُ

وَٱلْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا ... وَٱلطَّعْنُ مِثْلَ شَرَارِ ٱلنَّارِ يَلْتَهِبُ

إِذَا ٱلْتَقَيْتُ ٱلْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ... تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ ٱلْمَغْرُورَ يَنْتَهِبُ

لِيَ ٱلنُّفُوسُ وَلِلطَّيْرِ ٱللُّحُومُ وَلِلْـــوَحْشِ ٱلْعِظَامُ وَلِلْخَيَّالَةِ ٱلسَّلَبُ

لَا أَبْعَدَ ٱللّٰهُ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً ... إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جِنًّا إِذَا رَكِبُوا

أُسُودُ غَابٍ وَلٰكِنْ لَا نُيُوبَ لَهُمْ ... إِلَّا ٱلْأَسِنَّةُ وَٱلْهِنْدِيَّةُ ٱلْقُضُبُ

تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضَمَّرَةٌ ... مِثْلَ ٱلسَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا ٱلْقَبَبُ

مَا زِلْتُ أَلْقَى صُدُورَ ٱلْخَيْلِ مُنْدَفِقًا ... بِٱلطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَّ ٱلسَّرْجُ وَٱللَّبَبُ

فَٱلْعُمْيُ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَانِهِمْ نَظَرُوا ... وَٱلْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا

وَٱلنَّقْعُ يَوْمَ طِرَادِ ٱلْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي ... وَٱلضَّرْبُ وَٱلطَّعْنُ وَٱلْأَقْلَامُ وَٱلْكُتُبُ

٢٤٥ وَقَالَ فِي إِغَارَتِهِ عَلَى بَنِي حَرِيقَةَ :

حَكِّمْ سُيُوفَكَ فِي رِقَابِ ٱلْعُذَّلِ ... وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ ذُلٍّ فَٱرْحَلِ
وَإِذَا ٱلْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... خَوْفًا عَلَيْكَ مِنِ ٱزْدِحَامِ ٱلْجَحْفَلِ
فَٱعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفِلْ بِهَا ... وَٱقْدِمْ إِذَا حَقَّ ٱللِّقَا فِي ٱلْأَوَّلِ
وَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ ... أَوْ مُتْ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ ٱلْقَسْطَلِ
إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ ٱلْعَبِيدِ فَهِمَّتِي ... فَوْقَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرَتْ فُرْسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتِي ... فَسِنَانُ رُمْحِي وَٱلْحُسَامُ يُقِرُّ لِي
وَبِذَابِلِي وَمُهَنَّدِي نِلْتُ ٱلْعُلَى ... لَا بِٱلْقَرَابَةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلْأَجْزَلِ
وَرَمَيْتُ رُمْحِي فِي ٱلْعَجَاجِ فَخَاضَهُ ... وَٱلنَّارُ تُقْدَحُ مِنْ شِفَارِ ٱلْأَنْصُلِ
خَاضَ ٱلْعَجَاجَ مُحَجَّلًا حَتَّى إِذَا ... شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حَرِيقَةَ نَكْبَةً ... لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ ٱلْأَخْيَلِ
وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عَنْوَةً ... وَٱلْهَيْذُبَانَ وَجَابِرَ بْنَ مُهَلْهِلِ
لَا تَسْقِنِي مَاءَ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ ... بَلْ فَٱسْقِنِي بِٱلْعِزِّ كَاسَ ٱلْحَنْظَلِ
مَاءُ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ ... وَجَهَنَّمٌ بِٱلْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

٢٤٦ وَقَالَ أَيْضًا :

أَلْيَوْمَ أُسْعِرُهَا حَرْبًا تَذِلُّ لَهَا ... كُلُّ ٱلْجَبَابِرَةِ ٱلْمَاضِينَ فِي ٱلْحُقُبِ
وَأَتْرُكُ ٱلدَّمَ يَجْرِي مِنْ غَلَاصِمِهِمْ ... إِذَا عَلَوْتُ رُؤُوسَ ٱلْقَوْمِ بِٱلْقُضُبِ
كَمْ سَيِّدٍ قَدْ رَآنِي حِينَ أَطْلُبُهُ ... أَلْقَى ٱلسِّلَاحَ وَغَرَّ ٱلنَّفْسَ لِلْهَرَبِ
أَنَا ٱلشُّجَاعُ لِنَارِ ٱلْحَرْبِ أُضْرِمُهَا ... وَأَرْتَمِي ٱلْقَوْمَ بِٱلْإِرْغَامِ وَٱلْعَطَبِ

إِذَا ثَارَ ٱلعَجَاجُ وَصَارَ ٱلنَّقْعُ كَٱللَّهَبِ وَٱلْمَوْتُ يَفْزَعُ مِنِّي فِي ٱلْهِيَاجِ
وَرَاحَتِي فِي لِقَا ٱلأَبْطَالِ إِنْ طَعَنَتْ زُرْقُ ٱلأَسِنَّةِ وَٱلأَقْرَانُ مِنْ أَرَبِي
كَمْ قَسْطَلٍ خُضْتُهُ لَمْ أَخْشَ غَائِلَةً وَسَاحَةُ ٱلْحَرْبِ قَصْدِي وَهْيَ لِي طَلَبِي
لَأَفْعَلَنَّ فِعَالًا لَا مِثَالَ لَهَا فِعْلًا يُؤَرَّخُ فِي ٱلأَوْرَاقِ وَٱلْكُتُبِ
وَأَصْطَلِيهَا يَقِينًا وَٱلْبِحَارُ دَمٌ لِأَنَّ فِي مَوْجِهَا يَزْدَادُ لِي طَرَبِي
وَأَجْعَلُ ٱلْجَوَّ كَٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ إِذَا ثَارَ ٱلْغُبَارُ عَلَى ٱلأَقْطَارِ كَٱلْحُجُبِ
وَلَيْسَ لِي مُؤْنِسٌ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ إِلَّا ٱلْجَوَادُ وَسَيْفِي يَشْتَكِي غَضَبِي

٢٤٧ روى أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال: كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته ووُلده وخاصَّتِه فقال لهم: ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفصل رأي تفضيله. فأنشدوا وفضَّلوا. فقال بعضهم: النابغة. وقال بعضهم: الأعشى. فلمَّا فرغوا قال: أشعر من هولاء الذي يقول. وأنشد لمعن بن أوس:

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَٱلْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ ٱلرَّغْمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْنًا عَلَى قَذًى وَلَيْسَ لَهُ بِٱلصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ
وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ سِهَامَ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ بِهِ ٱلْعَظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ ٱلأَقَارِبِ وَٱلسِّلْمُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ ٱلنَّأْيَ وَٱلْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ يُمْكِنُهُ ٱلسَّهْمُ
وَيَشْتِمُ عِرْضِي فِي مَغِيبِي جَاهِدًا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمُ
إِذَا سُمْتُهُ وَصْلَ ٱلْقَرَابَةِ سَامَنِي قَطِيعَتَهَا تِلْكَ ٱلسَّفَاهَةُ وَٱلإِثْمُ
فَإِنْ أَدْعُهُ لِلنَّصْفِ يَأْبَ إِجَابَتِي وَيَدْعُ لِحُكْمٍ جَائِرٍ عِنْدَهُ ٱلْحُكْمُ

فَلَوْلَا ٱتِّقَاءُ ٱللهِ وَٱلرَّحِمُ ٱلَّتِي ... رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ
إِذًا لَعَلَاهُ بَارِقٌ وَخَطَمْتُهُ ... بِوَسْمِ شَنَارٍ لَا يُشَابِهُهُ وَسْمُ
وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِهَدْمِ مَصَالِحِي ... وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ ٱلْهَدْمُ
يَوَدُّ لَوَ انِّي مُعْدِمٌ ذُو خَصَاصَةٍ ... وَأَكْرَهُ جُهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ ٱلْعُدْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لِينِي لَهُ وَتَعَطُّفِي ... عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى ٱلْوَلَدِ ٱلْأُمُّ
وَخَفْضِي لَهُ مِنِّي ٱلْجَنَاحَ تَأَلُّفًا ... لِتُدْنِيَهُ مِنِّي ٱلْقَرَابَةُ وَٱلرُّحْمُ
وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تُرِيبُنِي ... وَكَظْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ ٱلْكَظْمُ
لِأَسْتَلَّ عَنْهُ ٱلضِّغْنَ حَتَّى سَلَلْتُهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يُصَوِّبُهُ ٱلْحَزْمُ
رَأَيْتُ ٱنْثِلَامًا بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ ... بِرِفْقِيَ أَحْيَانًا وَقَدْ يُرْقَعُ ٱلثَّلْمُ
وَأَبْرَأْتُ غِلَّ ٱلصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسُّعًا ... بِحِلْمِي كَمَا يَشْفِي بِٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْكَلْمُ
فَأَطْفَأْتُ نَارَ ٱلْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱلْحَرْبِ وَهْوَ لَنَا سِلْمُ

٢٤٨ قَالَ عَنْتَرَةُ:

أَحِنُّ إِلَى ضَرْبِ ٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَاضِبِ ... وَأَصْبُو إِلَى طَعْنِ ٱلرِّمَاحِ ٱللَّوَاعِبِ
وَأَشْتَاقُ كَاسَاتِ ٱلْمَنُونِ إِذَا صَفَتْ ... وَدَارَتْ عَلَى رَاسِي سِهَامُ ٱلْمَصَائِبِ
وَيُطْرِبُنِي وَٱلْخَيْلُ تَعْثُرُ بِٱلْقَنَا ... حُدَاةُ ٱلْمَنَايَا وَٱرْتِهَاجُ ٱلْمَوَاكِبِ
وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ تَحْتَ ظِلِّ عَجَاجَةٍ ... كَجُنْحِ ٱلدُّجَى مِنْ وَقْعِ أَيْدِي ٱلسَّلَاهِبِ
تَطِيرُ رُؤُوسُ ٱلْقَوْمِ تَحْتَ ظَلَامِهَا ... وَتَنْقَضُّ فِيهَا كَٱلنُّجُومِ ٱلثَّوَاقِبِ
وَتَلْمَعُ فِيهَا ٱلْبِيضُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَلَمْعِ بُرُوقٍ فِي ظَلَامِ ٱلْغَيَاهِبِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَجْدَ وَٱلْفَخْرَ وَٱلْعُلَى ... وَنَيْلَ ٱلْأَمَانِي وَٱرْتِفَاعَ ٱلْمَرَاتِبِ

لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا ... بِقَلْبٍ صَبُورٍ عِنْدَ وَقْعِ ٱلْمَضَارِبِ
وَيَبْنِي بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ مَجْدًا مُشَيَّدًا ... عَلَى فَلَكِ ٱلْعَلْيَاءِ فَوْقَ ٱلْكَوَاكِبِ
وَمَنْ لَمْ يُرَوِّ رُمْحَهُ مِنْ دَمِ ٱلْعِدَى ... إِذَا ٱشْتَبَكَتْ سُمْرُ ٱلْقَنَا بِٱلْقَوَاضِبِ
وَيُعْطِي ٱلْقَنَا ٱلْخَطِّيَّ فِي ٱلْحَرْبِ حَقَّهُ ... وَيَبْرِي بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ عَرْضَ ٱلْمَنَاكِبِ
يَعِيشُ كَمَا عَاشَ ٱلذَّلِيلُ بِغُصَّةٍ ... وَإِنْ مَاتَ لَا يُجْرِي دُمُوعَ ٱلنَّوَادِبِ
فَضَائِلُ عَزْمٍ لَا تُبَاعُ لِضَارِعٍ ... وَأَسْرَارُ حَزْمٍ لَا تُذَاعُ لِعَائِبِ
بَرَزْتُ بِهَا دَهْرًا عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ... وَلَا كُحْلَ إِلَّا مِنْ غُبَارِ ٱلْكَتَائِبِ
إِذَا كَذَبَ ٱلْبَرْقُ ٱللَّمُوعُ لِشَائِمٍ ... فَبَرْقُ حُسَامِي صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبِ

٢٤٩ قَالَ أَبُو بُجَيْرٍ ٱلْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ :

سَلْ حَيَّ تَغْلِبَ عَنْ بَكْرٍ وَوَقْعَتِهِمْ ... بِٱلْحِنْوِ إِذْ خَسِرُوا جَهْرًا وَمَا رَشِدُوا
فَأَقْبَلُوا بِجَنَاحَيْهِمْ يَلُفُّهُمَا ... مِنَّا جَنَاحَانِ عِنْدَ ٱلصُّبْحِ فَٱطَّرَدُوا
فَأَصْبَحُوا ثُمَّ صَفُّوا دُونَ بِيضِهِمِ ... وَأَبْرَقُوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا
وَأَيْقَنُوا أَنَّ شَيْبَانًا وَإِخْوَتَهُمْ ... قَيْسًا وَذُهْلًا وَتَيْمَ ٱللَّاتِ قَدْ رَصَدُوا
وَيَشْكُرٌ وَبَنُو عِجْلٍ وَإِخْوَتُهُمْ ... بَنُو حَنِيفَةَ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
ثُمَّ ٱلْتَقَيْنَا وَنَارُ ٱلْحَرْبِ سَاطِعَةٌ ... وَسَمْهَرِيُّ ٱلْعَوَالِي بَيْنَنَا قِصَدُ
طَوْرًا نُدِيرُ رَحَانَا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ ... طَحْنًا وَطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَنَجْتَلِدُ
حَتَّى إِذَا ٱلشَّمْسُ دَارَتْ أَجْفَلُوا هَرَبًا ... عَنَّا وَخَلَّوْا عَنِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱنْجَرَدُوا
فَرُّوا إِلَى ٱلنَّمِرِ مِنَّا وَهْوَ عَمُّهُمُ ... فَمَا وَفَى ٱلنَّمْرُ إِذْ طَارُوا وَهُمْ مُرُدُ
نَحْنُ ٱلْفَوَارِسُ نَغْشَى ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ ... وَنَقْتُلُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يُوحِشَ ٱلْبَلَدُ

لَقَدْ صَبَحْنَاهُمُ بِٱلْبِيضِ صَافِيَةً عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَحَرُّ ٱلْمَوْتِ يَتَّقِدُ
وَٱلْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي مِنْ فَوَارِسِهَا يَوْمَ ٱلطِّعَانِ وَقَلْبُ ٱلنَّاسِ يَرْتَعِدُ
وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُصَالِحُهُمْ مَادَامَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فِي ٱلْمَلَا أَحَدُ

٢٥٠ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي ٱلزَّوَائِدِ يَفْتَخِرُ:

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِفِزَارِ عَمَّنْ عَهِدتُّ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْرَارِ
عُدِّي رِجَالَكِ وَٱسْمَعِي يَاهٰذِهِ عَنِّي مَقَالَةَ عَالِمٍ مِفْخَارِ
سَأَعُدُّ سَوْءَاتٍ لَنَا وَمَكَارِمًا وَأُبُوَّةً لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
قَيْسٌ وَخِنْدِفُ وَالدَايَ كِلَاهُمَا وَٱلْعَمُّ بَعْدُ رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارِ
مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدٍ فَارِسًا فِي كُلِّ يَوْمِ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَبَنُو زِيَادٍ مَنْ لِقَوْمِكَ مِثْلُهُمْ أَوْ مِثْلُ عَنْتَرَةَ ٱلْهِزَبْرِ ٱلضَّارِي
وَٱلْحَيُّ مِنْ سَعْدٍ ذُؤَابَةُ قَوْمِهِمْ وَٱلْفَخْرُ مِنْهُمْ وَٱلسَّنَامُ ٱلْوَارِي
وَٱلْمَانِعُونَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ذِمَارَهُمْ وَٱلْمُدْرِكُونَ عَدُوَّهُمْ بِٱلثَّارِ
وَبَنُو سُلَيْمٍ فَكُلُّ مَنْ عَادَاهُمُ وَحَيَا ٱلْعُفَاةِ وَمَعْقِلُ ٱلْفُرَّارِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ إِذَا حَاسَتْهُمُ ٱلْـمَوْتَ ٱلْعُدَاةُ وَصَمَّمُوا لِمَغَارِ

٢٥١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ يَصِفُ صَبْرَهُ وَجَلَدَهُ فِي ٱلْحَرْبِ:

أَعَاذِلَ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُمْحِي وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ ٱلْقِيَادِ
أَعَاذِلَ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي إِجَابَتِيَ ٱلصَّرِيخَ إِلَى ٱلْمُنَادِي
مَعَ ٱلْأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ ٱلنِّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ ٱلْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى بَعْدَ زَادِ ٱلْقَوْمِ زَادِي

وَمِنْ عَجَبٍ عَجِبْتُ لَهُ حَدِيثٌ ... بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ بِدَعِ ٱلسَّدَادِ
تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي قُيَيْسٌ ... وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مِنِّي وِدَادِي
يَمَانِيَّ وَسَابِغَتِي قَمِيصِي ... كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ ٱلْجَرَادِ
وَسَيْفٌ لِٱبْنِ ذِي قِيعَانَ عِنْدِي ... تَخَيَّرَ نَصْلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَلَقِيتَ لَيْثًا ... هَصُورًا ذَا ظُبًا وَشَبًا حِدَادِ
وَلَاسْتَيْقَنْتَ أَنَّ ٱلْمَوْتَ حَقٌّ ... وَصَرَّحَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

١٥٢ أَنْشَدَ ٱبْنُ ٱلْكَلْبِيِّ لِحَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ ٱلثُّرَيَّا فَعَرَّدَا
تَلُومُ عَلَى إِعْطَائِيَ ٱلْمَالَ ضِلَّةً ... إِذَا ضَنَّ بِٱلْمَالِ ٱلْبَخِيلُ وَصَرَّدَا
تَقُولُ أَلَا أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أَرَى ٱلْمَالَ عِنْدَ ٱلْمُمْسِكِينَ مُعَبَّدَا
ذَرِينِي وَحَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ ... وَكُلُّ ٱمْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
أَعَاذِلَ لَا آلُوكِ إِلَّا خَلِيقَتِي ... فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي جُنَّةً ... يَقِي ٱلْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي ... أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا
وَإِلَّا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكِ وَٱجْعَلِي ... إِلَى رَأْيِ مَنْ تَلْحِينَ رَأْيَكِ مُسْنَدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا ٱلضَّيْفُ نَابَنِي ... وَعَزَّ ٱلْقِرَى أَقْرِي ٱلسَّدِيفَ ٱلْمُسَرْهَدَا
أُسَوِّدُ سَادَاتِ ٱلْعَشِيرَةِ عَارِفًا ... وَمِنْ دُونِ قَوْمِي فِي ٱلشَّدَائِدِ مِذْوَدَا
وَأَلْقَى لِأَعْرَاضِ ٱلْعَشِيرَةِ حَافِظًا ... وَحَقِّهِمِ حَتَّى أَكُونَ ٱلْمُسَوَّدَا

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ ... وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا

كُلُوا الْآنَ مِنْ رِزْقِ الْإِلٰهِ وَأَيْسِرُوا ... فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمٰنِ رِزْقَكُمُ غَدَا

سَأَذْخَرُ مِنْ مَالِي دِلَاصًا وَسَابِحًا ... وَأَسْمَرَ خَطِّيًّا وَعَضْبًا مُهَنَّدَا

وَذٰلِكَ يَكْفِينِي مِنَ الْمَالِ كُلِّهِ ... مَصُونًا إِذَا مَا كَانَ عِنْدِيَ مُتْلَدَا

٢٥٣ وَأَنْشَدَهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ:

مَهْلًا نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالْعَذَلَا ... وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا

وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْبَحْرَ وَالْجَبَلَا

يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتْبَعُهُ ... سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَارِثُ الْإِبِلَا

فَاصْدِقْ حَدِيثَكَ إِنَّ الْمَرْءَ يَتْبَعُهُ ... مَا كَانَ يَبْنِي إِذَا مَا نَعْشُهُ حُمِلَا

لَيْتَ الْبَخِيلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كَمَا يَرَاهُمْ فَلَا يُقْرَى إِذَا نَزَلَا

لَا تَعْذِلِينِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رَحْمًا وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وُصِلَا

يَسْعَى الْفَتَى وَحِمَامُ الْمَوْتِ يُدْرِكُهُ ... وَكُلُّ يَوْمٍ يُدَنِّي لِلْفَتَى الْأَجَلَا

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يُدْرِكُنِي ... يَوْمِي وَأُصْبِحُ عَنْ دُنْيَايَ مُشْتَغِلَا

٢٥٤ لصفي الدين الحلي

سَلِي الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا ... وَاسْتَشْهِدِي الْبِيضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا

وَسَائِلِي الْعُرْبَ وَالْأَتْرَاكَ مَا فَعَلَتْ ... فِي أَرْضِ قَبْرِ عُبَيْدِ اللهِ أَيْدِينَا

لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا ... عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ زَوْرَاءِ الْعِرَاقِ وَقَدْ ... دِنَّا الْأَعَادِيَ كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا

بِضُمَّرٍ مَا رَبَطْنَاهَا مُسَوَّمَةً إِلَّا لِنَغْزُوَ بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إِذَا ٱسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً يَوْمًا وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا ٱلْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ ٱلْوَغَى خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذَا ٱدَّعَوْا جَاءَتِ ٱلدُّنْيَا مُصَدِّقَةً وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ ٱلْأَيَّامُ آمِينَا
إِنَّ ٱلزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
ظَنَّتْ تَأَنِّي ٱلْبُزَاةِ ٱلشُّهْبِ عَنْ جَزَعٍ وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
دَلُّوا بِأَسْيَافِنَا طُولَ ٱلزَّمَانِ فَمُذْ تَحَكَّمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا
لَمْ يُغْنِهِمْ مَالُنَا عَنْ نَهْبِ أَنْفُسِنَا كَأَنَّهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ تَقَاضِينَا
ثُمَّ ٱنْثَنَيْنَا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا تَمِيسُ عُجْبًا وَتَهْتَزُّ ٱلْقَنَا لِينَا
وَلِلدِّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقٌ بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيرِ ٱلْمِسْكِ يُغْنِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا أَنْ نَبْتَدِي بِٱلْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
لَا يَظْهَرُ ٱلْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنًى وَلَوْ رَأَيْنَا ٱلْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

٢٥٥ قصيدة السموءل في الفخر

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا   عَزِيزٌ وَجَارُ ٱلْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ   مَنِيعٌ يَرُدُّ ٱلطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ ٱلثَّرَى وَسَمَا بِهِ   إِلَى ٱلنَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ ٱلْأَبْلَقُ ٱلْفَرْدُ ٱلَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ   يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى ٱلْقَتْلَ سُبَّةً   إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا   وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ   وَلَا طُلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ ٱلظُّبَاتِ نُفُوسُنَا   وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ ٱلظُّبَاتِ تَسِيلُ
صَفَوْنَا وَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا   إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ ٱلظُّهُورِ وَحَطَّنَا   لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ ٱلْبُطُونِ نُزُولُ
فَنَحْنُ كَمَاءِ ٱلْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا   كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ
وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى ٱلنَّاسِ قَوْلَهُمْ   وَلَا يُنْكِرُونَ ٱلْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ   قَؤُولٌ لِمَا قَالَ ٱلْكِرَامُ فَعُولُ
وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ   وَلَا ذَمَّنَا فِي ٱلنَّازِلِينَ نَزِيلُ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا   لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ   بِهَا مِنْ قِرَاعِ ٱلدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا   فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلُ
سَلِي إِنْ جَهِلْتِ ٱلنَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ   فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ
فَإِنَّ بَنِي ٱلرَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ   تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

ألبابُ ٱلخامسَ عشرَ
في ٱلمُراسلاتِ

مراسلات بين الملوك والامراء

كتاب ابي القاسم الحريري الى الوزير سعد الملك يستغيثهُ على العرب الذين غزوا مدينة البصرة

٢٥٦ لو ٱطّلعَ مولانا على ما فاجأ ٱلبصرةَ وأهلها من ٱلفتكِ وٱلقهرِ. وٱلنهبِ وٱلأسرِ. إلى ما مُنوا بهِ من ٱلشَّتاتِ. وٱفتضاحِ ٱلخفراتِ. وٱحتراقِ ٱلمساكنِ وٱلخاناتِ. وٱنتشارِ ٱلفسادِ. إلى قُرى ٱلسَّوادِ. لرأى منظرًا يحرقُ ٱلأكبادَ. ويُبكي ٱلعينَ ٱلجمادَ. وقد أشرفتِ ٱلبصرةُ على ٱلعفاءِ. وٱللّحاقِ بٱلصحراءِ. وأن يؤرّخَ أنّهُ رأسها في هذهِ ٱلدولةِ ٱلغرّاءِ. إن كانَ توالى عليها منَ ٱلأحداثِ. في هذهِ ٱلسنينَ ٱلثلاثِ. ما يدمّرُ أعمرَ ٱلبلدانِ ولم يُعهدْ مثلُهُ في سالفِ ٱلزمانِ. فإنْ أنعمَ وعجّلَ ٱلنظرَ للرعيّةِ. بترتيبِ ٱلنجدةِ ٱلقويّةِ. وإسقاطِ معاملةِ ٱلدَّربِ. في ٱلهربِ منَ ٱلعربِ. ولا خفاءَ بما في تنفيسِ ٱلكُربِ منَ ٱلقُربِ

وكتب اليهِ يشكرهُ واصحب كتابهُ بقصيدةٍ

٢٥٧ دعا ٱلعبدُ للمجلسِ ٱلفلانيّ دامتْ جدودهُ سعيدةً وسعودهُ جديدةً. وعلياؤُهُ محسودةً. وأعداؤُهُ محصورةً. دعاءَ من يتقرّبُ بإصدارهِ على بُعدِ دارهِ. ويقصرُ عليهِ ساعاتهِ. مع قصورِ مسعاتهِ.

وَشُكْرُهُ لِلْإِنْعَامِ ٱلَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى ٱلتَّجْمِيلِ وَٱلتَّأْمِيلِ • وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ ٱلتَّنْوِيهِ وَٱلتَّنْوِيلِ • شُكْرُ مَنْ أُطْلِقَ مِنْ أَسْرِهِ • وَأُذِيقَ طَعْمَ ٱلْيُسْرِ بَعْدَ عُسْرِهِ • وَلَوْ نَهَضَتْ بِهِ ٱلْقُدْمَانِ • وَأَسْعَدَهُ عَوْنُ ٱلزَّمَانِ • لَقَدَّمَ ٱعْتِمَارَ ٱلْبَابِ ٱلْمَعْمُورِ • وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ إِسْرَاعَ ٱلْعَبْدِ ٱلْمَأْمُورِ • لِيُؤَدِّيَ بَعْضَ حُقُوقِ ٱلْإِحْسَانِ • وَيَتْلُوَ صُحُفَ ٱلشُّكْرِ بِٱللِّسَانِ • لٰكِنْ أَنَّى يَنْهَضُ ٱلْمُقْعَدُ • وَمَنْ لَهُ بِأَنْ يَصْعَدَ فَيَسْعَدَ • وَلَمَّا قَصُرَتْ خُطْوَةُ ٱلْعَبْدِ وَحُرِمَ حُظْوَةَ ٱلْقَصْدِ • وَلَزِمَهُ مَعَ وُضُوحِ ٱلْعُذْرِ • أَنْ يُفْصِحَ عَنِ ٱلشُّكْرِ • خَدَمَ بِمَا يُنْبِي عَنْ فِكْرِهِ ٱلْمَرِيضِ • وَيَشْهَدُ بِطَبْعِ طَبْعِهِ فِي ٱلْقَرِيضِ • وَلَوْلَا أَنَّ ٱلْهَدِيَّةَ عَلَى حَسَبِ مُهْدِيهَا • وَبِهِ تَتَعَلَّقُ مَسَاوِيهَا • لَمَا قَدَرَ أَنْ يُهْدِيَ ٱلْوَرَقَ إِلَى ٱلشَّجَرِ • وَيُبَيِّضَ شِعْرًا كَبَيَاضِ ٱلشَّعَرِ • هٰذَا عَلَى أَنَّ ذَنْبَ ٱلْمُعْتَرِفِ مَغْفُورٌ • وَٱلْمُجْتَهِدَ وَإِنْ أَخْطَأَ مَعْذُورٌ • وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ نِيَّتُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ • لِيَبْلُغَ قَاصِيَةَ أَمَلِهِ • وَلِلْآرَاءِ ٱلْعَلِيَّةِ فِي تَشْرِيفِ خِدْمَتِهِ بِٱلِٱسْتِعْرَاضِ • وَصَوْنِ مِدْحَتِهِ عَنِ ٱلِٱعْتِرَاضِ • وَتَأْهِيلِهِ مِنْ مَزَايَا ٱلْإِيجَابِ وَٱلْجَوَابِ • بِمَا يُمَيِّزُهُ عَلَى ٱلْأَحْزَابِ • مَزِيدُ ٱلْعُلُوِّ (للحريري)

نسخة كتاب من نائب الشام الى نائب حلب يخبره بوفاة الملك الصالح

٢٥٨ إِنَّ ٱلْمَرْسُومَ ٱلشَّرِيفَ زَادَهُ ٱللّٰهُ شَرَفًا وَرَدَ عَلَى ٱلْمَمْلُوكِ يَتَضَمَّنُ خَبَرَيْنِ • هٰذَا سَاءَ وَهٰذَا سَرَّ • وَهٰذَا عَقَّ ٱلْقُلُوبَ وَهٰذَا بَرَّ • وَهٰذَا ضَرَّ ٱلْجَوَانِحَ وَهٰذَا نَفَعَ أَضْعَافَ مَا ضَرَّ • أَمَّا ٱلْأَوَّلُ فَبِمَا قَضَاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ مِنْ وَفَاةِ أُسْتَاذِنَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلسَّعِيدِ • وَٱبْنِ أُسْتَاذِنَا ٱلسُّلْطَانِ

ٱلسَّعِيدِ ٱلشَّهِيدِ . ٱلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ نَصَرَ ٱللهُ شَبَابَهُ . وَأَسْقَى عَهْدَ ٱلرِّضْوَانِ
عَهْدَهُ وَتُرَابَهُ . بِمَرَضٍ كَمَا سَمِعَ مَوْلَانَا لَمْ تَنْفَعْ فِيهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَٱلرُّقَى .
وَعَرَضٍ ٱسْتَوْلَى عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَرِيدِ فَتَرَكَهُ بَعْدَ حَرَكَةِ ٱللِّقَاءِ
لَقًى . وَارِدَ خَطْبٍ لَمْ تَرُدَّهُ ٱلْبُرُوجُ ٱلْمُشَيَّدَةُ وَٱلْجُنُودُ ٱلْمُجَنَّدَةُ .

وَقَدْ فَارَقَ ٱلنَّاسُ ٱلْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا ... وَأَعْيَا دَوَاءُ ٱلْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

وَأَمَّا ٱلثَّانِي فَبِمَا حَبَاهُ ٱللهُ وَهَنَّاهُ مِنْ جُلُوسِ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ
ٱلْمَلِكِ ٱلْكَامِلِ سَيْفِ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ أَبِي ٱلْفُتُوحِ شَعْبَانَ أَخِيهِ خَلَّدَ ٱللهُ
مُلْكَهُ عَلَى سَرِيرِ ٱلسَّلْطَنَةِ ٱلشَّرِيفَةِ . سُلْطَانًا عَادِلًا وَمَلِكًا نَشَأَ فِي أُفُقِ
ٱلْمُلْكِ هِلَالًا إِلَى أَنْ ظَهَرَ كَامِلًا . وَسَيْفًا تَخْضَعُ لِعِزَّتِهِ رِقَابُ مُلُوكِ ٱلْغَرْبِ
وَٱلشَّرْقِ . وَمُتَوَّجًا يَظْهَرُ بِإِشْرَاقِ جَبِينِهِ مَا بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ مِنَ ٱلْفَرْقِ . وَإِنَّ
كَلِمَةَ ٱلْإِجْمَاعِ ٱنْعَقَدَتْ عَلَى مُلْكِهِ ٱلرَّفِيعِ . وَإِنَّ ٱلْعَزَاءَ ٱلْمُقْتَضَبَ
يَجِيءُ بِٱلْهَنَاءِ ٱلسَّرِيعِ . وَإِنَّ ٱلطَّلْعَةَ ٱلشَّرِيفَةَ قَدْ أَطْلَعَتْ فِي أُفُقِ
ٱلْمُلْكِ ٱلْمُرَجَّبِ هِلَالَ شَعْبَانَ فِي رَبِيعٍ . فَسُرَّتِ ٱلسَّرَائِرُ وَضُرِبَتْ بَعْدَ
ضُرُوبِ ٱلْهَنَاءِ نُوَبُ ٱلْبَشَائِرِ . وَأَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱلْمُدُنُ زِينَتَهَا
مِنْ كُلِّ زَاهٍ وَزَاهِرٍ . سَجَعَتِ ٱلْخُطَبَاءُ بِٱلِٱسْمِ ٱلشَّرِيفِ فَكَادَتْ أَنْ
تُورِقَ أَعْوَادُ ٱلْمَنَابِرِ . وَظَهَرَتْ بِٱلِٱبْتِهَاجِ حَتَّى عَلَى وُجُوهِ ٱلدَّرَاهِمِ
وَٱلدَّنَانِيرِ أَمَائِرُ . وَأَصْبَحَتْ أَيْدِي ٱلرَّجَاءِ بِهَا مَلِيَّةً . وَتَسَابَقَتِ
ٱلْأَلْسُنُ بِحَمْدِ ٱللهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ جَعَلَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ ٱلشَّرِيفَ نُجُومَ سَمَاءٍ .
كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُ بَهِيَّةٌ . وَجَهَّزَ ٱلْمَمْلُوكُ ٱلْمِثَالَ

ٱلشَّرِيفَ ٱلْمُخْتَصَّ بِمَوْلَانَا لِيَأْخُذَ حَظَّهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْبُشْرَى . وَيَنْشُرَهَا مِنْ طَيِّ ٱلْبُرُوجِ مَعَ نَفَحَاتِ ٱلرَّوْضِ تَتْرَى . فَطَمَحَ ٱلرَّعَايَا مِنْ فَضْلِ ٱلْهَنَاءِ إِلَى أَحْسَنِ ٱلْمَطَامِحِ . وَيَرْضَوْنَ عَنْ بَاقِي ٱلزَّمَانِ وَمَاضِيهِ فَيَصِفُونَهُ بِكَامِلِ وَصْفٍ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِصَالِحٍ . وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَمْلَأُ لَهُ ٱلْبَشَائِرَ أَوْطَارًا وَأَوْطَانًا . وَيَسُرُّ ٱلدِّينَ وَٱلدُّنْيَا أَبَدًا بِتِلَاوَةِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلشَّرِيفِ . وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا . آخِرُهُ : وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ (الكنز المدفون للسيوطي)

لابي بكر الخوارزمي الى والي بلاد قومس وقد ورد عليه ابنهُ للقراءة

٢٥٩ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ ٱلْفَقِيهِ بَعْدَ نِزَاعِ كُلِّ إِلَيْهِ وَحِرْصٍ عَلَيْهِ . وَبَعْدَ أَنِ ٱقْتَرَحْتُهُ عَلَى ٱلدَّهْرِ . وَخَلَعْتُ فِيهِ رِبْقَةَ ٱلْعَزَاءِ وَٱلصَّبْرِ . وَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ سُرُورًا أَبِٱلْكِتَابِ وَهُوَ أَيْسَرُ وَاصِلٍ . أَمْ بِحَامِلِهِ وَهُوَ أَجَلُّ حَامِلٍ . فُلَانٌ وَلَدِي قَدِ ٱقْتَطَعْتُ لَهُ مِنْ فَرَاغِي فِلْذَةً عَلَى أَنَّنِي لَوْ دَرَسْتُهُ حَتَّى تَحْفَى ٱلْأَقْلَامُ . وَيَفْنَى ٱلْكَلَامُ . وَتَحْصَرَ ٱلْأَفْهَامُ وَٱلْأَوْهَامُ . ثُمَّ لَقَّمْتُهُ ٱلْعِلْمَ لُقْمَةً . وَسَبَكْتُ لَهُ ٱلْأَدَبَ فِقْرَةً . وَأَلْهَمْتُهُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ . وَأَفْرَغْتُ فِي خَاطِرِهِ آدَابَ ٱلْعَرَبِ وَٱلْعَجَمِ . وَخَرَجْتُ لَهُ مِنْ حَدِّ ٱلْإِفْهَامِ . إِلَى حَدِّ ٱلْإِلْهَامِ . لَكُنْتُ فِيهِ عَنْ قَضَاءِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ ٱلْفَقِيهِ قَاصِرًا . وَلَكَانَ وُقُوعِي دُونَ أَدْنَى مَوَاجِبِهِ عَلَيَّ ظَاهِرًا . وَلٰكِنَّ ٱلْإِقْرَارَ عُذْرٌ قَوِيٌّ . كَمَا أَنَّ ٱلْإِنْكَارَ ذَنْبٌ طَوِيٌّ . وَقَدْ كَانَ هٰذَا ٱلْوَلَدُ أَدِيبًا مُجْمَلًا . فَصَارَ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ تَعَالَى أَدِيبًا مُفَصَّلًا . وَكَانَ أَغَرَّ فَصَارَ أَغَرَّ مُحَجَّلًا . وَأَرْجُو أَنَّ ٱللّٰهَ يُحْيِي بِهِ مَآثِرَ سَلَفِهِ ٱلصَّالِحِينَ . وَيُعْلِي بِهِ

مَنَازِلَ آبَائِهِ ٱلْأَوَّلِينَ. فَيَكُونَ أَوَّلَهُم عِلْمًا وَأَدَبًا. وَهُوَ آخِرُهُمْ مِيلَادًا وَنَسَبًا

في الأشواق وحسن التواصل

كتب ابو النصر العتبي كاتب السلطان محمود الى صديق له

٢٦٠ هٰذَا يَوْمٌ قَدْ رَقَّتْ غَلَائِلُ صَحْوِهِ وَهَبَّتْ شَمَائِلُ خَيْرِهِ. وَضَحِكَتْ ثُغُورُ رِيَاضِهِ. وَٱطَّرَدَ وُرُودُ ٱلنَّسِيمِ فَوْقَ حِيَاضِهِ. وَفَاحَتْ مَجَامِرُ ٱلْأَزْهَارِ. وَٱنْتَثَرَتْ قَلَائِدُ ٱلْأَغْصَانِ مِنْ فَرَائِدِ ٱلْأَنْوَارِ. وَقَامَ خُطَبَاءُ ٱلْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ ٱلْأَشْجَارِ. وَدَارَتْ أَفْلَاكُ ٱلْأَيْدِي بِشُمُوسِ ٱلرَّاحِ. فِي بُرُوجِ ٱلْأَقْدَاحِ. فَبِحَقِّ ٱلْفُتُوَّةِ ٱلَّتِي زَانَ ٱللهُ بِهَا طَبْعَكَ. وَٱلْمُرُوءَةِ ٱلَّتِي قُصِرَ عَلَيْهَا أَصْلُكَ وَفَرْعُكَ. إِلَّا مَا تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِٱلْحُضُورِ. وَنَظَمْتَ لَنَا بِكَ عُقُودَ ٱلسُّرُورِ (حلبة الكميت للنواجي)

كتب الشيخ البسطامي الى بعض السادة

٢٦١ أَمَّا بَعْدُ فَٱلْعَبْدُ ٱلْكَلِيمُ. يُنْهِي إِلَى ٱلسَّيِّدِ ٱلرَّحِيمِ. مِنْ شَوْقِهِ ٱلَّذِي مَلَكَ قِيَادَهُ. وَعَمَرَ بِفَوَائِدِهِ فُؤَادَهُ. وَمَا بَرِحَ ٱلْعَبْدُ يَدْعُو لِمَوْلَانَا فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ. وَيَنْشُرُ عَلَى بِسَاطِ إِحْسَانِهِ جَوْهَرَ شُكْرِهِ. وَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ تَشَوُّقَ ٱلسَّاهِرِ إِلَى ٱلْمَنَامِ. وَيُهْدِيهِ مِنْ ثَنَائِهِ أَحْسَنَ مِنْ ضَحِكِ ٱلزَّهْرِ لِبُكَاءِ ٱلْغَمَامِ:

وَٱلرَّوْضُ يَبْدُو زَهْرُهَا مُتَبَسِّمًا فَكَأَنَّهُ لِبُكَا ٱلْغَمَامِ قَدِ ٱشْتَفَى

وَقَدْ سَطَّرْتُ هٰذِهِ ٱلْعُبُودِيَّةَ مُظْهِرًا مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَانَا مَا لَا يَخْفَى. وَذَاكِرًا مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ مَا تَعْجِزُ عَنْهُ ٱلْأَلْسُنُ وَصْفًا. أَلْمَسْؤُولُ مِنْ صَدَقَاتِهِ

حُسْنُ ٱلْوَصِيَّةِ بِوَافِدِ سَلَامِهِ ۔ وَوَارِدِ كَلَامِهِ ۔ فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ يَرَى لَهُ حَقًّا فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ ٱلْكَرِيمِ ۔ وَيُؤْثِرُهُ لِوُقُوعِ عَيْنِهِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْوَجْهِ ٱلْوَسِيمِ ۔ وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ مَكَانَ هٰذَا ٱلْكِتَابِ ۔ وَسَاعَدَتِ ٱلْأَيَّامُ عَلَى زِيَارَةِ ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ ۔ فَإِنَّ رُؤْيَتَكُمْ مِمَّا تَبْتَهِجُ بِهَا ٱلْخَوَاطِرُ ۔ وَتَنْتَعِشُ بِهَا ٱلْقُلُوبُ ٱنْتِعَاشَ ٱلرَّوْضِ إِذَا بَاكَرَتْهُ ٱلْغُيُومُ ٱلْمَوَاطِرُ ۔ لَا زَالَ مَوْلَانَا وَافِرَ ٱلْإِحْسَانِ ۔ مُتَرَبِّيًا بِأَحْسَنِ مَنَاقِبِ ٱلْإِنْسَانِ (مناهج التوسل لعبد الرحمان البسطامي)

كتب ابو عبد الرحمان محمد بن طاهر الى صاحب قليرة يستدعي منهُ اقلاماً

٢٦٢ قَدْ عَدِمْتُ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَكَ بِهٰذَا ٱلْقُطْرِ ٱلْأَقْلَامُ ۔ وَبِهَا يَشْخُصُ ٱلْكَلَامُ ۔ وَهِيَ حِلْيَةُ ٱلْبَيَانِ ۔ وَتَرْجُمَانُ ٱللِّسَانِ ۔ عَلَيْهَا تَفَرَّعُ شِعَابُ ٱلْفِكْرِ ۔ وَذِكْرُهَا مُنَزَّلٌ فِي مُحْكَمِ ٱلذِّكْرِ ۔ وَمَنَابِتُهَا بَلَدُكَ ۔ وَيَدُكَ فِيهَا يَدُكَ ۔ وَأُرِيدُ أَنْ تَزْدَادَ لِي مِنْهَا سَبْعَةً كَعَدَدِ ٱلْأَقَالِيمِ ۔ حَسَنَةُ ٱلتَّعْلِيمِ ۔ فِضِّيَّةُ ٱلْأَدِيمِ ۔ وَلَا يُعْتَمَدُ مِنْهَا إِلَّا صِلَابُهَا ۔ ٱلطِّوَالُ أَنَابِيبُهَا ۔ وَإِذَا ٱسْتُمِدَّتْ مِنْ أَنْفَاسِهَا ۔ وَافَاكَ ٱلشُّكْرُ مِنْ أَنْفَاسِهَا (قلائد العقيان)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى كاتب

٢٦٣ أَعْتَذِرُ سَيِّدِي مِنْ صِغَرِ ٱلْكِتَابِ وَٱخْتِصَارِهِ ۔ فَقَدْ أَغْنَاهُ ٱللهُ تَعَالَى عَنْ تَكَلُّفِهِ مِنِ ٱعْتِذَارِهِ ۔ وَإِنَّمَا ٱلصَّغِيرُ مَا صَغُرَ قَدْرُهُ ۔ لَا مَا صَغُرَ حَجْمُهُ ۔ فَأَمَّا مَا أَفَادَ ۔ وَجَاوَزَ ٱلْمُرَادَ ۔ فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ ۔ بَلْ أَكْبَرُ مِنْ كَبِيرٍ ۔ وَأَمَّا شُكْرُهُ لِي عَلَى تَفْضِيلِي بِكَلَامِهِ ۔ فَإِنِّي مِنْ هٰذَا بَعْدُ فِي مَيْدَانٍ

عَرِيضٍ مَدِيدٍ. وَفِي شَوْطٍ بَعِيدٍ. لَمْ أَبْلُغْ عُشْرَ عُشْرِهِ. وَلَمْ أَقْضِ مِنْهُ أَيْسَرَ يُسْرِهِ. وَٱلْحَقُّ أَنِّي وَإِنِ ٱجْتَهَدْتُ فَأَنِّي غَيْرُ بَالِغٍ مِنْهُ مَا فِي ضِمْنِ ٱلنِّيَّةِ. وَلَا آتٍ عَلَى مَا فِي ٱلْهِمَّةِ وَٱلْأُمْنِيَّةِ. وَلٰكِنِّي سَأَقِفُ عَقْلِي ٱنْتِهَاءَ ٱلطَّاقَةِ. وَأَحْمِلُ مَجْهُودِي أَقْصَى ٱلْغَايَةِ. وَٱلتَّمَادُحُ بَيْنَنَا بَعْدَ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي عَتَقَتْ حَتَّى أَخْلَقَتْ. وَقَدُمَتْ حَتَّى هَرِمَتْ. فَضْلٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يُعَرَّجُ عَلَيْهِ. وَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أُخُوَّتَنَا مُتَّصِلَةً فِي ٱلدُّنْيَا بِأُخُوَّتِنَا يَوْمَ ٱلدِّينِ. فَإِنَّ ٱلْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ

في العتاب واللوم والاعتذار

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذٍ له

٢٦٤ إِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ ٱللّٰهُ لَا تَرَانَا مَوْضِعًا لِلزِّيَارَةِ. فَنَحْنُ فِي مَوْضِعِ ٱلِٱسْتِزَارَةِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدِ ٱسْتَوْفَيْتَ مَا كَانَ لَدَيْنَا. فَسَقَطَ حَقُّنَا عَنْكَ وَبَقِيَ حَقُّكَ عَلَيْنَا. فَقَدْ يَزُورُ ٱلصَّحِيحُ ٱلطَّبِيبَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ دَائِهِ وَٱسْتِغْنَائِهِ عَنْ دَوَائِهِ. وَقَدْ تَجْتَازُ ٱلرَّعِيَّةُ عَلَى بَابِ ٱلْأَمِيرِ ٱلْمَعْزُولِ فَتَتَجَمَّلُ لَهُ وَلَا تُعَيِّرُهُ عُزْلَةً. وَلَوْ لَمْ تَزُرْنَا إِلَّا لِتُرِيَنَا رُجْحَانَكَ. كَمَا طَالَمَا رَأَيْنَا نُقْصَانَكَ لَكَانَ ذٰلِكَ فِعْلًا صَائِبًا. وَفِي ٱلْقِيَاسِ وَاجِبًا

٢٦٥ لمّا أراد الملك الناصر مبايعة ابنهِ أبي مروان اتخذ لذلك صنيعًا في قصر الزهراء وأرسل فاستدعى وجوه مملكتهِ. فلم يتخلّف من بينهم الّا أبو ابرهيم من أكابر علماء المالكيّة. فأمر الخليفة وليّ العهد بالكتاب اليهِ والتفنيد لهُ فكتب اليهِ رقعة نسختها:

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ حَفِظَكَ ٱللّٰهُ وَتَوَلَّاكَ وَسَدَّدَكَ

وَرِعَاكَ . لَمَّا امْتَحَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي أَبْقَاهُ اللهُ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّ بِهِم وَجَدَكَ مُتَقَدِّمًا فِي الْوِلَايَةِ مُتَأَخِّرًا عَنِ الصِّلَةِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْذَرَكَ أَبْقَاهُ اللهُ خُصُوصًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي السُّرُورِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ لَا أَعْدَمَهُ اللهُ تَوَالِيَ الْمَسَرَّةِ . ثُمَّ أُنْذِرْتَ مِنْ قَبْلُ إِبْلَاغًا فِي التَّكْرِمَةِ فَكَانَ مِنْكَ عَلَى ذٰلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّخَلُّفِ مَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الْمَعْذِرَةُ . وَاسْتَبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِنْكَارِهِ وَمُعَاتَبَتِكَ عَلَيْهِ فَأَعْيَتْ عَلَيْكَ عَنْكَ الْحُجَّةُ . فَعَرِّفْنِي أَكْرَمَكَ اللهُ مَا الْعُذْرُ الَّذِي أَوْجَبَ تَوَقُّفَكَ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَمُشَاهَدَةِ السُّرُورِ الَّذِي سُرَّ بِهِ وَرَغِبَ الْمُشَارَكَةَ فِيهِ . لِنُعَرِّفَهُ أَبْقَاهُ اللهُ بِذٰلِكَ فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ الْعَزِيزَةُ إِلَيْهِ

٢٦٦ (فَأَجَابَهُ أَبُو إِبْرٰهِيمَ) : سَلَامٌ عَلَى الْأَمِيرِ سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللهِ قَرَأْتُ أَبْقَى اللهُ الْأَمِيرَ سَيِّدِي هٰذَا الْكِتَابَ وَفَهِمْتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ تَوَقُّفِي لِنَفْسِي إِنَّمَا كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدِنَا . لِعِلْمِي بِمَذْهَبِهِ وَسُكُونِي إِلَى تَقْوَاهُ وَاقْتِفَائِهِ لِأَثَرِ سَلَفِهِ الطَّيِّبِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَبْقُونَ مِنْ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ بَقِيَّةً لَا يَمْتَهِنُونَهَا بِمَا يَشِينُهَا وَلَا بِمَا يَغُضُّ مِنْهَا وَيُطَرِّقُ إِلَى تَنْقِيصِهَا . يَسْتَعِدُّونَ بِهَا لِدِينِهِمْ وَيَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ رَعَايَاهُمْ وَمَنْ يَفِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُصَّادِهِمْ . فَلِهٰذَا تَخَلَّفْتُ وَلِعِلْمِي بِمَذْهَبِهِ تَوَقَّفْتُ . إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى (لِلْمُقْرِي)

٢٦٧ قال السيد عباس بن علي الموسوي المكي في صدر كتاب ارسل به الى الأمير ناصر في بندر الحنا شاكياً عليه صاحب السيار وهو اذ ذاك في البندر المذكور:

قُلْ لِلْأَمِيرِ أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ   مَا هٰكَذَا شَرْطُ جَارِ الْجَنْبِ بِالْجَارِ

قَدِ ٱسْتَجَرْتُ بِكُمْ مِنْ كَافِرٍ دَنِسٍ ... فَظٍّ غَلِيظٍ لَعِينٍ نَسْلِ كُفَّارِ
يُعْطِي ٱلسَّبَارَ إِلَى مَنْ يَشْتَهِي وَأَنَا ... يُعْطَى سِبَارِي بِإِقْتَارٍ وَإِعْسَارِ
وَٱلْغَيْرُ يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ ... مِنَ ٱلطَّعَامِ وَمِنْ بُرٍّ وَدِينَارِ
لَوْ أَنَّ لِي غَيْرَ هٰذَا ٱلرِّزْقِ مَا نَظَرَتْ ... عَيْنِي لَهُ قَطُّ فِي سِرِّي وَإِجْهَارِي
لٰكِنْ مَوْلَايَ يَدْرِي أَنْ لَيْسَ لَنَا ... سِوَى ٱلسَّبَارِ ٱلَّذِي يَأْتِي بِمِقْدَارِ
فَكَيْفَ تَغْفُلُ عَنَّا يَا أَمِيرُ وَقَدْ ... أَوْصَى ٱلْمَلِيكُ بِنَا وَٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي
فَٱنْظُرْ بِعَيْنِ كِرَامٍ فِي جَوَاهِرِهِمْ ... وَلَا تَكِلْنِي لِتَعْرِيفٍ وَتَذْكَارِ
وَلَا تَدَعْنِي أَقُلْ مَا قِيلَ مِنْ قِدَمٍ ... بَيْتًا غَدَا مَثَلًا بَيْنَ ٱلْمَلَا جَارِي
أَلْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ ... كَٱلْمُسْتَجِيرِ مِنَ ٱلرَّمْضَاءِ بِٱلنَّارِ

لعمرو بن بحر الجاحظ في الاعتذار

٢٦٨ أَمَّا بَعْدُ فَنِعْمَ ٱلْبَدِيلُ مِنَ ٱلزَّلَّةِ ٱلِٱعْتِذَارُ. وَبِئْسَ ٱلْعِوَضُ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ ٱلْإِصْرَارُ. فَإِنَّهُ لَا عِوَضَ مِنْ إِخَائِكَ. وَلَا خَلَفَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ. وَقَدِ ٱنْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَفَائِكَ. فَأَطْلِقْ أَسِيرَ تَشَوُّقِي إِلَى لِقَائِكَ. فَإِنَّنِي بِمَعْرِفَتِي بِبُلُوغِ حِلْمِكَ وَغَايَةِ عَفْوِكَ ضَمِنْتُ لِنَفْسِي ٱلْعَفْوَ مِنْ زَلَّتِهَا عِنْدَكَ. (أَمَّا بَعْدُ) فَقَدْ مَسَّنِي مِنَ ٱلْأَلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مُوَاصَلَتِكَ مَعَ حَبْسِكَ ٱلِٱعْتِذَارَ مِنْ هَفْوَتِكَ. وَلٰكِنَّ ذَنْبَكَ تَغْتَفِرُهُ مَوَدَّتُكَ. فَٱمْنُنْ عَلَيْنَا بِصِلَتِكَ تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ. وَعِوَضًا مِنْ هَفْوَتِكَ. (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ عِنْدِي بِٱلصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مُلْكِكَ ٱلْتِمَاسُ رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدِرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ (لابن عبد ربه)

كتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذٍ له قطع في مجلس وكابر واخاط

٢٦٩ بَلَغَنِي أَنَّكَ نَاظَرْتَ . فَلَمَّا تَوَجَّهَتْ عَلَيْكَ ٱلْحُجَّةُ كَابَرْتَ . وَلَمَّا وُضِعَ نِيرُ ٱلْحَقِّ عَلَى عُنُقِكَ ضَجِرْتَ وَتَضَاجَرْتَ . وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ أَعْرَفُ بِٱلْحَقِّ مِنْ أَنْ تَعُقَّهُ . وَأَهْيَبُ لِجَنَابِ ٱلْإِنْصَافِ وَٱلْعَدْلِ مِنْ أَنْ تَشُقَّهُ . كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ ٱلضَّجَرِ نَاطِقٌ بِٱلْعَجْزِ . وَأَنَّ وَجْهَ ٱلظُّلْمِ مُبَرْقَعٌ بِٱلْقُبْحِ . وَأَنَّكَ إِذَا ٱسْتَدْرَكْتَ عَلَى نَقْدِ ٱلصَّيَارِفَةِ . وَتَتَبَّعْتَ خَطَأَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ . فَقَدْ طَرَقْتَ عَلَى عَيْبِكَ لِغَائِبِكَ . وَنَصَرْتَ عَدُوَّكَ عَلَى صَاحِبِكَ . وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِكَ . وَأَنْتَ إِنْسَانٌ

في المديح

كتاب البسطامي الى بعض الاصحاب

٢٧٠ وَصَلَ شَرِيفُ ٱلْكِتَابِ . مِنْ رَحِيمِ ٱلْجَنَابِ . أَدَامَ ٱللهُ سَعَادَتَهُ . وَزَادَ إِقْبَالَهُ وَسِيَادَتَهُ . وَهُوَ بَدِيعُ ٱلْمَعَانِي . رَفِيعُ ٱلْمَبَانِي . بِحُلِيِّ ٱلرَّوْضِ مَسْطُورٌ . وَٱلْوَشْيِ مَنْشُورٌ . بِخَطٍّ كَٱلنَّارِ أَوْ أَزْهَرَ . وَلَفْظٍ كَٱلدُّرِّ أَوْ أَنْوَرَ . وَصَلَ فَأَوْصَلَ أُنْسًا كَانَ بَعِيدًا . وَمَلَأَ قَلْبًا كَانَ ٱلشَّوْقُ إِلَيْهِ عَمِيدًا . فَأَمَّا مَا أَعَارَنِي مِنْ فَضَائِلِهِ ٱلْعَلِيَّةِ . وَفَوَاضِلِهِ ٱلْجَلِيَّةِ . ٱلَّتِي هُوَ مُوَشَّحٌ بِحِلْيَتِهَا . وَمُتَحَمِّلٌ بِحُلَّتِهَا . فَقُوبِلَ بِصَالِحِ ٱلدُّعَاءِ . وَفَاتِحِ ٱلْحَمْدِ وَٱلثَّنَاءِ . أَدَامَ ٱللهُ لَذِيذَ خِطَابِهِ بِٱلزُّلَالِ . وَجَدِيدَ كِتَابِهِ بِٱلنَّوَالِ

٢٧١ من لطائف القاضي محمد بن أحمد قوله مجاوبًا محمد بن خليل السمرجي الجداوي

أَزَهْرَ ٱلرُّبَا أَهْدَيْتَ أَمْ لُؤْلُؤَ ٱلْعِقْدِ   أَمِ ٱلزُّهْرُ جَاءَتْ فِي بَدِيعٍ مِنَ ٱلسَّرْدِ

أَمِ ٱلرَّوْضُ لا فَٱلرَّوْضُ ماءٌ وتُرْبَةٌ ... وَعُشْبٌ وَذَا شَيْءٌ يَجِلُّ عَنِ ٱلْحَدِّ
أَمِ ٱلنَّسَمَاتُ ٱلعَاطِرَاتُ تَأَرَّجَتْ ... بِأَعْبَقَ مِنْ مِسْكٍ فَتِيقٍ وَمِنْ نَدِّ
وَمَا هِيَ إِلَّا بِنْتُ فِكْرٍ فَرِيدَةٌ ... تَبَخْتَرُ مِنْ وَشْيِ ٱلْبَلَاغَةِ فِي بُرْدِ
نَفَائِسُ أَفْكَارٍ أَتَتْ لَمْ أَجِدْ لَهَا ... جَزَاءً سِوَى ٱلشُّكْرِ ٱلْمُكَلَّلِ بِٱلْحَمْدِ
وَدُرُّ قَرِيضٍ رُمْتُ إِدْرَاكَ شَأْوِهِ ... فَقَصَّرَ عَنْهُ فِي تَطَلُّبِهِ كَدِّي
حُلًى صَاغَهَا مَنْ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... بِهَا قَدْ حَلِي جِيدُ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْمَجْدِ
أَخُو ٱلْأَدَبِ ٱلْغَضِّ ٱلَّذِي جُمِعَتْ بِهِ ٱلْمَحَاسِنُ حَتَّى صَارَ يُعْرَفُ بِٱلْفَرْدِ
أَدِيبٌ أَرِيبٌ أَلْمَعِيٌّ مُهَذَّبٌ ... ذَكِيٌّ سَجَايَاهُ تَجِلُّ عَنِ ٱلْحَدِّ
لَهُ خُلُقٌ أَزْهَى مِنَ ٱلرَّوْضِ بَاسِمًا ... وَذِهْنٌ دَقِيقُ ٱلْفِكْرِ أَمْضَى مِنَ ٱلْحَدِّ
لِأَنْفَاسِهِ فِي ٱلطِّرْسِ أَيُّ تَضَوُّعٍ ... تَصَعَّدَ مِنْهُ دَائِمًا عَبَقُ ٱلنَّدِّ
فَلِلّٰهِ مَا أَهْدَيْتَ يَا بَدْرُ مِنْ يَدٍ ... وَكَمْ لَكَ أَيْضًا قَبْلَهَا مِنْ يَدٍ عِنْدِي
أَيَادٍ تَوَالَتْ مِنْكَ تَجْلِي كَأَنَّهَا ... شِرَارٌ أَطَارَتْهُ ٱلْأَكُفُّ عَلَى ٱلزَّنْدِ
وَإِنِّي فِي عَجْزِي مِنَ ٱلشُّكْرِ سَائِلٌ ... مُسَامَحَتِي فِيمَا أُعِيدُ وَمَا أُبْدِي
بِمَا لَكَ فِي سَمْعِي وَطَرْفِي وَخَاطِرِي ... مِنَ ٱلصِّيتِ وَٱلْمَرْأَى ٱلْمُعَظَّمِ وَٱلْوُدِّ
فُؤَادُكَ فِي قَلْبِي أَلَذُّ مِنَ ٱلْمُنَى ... وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي لِسَانِي مِنَ ٱلشَّهْدِ
فَدُمْ زِينَةَ ٱلْآدَابِ بَدْرَ كَمَالِهَا ... وَدُرَّةَ تَاجِ ٱلْعَصْرِ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ

٢٧٢ قال شرف المدرّسين المفتي عبد الرحمان بن عيسى من قصيدة في صدر كتاب أرسل به الى الشيخ أبي العباس أحمد المقري المغربي عالم فارس وخطيبه مراجعاً:

وَافَى لَنَا رَوْضٌ نَضِيرْ ... أَنِقٌ تَسَامَى عَنْ نَظِيرْ

فَفَضَضْتُهُ فَرَأَيْتُهُ فِي ٱلْحُسْنِ كَٱلدُّرِّ ٱلنَّثِيرْ
وَنَشَقْتُ مِنْ رَيَّاهُ مَا يَسْمُو عَلَى نَشْرِ ٱلْعَبِيرْ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ تَهْتَزُّ فِي يَوْمٍ مَطِيرْ
أَزْهَارُهَا كَكَوَاكِبٍ قَدْ زَيَّنَتْ فَلَكَ ٱلْأَثِيرْ
وَافَى فَكَادَ ٱلْقَلْبُ مِنْ فَرْطِ ٱلسُّرُورِ بِهِ يَطِيرْ
إِذْ جَاءَنَا مِنْ جِهْبِذٍ عَلَمٍ مَعَارِفُهُ كَثِيرْ
عَلَّامَةٍ لَمْ يُلْفَ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ لَهُ نَظِيرْ
إِنْ جَالَ فِي ٱلتَّفْسِيرِ فَٱلتَّيْسِيرُ أَعْسَرُهُ يَسِيرْ
وَإِنِ ٱنْتَحَى لِلنَّحْوِ وَضَّحَهُ بِتَسْهِيلِ ٱلْعَسِيرْ
وَإِلَيْهِ فِي فَنِّ ٱلْبَلَاغَةِ كُلُّ مَسْؤُولٍ يُشِيرْ
وَإِذَا تَعَاطَى ٱلشِّعْرَ قُلْتَ هُوَ ٱلْفَرَزْدَقُ أَمْ جَرِيرْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْمُنْتَهَى فِي كُلِّ فَنٍّ وَٱلْمَصِيرْ
إِسْلَمْ وَدُمْ مَا دَامَتِ ٱلْأَفْلَاكُ فِينَا تَسْتَدِيرْ

في الشكر والتهنئة

فصل لابي الفضل الميكالي الى بعض اخوانهِ في الشكر

٢٧٣ إِذَا لَمْ يُؤْتَ ٱلْمَرْءُ فِي شُكْرِ ٱلْمُنْعِمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلِٱصْطِنَاعِ . وَٱسْتِغْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى ٱلِٱسْتِقْلَالِ وَٱلِٱضْطِلَاعِ . فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي ٱلْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَتْبٌ . وَلَا تَلْحَقُهُ فِيهِ نَقِيصَةٌ وَلَا عَيْبٌ . وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحْمِلُ عَلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَى مَنْ

لَا يُعْجِزُهُ حَمْلُهُ . وَلَا يَؤُودُهُ ثِقْلُهُ . وَلَا يَزْكُو ٱلشُّكْرُ إِلَّا لَدَيْهِ . وَلَا تُصْرَفُ ٱلرَّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ . وَٱللّٰهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدٍ يُقِيمُ أَعْلَامَهُ وَفَضْلٍ يَقْضِي ذِمَامَهُ . وَعُرْفٍ يُثْبِتُ أَقْسَامَهُ . وَوَلِيٍّ يُوَالِي إِكْرَامَهُ . وَعَدُوٍّ يُدِيمُ قَمْعَهُ وَإِرْغَامَهُ

للطبري الى عضد الدولة يهنئهُ بولدين

٢٧٤ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْأَجَلِّ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ دَامَ عِزُّهُ وَتَأْيِيدُهُ . وَعُلُوُّهُ وَتَمْهِيدُهُ . وَبَسْطَتُهُ وَتَوْطِيدُهُ . وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ . وَهَنَّأَهُ مَا ٱحْتَظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ ٱلْبِلَادِ . مِنْ تَوَافُرِ ٱلْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ ٱلْإِمْدَادِ . وَتَمُّرِ ٱلْأَوْلَادِ . وَأَرَاهُ مِنَ ٱلنَّجَابَةِ فِي ٱلْبَنِينَ وَٱلْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ ٱلْكَرَمِ فِي ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ . وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ . وَنَفْسَهُ مِنْ مَسَرَّةٍ . حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهَلِهِ . وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ . وَيَسْتَوْفِيَ مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ . وَعَرَّفَهُ ٱللّٰهُ ٱلسَّعَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ عَبْدَهُ مِنْ طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا ٱنْبَعَثَا مِنْ نُورِهِ وَٱسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ . وَحَفَّا بِسَرِيرِهِ . وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَازِمَيْنِ . وَوُرُودَهُمَا تَوْأَمَيْنِ . بَشِيرَيْنِ بِتَظَاهُرِ ٱلنِّعَمِ . وَتَوَافُرِ ٱلْقِسَمِ . وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ بَنِينَ يَجْمَعُهُمْ مُنْخَرَقُ ٱلْفَضَاءِ . وَيُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أُفُقُ ٱلْعَلَاءِ . وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ ٱلنَّمَاءِ . إِلَى غَايَةٍ تَفُوتُ غَايَةَ ٱلْإِحْصَاءِ . وَلَا زَالَتِ ٱلسُّبُلُ عَامِرَةً . وَٱلْمَنَاهِلُ غَامِرَةً . بِصَفَائِحِ صَادِرِهِمْ بِٱلْبِشْرِ وَآمِلِهِمْ بِٱلنَّيْلِ ٱلْقَاصِدِ

ولبعضهم في التهنئة بالقدوم من سفر

٢٧٥ أُهَنِّي سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسَّرَ ٱللّٰهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا . وَأَشْكُرُ

ٱللّٰهَ عَلَى ذٰلِكَ شُكْرًا قَائِمًا . غَيْبَةُ ٱلْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ . وَأَوْبَةُ ٱلنِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ . فَوَصَلَ ٱللّٰهُ تَعَالَى قُدُومَكَ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ بِأَضْعَافِ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ ٱلسَّلَامَةِ . هَنَأَ ٱللّٰهُ إِيَابَكَ . وَبَلَّغَكَ مَحَابَّكَ . مَا زِلْتُ بِٱلنِّيَّةِ مُسَافِرًا . وَبِأَفْعَالِ ٱلذِّكْرِ وَٱلْفِكْرِ لَكَ مُلَاقِيًا . إِلَى أَنْ جَمَعَ ٱللّٰهُ شَمْلَ سُرُورِي بِأَوْبَتِكَ . وَسَكَّنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ . فَأَسْعَدَكَ ٱللّٰهُ بِتَقَدُّمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ فِيهَا مُقَابِلًا وَبِٱلْأَمَانِيِّ ظَافِرًا . وَلَا أَوْحَشَ مِنْكَ أَوْطَانَ ٱلْفَضْلِ وَرِبَاعَ ٱلْمَجْدِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الخوارزمي الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته يهنئهُ

٢٧٦ فَهِمْتُ مَا ذَكَرَهُ ٱلشَّيْخُ مِنْ تَوْبَةِ ٱلدَّهْرِ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ . وَخُطْبَتِهِ لِسِلْمِهِ بَعْدَ حَرْبِهِ . فَٱنْقَشَعَتْ ضَبَابَةُ ٱلْمِحْنَةِ . وَهٰكَذَا تَكُونُ أَحْوَالُ ٱلْمُقْبِلِينَ . فَإِنَّ ٱلْأَيَّامَ إِذَا غَلِطَتْ فَجَنَتْ عَلَيْهِمْ . رَجَعَتْ فَٱعْتَذَرَتْ إِلَيْهِمْ . وَٱلزَّمَانُ إِذَا حَارَبَهُمْ خَطَأً سَالَمَهُمْ عَمْدًا . فَيَسْتَوْفُونَ فِي ٱلْحَالَيْنِ أَجْرَ ٱلْمِحْنَةِ . وَزِيَادَةً بِشُكْرِ ٱلنِّعْمَةِ . وَٱلْآنَ عَرَفَ ٱلشَّيْخَ بِحَقِيقَتِهِ . وَوُزِنَ بِزِنَتِهِ . وَوَقَفَ ٱلسُّلْطَانُ وَٱلرَّعِيَّةُ عَلَى تَفْصِيلِهِ وَجُمْلَتِهِ . هٰذَا وَقَدْ صَقَلَتْ هٰذِهِ ٱلْفَتْرَةُ خَلَائِقَ ٱلشَّيْخِ بِٱلتَّجَارِبِ . وَوَضَعَتْ فِي يَدِهِ مِرْآةَ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ . وَهَذَّبَتْ أَفْعَالَهُ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ . وَغَسَلَتْ عَنْهُ وَضَرَ كُلِّ عَيْبٍ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ . وَمَخْصُوصًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ . وَلٰكِنِ ٱلْأَيَّامُ عَمَلُهَا فِي ٱلتَّعْلِيمِ . وَخَاصَّتُهَا فِي بَابِ ٱلتَّنْبِيهِ وَٱلتَّقْدِيمِ . فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي رَدَّ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرِ جَمَالَهُ

وبهاءه. وعمّر بابه وفناءه. وسرّ شيعته وأولياءه. وغمّ حسدته وأعداءه. ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشترى بالأثمان. ولا يوزن بالميزان. ولا يكال بالقفزان. ولا يرى مثله في هذا الزمان. كما لم ير في سائر الأزمان. ثم الحمد لله الذي حوّل كتبي من التعزية إلى التهنئة وأخرج القاضي من ميدان الصبر. إلى ميدان الشكر

في التعزية

لابي قاسم في التعزية

٢٧٧ ترامى إلينا خبر مصابك بفلان. فخلص إلينا من الاغتمام به ما يحصل في مثله ممن أطاع ووفى وخدم ووالى. وعلمنا أن لفقدك مثله لوعة. وللمصاب به لذعة. فآثرنا كتابنا هذا إليك في تعزيتك على يقيننا بأن عقلك يغني عن عظتك. ويهدي إلى الأولى بشيمتك والأزيد في رتبتك. فليحسن أعزك الله صبرك على ما أخذه منك وشكرك لما أبقى لك وليتمكن من نفسك ما وفر لك من ثواب الصابرين. وأجزل من ذخر المحسنين

لابي الفضل بن العميد من كتاب تعزية بالامير ناصر الدين

٢٧٨ أقدار الله تعالى في خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب. وتتصرف بين موهوب ومسلوب. غادية أحكامها مرة بالمصائب والنوائب. ورائحة أقسامها تارة بالعطايا والرغائب. ولكن أحسنها في العيون أثرا. وأطيبها في الأسماع خبرا. وأحراها بأن تكسب

ٱلْقُلُوبَ عَزَاءً وَتَصَبُّرًا . مَا إِذَا ٱنْطَوَى نُشِرَ . وَإِذَا ٱنْكَسَرَ جُبِرَ . وَإِذَا أُخِذَ بِيَدٍ رُدَّ بِأُخْرَى . وَإِذَا وُهِبَ بِيُمْنَى سُلِبَ بِيُسْرَى . كَٱلْمُصِيبَةِ بِفُلَانٍ ٱلَّتِي قَرَّحَتِ ٱلْأَكْبَادَ . وَأَوْهَنَتِ ٱلْأَعْضَادَ . وَسَوَّدَتْ وُجُوهَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْمَعَالِي . وَصَوَّرَتِ ٱلْأَيَّامَ فِي صُوَرِ ٱللَّيَالِي . وَغَادَرَتِ ٱلْمَجْدَ وَهُوَ يَلْبَسُ حِدَادَهُ . وَٱلْعَدْلَ وَهُوَ يَبْكِي عِمَادَهُ . حَتَّى إِذَا كَادَ ٱلْيَأْسُ يَغْلِبُ ٱلرَّجَاءَ وَيَرُدُّ ٱلظُّنُونَ مُظْلِمَةَ ٱلنَّوَاحِي وَٱلْأَرْجَاءِ . قَبَضَ ٱللّٰهُ تَعَالَى مِنَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْجَلِيلِ مَنِ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَهْوَاءُ . وَرَضِيَتْ بِهِ ٱلدَّهْمَاءُ . فَأَسَى بِهِ حَادِثَ ٱلْكَلْمِ . وَسَدَّ بِمَكَانِهِ عَظِيمَ ٱلثَّلْمِ . وَرَدَّ ٱلْآمَالَ . وَٱلنُّفُوسُ قَدِ ٱسْتَبْدَلَتْ بِٱلْحَيْرَةِ قُوَّةً وَٱبْتِدَارًا وَصَارَتْ لِلدَّوْلَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا

كتب بديع الزمان الى ابن أُختهِ يعزّيهِ بأخيهِ

٢٧٩ قَدْ وَرَدَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَظَاهُرِ نِعَمِ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ . وَعَلَى أَبَوَيْكَ فَسَكَنْتُ إِلَى ذٰلِكَ . مِنْ حَالِكَ . وَسَأَلْتُ ٱللّٰهَ بَقَاءَكَ . وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءَكَ . وَذَكَرْتَ مُصَابَكَ بِأَخِيكَ فَكَأَنَّمَا فَتَّتَ عَضُدِي . وَطَعَنْتَ فِي كَبِدِي . فَقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِدًا بِمَكَانِهِ . وَٱلْقَدَرُ جَارٍ لِشَانِهِ . وَكَذَا ٱلْمَرْءُ يُدَبِّرُ . وَٱلْقَضَاءُ يُدَمِّرُ . وَٱلْآمَالُ تَنْقَسِمُ . وَٱلْآجَالُ تَبْتَسِمُ . وَٱللّٰهُ يَجْعَلُهُ فَرَطًا وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا وَأَنْتَ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ وَارِثُ عُمْرِهِ . وَسِدَادُ ثَغْرِهِ . وَنِعْمَ ٱلْعِوَضُ بَقَاؤُكَ . وَأَبُوكَ سَيِّدِي أَيَّدَهُ ٱللّٰهُ وَأَلْهَمَهُ ٱلْجَمِيلَ . وَهُوَ ٱلصَّبْرُ . وَآتَاهُ ٱلْجَزِيلَ . وَهُوَ ٱلْأَجْرُ .

وَأَمتَعهُ بِكَ طَوِيلاً فَمَا سُؤتَ بَدَلاً. وَالسَّلَامُ

وكتب الخوارزمي الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه

٢٨٠ كَتَبْتُ وَأَنَا مُقَسَّمٌ بَيْنَ فَرْحَةٍ وَتَرْحَةٍ. وَمُرَدَّدٌ بَيْنَ مِحْنَةٍ وَمِنْحَةٍ. أَشْكُو جَلِيلَ ٱلرَّزِيَّةِ. وَأَشْكُرُ جَزِيلَ ٱلْعَطِيَّةِ وَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى لِلْأَمِيرِ ٱلْمَاضِي ٱلْغُفْرَانَ وَٱلرَّحْمَةَ. وَلِلْأَمِيرِ ٱلسَّيِّدِ ٱلتَّأْيِيدَ وَٱلنِّعْمَةَ. فَإِنَّ ٱلْمُصِيبَةَ بِٱلْمَاضِي وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ ٱلصَّبْرَ. فَإِنَّ ٱلْمَوْهِبَةَ فِي ٱلْبَاقِي تَسْتَنْفِدُ ٱلشُّكْرَ. وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي كَسَرَ. ثُمَّ جَبَرَ. وَسَلَبَ. ثُمَّ وَهَبَ. وَٱبْتَلَى. ثُمَّ أَوْلَى. وَأَخَذَ ثُمَّ أَعْطَى. كَتَبَ عَلَى ٱلْمَشْرِقِ خَاصَّةً. بَلْ عَلَى ٱلدُّنْيَا كَافَّةً. أَنْ تَطْمِسَ آثَارُهَا. وَتُظْلِمَ أَقْطَارُهَا. وَتَهُبَّ رِيحُ ٱلْخَرَابِ عَلَيْهَا. وَتَنْظُرَ عَيْنُ ٱلْكَمَالِ إِلَيْهَا. حَتَّى ذَبَلَتْ شَجَرَةُ ٱلْمَمْلَكَةِ. وَوَهَنَ رُكْنُ ٱلْمِلَّةِ. وَطُرِفَ نَاظِرُ ٱلدَّوْلَةِ. وَٱنْثَلَمَ جَانِبُ ٱلدَّعْوَةِ. ثُمَّ ٱسْتَدْرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ خَلْقَهُ. فَرَدَّ إِلَى ٱلْأَمِيرِ حَقَّهُ. وَقَرَّتِ ٱلدَّوْلَةُ فِي قَرَارِهَا. وَعَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ إِلَى نِصَابِهَا. وَطَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا. وَوُضِعَتِ ٱلرِّيَاسَةُ فِي مَوْضِعِهَا. فَأَنَا ٱلْآنَ بَيْنَ شِكَايَةِ ٱلْأَيَّامِ وَشُكْرِهَا وَبَيْنَ حَرْبِ ٱلدَّهْرِ وَسِلْمِهِ. أَبْكِي وَأَنَا ضَاحِكٌ وَأَضْحَكُ وَأَنَا بَاكِي ٱلْعَيْنِ. إِلَّا أَنَّ ٱلضَّحِكَ عَلَيَّ أَغْلَبُ. وَٱلْفَرَحَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْغَمِّ أَقْرَبُ. لِأَنَّ ٱلْمُصِيبَةَ مَاضِيَةٌ. وَٱلنِّعْمَةَ بَاقِيَةٌ. رَحِمَ ٱللهُ ٱلْمَاضِيَ رَحْمَةً تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصْرَعَهُ. وَتُبَرِّدُ لَهُ مَضْجَعَهُ. وَتُضَاعِفُ حَسَنَاتِهِ. وَتَمْحُو سَيِّئَاتِهِ. وَأَعَانَ ٱلْأَمِيرَ عَلَى رِعَايَةِ مَا ٱسْتَرْعَاهُ. وَأَلْهَمَهُ شُكْرَ مَا أَعْطَاهُ. وَتَوَلَّاهُ فِيمَا وَلَّاهُ.

وَوَالَاهُ جَزِيلَ مَا أَوْلَاهُ . وَأَيَّدَ بِالْهَيْبَةِ سُلْطَانَهُ . وَثَبَّتَ بِالْبَقَاءِ أَرْكَانَهُ .

وكتب الى أبي طاهر وزير أبي علي بن الياس بكرمان

٢٨١ كَتَبْتُ وَلَمَّا اتَّصَلَ بِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ لَمْ أَمْلِكْ مِنْ قَلْبِي إِلَّا مَا شَغَلْتُهُ بِهَا . وَلَا مِنْ عَيْنِي إِلَّا مَا بَكَيْتُ بِهِ لَهَا . وَنَزَلَ بِي مَا يَنْزِلُ بِمَنْ قَارَعَهُ الزَّمَانُ عَنْ وَاحِدِهِ وَنَازَعَهُ الْمَوْتُ فِي بَعْضِ نَفْسِهِ . وَزَلَّ عَنْ يَدِهِ الذُّخْرُ الَّذِي ادَّخَرَهُ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ . وَسُلِبَ السَّيْفَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعِدُّهُ لِلِقَاءِ الْأَقْرَانِ . ثُمَّ تَنَجَّزْتُ مَوْعُودَ اللّٰهِ تَعَالَى بِالصَّبْرِ وَالْعَزَاءِ . وَلَقَدْ كَانَتِ الْمُصِيبَةُ بِفُلَانٍ جِرَاحَةً لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا الصَّبْرُ . وَخُسْرَانًا لَا جَبْرَ لَهُ إِلَّا الْأَجْرُ . فَهَا أَنَا أَيَّدَ اللّٰهُ تَعَالَى الشَّيْخَ جَرِيحُ يَدِ الدَّهْرِ وَلَا طَبِيبَ لِمَنْ جَرَحَهُ . وَسَلِيبُ يَدِ الْمَوْتِ وَلَا ضَامِنَ لِمَنِ اجْتَرَحَهُ . وَقَدْ دَفَنْتُ يَدِي بِيَدِي . وَبَكَيْتُ عَلَى عَيْنِي بِعَيْنِي . وَأُفْرِدْتُ فِي نَفْسِي عَنْ نَفْسِي وَالرَّزِيَّةُ بِمِثْلِ فُلَانٍ رَزَايَا . كَمَا أَنَّ الْعَطِيَّةَ كَانَتْ بِبَقَائِهِ عَطَايَا . وَلَكِنْ لَا كَثِيرَ مِنَ الْمَصَائِبِ مَعَ التَّأَدُّبِ بِأَدَبِ اللّٰهِ تَعَالَى . كَمَا لَا قَلِيلَ مِنَ الْمَوَاهِبِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللّٰهِ تَعَالَى . رَحِمَ اللّٰهُ فُلَانًا الْجَامِعَ لِمَحَاسِنِ الْآدَابِ . الشَّيْخَ حِلْمًا وَإِنْ كَانَ غَضَّ الشَّبَابِ . فَلَقَدِ اخْتُضِرَ وَهُوَ فَتِيُّ السِّنِّ . وَاهْتُصِرَ وَهُوَ رَطْبُ الْغُصْنِ . وَكُسُوفُ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ أَوْقَعُ . وَكَسْرُ الْعُودِ عِنْدَ اعْتِدَالِهِ أَوْجَعُ :

إِنَّ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا   لَأَشَدُّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا

ألبابُ ألسَّادِسَ عشَرَ
فِي ألتَّرَاجِمِ (*)

فقهاء المسلمين وخطباؤهم

إبنُ ألجُوزِيّ (٥١٠ ــ ٥٩٧ هجريَّة) (١١١٧ ــ ١٢٠٢ مسيحيَّة)

٢٨٢ هو ابو الفرج عبد الرحمان الواعظ الملقَّب جمال الدين الحافظ . كان علّامة عصرهِ وامام وقتهِ في الحديث وصناعة الوعظ . صنَّف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير اربعة اجزاء أتى فيهِ باشياء غريبة . ولهُ في الحديث تصانيف كثيرة ولهُ المنتظم في التاريخ وهو كبير . ولهُ الموضوعات في اربعة اجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع . وكُتُبهُ أكثر من ان تُعدّ وكتب بخطهِ شيئاً كثيرًا والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا انهُ جُمعت الكراريس التي كتبها وحُسِبت مدَّة عمرهِ وقُسمت الكراريس على المدَّة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبلهُ العقل (لابن خلكان)

ألسُّهْرَوَرْدِيّ (٥٣٩ ــ ٦٣٢ هـ) (١١٤٥ ــ ١٢٣٥ م)

٢٨٣ هو أبو حفص عبد الله البكري الملقَّب شهاب الدين السهروردي . كان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة . وتخرَّج عليهِ خلق كثير من الصوفيةِ في المجاهدة والخلوة . ولم يكن في آخر عمرهِ في عصرهِ مثلهُ . وصحب عمَّهُ أبا النجيب وعنهُ اخذ التصوُّف والوعظ وانحدر الى البصرة الى الشيخ أبي محمد بن عبد ورأى غيرهم من الشيوخ . وحصَّل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين . وكان شيخ الشيوخ ببغداد وكان لهُ مجلس وعظ وعلى وعظهِ قبول كثير . ولهُ تآليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وهو اشهرها . ورأيت جماعة ممن حضر مجلسهُ وقعدوا في خلوتهِ وتسليكهِ كجاري عادة الصوفية . فكانوا يحكون غرائب ما يطرأ عليهم فيها مما يجدونهُ من الاحوال الخارقة . وكان ارباب الطريق من مشايخ عصرهِ يكتبون اليهِ من البلاد صورة فتاوى يسألونهُ عن شيء من احوالهم سمعتُ ان بعضهم كتب اليهِ : يا سيدي ان تركتُ العمل أخلدتُ الى البطالة وان عملت داخلني العُجب فايهما اولى . فكتب جوابهُ : اعمل واستغفر الله تعالى من العجب . ولهُ من هذا شيء كثير . وذكر في كتاب عوارف المعارف ابياتاً لطيفة منها قولهُ فيهِ تعالى : ان تأمَّلتكم فكلي عيونٌ أو تذكَّرتكم فكلي قلوبُ

(*) قد أخلينا هذا الجزء عن ذكر الشعراء وذلك ابتغاء ان نفرد لهم باباً في الجزء التالي

جَلَالُ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيُّ (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) (١٤٤٦ ـ ١٥٠٥ م)

٢٨٤ هو الامام عبد الرحمان بن الكمال الخُضَيْرِيّ العالم العلّامة الفقيه المحدث الحافظ المفسّر الاصولي الأديب الجَدَلِيّ . أخذ عن جماعة من علماء وقتهِ ودرس الفلسفة والرياضيّات فصار أوسع نظرًا وأطول باعًا من مشاهير فضلاء عصرهِ . وكتب في كل مسئلة مصنّفًا باقوالها وأدلّتها النقليّة والقياسيّة . منها المقامات الطبيّة وانيس الجليس وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وبلغت مصنفاتهُ نحوًا من اربعمائة مصنّف . هذا وقد انتهت اليهِ الرئاسة بمصر وكانت الطلَبة تشدّ اليهِ الرحال من كل بلدةٍ وتتقاطر اليهِ من كل صقع . اذ كان مبرزًا من أهل النظر والمناظرة واليهِ كانت الرحلة من الغرب والأندلس واضحى ركنًا من اركان الاسلام .

أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلشَّهْرَسْتَانِيُّ (٤٦٧ ـ ٥٤٨ هـ) (١٠٧٤ ـ ١١٥٣ م)

٢٨٥ كان اماماً مبرّزًا فقيهاً وبرع في الفقه وتفرّد فيهِ . وصنّف كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام . وكتاب الملل والنحَل . وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام . وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين وظهر لهُ قبول كثير عند العوامّ . ولهُ شعر قليل منهُ قولهُ :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها   وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ الّا واضعاً كفَّ حائرٍ   على ذَقَنٍ او قارعاً سنَّ نادمِ

مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ عَبْدُ ٱللَّطِيفِ (٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ) (١١٦١ ـ ١٢٣١ م)

٢٨٦ هو الشيخ الإمام الفاضل موفق الدين البغدادي . كان مشهورًا بالعلوم متحلياً بالفضائل مليح العبارة . كثير التصنيف وكان متميزًا في النحو واللغة عارفًا بعلم الكلام والطبّ . متطرقًا من العلوم العقليّة فكان في صباهُ اشغلهُ والدهُ بالأدب فلم يعرف اللعب واللهو ولم يُخْلِ وقتًا من اوقاتهِ النظر في الكتب والتصنيف والكتابة وكان وقوعهُ في تصانيف القدماء وعلماء العجم وبرع فيها . ومصنفاتهُ عديدة تنيف على المائة والستين . ورحل الى دمشق واجتمع بتاج الدين الكندي وجرى بينهما مباحثات وكان الكندي شيخاً بهياً ذكيًا مثريًا لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان معجباً بنفسهِ فاظهر الله عليهِ عبدَ اللطيف . ثم توجَّه الى زيارة القدس بظاهر عكّا ودخل مصر ثم عاد الى القدس ثانيةً بعد ان هادن صلاح الدين الفرنج . فدخل على السلطان ورأى بهِ ملكًا عظيماً يملأ العين روعةً والقلوب محبّةً . ولما حضرهُ وجد مجلسهُ حافلًا باهل العلم يتذاكرون باصناف العلوم . وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة . فاكرم صلاح الدين مثواهُ وعيَّن لهُ راتبًا لكل شهر . الى ان مات صلاح الدين فانتقل عبد اللطيف الى مصر . فكان في النهار يُقرئُ الناس بالجامع الأزهر وكان في الليل يشتغل على نفسهِ . فصنَّف كتاب الافادة والاعتبار في

الامور المعاينة في ارض مصر . ثمَّ عاد راجعاً الى بغداد وبها كانت وفاتهُ   (لابن اصيبعة)

أَلغَزَّالِيُّ (٤٥١ ـ ٥٠٥ هـ) (١٠٥٨ ـ ١١١١ م)

٢٨٧   هو الامام حجَّة الاسلام ابو حامد محمد الغزَّالي لم ترَ العيون مثلهُ لساناً وبياناً وخاطراً وذكاءً وعلماً وعملًا . فاق اقرانهُ من تلامذة الحرمين . وصار في ايامهِ امام الحَرَمَين . مفيداً مصنّفاً ويظهر التبجح بهِ . وكان مجلس نظام الملك مجمع الفضلاء . فوقع لأبي حامد في مجلسهِ ملاقاة الفحول ومناظرة الخصوم في فنون العلوم فاقبل نظام الملك عليهِ . وانتشر ذكرهُ في الآفاق فرسم لهُ تدريس المدرسة النظاميَّة ببغداد . وصنّف كتباً لم يصنَّف مثلها . ثم حجَّ وترك الدنيا واختار الزهد والعبادة وبالغ في تهذيب الأخلاق . ودخل بلاد الشام وصنَّف كتباً كثيرة لم يُسبَق الى مثلها في عدَّة فنون منها المنتَحل في علم الجَدَل . والتبر المسبوك . واحياء علوم الدين . وهو من أنفَس الكتب وأجلها وهو كتاب لا يستغني عنهُ طالب الآخرة . ثم عاد الى خراسان مواظباً على العبادات الى ان انتقل الى جوار الحق بطوس عن اربع وخمسين سنة   (للقزويني)

أَلْمَاوَرْدِيُّ (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ ـ ١٠٥٩ م)

٢٨٨   هو عليّ ابن حبيب الامام الجليل القدر الرفيع الشان أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والاقناع في الفقه وأدب الدنيا والدين والاحكام السلطانيَّة وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك . وكان اماماً جليلاً رفيع الشان لهُ اليد الباسطة في المذهب والتفنن التامّ في سائر العلوم . قال الشيخ أبو اسحاق : درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة . ولهُ مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير واصول الدين والادب . وجُعِل عليهِ القضاء ببلدان كثيرة . وقال ابن خيران: كان رجلاً عظيم القدر متقدماً عند السلطان أحد الائمة . لهُ التصانيف الحسان في كل فنّ . ومن كلام الماوردي الدالّ على دينهِ ومجاهدتهِ لنفسهِ ما ذكرهُ في كتاب أدب الدنيا والدين فقال : ومما انذرك بهِ من حالي اني صنَّفت في البيوع كتاباً جمعت لهُ ما استطعت من كتب الناس . واجهدتُ فيهِ نفسي وكدَّرت فيهِ خاطري حتى اذا تهذَّب واستكمل وكدتُ أُعجَب بهِ . وتصوَّرت انني اشدّ الناس اضطلاعًا بعلمهِ حضرني وانا في مجلسي اعرابيَّان فسألاني عن بيعٍ عقداهُ في البادية على شروط تضمَّنت اربع مسائل لم اعرف لشيء منها جواباً . فاطرقت مفكراً وبحالي وحالهما معتبراً . فقالا : أما عندك فيما سألناك عنهُ جواب وانت زعيم هذه الجماعة . قلت: لا . فقالا: إيهاً لك . وانصرفا ثم أتيا مَن قد يتقدَّمهُ في العلم كثير من اصحابي . فسألاهُ فاجابهما مسرعًا بما اقنعهما فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلَّل لهما قياد النفس وانخفض بهما جناح العُجب (*)

(*) ومنهم ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥ هـ) قاضي القضاة بشيراز ولهُ الكتاب الموسوم بانوار التنزيل . ومنهم ابو عبد الله البخاري (٢٥٦ هـ) صاحب الجامع الصحيح تفرَّد في علم الرواية والحديث

ألفتح بن خاقان (٤٨٠ ــ ٥٣٥ هـ) (١٠٨٨ ــ ١١٤١ م)

٢٨٩ هو أبو نصر الفتح بن محمد عبيد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي لهُ عدَّة تصانيف منها كتاب قلائد العقيان وقد جمع فيهِ من شعراء المغرب طائفة كثيرة . وتكلَّم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة والطف اشارة . ولهُ ايضاً كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس . وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى . وهو كتاب كثير الفائدة وكلامهُ فيهِ يدلّ على غزارة فضلهِ وسعة مادَّتهِ . وكان كثير الأسفار سريع التنقلات . وقال الحافظ أبو الخطَّاب ابن دحية : كان ابن خاقان خليع العذار في دنياه . لكن كلامهُ في تآليفهِ كالسحر الحلال والماء الزلال . قُتل ذبحاً في مسكنهِ بفندق من حاضرة مرَّاكش صدر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وان الذي أشار بقتلهِ أمير المسلمين أبو الحسن عليّ بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أبي اسحاق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألَّف لهُ أبو نصر المذكور قلائد العقيان وقد ذكرهُ في خطبة الكتاب (لابن خلكان)

إبنُ عبدِ ربِّهِ (٢٤٦ ــ ٣٢٨ هـ) (٨٦١ ــ ٩٤٠ م)

٢٩٠ هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد ربّهِ عالمٌ ساد بالعلم ورأس . واقتبس من الحظوة ما اقتبس . وشُهر بالأندلس حتى سار الى المشرق ذكرهُ . واستطار شرر الذكاء فكرهُ . وكانت لهُ عناية بالعلم وثقة ورواية لهُ متَّسقة وأمَّا الأدب فهو كان حجَّتهُ وبهِ غمرت الافهام لجَّتهُ . مع صيانةٍ وورع . وديانة ورد ماءها فكرع . ولهُ التأليف المشهور الذي سمَّاهُ بالعقد . وحماهُ عن عثرات النقد . لانهُ أبرزهُ مثقَّف القناة . مرهف الشباة . تقصر عنهُ ثواقب الألباب . وتبصر السحر منهُ في كل باب . ولهُ شعر انتهى منتهاهُ . وتجاوز سماك الاحسان وسهاهُ . وكان ابن عبد ربّهِ من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكتابهُ العقد الفريد من الكتب الممتعة حوى من كل معنى شهي وكل نادرة غريبة (نفح الطيب للمقري)

أبو الفرج الأصبهانيّ (٢٨٤ ــ ٣٥٦ هـ) (٨٩٨ ــ ٩٦٦ م)

٢٩١ هو علي بن الحسين القرشي الأموي الكاتب صاحب كتاب الأغاني . وجدُّهُ مروان آخر خلفاء بني أُميَّة . وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشإ . كان من اعيان ادبائها وأفراد مصنّفيها . وكان عالماً بايام الناس والانساب والسيَر . كان يحفظ من الشعر والأغانيّ والأخبار والآثار ما لم يُرَ قطُّ من يحفظ مثلهُ . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو ونُتَف من الطبّ والنجوم والاشربة وغير ذلك . ولهُ شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء

والشعراء . ولهُ المصنَّفات المستمْلحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على انهُ لم يعمل في بابهِ مثلهُ . يقال انهُ جمعهُ في خمسين سنةً وحملهُ الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاهُ الف دينار واعتذر اليهِ . وحكي عن الصاحب بن عباد انهُ كان في أسفارهِ وتنقلاتهِ يستصحب حمل ثلاثين جملًا من كتب الأدب ليطالعها . فلما وصل اليهِ كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواهُ استغناء بهِ عنها . ومنها كتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل لهُ ببلاد الأندلس كتب صنَّفها لبني أميَّة ملوك الأندلس يوم ذاك وسيَّرها اليهم سرًّا وجاءهُ الانعام منهم سرًّا . ومن ذلك كتاب أيَّام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وغير ذلك . وكان منقطعًا الى الوزير المهلَّبي ولهُ فيهِ مدائح منها قولهُ :

ولمَّا انتجعنا لائذين بظلِّهِ أعان وما عنَّا ومنَّ وما منَّا

وردنا عليهِ مقترين فراشنا وردنا نداهُ مجدبين فاخصبنا (لابن خلكان)

بَدِيعُ ٱلزَّمَانِ (٣٥٣ ـ ٣٩٨ هـ) (٩٦٤ ـ ١٠٠٧ م)

٢٩٢ هو أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عُطارد وفريد الدهر وغرَّة العصر . ومن لم يُلفَ نظيرهُ في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع . وصفاء الذهن وقوَّة النفس . ولم يدرك قرينهُ في ظرف النثر وملحهِ وغُرَر النظم ونكتهِ . ولم يُرَ ان أحدًا بلغ مبلغهُ من لبّ الأدب وسرّهِ . وجاء بمثل اعجازهِ وسحرهِ . فانهُ كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ولقَبُهُ بالبديع يدل على قدرهِ . فمنها انهُ كان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قطّ وهي أكثر من خمسين بيتًا . فيحفظها كلها ويوردها الى آخرها لا يخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفهُ ولم يرَهُ نظرةً واحدةً خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبهِ . هذا ويسردها سردًا . وكان يُقترح عليهِ عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى غريب وباب بديع . فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عمَّا فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليهِ فيبتدئ بآخر سطورهِ ثم هلمَّ جرًّا الى الأوَّل ويخرجهُ كاحسن شيء واملحهِ . ويوشح القصيدة الفريدة من قبلهِ بالرسالة الشريفة من انشائهِ . فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة . ويقترح عليهِ كل عروض من النظم والنثر فيرتجلهُ في اسرع من الطرف على ريق لا يبلعهُ ونَفَسٍ لا يقطعهُ . وكلامهُ كلهُ عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف . عظيم الخلق شريف النفس . كريم العهد خالص الودّ . حلو الصداقة مرّ العداوة . فارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبَل الشبيبة غضّ الحداثة . وقد درس على أبي الحسين ابن فارس وأخذ عنهُ جميع ما عندهُ . واستنفد علمهُ وورد حضرة الصاحب أبي القاسم بن عبَّاد .

فتروود من ثمارها وحسن آثارها . وولي نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . فنشر بها برّه وأظهر طرزهُ واملى اربعمائة مقامة نحلهـا أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها . وضمّنها ما تشتهي الانفس من لفظ انيق. قريب المأخذ. بعيد المرام. وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام. وجدٍ يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول . ثم ألقى عصاهُ بجراة فعاش فيها عيشة راضية . وحين بلغ اشدهُ واربى على اربعين سنة ناداهُ الله فلباهُ وفارق دنياهُ . فقامت نوادب الأدب واثلم حد القلم . وبكاهُ الفضائل والأفاضل . ورثاهُ الاكارم مع المكارم . على انهُ ما مات من لم يَمُت ذكرهُ . ولقد خلّد من بقي على الايام نظمهُ ونثرهُ (اليتيمة للثعالبي)

أبو منصور الثعالبيّ (٣٥٠ـ٤٢٩ هـ) (٩٦٢ـ١٠٣٨م)

٢٩٣ هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري كان في وقتهِ راعي تلعات العلم . وجامع اشتات النثر والنظم . ورأس المؤلفين في زمانهِ . وامام المصنّفين بحكم قرآنهِ . وسار ذكرهُ سير المثل . وضربت اليهِ آباط الابل . وطلعت دواوينهُ في المشارق والمغارب . طلوع النجم في الغياهب . تآليفهُ اشهر مواضع . واجهر مطالع . وأكثر راوٍ لها وجامع . من ان يستوفيها حدٌّ أو وصف . او يوفي حقوقها نظم أو رصف . وذكر لهُ طرفٌ من النثر ونورد شيئًا من نظمهِ . فمن ذلك ما كتبهُ الى الأمير أبي الفضل الميكالي:

لك في المفاخر معجزاتٌ جمّةٌ ... أبدًا لغيرك في الورى لم تُجمعِ

بحرانِ بحرٌ في البلاغة شابهُ ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي

وترسّلُ الصابي يزين علوهُ ... خطُّ ابن مقلة ذو المحلّ الأرفعِ

شكرًا فكم من فقرةٍ لك كالغنى ... وافى الكريم بعيد فقرٍ مدقعِ

واذا تفتّق نَوْرُ شعرك ناضرًا ... فالحسن بين مرصعٍ ومصرّعِ

أرجلتَ فرسان الكلام ورضت افـ ... ـراس البديع وأنت امجد مبدعِ

ونقشتَ في فصّ الزمان بدائعًا ... تزري بآثار الربيع الممرعِ

ولهُ من التآليف يتيمة الدهر . في محاسن أهل العصر . وهو أكبر كتبهِ واحسنها واجمعها . وفيها يقول ابو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر الاسكندري المشهور:

أبيات أشعار اليتيمه ... أبكار أفكار قديمه

ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سُمّيتِ اليتيمه

ولهُ أيضًا كتاب فقه اللغة وسحر البلاغة وسرّ البراعة . ومونس الوحيد في المحاضرات . جمع فيها أشعار الناس وأخبارهم . وفيها دلالة على كثرة اطلاعهِ (الذخيرة لابن بسام)

الحريريّ (٤٤٦ـ٥١٦هـ) (١٠٥٥ـ١١٢٣م)

٢٩٤ هو أبو محمد القاسم بن عثمان الحريري البصري الحرامي صاحب المقامات . كان أحد

ائمّة عصره ورُزِق الحظوة التامة في عمل المقامات . واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومَن عرفها حق معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّتهِ . وكان سبب وضعهِ لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليهِ اهبة السفر . رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة . فسألتهُ الجماعة من أين الشيخ . فقال : من سروج . فاستخبروهُ عن كنيتهِ فقال : أبو زيد . فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت . فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلمّا وقف عليها أعجبتهُ وأشار على والدي ان يضمّ اليها غيرها . فاتمّها خمسين مقامة . والى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقولهِ : فاشار مَن اشارتهُ حكم . وطاعتهُ غُنم . الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع . وان لم يدرك الظالع شأو الضليع . وقد اعتنى بشرحها خلق كثير فنهم من طوّل ومنهم من اختصر . ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لمّا عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادّعاها فلم يصدقهُ في ذلك جماعة من ادباء بغداد . وقالوا : انها ليست من تصنيفهِ بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقهُ اليهِ فادعاها . فاستدعاهُ الوزير الى الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيرًا فلم يفتح الله سبحانهُ عليهِ بشيء من ذلك . فقام وهو خجلان فقال فيهِ أبو القاسم عليّ بن افلح :

شيخٌ لنا من ربيعة الفرسِ   ينتف عثنونهُ من الهوسِ
انطقهُ الله بالمشان كما   رماهُ وسط الديوان بالخرسِ

وكان الحريري يزعم انهُ من ربيعة الفرس . وكان مولعاً بنتف لحيتهِ عند الفكرة وكان يسكن في مَشان البصرة . فلمّا رجع الى بلدهِ عمل عشر مقامات أُخر وسيرهنّ واعتذر من عيّهِ وحصرهِ في الديوان بما لحقهُ من المهابة . وللحريري تآليف حسان منها درّة الغواص في اوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب المنظومة في النحو ولهُ ايضاً شرحها . ولهُ ديوان رسائل وشعر كثير غير شعرهِ الذي في المقامات . ولهُ قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرًا . ويحكى انهُ كان دميماً قبيح المنظر . فجاءهُ شخص غريب يزورهُ ويأخذ عنهُ شيئاً فلما رآهُ استزرى شكلهُ ففهم الحريري ذلك منهُ . فلما التمس منهُ ان يملي عليهِ قال لهُ اكتب :

ما أنت أوّل سارٍ غرّهُ قمرٌ   ورائدٍ اعجبتهُ خضرة الدمَنِ
فاختر لنفسك غيري انني رجل   مثل المعيديّ فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل منهُ وانصرف . وتوفي الحريري بالبصرة   (لابن خلّكان)

أَلشَّرِيشِيُّ (٥٥٧ ـ ٦١٩ هـ)(١١٦٣ ـ ١٢٢٣ م)

٢٩٥ هو الكمال أبو العبَّاس أحمد من أهل شريش . ولهُ تآليف افاد بها حشد فيها منها جمع مشاهير قصائد العرب وشروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما لا كفاء لهُ . لم يترك منها فائدةً الَّا استخرجها . ولا فريدةً الَّا استدرجها . ولا نكتةً الَّا علَّقها . ولا غريبةً الَّا استحقَّها . فجاء شرحهُ يغني عن كل شرحٍ . وكان الشريشي يقرئ العربيَّة وأخذ عنهُ جماعةٌ وأقام في بَلَنسيَة ثم رحل الى إشبيليَة وانتقل الى المشرق . وكانت وفاتهُ بشريش بلدهِ

إبنُ أَبِي أَلرَّنْدَقَةِ أَلطَّرْطُوشِيُّ (٤٥١ ـ ٥٢٠ هـ)(١٠٦٠ ـ ١١٢٧م)

٢٩٦ هو الفقيه العالم ابو بكر الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك وكفى هذا الكتاب دليلًا على فضله . وكان زاهدًا عابدًا متورّعًا متقلّلًا من الدنيا قوَّالًا للحق . وكان يقول: اذا عرض لك امرُ دنيا وأُخرى فبادر في أمر الاخرى يحصل لك الدنيا . وصحب بسرقسطة القاضي أبا الوليد وأخذ عنهُ مسائل في الحساب والفرائض . وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية . ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين واربعمائة . ودخل بغداد والبصرة فتفقَّه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي عليّ التُستَري . وسكن الشام مدَّة ودرس بها وكان راضيًا باليسير . قال الصفدي في ترجمة الطرطوشي : ان الأفضل بن أمير الجيوش انزلهُ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرههُ . فلما قُتِل الأفضل وولي بعدهُ المأمون بن البطائحي فاكرم الشيخ اكرامًا كثيرًا ولهُ ألَّف الشيخ سراج الملك . ومن تآليفهِ مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف . وتوفي بالاسكندريَّة وشهرتهُ تغني عن الاطناب فيهِ . وحكي انهُ كتب على سراج الملوك الذي أهداهُ لوليّ الأمر بمصر:

النـاس يهدون على قدرهم   لكنني اهدي على قدري
يهدون ما يفنى واهدي الذي   يبقى على الايَّام والدهرِ   (للقري)

بَهَاءُ ٱلدِّينِ ٱلْعَامِلِيُّ (٩٥٣ ـ ١٠٣١ هـ)(١٥٤٦ ـ ١٦٢٢ م)

٢٩٧ الشيخ العلّامة اللوذعي بهاء الدين بن حسين العاملي هو علَم الائمة الاعلام . وسيّد علماء الاسلام . وبحر العلم المتلاطمة أمواجهُ . وفحل الفضل الناتجة لديهِ أفرادهُ وأزواجهُ . وطود المعارف الراسخ . وفضاؤُها الذي لا تُحدّ لهُ فراسخ . وجوادها الذي لا يؤمَّل لهُ لحاق . وبدرها الذي لا يعتريهِ محاق . اليهِ انتهت رئاسة المذهب والملَّة . وبهِ قامت قواطع البراهين والأدلَّة . جمع فنون العلم فانعقد عليهِ الاجماع وتفرَّد بصنوف الفضل فبهر النواظر والاسماع . فما من فنّ الَّا ولهُ فيهِ القدم المعلَّى . والمورد العذب المحلَّى . ان قال لم يدع قولًا لقائل . أو طال لم يأتِ غيرهُ بطائل . ومن مصنفاتهِ التفسير المسمَّى بالعروة الوثقى والزبدة في الاصول وخلاصة الحساب

والخلاة والكشكول فيهِ كل نادرة من علوم شتّى وتشريح الافلاك وغير ذلك من الرسائل المختصرة والفوائد المحرَّرة . وكان مولده بقزوين ثم خرج من بلده وتنقَّلت بهِ الاسفار الى ان وصل الى اصفهان . فوصل خبره الى سلطان شاه عبَّاس فطلبهُ لرئاسة العلماء . فوليها وعظم قدرهُ وارتفع شأنهُ ثم دخل مصر . وامتدح بها الاستاذ ابا الحسن البكري بقصيدةٍ مطلعها :

يا مصر سقيًا لكِ من جنةٍ   قطوفها يانعة دانيه

ثم قدم القدس ولزم فناء المسجد الأقصى . وكان متَّسمًا بلبس السيَّاح مؤنسًا بالوحشة دون الايناس . ثم أقلع الى حلب ورجع الى اصفهان فتوفي فيها   (لاحمد المنيني)

أَبو إِسحاق ٱلقَيرَاوَنيُّ (٣٩٠ ـ ٤٥٣ هـ) (١٠٠١ ـ ١٠٦٢ م)

٢٩٨ هو ابو اسحاق ابرهيم بن عليّ بن تميم المعروف بالحصري القيرواني الشاعر المشهور . لهُ ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيهِ كل غريبة في ثلاثة اجزاء . وكتاب المصون في سرّ الهوى المكنون . في مجلّد واحد فيهِ مُلح وآداب . ذكرهُ ابن الرشيق في كتابهِ الانموذج وحكى شيئًا من أخبارهِ وأحوالهِ وأنشد جملة من اشعارهِ وقال : كان شبَّان القيروان يجتمعون عندهُ ويأخذون عنهُ . ورأس عندهم وشرف لديهم . وسارت تأليفاتهُ وانثالت عليهِ الصلات من الجهات . وتوفي ابو اسحاق المذكور بقيروان

أهل الرواية واللغة من المسلمين

أَلأَصمَعيُّ (١٢٣ ـ ٢١٦ هـ) (٧٤٢ ـ ٨٣٢ م)

٢٩٩ هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي من ابناء عدنان . وكان عالمًا عارفًا باشعار العرب وآثارها . كثير التطوُّف في البوادي لاقتباس علومها وتلقّي اخبارها . فهو صاحب غرائب الأشعار . وعجائب الأخبار . وقدوة الفضلاء . وقبلة الادباء . قد استولى على الغايات في حفظ اللغات وضبط العلوم الأدبيَّات . صاحب دين متين . وعقل رصين . وكان خاصًا بالرشيد آخذًا لصلاتهِ . ولهُ من التصانيف كتاب خلق الانسان وكتاب الأجناس وكتاب الانواء وكتاب الخيل وكتاب الانشاء وكتاب الأمثال وكتاب النوادر وكتاب النبات وغير ذلك . وكان هارون الرشيد قد استخلصهُ لمجلسهِ . واجازهُ عليّ ابو يوسف القاضي بجوائز كثيرة وعُمّر نيفًا وتسعين سنة ورثاهُ الحسن بن مالك :

لا درَّ درُّ نبات الأرض اذ فُجعتْ   بالأصمعيّ لقد ابقت لنا أسفا
عِشْ ما بدا لك في الدنيا فلستَ ترى   في الناس منهُ ولا من علمهِ خَلَفا

سِيبَوَيهِ (١٢١ ـ ١٦١ هـ) (٧٤٠ ـ ٧٧٩ م)

٣٠٠ هو أبو بشر عمرو الحارثي وسيبويه لقب ومعناهُ بالفارسيَّة رائحة التفاح . وكان من

أهل فارس ومنشاهُ بالبصرة . وكان اعلم المتقدّمين والمتأخرين بالنحو كان أخذهُ عن الخليل . ولم يوضع فيهِ مثل كتابهِ . قال الجاحظ : اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء اهديهِ لهُ فلم اجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه . فقال : والله ما اهديت اليّ شيئًا احبّ اليّ منهُ . وكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب . فيعلم انهُ كتاب سيبويه . وكان ابو العبّاس المبرد اذا أراد مريد ان يقرأ عليهِ كتاب سيبويه يقول لهُ : هل ركبت البحر : تعظيمًا لكتاب سيبويه واستصعابًا لما فيهِ . وكان أبو عثمان المازني يقول : مَن أراد ان يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ . ولمَّا ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يومئذٍ يعلّم الأمين ابن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا . وجرى مجلس يطول شرحهُ . وزعم الكسائي ان العرب تقول : كنت اظن الزنبور اشدّ لسعًا من النحلة فاذا هو إيَّاها . فقال سيبويه : ليس المثل كذا بل : فاذا هو هي . وتشاجرا طويلًا واتّفقا على مراجعة عربيّ خالص لا يشوب كلامهُ شيء من كلام أهل الحضر . وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونهِ معلّمهُ . فاستدعى عربيًّا وسألهُ . فقال كما قال سيبويه . فقال لهُ نريد ان تقول كما قال الكسائي . فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الَّا الى الصواب . فقرَّروا معهُ ان شخصًا يقول : قال سيبويه كذا . وقال الكسائي كذا . فالصواب مع من منهما . فيقول العربي : مع الكسائي . فقال : هذا يمكن . ثم عقد لهما المجلس واجتمع ائمَّة هذا الشان وحضر العربيّ وقيل لهُ ذلك فقال : الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب . فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليهِ وتعصَّبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسهِ لما جرى عليهِ وقصد فارس فتوفّي بقرية من قُرى شيراز (نزهة الالبَّاء)

سُيَّاح المسلمين

إبْنُ بَطُوطَةَ (٧٠٣ — ٧٧٧ ﻫ) (١٣٠٤ — ١٣٧٦ م)

٣٠١ هو أبو عبد الله بن ابرهيم اللواتي الطنجي الملقَّب بشمس الدين ابن بطوطة . وهو الذي طاف الارض معتبرًا . وطوى الأمصار مختبرًا . وباحث فِرَق الامم . وسبر سير العرب والعجم . ثم ألقى عصا التسيار بحاضرة فاس العليا وكان مولدهُ بطنجة سنة ثلاث وسبعمائة . وكان خروجهُ من موطنهِ عام خمسة وعشرين وسبعمائة ولهُ من العمر ثنتان وعشرون سنة . فاخذ يتقلَّب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه . واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه . وكان لهُ منهُ مكان واستعملهُ بخطَّة القضاء بمذهب المالكيَّة في عملهِ . ثم ساح في الأقطار الصينيَّة والتتريَّة واواسط افريقية في بلاد السودان وفي الأندلس . ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مرين . وكان يحدّث عن شأن رحلتهِ وما رأى من العجائب بممالك الأرض . ويأتي من أحوالهِ بما يستغربهُ السامعون . فغمرهُ أبو عنان من احسانهِ الجزيل وامتنانهِ الحفيّ الحفيل .

ما أنساهُ الماضي بالحال . وأغناهُ عن طول الترحال . فانفذ اليهِ الملك الاشارة بان يملي على محمد بن جُزي الكلبي ما شاهدهُ في رحلتهِ من الأمصار . وما علق بحفظهِ من نوادر الأخبار . فاملى من ذلك ما فيهِ نزهة الخواطر . وبهجة المسامع والنواظر . من كل غريبة أفاد باجتلائها . وعجيبة أطرف بانتحائها . فامتثل ابن جزي ما أمر بهِ . فضم أطراف ما أملاهُ ابن بطوطة في تصنيف جاء على فوائده مشتملاً . ولنيل مقاصدهِ مكملاً . فوسمهُ بتحفة النظّار . في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (لابن جزيّ)

إبنُ جُبَيرٍ (٥٤٠ـ٦١٤ هـ) (١١٤٦ـ١٢١٨ م)

٣٠٢ هو أبو الحسين الكناني صاحب الرحلة . ولد ببلنسية عُنيَ بالأدب فبلغ الغاية فيهِ وتقدَّم في صناعة القريض والكتابة . ومن شعرهِ قولهُ وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوى في يدهِ :

لا تغتربْ عن وطنٍ واذكر تصاريفَ النوى
أَما ترى الغصنَ اذا ما فارق الأصل ذوَى

وقولهُ يخاطب من أهدى لهُ موزًا :

يا مهدي الموز تبقى وميمهُ لك فاءُ
وزايهُ عن قريبٍ لمن يعاديك تاءُ

ثم رحل الى دمشق ودخل بغداد وانكفأ راجعاً الى المغرب وكان انفصالهُ من غَرناطة ثانيةً بقصد الرحلة الشرقيَّة سنة ٥٧٨ . ونزل البر الاسكندري وتجوَّل في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة ورحلتهُ مشهورة بايدي الناس وكانت وفاتهُ بالاسكندريَّة

إبنُ سَعيدٍ (٦١٠ـ٦٨٥ هـ) (١٢١٤ـ١٢٨٧ م)

٣٠٣ هو أبو الحسن نور الدين بن سعيد الأديب الرحَّالة الطُرفة العجيب الشأن في التجوُّل في الأقطار ومداخلة الاعيان . المتمتع بالخزائن العلميَّة . وتقييد الفوائد المشرقيَّة والمغربيَّة . أخذ من اعلام اشبيلية وتآليفهُ كثيرة منها المرقصات والمطربات وموضوعان غريبان في اسفارهِ الى المغرب والمشرق . وتعاطى نظم الشعر في حدّ من الشبيبة يُعجَب فيهِ من ذلك قولهُ في صفة نهرٍ :

كأَنَّما النهر صفحةٌ كتبت أسطرها والنسيم ينشئها
لما ابانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤُها

وقال باقتراح الملك الصالح صاحب حمص ان يكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدَّمها لابن عمّهِ الملك الصالح ملك الديار المصريَّة :

انا لون الشباب والخال اهديـ ـتُ لمن قد كسا الزمان شبابا

ملك العالمين نجم بني أيوب لا زال في المعالي سهابا
جئتُ ملأى من الثناء عليهِ   من شكر احسانهِ والثوابا
لستُ ممّن لهُ خطابٌ ولكن   قد كفاني اريج عرفي خطابا

ثم قفل الى مصر ولقي بهاء الدين زهيرًا وجمال الدين بن مطروح . ثم تحوّل الى دمشق ودخل على السلطان المعظم وحضر مجلس خلوتهِ . ودخل الموصل وبغداد ورحل الى البصرة ودخل ارّجان ثم عاد الى المغرب . وصنّف في رحلتهِ مجموعًا سمّاهُ بالنفحة المسكيّة . واتّصل بخدمة الأمير ابي عبد الله المنتصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوتهِ الى ان توفي بتونس

فلاسفة الاسلام واطباؤهم

إبنُ رُشدٍ (٥٩٥ هـ)(١١٩٨م)(ألرّازيُّ ٣١١هـ)(٩٢٤ م)

٣٠٤ ابن رشد هو أبو الوليد المالكي وزير دهرهِ وعظيمهُ وفيلسوف عصرهِ وحكيمهُ. وكان عالمًا بالراي متفنّنًا للعلوم تولّى رئاسة الفتاوى في مرّاكش ثم استوطن إشبيليَة فاشتهر بالتقدّم في علم الأول حتى فاق أهل زمانهِ وطار ذكرهُ الى اقطار الاندلس والمغرب فاستدعاهُ سلطان مرّاكش الى حاضرتهِ ولقي عندهُ حظوة وشملهُ بالصلات والمكارم وكانت وفاتهُ في مرّاكش ولهُ تآليف جليلة عزيزة الوجود منها الكليّات في الطبّ وتعريب مصنّفات ارسطاطاليس وتلخيصها . وأمّا الرازي فهو ابو بكر بن زكريّا المشهور اقبل في شبيبتهِ على دراسة كتب الطبّ والفلسفة والكيمياء فقرأها قراءة رجل متعقّب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوابرها الغاية واضحى امام وقتهِ في الطبّ وعلوم الأوائل والمشار اليهِ في ذلك العصر تشدّ اليهِ الرحال لاخذها عنهُ وصنّف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو عمدة الاطباء في النقل منهُ والرجوع اليهِ عند الاختلاف . ومنها كتاب في اثبات صناعة الكيمياء وتصانيف كثيرة كلّها يُحتاج اليها . ودبّر الرازي مارستان الري وبغداد في أيام المكتفي وعمي في آخر عمرهِ

إبنُ زُهرٍ (٥٢٧ ــ ٥٩٥ هـ) (١١٣٣ ــ ١١٩٨ م)

٣٠٥ كان من أهل بيت كلّهم علماء روساء حكماء وزراء نالوا المراتب العليّة وتقدّموا عند الملوك ونفذت أوامرهم . قال الحافظ : وكان ابن زهر بمكان من اللغة مكين . ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطبّ والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سموّ النسب وكثرة الأموال والنشب . ومن شعرهِ قولهُ :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا   صغيرٌ تخلّف قلبي لديهِ
نأت عنهُ داري فيا وحشتا   لذاك الشخيص وذاك الوُجَيهِ
تشوّقني وتشوّقتهُ   فيبكي عليّ وابكي عليهِ

لقد تعب الشوق ما بيننا   فمنه اليَّ ومني اليهِ

ولهُ وقد شاخ وغلب عليهِ الشيب :

اني نظرتُ الى المرآة اذ جليت   فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيتُ فيها شيخًا لستُ أعرفهُ   وكنتُ اعهدهُ من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا   متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة   ان الذي انكرتهُ مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أُخيَّ وقد   صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

وأوصى اذا مات أن يكتب على قبرهِ هذه الأبيات وفيها اشارة الى طبِّهِ ومعالجتِهِ للناس وهي :

تأمل بحقك يا واقفًا   ولاحظ مكانًا دُفعنا اليهِ
تراب الضريح على وجنتي   كأني لم أمشِ يومًا عليهِ
أداوي الأنام حذارَ المنونِ   وها انا قد صرت رهنًا لديهِ

وتوفي ممتحنًا بعلَّة بين كتفيهِ بمدينة قرطبة (لابن خلكان)

إبنُ سِينَا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ ـ ١٠٣٦ م)

٣٠٦ هو أبو عليّ الحسين بن سينا الشيخ الرئيس حكى عن نفسهِ قال : ان أبي كان رجلًا من بلخ . ثم انتقلنا الى بخارى في أيام نوح بن منصور واحضرت معلّم القرآن والأدب وكملت العشر من العمر . وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يُقضى منّي العجب . ثم جاء الى بخارى ابو عبد الله الناتلي وكان يدَّعي الفلسفة فانزلهُ أبي دارنا رجاء تعلي منهُ . فقرأت ظواهر المنطق عليهِ واماً دقائقهُ فلم يكن عندهُ منها خبرٌ . ثم أخذت اقرأ الكتب على نفسي واطالع الشروح وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من اوَّلهِ خمسة أشكال أو ستة عليهِ . ثم توليت حلّ الكتاب باسرهِ . ثم انتقلت الى المجسطي وفارقني الناتلي ثم رغبت في علم الطبّ وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيهِ وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وانا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على القراءة سنة ونصفًا وكلما كنت اتحير في مسألة أو لم أكن اظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الصلاة وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المغلق والمتعسّر . وكنت ارجع بالليل الى داري واضع السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة . فمها غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود اليَّ قوَّتي . ثم ارجع الى القراءة ومتى أخذني ادنى نوم احلم بتلك المسائل باعيانها . حتى ان كثيرًا منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدت الى العلم الالهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت افهم ما فيهِ والتبس عليَّ غرض واضعهِ . حتى اعدت قراءتهُ اربعين مرَّة وصار لي محفوظًا وانا مع ذلك لا افهمهُ .

وأَيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمهِ. واذا انا يوماً حضرت وقت العصر في سوق الورَّاقين وبيد دلَّال مجلَّد ينادي عليهِ . فعرضهُ عليَّ فرددتهُ ردَّ متبرّم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم . فقال لي : اشترِ مني هذا فانهُ رخيص ابيعكهُ بثلاثة دراهم وصاحبهُ محتاج الى ثمنهِ فاشتريتهُ فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت الى بيتي وأسرعت قراءتهُ فانفتح عليَّ في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انهُ قد صار لي على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدَّقت بشيء على الفقراء شكراً لله تعالى . فلمَّا بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنهُ اليوم معي انضج والَّا فالعلم واحد لم يتجدَّد لي بعدهُ شيء . ثم مات والدي وتصرَّفت في الأَحوال وتقلَّدت شيئاً من اعمال السلطان . ودعتني الضرورة الى الارتحال من بخارى والانتقال عنها الى جرجان . وكان قصدي الأَمير قابوس . فاتفق في اثناء هذا أَخذ قابوس وحبسهُ وموتهُ . ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى جرجان . (اه) قال أَبو عُبيدة الجَوزَجاني : وصنَّف ابن سينا بجرجان اوَّل القانون ومختصر المجسطي وغير ذلك . ثم انتقل الى الري واتَّصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة . ثم خرج الى قزوين ومنها الى همذان فاتَّصل بخدمة كربانويه وتولى النظر في اسبابها . ثم سأَلوهُ تقلّد الوزارة فتقلَّدها ثم اتَّفق تشويش العسكر عليهِ واشفاقهم منهُ على انفسهم . فكبسوا دارهُ وأَخذوهُ الى الحبس وأَخذوا جميع ما كان يملكهُ . وساموا الامير شمس الدولة قتلهُ . فامتنع منهُ وعدل الى نفيهِ عن الدولة طلباً لمرضاتهم . فتوارى الشيخ في دار بعض اصدقائهِ اربعين يوماً فعاد الأَمير طلبهُ وقلَّدهُ الوزارة ثانياً . ولما توفي شمس الدولة وبويع ابنهُ طلبوا ان يستوزر الشيخ فأَبى عليهم وتوارى في دار أَبي غالب العطَّار . وهناك أَتى على جميع الطبيعيَّات والالهيَّات ما خلا كتابي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء وكاتب علاء الدولة سرًّا يطلب المسير اليهِ فاتهم بمكاتبتهِ وانكر عليهِ ذلك . وحثَّ في طلبهِ فدلَّ عليهِ بعض أَعدائهِ فاخذوهُ وأَدوهُ الى قلعة يقال لها بردوان وانشأَ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراهُ وكل الشكّ في أَمر الخروجِ

وبقي فيها أَربعة أَشهر ثم اخرجوهُ وحملوهُ الى همذان . ثم خرج منها متنكرًا وانا واخوهُ وغلامان معهُ في زي الصوفيَّة . الى ان وصلنا الى اصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام والاعزاز الذي يستحقهُ مثلهُ وصنَّف هناك كتباً كثيرة . وكان سبب موتهِ قولنج عرض لهُ . وكان ينتكس ويبرأ كل وقت ثم قصد علا الدولة في همذان وصار معهُ الشيخ. فعاودتهُ في الطريق تلك العلّة الى ان وصل الى همذان . وعلم ان قوّتهُ قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض . فاهمل مداواتهُ لنفسهِ وأَخذ يقول المدبّر الذي كان يدبّرني قد عجز عن التدبير . والآن فلا تنفع المعالجة وبقي على هذا أَياماً ثم انتقل الى جوار ربهِ ودُفن بهمذان . وفيهِ قال بعضهم :

ما نفع الرئيس من حكمهِ الطـ ـبّ ولا حكمهُ على النيّرات
ما شفـاهُ الشفـا من المو ت ولا نجاهُ كتاب النجاةِ

وكفّر الغزاليُّ ابن سينا في اصولٍ . منها قولهُ الأجسـاد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الأرواح وقولهُ بقدم العالم واعتقاد هذا كفر صريح (لابي الفرج الملطيّ)

مؤرّخو المسلمين

إبنُ ٱلأثيرِ (٥٦٧ ــ ٦٣٠ هـ) (١١٧٢ ــ ١٢٣٣ م)

٣٠٧ أبو الحسن عليّ بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقّب عزّ الدين . وُلِد بالجزيرة ونشأ بها ثم سار الى الموصل مع والدهِ وأخويهِ . وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقتهِ . وقدم بغداد مرارًا حاجـًا ورسولًا من صاحب الموصل . ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة . ثم عاد الى الموصل ولزم بيتهُ منقطعًا الى التوفير على النظر في العلم والتصنيف . وكان بيتهُ مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها . وكان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفتهِ وما يتعلّق بهِ وحافظًا للتواريخ المتقدّمة والمتأخرة . وخبيرًا بانساب العرب وايامهم ووقائعهم واخبـارهم . صنّف في التاريخ كتابًا كبيرًا سمّاهُ الكامل ابتدأ فيهِ من اوّل الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة . وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الانساب لابي سعد عبد الكريم السمعـاني . واستدرك عليهِ فيهِ مواضع ونبّه على اغلاط . وزاد اشياء اهملها . وهو كتاب مفيد جدًّا واكثر ما يوجد اليوم بايدي الناس هذا المختصر . ولهُ كتاب اخبار الصحابة في ست مجلّدات كبار . وأقام بحلب بصورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم اتابك الملك العزيز بن الملك الظاهر صاحب حلب وكانت فيها وفاتهُ (لابن خلّكان)

إبنُ خَلْدُونَ (٧٣٢ ــ ٨٠٨ هـ) (١٣٣١ ــ ١٤٠٥ م)

٣٠٨ هو محمد بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة ويُنسب سلفهُ الى وائل بن حجر من عرب اليمن . وكانوا نُزلاء اشبيلية فعند الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نباهة وشهرة واستقرّوا بتونس . وامّا المترجَم بهِ فهو رجل فاضل حسن الخلق . جم الفضائل باهر الخصل . رفيع القدر ظاهر الحياء . اصيل المجد وَقُور المجلس . خاصّيّ الزيّ عالي الهمّـة . عزوف عن الضيم صعب المقادة . قوي الجاش طامح لقنن الرئاسة . خاطب للحظ متقدّم في فنون عقليّة ونقليّة . متعدّد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوّر . بارع الخط مغرى بالتجلة . جواد حسن العشرة مبذول المشاركة . مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الاصالة . مفخر من مفاخر التخوم المغربيّة . قرأ القرآن ببلدهِ . وتأدّب بابيهِ وانصرف من افريقية منشئهِ

بعد ان تعلّق بالخدمة السلطانيّة على الحداثة واقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة . وعرف فضلهُ وخطبهُ السلطان منفق سوق العلم والأدب أبي عنان فارس ابن علي بن عثمان واستحضرهُ بمجلس المذاكرة . فعرف حقهُ وأوجب فضلهُ واستعمله على الكتابة اوائل عام ستة وخمسين . ثم عظم عليهِ حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني وشفوفهُ بثقوب الفهم وجودة الادراك . فاغروا بهِ السلطان . فاصابتهُ شدّة تخلّصهُ منها اجلهُ الى ان افضى الأمر الى السعيد ولده . فاعتبهُ قيم الملك لحينهِ وأعادهُ الى رسمهِ ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان لهُ بهِ الاتصال قبل تسوّغ المحنة بما أكّد حظوتهُ . فقلّده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرّر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامهِ . ولمّا القت الدولة مقادها بعدهُ الى الوزير عمر بن عبد الله مدبّر الأمر ولهُ اليهِ وسيلة وفي حليهِ شركة وعندهُ حق رابهُ تقصيرهُ عمّا ارتقى اليهِ أملهُ فساء ما بينهما بما آل الى انفصالهِ عن الباب المريني. وورد على الأندلس في أوّل ربيع الأوّل عام أربعة وستين وسبعمائة . واهتزّ لهُ السلطان وأركب خاصّتهُ لتلقيهِ وأكرم وفادتهُ . وخلع عليهِ وأجلسهُ بمجلسهِ . ولم يدّخر عنهُ برًّا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة . ولهُ التاريخ الكبير الذي سمّاهُ ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . وقد عرّف في آخرهِ بنفسهِ وأطال وذكر انهُ لمّا كان بالأندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شمّ من وزيرهِ ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوّض الرحال ولم يرضَ من الاقامة بحال . ولعب بكرتهُ صوالجة الاقدار حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار وتولى بها قضاء القضاة . ثم قدم على تمرلنك . فاكرمهُ غاية الاكرام وأعادهُ الى الديار المصريّة . ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان . ولهُ من النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان . مع الهمة العليّة . والتبحر في العلوم النقليّة والعقليّة . وكانت وفاتهُ بالقاهرة (نفح الطيب للمقري)

قال الحج خلفا عن مقدّمتهِ : كانت حقيقة التاريخ انهُ خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحّش والتأنّس والعصبيّات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملل والدول ومراتبها وما ينتحلهُ البشر باعمالهم وصنائعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع . وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعتهِ من الأحوال (كشف الظنون للحج خلفا)

أبو الفداء (٦٧٢ـ٧٤٣ هـ)(١٢٧٣ـ١٣٤٣ م)

٣٠٩ اسماعيل بن عليّ بن شاذي الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة برع في الفقه والاصول والعربيّة والتاريخ والأدب وصار من جملة امراء دمشق الى ان كان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وبالغ في خدمتهِ الى ان وعدهُ الملك الناصر محمد بسلطنه حماة

وجعلهُ سلطانها يفعل فيها ما يشاء ليس لاحد معهُ كلام . ولا يرد عليهِ مرسوم من القاهرة بامر ولا نهي . وأركبهُ بشعار السلطنة ومشى الامراء والاكابر في خدمتهِ حتى مشى الأمير ارغون النائب بالديار المصرية . وقام لهُ الملك الناصر بكل ما يحتاج اليهِ من التشريف والانعامات على وجوه الدولة والخيول بقماش الذهب وغير ذلك ولقَّبهُ بالملك الصالح وأمرهُ بالتوجه الى محلّ سلطنتهِ بحماة . فخرج اليها من ديار مصر بتجمل زائد وعظمة على عادة الملوك . فوصلها في جمادى الاخرة سنة عشر وسبعمائة . ثمَّ عن قليل غيَّر السلطان لقبهُ ولقَّبهُ بالملك المؤيد وذلك لمَّا حجَّ معهُ في سنة تسع عشرة وسبعمائة . وعاد معهُ الى القاهرة واذن لهُ ان يخطب باسمهِ بحماة واعمالها على ما كان عليهِ سلفهُ من ملوك حماة . وكان الملك المؤيد في كل قليل يتوجه من حماة الى القاهرة ومعهُ أنواع من الهدايا والتحف للملك الناصر محمد بن قلاوون ويعود الى محلّ سلطنتهِ. ثم في كل قليل يتحف الملك الناصر بالاشياء الظريفة الغريبة . قال بعضهم في وصفهِ: هو الملك الجليل . وامام ظلّهُ ظليل . عالم تخفق بالنصر أعلامهُ . وحاكم تجري لمصالح الرعيّة أقلامهُ . بيتهُ مشيَّد . وملكهُ مؤيَّد . وصدرهُ للطالبين مشروح . وبابهُ لأرباب الفضائل مفتوح. كان جوادًا سخيًّا . باسلًا كميًّا . ممدوحًا محمودًا . منتابًا مقصودًا . ذا تدبير وسياسة وحشمة ورئاسة . وفضل ومكارم . وحلم ومراحم وعدل وانصاف . ومعروف وأوقاف . يحبّ أهل العلم والأدب . ويفيض عليهم سحائب القرب والقُرَب . زاحم بهمَّتهِ النجوم . وشارك في عدَّة من العلوم . وألّف تاريخًا كثير الفوائد . ونظم الحاوي نظمًا يسخر بالعقود والقلائد . ولهُ مصنَّفات معروفة . وقريض بهِ قراضة ذهبهِ موصوفة . باشر النيابة ثم السلطنة بحماة مدَّة طويلة. واسدى الى سكان حماها ما استوجب بهِ شكر مناقبهِ الجميلة

وكان لهُ نظم ونثر وتصانيف كثيرة . وكتاب تقويم البلدان هذَّبهُ وجدولهُ . وكتاب الموازين . وكانت وفاتهُ بحماة ودُفن في تربتهِ المعروفة بانشائهِ عن ستين سنة . ورثاهُ محمد بن نباتة المصري بعدَّة مراثٍ أشهرها قولهُ :

ما للندى لا يلبّي صوت داعيهِ … اظن ان ابن شاذٍ قام ناعيهِ
ما للرجاء قد استدَّت مذاهبهُ … وللزمان قد اسودَّت نواحيهِ
ما لي أرى المُلك قد فضَّت مواقفهُ … مالي أرى الوفد قد فاضت مآقيهِ
نعى المؤيد ناعيهِ فيا أسفًا … للغيث كيف غدت عنَّا غواديهِ
وا روعتا لصباحٍ من رزيتهِ … اظنّ ان صباح الحشر ثانيهِ
وا حسرتاهُ لنظمي في مدائحهِ … كيف استحال لنظمي في مراثيهِ
ابكيهِ بالدرّ من جفني ومن كلمي … والبحر أحسن ما بالدرّ ابكيهِ
اروي بدمعي ثرى ملك لهُ شيمٌ … قد كان يذكرها الصادي فترويهِ

اذيل ماء جفوني بعده أسفًا | لماء وجهي الذي قد كان يحميه
جار من الدمع لا ينفكّ يطلقه | مَن كان يُطلق بالانعام جاريه
ومهجة كلّما فاهت بلوعتها | قالت رزيّة مولاها لها ايه
ليت المؤيد لا زادت عوارفه | فزاد قلبي المعنّى من تلظّيه
ليت الأصاغر يُفدَى الاكبرون بها | فكانت الشهب في الآفاق تفديه

ألطَّبَرِيُّ (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) (٨٣٦ ـ ٩٢٢ م)

٣١٠ ابو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير. كان احد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. وكان بصيرًا عارفًا بايام الناس. وتاريخهُ أصحّ التواريخ وأثبتها لم يقلّد فيه أحدًا. واستوطن الطبري بغداد وأقام فيها حتى توفي. وكان اسمر الى الادمة اعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ذكر لهُ ابو اسحاق الشيرازيّ شعرًا:

اذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي | واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي | ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحتُ ببذل نفسي | لكنتُ الى الغنى سهل الطريقِ

تَقِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَقْرِيزِيُّ (٧٦٠ ـ ٨٤٥ هـ) (١٣٦٠ ـ ١٤٤١ م)

٣١١ هو أحمد بن عبد الصمد الشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين المقريزي البعلبكي الأصل المصري الدار والوفاة. نشأ بالقاهرة وتفقّه على مذهب الحنفيّة. ثم تحوّل شافعيًا بعد مدّة طويلة. وتفقّه وبرع وصنّف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم. وكان ضابطًا مؤرّخًا مفنّنًا محدثًا معظّمًا في الدول. وولي حسبة القاهرة أوّل ولايته من قبل الملك الظاهر برقوق عوضًا عن شمس الدين محمد النجانسي ثم عزل بالقاضي بدر الدين العينتابي ثم وليها عنهُ ايضًا وولي مدّة وظائف دينيّة. وعرض عليهِ قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصريّة فأبى ان يقبل ذلك. وكان اماماً مفنّنًا كتب الكُتُب الكثيرة بخطهِ وانتقى اشياء وحصل القوائد. واشتهر ذكرهُ في حياتهِ وبعد موتهِ في التاريخ وغيره. حتى صار بهِ يُضرَب المثل. وكان لهُ محاسن شتّى ومحاضرة جيّدة الى الغاية لاسيا في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك. وكان منقطعًا في دارهِ ملازمًا للعبادة قلَّ ان يتردّد الى أحدٍ الّا لضرورة. وقرأت عليهِ كثيرًا من مصنّفاتهِ وكان يرجع الى قولي فيما اذكرهُ لهُ من الصواب ويغيّر ما كتبهُ أوّلًا في مصنّفاتهِ. وانتفعتُ بهِ واستفدتُ منهُ وكان كثير الكتابة والتصنيف. وصنّف كتبًا كثيرة من ذلك إمتاع الأسماع في ستة مجلّدات وهو كتاب نفيس ولهُ كتاب

الخبر عن البشر ذكر فيهِ القبائل في اربعة مجلّدات وعمل لهُ مقدّمة في مجلّد . وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدَّة مجلّدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاتهِ . ولهُ تاريخهُ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر الواردين اليها ولو كمل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلّدًا . ولهُ كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدَّة مجلّدات وهو في غاية الحسن وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كمل منهُ نحو الثمانين مجلدًا كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الأوزان والاكيال الشرعيَّة . وكتاب ازالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء . وكتاب المقاصد السنيَّة في الأجسام المعدنيَّة . ولهُ عدَّة تصانيف أُخر ولم يزل ضابطًا حافظًا للوقائع والتاريخ الى ان توفي ودُفن بالقاهرة (المنهل الصافي لابي المحاسن)

أَلْوَاقِدِيُّ (١٣٠ ــ ٢٠٧ هـ) (٧٤٨ ــ ٨٢٣ م)

٣١٢ أبو عبد الله محمد الواقدي المدني مولى بني هاشم . كان اماماً عالماً لهُ التصانيف في المغازي وغيرها . ولهُ كتاب الردة ذكر فيهِ اخبار العرب . ويُعزَى اليهِ تاريخ الشام وهو كتاب جزيل الفائدة . وتولّى الواقدي القضاء بشرقي بغداد وكان المأمون يكرم جانبهُ ويبالغ في رعايتهِ . ومن غريب ما أخبر الواقدي عن نفسهِ ما نصهُ قال : كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنَّا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد . فقالت امرأتي : امَّا نحن في انفسنا فنصبر على البؤس والشدَّة . وامَّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي لانهم يرون صبيان الجيران قد تزيَّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثَّة فلو احتلتَ في شيء فصرفتَهُ في كسوتهم . قال : فكتبت الى صديقي الهاشمي اسألهُ التوسعة عليَّ بما حضر فوجَّه اليَّ كيساً مختوماً ذكر ان فيهِ الف درهم . فما استقرَّ قراري حتى كتب اليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي . فوجَّهت اليهِ الكيس بختمهِ وخرجت الى المسجد فاقمت فيهِ ليلتي مستحياً من امرأتي . فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنّفني عليهِ . فبينا انا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعهُ الكيس لهيئتهِ . فقال لي : أَصدِقني عمَّا فعلتهُ فيما وجَّهت بهِ اليك . فعرَّفتهُ الخبر على وجههِ فقال لي : انك وجَّهت اليَّ وما املكُ على الارض الَّا ما بعثتُ بهِ اليك . وكتبت الى صديقنا اسألهُ المواساة فوجَّه كيسي بخاتمي . قال الواقدي : فتواسينا الف درهم فيما بيننا . ونمى الخبر الى المأمون فدعا بي فشرحت لهُ الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منَّا ألفي دينار وللمرأة ألف دينار (*) (وفيات الاعيان لابن خلكان)

(*) وقد اشتهر ايضاً من المؤرّخين المسلمين ابو الحسن المسعودي (٣٤٥ هـ) كان صاحب غرائب ومُلح ولهُ عدَّة مصنَّفات منها ذخائر العلوم والتاريخ المسمَّى مروج الذهب . ومنهم ابن الوردي (٧٤٩ هـ) وكان متفنّناً بالعلوم لهُ تتمَّة تاريخ ابي الفداء وخريدة العجائب في تخطيط البلدان . ومنهم شهاب الدين النُوَيري (٧٣٢ هـ) صاحب نهاية الأرب في فنون العرب

أَلْبَابُ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلتَّارِيخِ

دولة العبَّاسيين

ابتداء دولة بني عبَّاس (٧٥٠) خلافة السفَّاح (٧٥٠ — ٧٥٤ م)

٣١٣ لَمَّا ٱضْطَرَبَ حَبْلُ بَنِي أُمَيَّةَ ٱنْتَقَلَ ٱلْمُلْكُ إِلَى آلِ عَبَّاسٍ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدَّوْلَةَ ٱلْعَبَّاسِيَّـةَ كَانَتْ دَوْلَةً ذَاتَ خُدَعٍ وَدَهَاءٍ وَغَدْرٍ. وَكَانَ قِسْمُ ٱلتَّحَيُّلِ وَٱلْمُخَادَعَةِ فِيهَا أَوْفَرَ مِنْ قِسْمِ ٱلْقُوَّةِ وَٱلشِّدَّةِ خُصُوصًا فِي أَوَاخِرِهَا. فَإِنَّ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ بَطَّلُوا قُوَّةَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلنَّجْدَةِ وَرَكَنُوا إِلَى ٱلْحِيَلِ وَٱلْخُدَعِ. إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دَوْلَةً كَثِيرَةَ ٱلْمَحَاسِنِ جَمَّةَ ٱلْمَكَارِمِ أَسْوَاقُ ٱلْعُلُومِ فِيهَا قَائِمَةٌ. وَبَضَائِعُ ٱلْآدَابِ فِيهَا نَافِقَةٌ. وَشَعَائِرُ ٱلدِّينِ فِيهَا مُعَظَّمَةٌ. وَٱلْخَيْرَاتُ فِيهَا دَارَّةٌ. وَٱلدُّنْيَا عَامِرَةٌ. وَٱلْحُرُمَاتُ مَرْعِيَّةٌ. وَٱلثُّغُورُ مُحَصَّنَةٌ. حَتَّى كَانَتْ أَوَاخِرُهَا فَٱنْتَشَرَ ٱلْحَبْرُ وَٱضْطَرَبَ ٱلْأَمْرُ

وَأَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى ٱلْخِلَافَةَ مِنْهُمْ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ (١٣٣ هـ). وَكَانَ كَرِيمًا وَقُورًا عَاقِلًا كَامِلًا كَثِيرَ ٱلْحَيَاءِ حَسَنَ ٱلْأَخْلَاقِ. وَتَحَوَّلَ ٱلسَّفَّاحُ مِنَ ٱلْحِيرَةِ إِلَى ٱلْأَنْبَارِ. وَلَمَّا ٱسْتَوْثَقَ لَهُ ٱلْأَمْرُ تَتَبَّعَ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّـةَ وَرِجَالَهُمْ فَوَضَعَ ٱلسَّيْفَ فِيهِمْ وَأَغْرَاهُ عَلَى قَتْلِهِمْ سَدِيفٌ ٱلشَّاعِرُ فَأَنْشَدَهُ وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ حَاضِرٌ فِي مَجْلِسِهِ مَعَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ:

لَا يَغُـرَّنْكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ ... إِنَّ تَحْتَ ٱلضُّلُوعِ دَاءً دَوِيًّا

فَضَعِ ٱلسَّيْفَ وَٱرْفَعِ ٱلسَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيًّا

فَٱلْتَفَتَ أَحَدُهُمْ إِلَى مَنْ بِجَانِبِهِ وَقَالَ: قَتَلَنَا ٱلْعَبْدُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمِ ٱلسَّفَّاحُ فَضُرِبُوا بِٱلسُّيُوفِ حَتَّى قُتِلُوا. وَبَسَطَ ٱلنُّطُوعَ عَلَيْهِمْ وَجَلَسَ فَوْقَهُمْ فَأَكَلَ ٱلطَّعَامَ وَهُوَ يَسْمَعُ أَنِينَ بَعْضِهِمْ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا. وَبَالَغَ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ فِي ٱسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى نَبَشُوا قُبُورَهُمْ بِدِمَشْقَ وَٱسْتَصْفَوْا أَمْوَالَ أَصْحَابِهِمْ. ثُمَّ لَمْ تَطُلْ مُدَّةُ ٱلسَّفَّاحِ حَتَّى مَاتَ بِٱلْأَنْبَارِ سَنَةَ مِئَةٍ وَسِتٍّ وَثَلَاثِينَ. وَٱسْتَوْزَرَ لَهُ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو سَلَمَةَ ٱلْخَلَّالُ وَكَانَ سَمْحًا كَرِيمًا مِطْعَامًا كَثِيرَ ٱلْبَذْلِ مَشْغُوفًا بِٱلتَّنَوُّقِ بِٱلسِّلَاحِ وَٱلدَّوَابِّ فَصِيحًا عَالِمًا بِٱلْأَخْبَارِ وَٱلْأَشْعَارِ وَٱلسِّيَرِ وَٱلْجَدَلِ وَٱلتَّفْسِيرِ حَاضِرَ ٱلْحُجَّةِ ذَا يَسَارٍ وَمُرُوَّةٍ ظَاهِرَةٍ. فَلَمَّا بُويِعَ ٱلسَّفَّاحُ ٱسْتَوْزَرَهُ وَفَوَّضَ ٱلْأُمُورَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ٱلدَّوَاوِينَ وَلُقِّبَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ. ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يُعْلِمُهُ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُو سَلَمَةَ مِنْ نَقْلِ ٱلدَّوْلَةِ عَنْ بَنِي عَبَّاسٍ. فَلَمَّا قَرَأَ أَبُو مُسْلِمٍ ٱلْكِتَابَ فَطِنَ لِغَرَضِ ٱلسَّفَّاحِ فَأَرْسَلَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ قَتَلُوا أَبَا سَلَمَةَ (للفخري)

ابو جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥)

٣١٤ بُويِعَ فِي سَنَةِ مِئَةٍ وَسِتٍّ وَثَلَاثِينَ. وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ مِنْ عُظَمَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَحَزَمَائِهِمْ وَعُقَلَائِهِمْ وَذَوِي ٱلْآرَاءِ ٱلصَّائِبَةِ مِنْهُمْ وَٱلتَّدْبِيرَاتِ ٱلسَّدِيدَةِ. وَقُورًا شَدِيدَ ٱلْوَقَارِ حَسَنَ ٱلْخُلُقِ فِي ٱلْخَلْوَةِ مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ ٱحْتِمَالًا لِمَا يَكُونُ مِنْ عَبَثٍ أَوْ مُزَاحٍ. وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ وَرُبَّمَا رَقَعَ

قَمِيصَهُ وَلَمْ يَكُنْ يُرَى فِي دَارِ ٱلْمَنْصُورِ لَهْوٌ وَلَعِبٌ. قَالَ يَزِيدُ بْنُ هُبَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا فِي حَرْبٍ أَوْ سِلْمٍ أَمْكَرَ أَوْ أَنْكَرَ وَلَا أَشَدَّ تَيَقُّظًا مِنَ ٱلْمَنْصُورِ. لَقَدْ حَاصَرَنِي تِسْعَةَ شُهُورٍ وَمَعِي فُرْسَانُ ٱلْعَرَبِ فَجَهِدْنَا كُلَّ ٱلْجَهْدِ حَتَّى نَنَالَ مِنْ عَسْكَرِهِ شَيْئًا فَمَا قَدَرْنَا لِشِدَّةِ ضَبْطِهِ ٱلْمَمْلَكَةَ. وَرَتَّبَ ٱلْقَوَاعِدَ وَأَقَامَ ٱلنَّامُوسَ. وَكَانَ مُبَخَّلًا يُضْرَبُ بِشُحِّهِ ٱلْأَمْثَالُ. فَسُمِّيَ لِبُخْلِهِ أَبَا ٱلدَّوَانِيقِ لِمُحَاسَبَةِ ٱلْعُمَّالِ وَٱلصُّنَّاعِ عَلَى ٱلدَّانَقِ وَٱلْحَبَّةِ. وَٱلصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا حَازِمًا يُعْطِي فِي مَوْضِعِ ٱلْعَطَاءِ وَيَمْنَعُ فِي مَوْضِعِ ٱلْمَنْعِ. وَكَانَ ٱلْمَنْعُ عَلَيْهِ أَغْلَبَ. وَلَمَّا بُويِعَ لِلْمَنْصُورِ قَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ ٱلْخُرَاسَانِيَّ وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَانَ قَدْ قَدِمَ مِنَ ٱلْحَجِّ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ فَأَرْسَلَهُ لِقِتَالِ عَمِّهِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَكَانَ عَبْدُ ٱللَّهِ بِأَرْضِ نَصِيبِينَ. فَٱقْتَتَلَ هُوَ وَأَبُو مُسْلِمٍ عِدَّةَ دُفُوعٍ حَتَّى ٱنْهَزَمَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ وَظَفِرَ بِعَسْكَرِهِ. فَكَتَبَ ٱلْمَنْصُورُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِٱلْوِلَايَةِ عَلَى مِصْرَ وَٱلشَّامِ وَصَرَفَهُ عَنْ خُرَاسَانَ. فَلَمْ يُجِبْ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى ذَلِكَ وَتَوَجَّهَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ. فَخَافَهُ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ وَأَجْمَعَ ٱلرَّأْيَ وَعَمِلَ ٱلْمَكَايِدَ وَهَجَرَ ٱلنَّوْمَ إِلَى أَنِ ٱقْتَنَصَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يُعَاتِبُهُ وَيَذْكُرُ عَثَرَاتِهِ. فَجَعَلَ أَبُو مُسْلِمٍ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: قَتَلَنِي ٱللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ. ثُمَّ أَوْعَزَ إِلَى حَرَسِهِ فَضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِمْ وَهُوَ يَصْرُخُ وَيَسْتَأْمِنُ وَيَقُولُ: ٱسْتَبْقِنِي لِعَدُوِّكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: وَأَيُّ عَدُوٍّ إِلَيَّ أَعْدَى مِنْكَ. وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ ذَا رَأْيٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ

وَمُرُوءَةٍ . وَكَانَ فَتَّاكًا قَاسِيَ ٱلْقَلْبِ سَوْطُهُ سَيْفُهُ . وَفِي عَهْدِهِ خَرَجَ ٱلرَّاوَنْدِيَّةُ وَكَانَ هٰؤُلَاءِ قَوْمًا مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي مُسْلِمٍ يَقُولُونَ بِٱلتَّنَاسُخِ . فَحَبَسَ ٱلْمَنْصُورُ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ فَغَضِبَ ٱلْبَاقُونَ وَٱجْتَمَعُوا وَحَمَلُوا بَيْنَهُمْ نَعْشًا كَأَنَّهُمْ فِي جِنَازَةٍ وَجَاءُوا إِلَى ٱلسِّجْنِ فَرَمَوْا بِٱلنَّعْشِ وَأَخْرَجُوا أَصْحَابَهُمْ . وَحَمَلُوا عَلَى ٱلنَّاسِ فِي سِتِّمِائَةِ رَجُلٍ وَقَصَدُوا قَصْرَ ٱلْمَنْصُورِ . فَخَرَجَ ٱلْمَنْصُورُ مِنَ ٱلْقَصْرِ مَاشِيًا وَجَاءَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ ٱلشَّيْبَانِيُّ وَكَانَ مُسْتَخْفِيًا مِنَ ٱلْمَنْصُورِ لِقِتَالِهِ مَعَ ٱبْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدِ ٱشْتَدَّ طَلَبُ ٱلْمَنْصُورِ لَهُ . فَحَضَرَ عِنْدَهُ مُتَلَثِّمًا هٰذَا ٱلْيَوْمَ فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا . وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ رَاكِبًا عَلَى بَغْلَةٍ وَلِجَامُهَا فِي يَدِ ٱلرَّبِيعِ حَاجِبِهِ فَأَتَى مَعْنٌ وَقَالَ: تَنَحَّ فَأَنَا أَحَقُّ بِهٰذَا ٱللِّجَامِ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : صَدَقَ . ٱدْفَعِ ٱللِّجَامَ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى ٱنْكَشَفَتِ ٱلْحَالُ وَظَفِرَ بِٱلرَّاوَنْدِيَّةِ فَٱسْتَنْسَبَهُ ٱلْمَنْصُورُ فَقَالَ: طَلِبَتُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقَالَ : قَدْ أَمَّنَكَ ٱللهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَمِثْلُكَ يُصْطَنَعُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَلَّاهُ ٱلْيَمَنَ (*) (تاريخ ابن خلدون)

بناء مدينة بغداد

(*) ابتدأ المنصور سنة مائة وست واربعين في بناء بغداد لانهُ تجافى عن جوار اهل الكوفة الى مكان بغداد اليوم . وجمع من كان هنالك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحرّ والبرد والمطر والوحل والهوامّ . واستشارهم فاشاروا عليه بمكانها وقالوا: تجيئك الميرة في السفن من الشأم والرقة ومصر والمغرب الى المصرات . ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة . ومن ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتّصل بالزاب . وانت بين انهار كالخنادق ولا تُعبر الّا على القناطر والجسور . واذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع

٣١٥ وَفِي أَيَّامِ ٱلْمَنْصُورِ نَبَغَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلْبَرْمَكِيَّةُ . وَكَانَ ٱلسَّفَّاحُ قَدِ ٱسْتَوْزَرَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ مِنْ رِجَالِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعَبَّاسِيَّةِ . وَكَانَ خَالِدٌ فَاضِلًا جَلِيلًا كَرِيمًا حَازِمًا يَقِظًا خَفَّ عَلَى قَلْبِ ٱلْخَلِيفَةِ وَكَانَ عَظِيمَ ٱلْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ . فَكَثُرَ ٱلْوَافِدُونَ عَلَى بَابِ خَالِدٍ وَمَدَحَهُ ٱلشُّعَرَاءُ وَٱنْتَجَعَهُ ٱلنَّاسُ . فَلَمَّا تَوَلَّى ٱلْمَنْصُورُ ٱلْخِلَافَةَ أَقَرَّهُ عَلَى وِزَارَتِهِ وَأَكْرَمَهُ وَٱسْتَشَارَهُ . وَكَانَتْ وَفَاةُ ٱلْمَنْصُورِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ بِبِيرِ مَيْمُونَةَ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِٱلْحَجِّ . وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَكَانَ طَوِيلًا أَسْمَرَ نَحِيفًا خَفِيفَ ٱللِّحْيَةِ رَحْبَ ٱلْجَبْهَةِ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ . صَارِمًا مَهِيبًا ذَا جَبَرُوتٍ وَسَطْوَةٍ

وأنت متوسّط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل . قريبٌ من البرّ والبحر والجبل . فشرع المنصور في عمارتها وأحضر الصنّاع والفَعَلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفّة والامانة والمعرفة بالهندسة منهم الحجّاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه . وأمر بخطّها بالرماد فشكلت ابوابها وفصلانها وطاقاتها ونواحيها . وجُعِل على الرماد حبّ القطن فاضرم نارًا ثم نظر اليها وهي تشتعل فعرف رسمها وأمر ان تُحفر الأُسس على ذلك الرسم . ووضع بيدهِ اوّل لبنة وقال : بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها لمن يشاء من عبادهِ والعاقبة للمتقين . وجعل المدينة مدوّرة وجعل قصرهُ وسطها ليكون الناس منهُ على حدٍّ سواء . وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وجعل لها سورين والداخل أعلى من الخارج . وأخرج الاسواق الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها . وجعل الطرق أربعين ذراعًا . وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق والابواب أربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثلاثين الف درهم . وكان هناك موضع يُسمّى بغداد فسُمّيت المدينة باسمهِ . ويقال الزوراء وكان موضعها يُسمّى الزوراء قديمًا . ويقال مدينة المنصور ويقال دار السلام . وقيل انهُ لم يمُت فيها خليفة قطّ . فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي بالجانب الشرقي استجدّت بعد ذلك (لابن خلدون)

٣١٦ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْمَهْدِيُّ بِاللهِ. بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ ٱلْمَنْصُورِ بِعَهْدٍ مِنْهُ. وَأَوَّلُ مَنْ بَيَّنَ تَعْزِيَتَهُ وَتَهْنِئَتَهُ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ:

عَيْنَايَ وَاحِدَةٌ تُرَى مَسْرُورَةً بِأَمِيرِهَا جَذْلَى وَأُخْرَى تَذْرِفُ
تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَارَةً وَيَسُوؤُهَا مَا أَنْكَرَتْ وَيَسُرُّهَا مَا تَعْرِفُ
فَيَسُوؤُهَا مَوْتُ ٱلْخَلِيفَةِ مُحْرِمًا وَيَسُرُّهَا أَنْ قَامَ هٰذَا يَخْلُفُ
مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى شَعْرًا أُسَرِّحُهُ وَآخَرَ أَنْتِفُ
هٰذَا حَبَاهُ ٱللهُ فَضْلَ خِلَافَةٍ وَلِذَاكَ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ تُزَخْرَفُ

وَكَانَ ٱلْمَهْدِيُّ شَهْمًا فَطِنًا كَرِيمًا شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ ٱلْإِلْحَادِ وَٱلزَّنْدَقَةِ. لَا تَأْخُذُهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ شَبِيهَةً بِأَيَّامِ أَبِيهِ فِي ٱلْفُتُوقِ وَٱلْحَوَادِثِ وَٱلْخَوَارِجِ. وَكَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِرَدِّ ٱلْمَظَالِمِ. وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ سَيَّرَ ٱلْمَهْدِيُّ ٱبْنَهُ ٱلرَّشِيدَ لِغَزْوِ ٱلرُّومِ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ خَلِيجَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَصَاحِبُ ٱلرُّومِ وَقْتَئِذٍ إِيرِينِي ٱمْرَأَةُ لَاوُنَ ٱلْمَلِكِ. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱبْنَهَا كَانَ صَغِيرًا قَدْ هَلَكَ أَبُوهُ وَهُوَ فِي حَجْرِهَا فَجَزِعَتِ ٱلْمَرْأَةُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَطَلَبَتِ ٱلصُّلْحَ مِنَ ٱلرَّشِيدِ فَجَرَى ٱلصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلْفِدْيَةِ. وَمَاتَ ٱلْمَهْدِيُّ بِمَاسَبَذَانَ وَٱخْتُلِفَ فِي مَوْتِهِ

وَلَمَّا تُوُفِّيَ ٱلْمَهْدِيُّ كَانَ ٱلرَّشِيدُ مَعَهُ فِي مَاسَبَذَانَ فَكَتَبَ إِلَى ٱلْهَادِي يُعْلِمُهُ بِوَفَاةِ ٱلْمَهْدِيِّ وَٱلْبَيْعَةِ لَهُ. فَنَادَى بِالرَّحِيلِ وَلَمَّا قَدِمَهَا ٱسْتَوْزَرَ ٱلرَّبِيعَ بْنَ يُوسُفَ. وَكَانَ ٱلرَّبِيعُ جَلِيلًا نَبِيلًا مُنْفِذًا لِلْأُمُورِ

مَهِيبًا فَصِيحًا كَافِيًا حَازِمًا خَبِيرًا بِالْحِسَابِ وَالْأَعْمَالِ . حَاذِقًا بِأُمُورِ الْمُلْكِ بَصِيرًا بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ مُحِبًّا لِفِعْلِ الْخَيْرِ . وَتَتَبَّعَ الْهَادِي الزَّنَادِقَةَ وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ . وَسَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَتْ أُمُّهُ الْخَيْزُرَانُ تَسْتَبِدُّ بِالْأُمُورِ دُونَهُ وَكَلَّمَتْهُ يَوْمًا فِي أَمْرٍ لَمْ يَجِدْ إِلَى إِجَابَتِهَا سَبِيلًا . فَقَالَتْ : لَا بُدَّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ . فَغَضِبَ الْهَادِي وَقَالَ : وَاللهِ لَا قَضَيْتُهَا لَكِ . قَالَتْ . إِذًا لَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً أَبَدًا . قَالَ : لَا أُبَالِي . فَقَامَتْ مُغْضَبَةً فَقَالَ : مَكَانَكِ . وَاللهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّهُ وَقَفَ فِي بَابِكِ أَحَدٌ مِنْ قُوَّادِي لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ . مَا هٰذِهِ الْمَوَاكِبُ الَّتِي تَغْدُو وَتَرُوحُ إِلَى بَابِكِ . أَمَا لَكِ مِغْزَلٌ يَشْغَلُكِ أَوْ مُصْحَفٌ يُذَكِّرُكِ أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكِ . فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ لَمْ تَعْقِلْ وَوَضَعَتْ جَوَارِيَهَا عَلَيْهِ لَمَّا مَرِضَ فَقَتَلُوهُ بِالْغَمِّ وَبِالْجُلُوسِ عَلَى وَجْهِهِ فَمَاتَ . وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩)

٣١٧ وَوَلِيَ بَعْدَ الْهَادِي بِعَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ أَخُوهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَامِسُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَةٍ وَمَوْلِدُهُ فِي الرَّيِّ . وَأُمُّهُ الْخَيْزُرَانُ أُمُّ الْهَادِي وَفِيهَا قَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ :

يَا خَيْزُرَانُ هَنَاكِ ثُمَّ هَنَاكِ أَمْسَى يَسُوسُ الْعَالَمِينَ ابْنَاكِ

وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا أَدِيبًا كَثِيرَ الْعِبَادَةِ كَثِيرَ الْحَجِّ . قَالَ فِيهِ شَاعِرٌ :

فَمَنْ يَطْلُبْ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدْهُ فَفِي الْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ

وَكَانَ يُصَلِّي فِي خِلَافَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ لَا يَتْرُكُهَا إِلَّا لِعِلَّةٍ .

وَيَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . وَيُحِبُّ ٱلْعِلْمَ وَأَهْلَهُ وَيُعَظِّمُ حُرُمَاتِ ٱلْإِسْلَامِ . وَمِنْ غَرِيبِ مَا ٱتَّفَقَ لِهَارُونَ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ أَخَاهُ مُوسَى ٱلْهَادِي لَمَّا وَلِيَ ٱلْخِلَافَةَ سَأَلَ عَنْ خَاتَمٍ عَظِيمِ ٱلْقَدْرِ كَانَ لِأَبِيهِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَبَلَغَهُ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَخَذَهُ . فَطَلَبَهُ مِنْهُ فَٱمْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهِ فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِيهِ فَحَنِقَ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ . وَمَرَّ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ فَرَمَاهُ فِي ٱلدِّجْلَةِ . فَلَمَّا مَاتَ ٱلْهَادِي وَوَلِيَ ٱلرَّشِيدُ ٱلْخِلَافَةَ أَتَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ بِعَيْنِهِ وَمَعَهُ خَاتَمُ رَصَاصٍ . فَرَمَاهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَأَمَرَ ٱلْغَطَّاسِينَ أَنْ يَلْتَمِسُوهُ فَغَاصُوا عَلَيْهِ فَٱسْتَخْرَجُوا ٱلْخَاتَمَ ٱلْأَوَّلَ . فَسُرَّ بِهِ ٱلرَّشِيدُ وَعَدَّ ذٰلِكَ مِنْ سَعَادَتِهِ وَإِبْقَاءِ مُلْكِهِ . وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى إِسْرَافِهِ وَذُنُوبِهِ . وَكَانَ قَاضِيَهُ ٱلْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ . وَكَانَ يُعَظِّمُهُ كَثِيرًا وَيَمْتَثِلُ أَمْرَهُ . وَلَهُ مَنَاقِبُ لَا تُحْصَى وَمَحَاسِنُ لَا تُسْتَقْصَى وَلَهُ أَخْبَارٌ فِي ٱللَّهْوِ وَٱللَّذَّاتِ سَامَحَهُ ٱللهُ . وَفِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ حَجَّ بِٱلنَّاسِ وَفَرَّقَ مَالًا كَثِيرًا . وَكَانَ حَجُّهُ مَاشِيًا عَلَى ٱللُّبُودِ تُفْرَشُ لَهُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ . وَفِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ بَايَعَ ٱلرَّشِيدُ لِعَبْدِ ٱللهِ ٱلْمَأْمُونِ بِوِلَايَةِ ٱلْعَهْدِ بَعْدَ ٱلْأَمِينِ وَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا إِلَى هَمَذَانَ وَلَقَّبَهُ ٱلْمَأْمُونَ وَسَلَّمَهُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيِّ . وَغَزَا ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلصَّائِفَةَ فَبَلَغُوا أَفْسُسَ مَدِينَةَ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ . وَٱسْتَعْمَلَ ٱلرَّشِيدُ حُمَيْدَ بْنَ مَعْيُوبٍ عَلَى ٱلْأَسَاطِيلِ مِمَّنْ بِسَوَاحِلِ ٱلشَّامِ وَمِصْرَ إِلَى قُبْرُسَ فَهَزَمَ وَخَرَّبَ وَسَبَى مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى ٱلرَّافِقَةِ

فَبِيعُوا بِهَا . وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ خَلَعَتِ ٱلرُّومُ إِيرِينِي ٱلْمَلِكَةَ وَمَلَّكُوا نِيقِيفُورَ وَكَانَتْ إِيرِينِي تُعَظِّمُ ٱلرَّشِيدَ وَتُبَجِّلُهُ وَتُدِرُّ عَلَيْهِ ٱلْهَدَايَا . فَلَمَّا تَوَلَّى نِيقِيفُورُ وَعَاثَ وَتَمَكَّنَ مِنْ مُلْكِهِ كَتَبَ إِلَى ٱلرَّشِيدِ : مِنْ نِيقِيفُورَ مَلِكِ ٱلرُّومِ إِلَى ٱلرَّشِيدِ مَلِكِ ٱلْعَرَبِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَةَ إِيرِينِي كَانَتْ وَضَعَتْكَ مَوْضِعَ ٱلْمُلُوكِ وَوَضَعَتْ نَفْسَهَا مَوْضِعَ ٱلسُّوقِ . وَإِنِّي وَاضِعُكَ بِغَيْرِ ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ . وَعَامِلٌ عَلَى تَطَرُّقِ بِلَادِكَ وَٱلْهُجُومِ عَلَى أَمْصَارِكَ . أَوْ تُؤَدِّيَ إِلَيَّ مَا كَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ . وَٱلسَّلَامُ . فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى ٱلرَّشِيدِ ٱسْتَفَزَّهُ ٱلْغَضَبُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ ٱللهِ هَارُونَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى نِيقِيفُورَ زَعِيمِ ٱلرُّومِ . فَهِمْتُ كِتَابَكَ وَٱلْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ . ثُمَّ شَخَصَ مِنْ شَهْرِهِ ذٰلِكَ يَؤُمُّ بِلَادَ ٱلرُّومِ فِي جَمْعٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ وَقُوَّادٍ لَا يُجَارَوْنَ نَجْدَةً وَرَأْيًا . فَلَمَّا بَلَغَ ذٰلِكَ نِيقِيفُورَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ . وَجَدَّ ٱلرَّشِيدُ يَتَوَغَّلُ بِلَادَ ٱلرُّومِ فَيَقْتُلُ وَيَغْنَمُ وَيَسْبِي وَيُخَرِّبُ ٱلْحُصُونَ وَيَعْفِي ٱلْآثَارَ حَتَّى أَنَاخَ عَلَى هِرَقْلَةَ وَهِيَ مِنْ أَوْثَقِ حِصْنٍ وَأَعَزِّهِ جَانِبًا وَأَمْنَعِهِ رُكْنًا . فَحَصَرَ ٱلرَّشِيدُ أَهْلَهَا وَغَمَّهُمْ وَأَلَحَّ بِٱلْمَجَانِيقِ وَٱلسِّهَامِ وَٱلْعَرَّادَاتِ حَتَّى رَمَوْا سُورَهَا وَفَتَحَ ٱلْأَهْلُ ٱلْأَبْوَابَ مُسْتَأْمِنِينَ . وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ ذَاتِهَا أَوْقَعَ ٱلرَّشِيدُ بِٱلْبَرَامِكَةِ وَقَتَلَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَكَتَبَ إِلَى ٱلْعُمَّالِ فِي جَمِيعِ ٱلنَّوَاحِي بِٱلْقَبْضِ عَلَى ٱلْبَرَامِكَةِ وَٱسْتَصْفَى مَالَهُمْ (*)

(*) قال ابن خلدون : انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم

وَفِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ سَارَ ٱلرَّشِيدُ مِنَ ٱلرَّقَّةِ إِلَى بَغْدَادَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ لِحَرْبِ رَافِعِ بْنِ ٱللَّيْثِ وَكَانَ ظَهَرَ بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ مُخَالِفًا لِلرَّشِيدِ بِسَمَرْقَنْدَ. وَلَمَّا صَارَ ٱلْخَلِيفَةُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ ٱبْتَدَأَتْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَمَّا بَلَغَ جُرْجَانَ فِي صَفَرٍ ٱشْتَدَّ مَرَضُهُ وَكَانَ مَعَهُ ٱبْنُهُ ٱلْمَأْمُونُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى مَرْوٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْقُوَّادِ وَسَارَ ٱلرَّشِيدُ إِلَى طُوسَ فَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ جَمِيلًا أَبْيَضَ جَعْدًا قَدْ وَخَطَهُ ٱلشَّيْبُ.

قَالَ ٱلنَّهْرَوَالِيُّ: ٱعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ ٱلْعَاقِلُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ ٱلْأَكْدَارِ وَأَنَّ

أموال الجباية حتّى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليهِ فغلبوهُ على امرهِ وشركوهُ في سلطانهِ ولم يكن لهُ معهم تصرُّفٌ في أمور ملكهِ فعظمت آثارهم وبعُد صيتهم وعمّروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من وُلدهم وصنائعهم واحتازوها عمَّن سواهم من وزارةٍ وكتابةٍ وقيادةٍ وحجابةٍ وسيفٍ وقلمٍ. يقال انهُ كان بدار الرشيد من وُلد يحيى بن خالدٍ خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيفٍ وصاحب قلمٍ زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون وليّ عهدٍ وخليفةً. حتّى شبَّ في حجرهِ ودرج من عشّهِ وغلبهُ على أمرهِ وكان يدعوهُ: يا أبتِ. فتوجَّه الإيثار من السلطان اليهم وعظمت الدالّة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقُصِرَت عليهم الآمال. وتخطَّت اليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسرَّبت الى خزائنهم في سبيل التزلُّف والاستمالة أموال الجباية. وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوّقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المُعدِمِ وفكّوا العاني ومُدِحوا بما لم يُمدَح بهِ خليفتهم. وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحقدوا الخاصّة وأغصّوا أهل الولاية. فكُشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبّت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفرٍ من أعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطفُ الرحِم ولا وزعتهم أواصر القرابة. وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة والاستنكاف من الحجر والانَفَة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالّة وانتهى بهم الإصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة

أَخَفَّ ٱلْخَلْقِ بَلَاءً وَأَلَمًا ٱلْفُقَرَاءُ. وَأَعْظَمَ ٱلنَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلْأُمَرَاءُ. فَٱرْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ. وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ. إِنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَٱتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ: أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تُمْطِرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ. وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (لابي الفرج الملطيّ)

الامين بن الرشيد (٨٠٩ ـ ٨١٣)

٣١٨ إِنْتَهَى ٱلْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَبِيهِ. وَكَانَ ٱلْأَمِينُ كَثِيرَ ٱللَّهْوِ وَٱللَّعِبِ مُنْقَطِعًا إِلَى ذٰلِكَ مُشْتَغِلًا بِهِ عَنْ تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَأَقْبَلَ يَنْكُثُ عَهْدَ ٱلْمَأْمُونِ وَسَعَى بِخَلْعِهِ وَٱلْبَيْعَةِ لِٱبْنِهِ مُوسَى. فَأَمَرَ لَهُ بِٱلدُّعَاءِ عَلَى ٱلْمَنَابِرِ وَنَهَى عَنِ ٱلدُّعَاءِ لِلْمَأْمُونِ. وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا ضَرَبَ ٱلْمَأْمُونُ مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ بِخُرَاسَانَ فَنَمَى ٱلشَّرُّ بَيْنَهُمَا. فَجَهَّزَ ٱلْمَأْمُونُ لِقِتَالِهِ طَاهِرَ ٱبْنَ ٱلْحُسَيْنِ وَهَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ فَسَارَا إِلَيْهِ وَحَاصَرَاهُ بِبَغْدَادَ. وَتَرَامَوْا بِٱلْمَجَانِيقِ وَأَقَامَ ٱلْحِصَارُ مُدَّةَ سَنَةٍ فَتَضَايَقَ ٱلْأَمْرُ عَلَى ٱلْأَمِينِ وَفَارَقَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ. وَكَتَبَ طَاهِرٌ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ بَغْدَادَ سِرًّا يَعِدُهُمْ إِنْ أَعَانُوهُ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي طَاعَتِهِ. فَأَجَابُوهُ وَصَرَّحُوا بِخَلْعِ ٱلْأَمِينِ فَنَجَا ٱلْأَمِينُ بِنَفْسِهِ وَرَكِبَ حَرَّاقَةً أَعَدَّهَا لَهُ هَرْثَمَةُ. وَكَانَ وَعَدَهُ بِٱلْأَمَانِ. فَلَمَّا صَارَ ٱلْأَمِينُ فِي ٱلْحَرَّاقَةِ خَرَجَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ طَاهِرٍ وَكَانُوا كَمَنُوا لَهُ. فَرَمَوْا ٱلْحَرَّاقَةَ بِٱلْحِجَارَةِ فَٱنْكَفَأَتْ بِمَنْ فِيهَا. فَشَقَّ

ٱلْأَمِينُ ثِيَابَهُ وَسَبَحَ إِلَى بُسْتَانٍ فَأَدْرَكُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى طَاهِرٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِهِ فَٱحْتَزُّوا رَأْسَهُ. فَأَمَرَ طَاهِرٌ بِنَصْبِهِ فَلَمَّا رَآهُ ٱلنَّاسُ سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ. ثُمَّ جَهَّزَهُ طَاهِرٌ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ وَصُحْبَتَهُ خَاتَمُ ٱلْخِلَافَةِ. فَشَكَرَ ٱلْمَأْمُونُ ٱللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ ٱلظَّفَرِ (للدميري)

عبد الله المأمون اخو الامين (٨١٣ — ٨٣٣)

٣١٩ بُويِعَ لَهُ ٱلْبَيْعَةَ ٱلْعَامَّةَ فِي بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ أَفَاضِلِ ٱلْخُلَفَاءِ وَعُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ وَحُلَمَائِهِمْ. أَتَمَّ رِجَالِ بَنِي عَبَّاسٍ حَزْمًا وَعَزْمًا وَفِرَاسَةً وَفَهْمًا. وَكَانَ قَدْ أَخَذَ مِنَ ٱلْعُلُومِ بِقِسْطٍ. وَضَرَبَ فِيهَا بِسَهْمٍ. وَتَأَدَّبَ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ فِي فُنُونِ ٱلتَّارِيخِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلنُّجُومِ وَلَمَّا كَبِرَ ٱعْتَنَى بِٱلْفَلْسَفَةِ وَعُلُومِ ٱلْأُوَلِ. وَهُوَ ٱلَّذِي ٱسْتَخْرَجَ كِتَابَ أَقْلِيدُسَ وَأَمَرَ بِتَرْجَمَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ. وَعَقَدَ ٱلْمَجَالِسَ فِي خِلَافَتِهِ لِلْمُنَاظَرَةِ فِي ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْمَقَالَاتِ. وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ عَظِيمَ ٱلْعَفْوِ جَوَادًا بِٱلْمَالِ وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ مَا أَجِدُ فِي ٱلْعَفْوِ مِنَ ٱللَّذَّةِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِٱلذُّنُوبِ وَكَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ ٱلْوَجْهِ مَرْبُوعًا طَوِيلَ ٱللِّحْيَةِ دَيِّنًا عَارِفًا بِٱلْعِلْمِ فِيهِ دَهَاءٌ وَسِيَاسَةٌ. وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ عَلَيْهِ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْمَهْدِيِّ عَمُّهُ فَبَايَعَهُ بَعْضُ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ وَخَلَعُوا ٱلْمَأْمُونَ فَجَدَّ ٱلْمَأْمُونُ فِي ٱلْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ فَظَفِرَ بِإِبْرٰهِيمَ وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (*). ثُمَّ صَفَا ٱلْمُلْكُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِلْمَأْمُونِ وَسَكَنَتِ ٱلْفِتَنُ

(*) راجع الوجه ٢٣٦ من الجزء الرابع حيث أوردنا هذا الخبر

وَقَامَ ٱلْمَأْمُونُ بِأَعْبَاءِ ٱلْخِلَافَةِ وَتَدْبِيرِ ٱلْمَمْلَكَةِ قِيَامَ حَزَمَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَفُضَلَائِهِمْ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ٱلثَّغْرِ وَدَخَلَ بِلَادَ ٱلْجَزِيرَةِ وَٱلشَّامِ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً. ثُمَّ غَزَا ٱلرُّومَ وَفَتَحَ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا. وَتُوُفِّيَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ٱبْنُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عِشْرِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِطَرَسُوسَ

العلوم في زمانه

٣٢٠ قَالَ ٱلْقَاضِي صَاعِدُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ: إِنَّ ٱلْعَرَبَ فِي صَدْرِ ٱلْإِسْلَامِ لَمْ تُعْنَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعُلُومِ إِلَّا بِلُغَتِهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهَا حَاشَا صِنَاعَةَ ٱلطِّبِّ. فَإِنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ عِنْدَ جَمَاهِيرِهِمْ لِحَاجَةِ ٱلنَّاسِ طُرًّا إِلَيْهَا. فَهٰذِهِ كَانَتْ حَالَ ٱلْعَرَبِ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَوِيَّةِ. فَلَمَّا أَدَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لِلْهَاشِمِيَّةِ وَصَرَفَ ٱلْمُلْكَ إِلَيْهِمْ ثَابَتِ ٱلْهِمَمُ مِنْ غَفْلَتِهَا. وَهَبَّتِ ٱلْفِطَنُ مِنْ مِيتَتِهَا. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عُنِيَ مِنْهُمْ بِٱلْعُلُومِ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلثَّانِي أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ. وَكَانَ مَعَ بَرَاعَتِهِ فِي ٱلْفِقْهِ كَلِفًا فِي عِلْمِ ٱلْفَلْسَفَةِ وَخَاصَّةً فِي عِلْمِ ٱلنُّجُومِ. ثُمَّ لَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ فِيهِمْ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ ٱلسَّابِعِ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْمَأْمُونِ بْنِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ تَمَّمَ مَا بَدَا بِهِ جَدُّهُ ٱلْمَنْصُورُ فَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ فِي مَوَاضِعِهِ. وَدَاخَلَ مُلُوكَ ٱلرُّومِ وَسَأَلَهُمْ صِلَتَهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كُتُبِ ٱلْفَلْسَفَةِ. فَبَعَثُوا إِلَيْهِ مِنْهَا مَا حَضَرَهُمْ. فَٱسْتَجَادَ لَهَا مَهَرَةَ ٱلتَّرَاجِمَةِ وَكَلَّفَهُمْ إِحْكَامَ تَرْجَمَتِهَا. فَتُرْجِمَتْ لَهُ عَلَى غَايَةِ مَا أَمْكَنَ ثُمَّ حَرَصَ ٱلنَّاسُ عَلَى قِرَاءَتِهَا

ورغبتهم في تعليمها . فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده . إنهم صرفوا عناياتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك . ومن نزع منزعهم من التنافس في دقة الصنائع العملية . والتباهي بأخلاق النفس والتفاخر بالقوى . إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها . فلهذا السبب كان أهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم .

اخوه المعتصم بالله (٨٣٣—٨٤٢)

٣٢١ بويع يوم وفاة المأمون ولما بويع له تشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج إليهم العباس وقال لهم : قد بايعت عمي فسكنوا . وكان المعتصم سديد الرأي يحمل ألف رطل ويمشي بها . وانتشأ عامياً يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة . وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم . وبلغ غلمانه الأتراك ثمانية عشر ألفاً . وألبسهم أطواق الذهب والديباج . وكانوا يطردون الخيل في بغداد فضاقت بهم المدينة وتأذى بهم الناس . فبنى المعتصم مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل إليها سنة (٢٢٠) . وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة وعاد إلى ملطية وغيرها فاستباحها قتلاً وسبياً . فاستعظمه المعتصم ولما بلغه أن عمورية عين

ٱلنَّصْرَانِيَّةِ وَهِيَ أَشْرَفُ عِنْدَهُمْ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ إِلَيْهَا مُنْذُ كَانَ ٱلْإِسْلَامُ جَهَّزَ إِلَيْهَا بِمَا لَا يُمَاثِلُهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلسِّلَاحِ وَٱلْآلَةِ وَٱلْعُدَدِ. وَجَرَى بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلرُّومِ عَلَيْهَا قِتَالٌ شَدِيدٌ أَفْضَى إِلَى فَتْحِ عَمُّورِيَّةَ. فَهُدِمَتْ وَأُحْرِقَتْ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا نَحْوَ شَهْرَيْنِ فَقَتَلَ مِنَ ٱلرُّومِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَأَسَرَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ تَغَيَّرَ ٱلْمُعْتَصِمُ عَلَى ٱلْأَفْشِينِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَتُوُفِّيَ ٱلْمُعْتَصِمُ سَنَةَ ٢٢٧ وَهُوَ أَغْلَظُ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلَّذِينَ أَلْزَمُوا ٱلنَّاسَ ٱلْقَوْلَ بِخَلْقِ ٱلْقُرْآنِ وَجَبَرَ عُلَمَاءَ ٱلْإِسْلَامِ عَلَى ذٰلِكَ وَأَذَاقَهُمُ ٱلْهَوَانَ وَٱمْتَحَنَ بِذٰلِكَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (لأبي الفرج)

هارون الواثق (٨٤٢ — ٨٤٧) المتوكل على الله (٨٤٧ — ٨٦١)

٣٢٢ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ هَارُونُ ٱلْوَاثِقُ مِنْ أَفَاضِلِ خُلَفَائِهِمْ وَكَانَ لَبِيبًا فَطِنًا فَصِيحًا شَاعِرًا. وَكَانَ يَتَشَبَّهُ بِٱلْمَأْمُونِ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ. وَلَمَّا وَلِيَ ٱلْخِلَافَةَ أَحْسَنَ إِلَى بَنِي عَمِّهِ ٱلطَّالِبِيِّينَ وَبَرَّهُمْ. وَلَمْ يَقَعْ فِي أَيَّامِهِ مِنَ ٱلْفُتُوحِ ٱلْكِبَارِ وَٱلْحَوَادِثِ ٱلْمَشْهُورَةِ مَا يُؤْثَرُ. وَفِي عَهْدِهِ غَزَا ٱلْمُسْلِمُونَ فِي ٱلْبَحْرِ جَزِيرَةَ صِقِلِّيَةَ وَفَتَحُوا مَدِينَةَ مِسِّينَةَ فِي عَهْدِ ٱلْمَلِكَةِ تَاوُدُورَا. وَكَانَتْ مَلَكَتْ بَعْدَ تُوفِيلَ مَلِكِ ٱلرُّومِ وَٱبْنُهَا مِيخَائِيلُ بْنُ تُوفِيلَ وَهُوَ صَبِيٌّ. وَمَاتَ ٱلْوَاثِقُ بِدَاءِ ٱلِٱسْتِسْقَاءِ وَكَانَ عُمْرُهُ ٱثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا يَعْلُوهُ ٱصْفِرَارٌ حَسَنَ ٱللِّحْيَةِ. ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ جَعْفَرٌ ٱلْمُتَوَكِّلُ عَلَى ٱللهِ وَبُويِعَ لَهُ بِٱلْخِلَافَةِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى. وَلَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ سِتٌّ وَعِشْرُونَ سَنَةً. فَعَقَدَ ٱلْبَيْعَةَ لِبَنِيهِ ٱلثَّلَاثَةِ بِوِلَايَةِ ٱلْعَهْدِ

وَهُمُ ٱلْمُنْتَصِرُ وَٱلْمُعْتَزُّ وَٱلْمُؤَيَّدُ. وَفِي ثَمَانِي وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ٱنْتَهَى ٱلرُّومُ إِلَى دِمْيَاطَ بِٱلْأَسَاطِيلِ فَأَحْرَقُوا وَسَبَوْا وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ وَرَجَعُوا وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ كَثُرَ ٱلْمَمَالِيكُ ٱلْأَتْرَاكُ فِي بَغْدَادَ فَٱسْتَوْلَوْا عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ فَصَارَ بِيَدِهِمُ ٱلْحَلُّ وَٱلْعَقْدُ وَٱلْوِلَايَةُ وَٱلْعَزْلُ إِلَى أَنْ حَمَلَهُمُ ٱلطُّغْيَانُ عَلَى ٱلْعُدْوَانِ. وَسَطَوْا عَلَى ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْمُتَوَكِّلِ وَكَانَ بَيْنَ ٱلْمُتَوَكِّلِ وَٱبْنِهِ ٱلْمُنْتَصِرِ مُبَايَنَةٌ. فَٱتَّفَقَ مَعَ بَاغِرَ قَائِدِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ أُنْسِهِ وَعِنْدَهُ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ فَصَاحَ ٱلْفَتْحُ: وَيْلَكُمْ هٰذَا سَيِّدُكُمْ. وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَضَرَبَهُمَا بَاغِرُ فَمَاتَا جَمِيعًا

تتمّة أخبار الخلفاء العبّاسيين

المنتصر بالله (٨٦١) المستعين بالله (٨٦٢) المعتزّ بالله (٨٦٦)

٣٢٣ ثمّ خلفهُ ابنهُ المنتصر بالله ولم يتهنَّ بالخلافة لاستيلاء المماليك الأتراك على المملكة فدسّوا الى طبيبه ليسمّهُ ففصدهُ بمبضعٍ مسمومٍ فمات لستّة أشهرٍ من مبايعتهِ. ويحكى انهُ بات ليلةً في وَعكهِ وانتبه فزِعًا وهو يبكي فسألتهُ أمهُ: ما يبكيك. قال: أفسدتُ ديني ودنياي رأيتُ أبي الساعة وهو يقول: قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لاتتمتّع بها إلّا ايامًا ثمّ مصيرك الى النار. فاستمرّ موهومًا من ذلك المنام فما عاش بعد ذلك الّا أيامًا قلائل. ثمّ ملك بعدهُ المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم بايعهُ الامراء واكابر المماليكُ ولم يولّوا أحدًا من وُلد المتوكل لئلا يُطالِب بدمهِ. وكانت تلك الايّام ايّام فتنٍ وحروبٍ وخروج خوارج. واعلم ان المستعين كان مستضعفًا في رأيهِ وعقله وتدبيره. وكانت ايامهُ شديدة الإضطراب ولم يكن فيهِ من الخصال المحمودة الّا انهُ كان كريمًا وهوبًا خُلِع في سنة اثنتين وخمسين ثمّ قُتِل بعد ذلك. وملك بعدهُ المعتزّ بالله وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بُويع بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين عقيب خلع المستعين وكان المعتزّ جميل الشخص حسن الصورة. ولم يكن بسيرتهِ ورأيهِ وعقلهِ بأسٌ الّا أنّ الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة. واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير ان شاءوا أبقوهُ وان شاءوا خلعوهُ وان شاءوا قتلوهُ. قيل انهُ لمّا جلس المعتزّ على سرير الخلافة قعد خواصهُ واحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش

وكم يبقى في الخلافة . وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا أعرَفُ من هؤلاء بمقدار عمرهِ وخلافتهِ . فقالوا لهُ : فكم تقول انهُ يعيش وكم يملك . قال : مها أراد الأتراك . فلم يبقَ في المجلس الّا مَن ضحك . وفي سنة خمس وخمسين ومائتين صاروا الأتراك الى المعتزّ يطلبون أرزاقهم . فماطلهم بحقّهم . فلما رأَوا انهُ لا يُحصل منهُ شيءٌ دخل اليهِ جماعة منهم فجروا برجلهِ الى باب الحجرة وضربوهُ بالدبابيس . ثمَّ أدخلوهُ سردابًا وجصّصوا عليهِ فمات (للنهراولي)

المهتدي بالله (٨٦٩) المعتمد على الله (٨٧٠) المعتضد بالله (٨٩٢)

٣٢٤ ثمَّ ملك بعدهُ المهتدي بالله وهو أبو عبد الله محمد بن الواثق . كان المهتديّ من أحسن الخلفاء مذهبًا . وأجملهم طريقةً وسيرةً. واظهرهم ورعًا واكثرهم عبادةً . كان يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان يكون في بني أُميَّة مثلهُ ولا يكون مثلهُ في بني العبَّاس . وكان يجلس للمظالم فيحكم حكمًا يرتضيهِ الناس وكان يتقلَّل في ماكولهِ وملبوسهِ . وكان المهتدي قد اطَّرح الملاهي وحرَّم الغناء والشراب ومنع اصحابهُ من الظلم والتعدّي . وكان سبب موت المهتدي انهُ قتل بعض الموالي فشغب عليهِ الأتراك وهاجوا وأخذوهُ اسيرًا وعذَّبوهُ ليخلع نفسهُ فلم يفعل فقتلوهُ وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنةً . ثمَّ ملك بعدهُ المعتمد على الله وكان مستضعفًا وكان أخوهُ الموفَّق طلحة الناصر هو الغالب على أُمورهِ . فللمعتمد الخطبة والسكَّة والتسمّي بامير المؤمنين ولأخيهِ طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولًا عن ذلك بلذَّاتهِ . وفي أيامهِ خرج أحمد ابن طولون وظفر بحلب وانطاكية وبقيَّة العواصم واستقلَّ بمصر وأخذ خراجها وكانت يومئذٍ عامرة آهلة . ثمَّ توفّي المعتمد وكان اسمر ربعة رقيقًا مدوَّر الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليهِ الشيب منهمكًا على اللهو والمسكرات . ثم ملك بعدهُ المعتضد بن الموفَّق وكان شهمًا عاقلًا فاضلًا حمدت سيرتهُ وولي والدنيا خراب والثغور مهملة. فقام قيامًا مرضيًّا حتى عمرت مملكتهُ وكثرت الاموال وضُبطت الثغور. وكان قويّ السياسة شديدًا على أهل الفساد حاسمًا لموادّ اطماع عساكرهِ عن أذى الرعيَّة . وكانت ايامهُ ايام فتوق وخوارج كثيرين منهم عمرو بن الليث الصفَّار . كان قد عظم شانهُ وفخم أمرهُ واستولى على اكثر بلاد العجم. فآلت عاقبتهُ الى القيد والاسر والذلّ . فقام المعتضد في إصلاح المتشعب من مملكتهِ والعدل في رعيَّتهِ حتى مات . وكان المعتضد سار الى الموصل قاصدًا للاعراب والاكراد فاوقع بهم وقتل منهم وخرج الى الجزيرة يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها . ومات سنة (٢٨٩) (للفخري)

المكتفي بالله (٩٠٢) المقتدر بالله (٩٠٨) القاهر بالله (٩٣٢)

٣٢٥ أخذ للمكتفي أبوهُ البيعة قبل موتهِ بثلاثة أيَّام . وكان المكتفي من أفاضل الخلفاء وسيمًا جميلًا بديع الحسن دُرّيّ اللون معتدل الطول وكان حسن العقيدة كارهًا لسفك الدماء .

وفي ايامهِ ظهر القرامطة وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاجّ واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مقتلةً عظيمةً. وسرَّح المكتفي اليهم جيوشاً كثيرة فاوقع بهم وقتل بعض زعمائهم . وكانت خلافة المكتفي ستّ سنين . فانقصف غصن شبابهِ القشيب . ويبس عود جمالهِ النضر الرطيب . فانتقل من دار الفناء الى دار الجزاء والبقاء . ثم قام بالامر بعدهُ أخوهُ أبو الفضل جعفر المقتدر بويع لهُ يوم وفاة أخيهِ وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وضعف دست الخلافة في ايامهِ . وكان المقتدر سمحاً كثير الانفاق وولي الخلافة ثلاث مرّات فتغلّب الجند عليهِ واتّفقوا على خلعهِ وعقدوا البيعة لأبي العبّاس بن المعتزّ . وكان ابن المعتزّ اكثر العبّاسيين فضلاً وأدباً ومعرفة موسيقى وأشعر الشعراء مطلقاً في التشبيهات المبتكرة الغريبة للرقصة التي لا يشقّ غبارهُ فيها أحد . فارسل المقتدر وقبض على ابن المعتزّ وقتلهُ في حبسهِ واستقام الأمر للمقتدر بعد الاضمحلال ولاح بدر فلاحهِ بعد الزوال وهذه ولايتهُ الثانية . ثم جرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر امير الجيوش منافرة ادّت الى خلع المقتدر ومبايعة اخيهِ القاهر . ثم أُعيد المقتدر ثالثةً وحملهُ الجنود على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وصفح عن أخيهِ القاهر . ثم وقع بينهُ وبين مؤنس حرب فتوغّل المقتدر في المعركة فضربهُ واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاربهِ : ويحك انا الخليفة . فقال لهُ: انت المطلوب وذبحهُ بالسيف . وفي ايامهِ نبغت الدولة الفاطميّة بالمغرب . وولي أخوهُ القاهر بالله مكانهُ فما لبث ان قُهِر القاهر المذكور وسُمِلت عيناهُ فجعل يستعطي في شوارع بغداد (للدميري)

الراضي بالله (٩٣٤) المتقي بالله (٩٤٠) المستكفي بالله (٩٤٤) المطيع لله (٩٤٦)

٣٣٦ وعقبهُ في الخلافة أبو العبّاس بن المقتدر ولقّبوهُ الراضي بالله . وفي ايامهِ ضعف امر الخلافة العبّاسيّة فكانت فارس في يد ابن بويه . والموصل وديار بكر في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد الفاطميين . والأندلس في يد عبد الرحمان الاموي . فلم يبقَ في يد الراضي سوى بغداد وما والاها . فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعمّ الخراب . ثم تولى بعدهُ ابو اسحاق أخوهُ ولُقّب المتقي بالله لم يكن لهُ من السيرة ما يُؤثَر وقبض عليهِ توزون التركي وسمل عينيهِ سنة (٣٣٣) . وبُويع بعدهُ لابن عمّهِ المستكفي بالله واستمر في خلافتهِ سنة واحدة وأمسكهُ من أمرائهِ معزّ الدولة بن بويه فسمل عينيهِ وضمّهُ الى المتّقي بالله والقاهر بالله فصاروا ثلاثة اثافيّ العما . وولي الخلافة بعدهُ ابن عمّهِ المطيع لله سنة (٣٣٤) . وفي ايامهِ قويت شوكة آل بويه وتم امرهُ على ضعف الخلافة وطالت ايامهُ الى ان خلع نفسهُ

الطائع لله (٩٧٤) القادر بالله (٩٩١) القائم بامر الله (١٠٣١)

٣٣٧ وبويع لولدهِ عبد الكريم في سنة (٣٦٣) . ولُقّب الطائع لله وكان مغلوباً عليهِ من قبل أُمرائهِ . وما كان لهُ الّا العظمة الظاهرة . وكان شديد القوّة في خلقهِ حدّة كريمًا شجاعًا

بطلًا جوادًا سمحًا الّا ان يده كانت قصيرة مع ملوك بني بويه . فقبضوا عليهِ وبايعوا أبا العبّاس احمد القادر بالله (٣٨١) . وكان حسن الطريقة والسمت كثير الخير والدين والمعروف . وفي ايامهِ تراجع وقار الدولة العبّاسيّة ونمى رونقها وأخذت أُمورها في القوّة . ومكث القادر في الخلافة مدَّة طويلة حتى أنافت خلافته على احدى وأربعين سنة . وولي بعده بعهد منهُ ولده أبو جعفر ولُقّب القائم بامر الله وكان خيّرًا دينًا باهر الفضل الّا انهُ مغلوب بيد أُمرائهِ وطالت مدَّتهُ مع ذلك . وفي أيّامهِ انقرضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقيّة

المقتدي بالله (١٠٧٥) المستظهر بالله (١٠٩٤) المسترشد بالله (١١١٨)

٣٢٨ وتولى بعدهُ بعهد منهُ حفيدهُ أبو القاسم ولُقّب المقتدي بالله . وكان من نجباء بني عبّاس دينًا . ومن جملة صلاحهِ ان السلطان ملكشاه من آل سُبكتكين قصد ان يظهر الحنف والحيف على الخليفة المذكور فارسل اليهِ يقول لهُ : اخرج من بغداد . فتلطّف بهِ المقتدي فأبى . فاستمهلهُ عشرة أيام فامهلهُ . فصار الخليفة يصوم ويتضرّع الى الله فنفذ دعاؤهُ وهو مظلوم . فهلك السلطان ملكشاه قبل مضي عشرة أيّام وعُدَّت هذه كرامةً للخليفة المقتدي . وكانت وفاتهُ سنة (٤٨٧) فجأةً . وتولى بعدهُ ابنهُ أبو العبّاس ولُقّب المستظهر بالله وكان كريم الأخلاق سهل العريكة مهذّب الخلال . وكان قد غلب عليهِ ملوك آل سلجوق . ثمَّ خلفهُ ابنهُ أبو منصور ولُقّب المسترشد بالله . وكان شجاعًا دينًا مقدامًا ذا رأي وهمَّة عالية فاحيا مجد بني عبّاس . وخرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقي فاستظهر عليهِ وقتل المسترشدَ غيلةً (لابي الفرج)

الراشد (١١٣٥) المقتفي بالله (١١٣٦) المستنجد بالله (١١٦٠)

٣٢٩ ثم قام بالأمر بعدهُ ابنهُ الراشد ولم تطل مدَّة خلافتهِ فجهّز عسكرًا كثيفًا لمحاربة مسعود فدخل السلطان بغداد واستبدّ بتدبير الامور وخلع الراشد وولّى عمهُ أبا عبد الله ولقّبهُ المقتفي بالله . وكان عالمًا دمث الأخلاق خليقًا بالامارة كامل السؤدد بيدهِ أزمّة الامور كان لا يجري في خلافتهِ أمرٌ وان صغر الّا بتوقيعهِ . وجرت في أيامهِ فتن وحروب بينهُ وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها لهُ . وثار في أيامهِ العيّارون والمفسدون فنهض بقمعهم أتمّ نهوض . ثم عقبهُ ابنهُ المستنجد وكان شهمًا عارفًا بالامور أزال المكوس والمظالم . وفي ايامهِ ضعفت دولة الفاطميين في مصر . وخنق المستنجدَ في الحمّام اكابرُ دولتهِ عقيب مرضة صعبة

المستضيء بالله (١١٧٠) الناصر لدين الله (١١٨٠) الظاهر بالله (١٢٢٥)

٣٣٠ وتولّى بعدهُ ابنهُ أبو محمد ولُقّب المستضيء بالله . وكان حسن السيرة كريم النفس وكثر ثناء الخلق عليهِ لكنهُ لم يكن بسيرتهِ بأس . ثم ملك بعدهُ ابنهُ الناصر لدين الله وكان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم . بصيرًا بالامور متوقد الذكاء والفطنة . وطالت مدَّتهُ وصفا لهُ الملك واحبَّ مباشرة أحوال الرعيّة حتى كان يتمشّى في الليل في دروب بغداد ليعرف

أخبار الرعيّة وما يدور بينهم . وفي أيامهِ كان ظهور صلاح الدين واستيلاؤهُ على مصر واستخلاصهُ بيت المقدس من أيدي النصارى الافرنج وازالةُ دولة الفاطميين . وتولّى مكانهُ بعد موتهِ ابنهُ محمد الظاهر بامر الله ولم تطُل أيّامهُ ولم يجرِ فيها ما يُسطر لكنهُ اظهر العدل والاحسان . قيل انهُ فرّق ليلة عيد النحر على الفقراء مائة الف دينار . فلامهُ الوزير على ذلك فقال : دعني أفعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان توفّاهُ الله واثابهُ على عملهِ الصالح

المستنصر بالله (١٢٢٦) المستعصم بالله (١٢٤٣) انتهاء الخلافة (١٢٥٨)

٣٣١ وتولى بعده ولدهُ أبو جعفر ولُقّب المستنصر بالله كان المستنصر شهمًا جوادًا يباري الريح كرمًا وجودًا . وكانت هباتهُ وعطاياهُ اشهر من أن يُدلّ عليها وأعظم من ان تُحصَى . ولهُ الآثار الجليلة منها (وهي أعظمها) المستنصريّة وهي أعظم من ان توصف وشهرتها تغني عن وصفها . وكان المستنصر يقول : اني اخاف ان الله لا يثيبني على ما اهبهُ وأعطيهِ لان الله تعالى يقول : لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وأنا والله لا فرق عندي بين التراب والذهب . وكانت ايامهُ طيّبة والدنيا في زمانهِ ساكنةً والخيرات والاعمال عامرةً . وفي أيامهِ فتحت إربل ومات المستنصر في سنة اربعين وستمائة . وسلم على ابنهِ المستعصم بالله بالخلافة وهو آخر الخلفاء العباسيين وكانت مدّة دولتهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة . وكان المعتصم بالله مستضعف الراي قليل الخبرة واهي العزيمة . وكان وزيره ابن العلقمي عدوًّا لهُ يداريهِ في الظاهر وينافقهُ في الباطن . وكان تدبيرهُ على ازالة الخلافة من بني العبّاس . فاذن للجند بالتفرّق والذهاب أين شاءوا . وعظم الهرج ببغداد . ووقعت الفتن فصار ابن العلقمي يكاتب هولاكو ملك التتر ويستحثّهُ لقصد بغداد ويخبرهُ عن صورة أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر . فزحف هولاكو بعسكر جرّار الى بغداد والمعتصم ومن معهُ في غفلة عنهُ لاخفاء ابن العلقمي عنهُ سائر الأخبار . الى ان وصل الى بلاد العراق واستأصل مَن بها قتلًا وأسرًا . وتوجّه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبهُ اليهِ فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور . وندم على غفلتهِ حيث لا ينفعهُ الندم . وجمع مَن قدر عليهِ وبرز لقتالهِ باربعين الف مقاتل . فثبتوا مع ترافتهم على حدّ السيوف من اقبال الفجر الى أدبار النهار الى ان عجزوا عن الاصطبار وولّوا الأدبار بالإدبار . وأعقبهم التتار . ووضعوا السيف فيهم . وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيّام ما ينوف على ثلاثمائة وسبعين الف نفس . وسبوا ورموا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات فكانت لكثرتها جسرًا يمرّون عليهِ ركابًا ومشاةً . وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام . وأخذوا المستعصم وأولادهُ وجماعتهُ وأتوا بهِ الى هولاكو فاستبقاهُ اياما الى ان استصفى أموالهُ ودفائنهُ ثم رمى رقاب أولادهِ وأتباعهِ وأمر ان يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعل بهِ ذلك سنة (٦٥٦) . وانقطعت خلافة بني العبّاس وهم سبعة وثلاثون خليفة اولهم السفّاح وآخرهم المستعصم (للنهروالي)

تمّ بحول الله تعالى

فهرس الجزء الخامس من كتاب مجاني الادب